

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

التعليم العالي في إستراتيجية الاستعمار الفرنسي في  
الجزائر (1879-1962)

رسالة مُعدة لنيل دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر

تحت

إعداد الطالب:

إشراف:

أ. د. عويمر مولود

خميلي العكروت

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. حباسي شاوش ..... رئيسا

أ.د. ملود عويمر ..... مشرفا ومقررا

أ.د. مصطفى نويصر ..... عضوا

أ.د. إبراهيم لونيبي ..... عضوا

د. سفيان لوصيف ..... عضوا

د. فريد حاجي ..... عضوا

السنة الجامعية: 2016-2017

## شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الوافر إلى الأستاذ الدكتور مولود عويمر،  
الذي بذل جهداً كبيراً وصبراً جميلاً ومنحني من هوامش الحرية  
والنقاش ما جعلني أشعر بشخصيتي، وأعتمد على نفسي. فأُكرّر  
تقديري واعتزازي بشخصه، فقد تفهم فلسفتي عبر مراحل هذا  
البحث. وأشكر الأصدقاء الذين ضحّوا بقليل من أوقاتهم الثمينة في  
المهجر لتزويدي ببعض الوثائق، وكل من ساعدني من قريب أو من  
بعيد.

## إهداء

إلى الوالدة الكريمة التي صبرت عليّ صبراً جميلاً، وعاشت

معي مراحل البحث

إلى روح والدي رحمه الله

إلى جميع طلبة العلم

# مقدمة

مقدمة:

التعريف بالموضوع وأهميته:

عاشت الجزائر بين عامي (1830-1962) واقعاً استعماريًا، عملت من خلاله الإدارة الاستعمارية على فرض منطقتها ونظمها، وفي إنتاج واقع ثقافي اقتصادي واجتماعي يتلاءم مع الذهنية الاستعمارية ويخدم أهدافها، وذلك بجعل المشهد الأساسي على مسرح الأحداث في الفعل الاستعماري يتمحور حول الأقلية الأوروبية والفرنسية التي تلقت تسهيلات للاستيطان في الجزائر، فهي في الواجهة. وتم زحزحة أغلبية السكان المحليين الذين أصبحوا يسمون أهالي إلى ما وراء الستار.

والفعل الاستعماري لم يتوقف عند الحدود السياسية، بإحتلال الأرض وفرض السيادة الفرنسية عليها، وأكثر من ذلك اعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الإقليم الفرنسي، بل اجتازت إلى محاولة تغيير الواقع الثقافي، من خلال العمل على تغليب ونشر قيم حضارية غربية ونقيضة في بيئة حضارية أخرى مختلفة .

وقد أوكلت هذه المهمة الاستراتيجية، إلى مؤسسات التعليم التي أنشئت بعد تهديم النظام التعليمي للمجتمع الجزائري بكل الوسائل وأسندت لهذه المؤسسات الجديدة في مختلف مراحلها ونشر القيم الفرنسية.

وإذا كانت الكتابات التاريخية - في مرحلة ما بعد الاستعمار - قد اهتمت بالفعل الاستعماري الذي عمل على تقليص وإلغاء دور مؤسسات التعليم التقليدية الأصيلة إلى أبعد حد، والمتمثلة في الزوايا، والمدارس القرآنية، والكتاتيب، فإنه قد عمل بمرور الزمن على إنشاء منظومة تعليم، لم يكن للجزائريين المسلمين فيها إلا القليل من الحضور. وأهمية مشروعنا المعلنون بـ "التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار الفرنسي في الجزائر بين (1879-1962م) تكمن في تمييزه عن مراحل التعليم الأخرى، واستقباله لمُخرجاتها،

فهو يبحث في إشكالية مكانة التعليم العالي ضمن المشروع الاستعماري، فيتطرق إلى أشكال توظيف التعليم العالي ومؤسساته ونتائج العلوم المختلفة وتطوراتها في تحقيق المخططات الاستعمارية، وكذلك مدى ملاءمة ذلك مع العقلية الاستعمارية الاستيطانية الاستغلالية السائدة في الجزائر.

ومن جهة أخرى، يُمكن الاستدلال بسهولة على ضرورة التعليم العالي ومؤسساته ليس لارتباطها فقط بفئة المعمرين المتنامية، ولارتباطها أيضاً بعناصر السياسة الاستعمارية الإلغائية الفرنسية بالجزائر في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما أنّ التعليم العالي - بمرور الزمن - أصبح يرتبط أيضاً بالجوانب الأكثر أهمية في مخططات الاستعمار كالإدماج ومشاكله القانونية، والثروات الطبيعية والطاقة، وتطوير الزراعة والصناعة وغيرها، والتي تبدو ظاهرياً على غير علاقة بمؤسسات التعليم العالي، التي يتمحور دورها وتأثيرها على مستوى الأبعاد التعليمية والعلمية والثقافية، فالموضوع يبحث في العلاقات المتداخلة والمتشعبة لمختلف المؤسسات الاستعمارية، خاصة مؤسسات التعليم العالي، وأوجه توظيفها في استراتيجية الاستعمار الشاملة.

### أسباب اختيار الموضوع:

يعود السبب الرئيسي لاختياري هذا الموضوع إلى رغبتني في استكمال البحث الذي بدأت في مرحلة الماجستير، والذي تمحور حول الجامعة بين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين (1909-1956)، فكان من بين نتائج هذا البحث، أنّ موضوعه جزء من موضوع أشمل هو التعليم العالي الفرنسي في الجزائر المستعمرة، لذلك عزمْتُ على توسعة العمل ليشمل التعليم العالي ومؤسساته ككل، وربما أكون بهذه الطريقة قد سرت عكس قاعدة البحوث والتي تتجه دائماً من العام إلى الخاص. فنسأطُ الدكتوراه الضوء على إحدى الإشكاليات التي أثارها الماجستير أو جزء منها، ولي في ذلك مبررات أهمها: التعرف على كل مؤسسات التعليم العالي الفرنسية في الجزائر، ومراحل نشأتها: ما

## مقدمة

قبل الجامعة، والجامعة، والمؤسسات خارج الجامعة التي تشكل عناصر الموضوع، وعلاقتها بالاستعمار وأهدافه، وذلك بتحديد مجالات نشاطها وفلسفتها، وتوجهها، فتحدد بذلك أشكال توظيف التعليم العالي ومؤسساته في خدمة الأهداف المتشعبة للاستعمار، والتي تشمل مختلف المجالات، وتتجاوز حدود المستعمرة إلى خدمة أهداف الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية.

ولعلّ ما شجّعني على هذه الدراسة - وهو إحدى الدوافع الهامة - اكتشافنا وأنا أدرس الجامعة الفرنسية في الجزائر مدى ارتباطها بالإدارة الاستعمارية وأهداف الاستعمار، فأردت أن أضعها في إطارها العام كمؤسسة للتعليم العالي، وأدرس بذلك غيرها من مؤسسات التعليم العالي.

وأما بالنسبة للإطار الزمني للبحث، والممتدّ ما بين (1879-1962م)، فإنّه يمثل مرحلة تأسيس وتوسيع النشاط الحقيقي للتعليم العالي الفرنسي في الجزائر.

### الإشكالية:

انطلق تصوري للموضوع من محاولة فهم وتفكيك العلاقة بين تنظيم التعليم العالي الفرنسي في الجزائر، و تطويره بإنشاء مؤسساته المختلفة، والأهداف الاستعمارية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، وبالتالي وضع التعليم العالي ضمن استراتيجية استعمارية هادفة، وعليه تبلورت الإشكالية العامة للموضوع في السؤال التالي:

**كيف وظّف الاستعمار الفرنسي التعليم العالي ومؤسساته في استراتيجيته خدمةً لأهدافه وغاياته المختلفة في مستعمرة الجزائر بين (1879م-1962م)؟**

وقد تفرّعت عن هذه الإشكالية من التساؤلات الفرعية:

- ما المقصود بمؤسسات التعليم العالي الفرنسية في الجزائر؟

## مقدمة

- كيف أنشئت هذه المؤسسات وطوّرت قبل إنشاء الجامعة؟
- كيف أنشأ التعليم العالي الجامعي وطور؟
- ما هي أشكال التعليم العالي خارج الجامعة وماهي مؤسساته؟
- ما هي مراكز البحث والتوثيق الجامعية المنشأة في الجزائر؟
- ما هي مجالات التعليم العالي الأكثر أهمية في مستعمرة الجزائر؟
- فيما تتمثل أهداف التعليم العالي الفرنسي في الجزائر؟ وما هي نتائج ذلك؟

### منهج الدراسة:

لقد اعتمدتُ في إنجاز هذه الدراسة على المنهج التاريخي، الوصفي، التحليلي وذلك برصد الوقائع التاريخية المتعلقة بالموضوع المدروس، في الزمان والمكان وتأثيرات الظروف المحيطة بها، وسيرورتها عبر الزمن. كما وظّفت أيضاً منهج تحليل الخطاب أو "تحليل المضمون" قصد إفراغ مضامين النصوص التاريخية الكثيرة التي عالجتها، وتمحيص حمولتها ودلالاتها، خاصة التشريعات والتقارير والمقالات التي ارتكزت عليها كأساسٍ في هذا البحث، وقد حلّلتُ وحاولتُ استنتاجها، والوقوف على مختلف الجوانب التي تركز عليها، ومن ثمّ معرفة سياقها ومضامينها وأهدافها ودلالاتها الظرفية والتاريخية وعلاقتها بالموضوع والإشكالية التي يُعالجها.

### خطة العمل:

تبلورت خُطة الدّراسة، بعد مُحاولاتِ فرضتها المادّة المدروسة ومُحدّدات الموضوع، وجاءت في شكلها النهائي تتكوّن من مدخل، ستّة فصول، وخاتمة، وأُوجز مُحتواها فيما يلي:

تضمّن المدخل المُصطلحات الدّالة، التي شكّلت مفاتيح موضوع البحث كالاستعمار، الاستراتيجية، وذلك للاستدلال على أنّ مصطلح الاستراتيجية في توظيفه في هذا البحث أبلغ دلالة من مصطلح السياسة الذي دأب الباحثون على استخدامه للدلالة على خُطط الاستعمار في مُختلف المجالات، فالسياسة تتوقف عند التخطيط والاستراتيجية تعني السياسة في مرحلة التنفيذ في مُختلف المجالات، وذلك ما يتلاءم مع بحثنا هذا، كما عرفت أيضاً التعليم العالي ومؤسساته كالجامعة، ومؤسسات التعليم العالي خارج الجامعة، وذلك في النظام التعليمي الفرنسي الذي خيّمته فلسفته على التعليم العالي في الجزائر إبان الاستعمار، وبذلك نكون قد تجاوزنا أو حاولنا تجاوز الدلالات الخاصّة، والكثيرة، والمرنة لكلّ مصطلح، فركّزتُ خاصّةً على هذه المُصطلحات التي تُعتبر مفاتيح هامةً للموضوع.

أما بالنسبة للفصول، فقد تطرق الفصل الأوّل لمراحل تنظيم التعليم العالي الفرنسي في الجزائر قبل إنشاء جامعة الجزائر، وعنوانه بالتعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)، استعرضتُ فيه ظُهور التعليم العالي الفرنسي في الجزائر في بداية الاحتلال في شكل المدرسة العسكرية للطب، وكذلك إلى المدرسة التحضيرية العُليا للطب والصيدلة (1857-1879)، والتي سبقت تأسيس المدارس التحضيرية العُليا للحقوق والعُلوم والآداب المُنشأة سنة 1879م. و لقد تتبّعتُ التطور التاريخي لهذه المدارس التي أضحت مدارس كاملة الصلاحيات بين (1879-1909)، وحاولتُ في هذا الفصل التطرُق لمراحل تطوّر التّعليم العالي قبل إنشاء جامعة الجزائر سنة 1909م.

## مقدمة

وقد حمل الفصل الثاني عنوان: التعليم العالي الجامعي وتطوره بين (1909-1962)، وتناول تأسيس الجامعة وفق قانون 30 ديسمبر 1909م، ثم وصفنا كليات الجامعة (1909-1962) والتطورات التي عرفتھا، وكذلك أهم إنجازاتھا والمجالات التي عملت فيها، كما تطرقنا أيضاً إلى أهم المعاهد الجامعية التي أنشأتها جامعة الجزائر حسب الحاجة والظروف الموضوعية أو العلمية أو السياسية خلال المرحلة (1909-1962)، كما ختمنا هذا الفصل بإبراز مكانة وأهمية جامعة الجزائر الفرنسية، وذلك بين مؤسسات التعليم العالي الفرنسية، وكذلك بالنظر إلى وضعها الخاص كجامعة أنشئت في مستعمرة الجزائر.

أما الفصل الثالث فقد تناول المخابر العلمية، ومراكز البحث والتوثيق التي أنشئت لتكمل دور الجامعة، أو تضطلع بمهام البحث والتوثيق أو تملك الصفة الجامعية، مثل المكتبة الجامعية (1887-1962)، ومعهد باستور (1894-1962) الذي ظل علي ارتباط علمي بالجامعة واساتذتها وطلابها رغم استقلاله الإداري سنة 1909، أو المرصد الفلكي ببوزريعة (1873-1962)، كما درسنا أيضاً المخابر العلمية التطبيقية والمجلس العلمي التطبيقي الذي أنشأه الوالي العام لتوجيه الأبحاث نحو المجالات الأكثر أهمية في تقدير الإدارة الاستعمارية.

وقد أوردنا الفصل الرابع لمؤسسات التعليم العالي خارج الجامعة، والمتمثلة في مؤسسات التعليم العالي الفلاحي، التعليم العالي التقني، ومدارس المهندسين، وكذلك التعليم العالي للتجارة والفنون.

أما الفصل الخامس، فقد خصص لبعض القضايا، التي تطرح فيما يتعلق بالفروق بين التعليم العالي الاستعماري والتعليم العالي في المستعمرات، لتحديد الفروق والدلالات والمجالات، وقد درسنا أيضاً في هذا الفصل ما اعتبرته السلطات الاستعمارية تعليماً عالياً موجهاً للمسلمين، وإلى أي مدى يمكن إجازة هذه التسمية ويعكس هذا جانباً هاماً من

استراتيجية الاستعمار المبنية على التفرقة واحتواء التعليم في كلّ مراحلها، في ظلّ التوجه العام للسياسة الاستعمارية المبني على التفرقة والإقصاء شبه التام للتعليم الأهلي الأصيل، الكفيل بالحفاظ على استمرار المؤسسات الأهلية القضائية والدينية والاجتماعية، كما درسنا أيضاً في هذا الفصل أوجه تعامل الاستعمار مع مخرجات التعليم العالي من الأهالي المسلمين والمتمثلة في نخب التعليم العالي الضئيلة الحاصلة على الشهادات من مؤسسات التعليم العالي في الجزائر، وقد عالج هذا الفصل أيضاً مكانة وأهمية الثروات الباطنية بالنسبة للاستعمار الفرنسي الذي أوجد ووجه نشاط بعض التخصصات مثل الجيولوجيا خدمة لمنظومته الاستغلالية.

أما الفصل السادس، فقد جاء في شكل استنتاجات مبنية على تحاليل تضمنت مُختلف الأهداف والنتائج التي كان يهدف إليها الاستعمار من خلال التعليم العالي في جوانبها العلمية والإنسانية، قصد تناول الأهداف العلمية للتعليم العالي، وعلاقة التعليم العالي بالاقتصاد والسياسة، وكذلك مناهج الفرنسيين في دراسة العلوم الإنسانية وعلاقة ذلك بالظاهرة الاستعمارية التي يريد أن يرسخها في الجزائر، وكان على هذه المؤسسات شرعنة وتأكيد هذه الادّعاءات علمياً، أو على الأقل الترويج لها ومحاولة تأصيلها.

أما الخاتمة، فقد تضمنت مجمل الاستنتاجات التي تؤكد أهمية التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار، ومدى توظيف العلوم المختلفة لتواكب الطرح الاستعماري وتخدمه، وتعمل على ترتيب الأولويات وفق المنظور السياسي للإدارة الاستعمارية فهذه النماذج تلقي الضوء على طبيعة هذه العلاقة بين السلطة الاستعمارية، ودور التعليم العالي في تحقيق جوانب هامة منها.

**موقع الدراسة: [نقد بيليوغرافي]:**

لقد حاولت خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على الجانب الأقل تناولا من الباحثين الذين تناولوا الظاهرة الاستعمارية في الجزائر، وخاصة الجوانب العلمية والثقافية في

مستواها الأعلى وهو التعليم العالي، وهو ما يشكل عنصر الجودة في هذا البحث، والذي يعنى بالتعليم العالي ومؤسساته في نشأته، وتطوره، ومؤسساته وخصوصيته ومجالاته، ومن ثمة تأثيره وعلاقته بالاستعمار وأهدافه. فقد حاولتُ أن أتبع أوجه التوظيف لهذا القطاع الحساس الذي يُعنى بإنتاج المعرفة وتطوير العلوم خاصة التطبيقية، ويكون الرأسمال البشري الذي تعتمد عليه الأمم في رقيها وتطورها منطلقاً من أن رواده من الجزائريين كانوا قلة قليلة جداً حرص الاستعمار على أن تكون دون تأثير، لذلك لم أتطرق إلى الطلاب الجزائريين فيه، لطبيعة الموضوع الذي يعنى بدور التعليم العالي في منظومته الاستغلالية الكولونيالية المُتكاملة، وقد تطرقتُ لهم فقط كمُخرجات "نُخبة أقليّة".

ونظراً لجِدّة هذا الموضوع غير المطروق تقريباً، على الأقل من الباحثين الجزائريين، فإنّ مصادرنا الأساسية تمثّلت في: المنشورات وأهمها منشور خمسينية جامعة الجزائر سنة 1959م، وهي غنية بتقارير عمداء الكليات، ومدراء المعاهد، التي تشكّل مادةً تاريخية غنية، وكذلك تقارير العُمداء المنشورة في الدوريات والمجلات العلمية مثل: «La Revue Africaine»، وأهمها تقرير لويس باولي الذي حفظته المكتبة الجامعية في مطبوع خاص سنة 1959م، وكذلك حوليات بعض المعاهد الجامعية، مثل حوليات معهد الجُغرافيا، وحوليات معهد باستور، والمدرسة الفلاحية، وكذلك بعض شهادات قدماء الطلاب التي نشرت في بعض المجلات المهتمّة مثل: «Revue Algerianiste» ومجلة «Documents Algeriennes» التي اهتمت بنشر وثائق الحُكومة العامة في مُختلف المجالات، واعتمدنا أيضاً على عدد من مقالات الصحف مثل «L'echo D'alger» الناشطة في العهد الاستعماري، واعتمدنا أيضاً على منشورات الجامعة، ومنشورات قدماء المعاهد وأصدقاء الجامعة وغيرها.

ونظراً لتشعُّب الموضوع الذي يشمل كلّ العلوم تقريباً، مثل الطّب، وعلم الفلك والجيولوجيا والبيولوجيا، والفيزياء، والعلوم الفلاحية، والفنون وغيرها، فقد استعنا بمراجع

## مقدمة

ومقالات من مختلف التخصصات، والتي تخدم الموضوع، وهي عادةً كتابات علمية متخصصة وليست كتابات صحفية.

وقد حاولت تنويع المصادر التاريخية من الكتب من الجانبين الجزائري والفرنسي، فلم أجد من الكتابات التي تناولت بشكل مقتضب التعليم العالي إلا "كتاب الجزائر" لأحمد توفيق المدني، وهو القلم الوحيد الذي كتب حول الموضوع حسب علمنا في ذلك الوقت. وفريد حاجي حول سياسة فرنسا الثقافية وهو دراسة جامعية جديدة.

ومن أهم الكتب المصدرية للتعليم العالي نجد:

«L’histoire De L’universite D’alger» لصاحبه جون مليا، والذي اعتمد على وثائق الجامعة.

أما باقي الكتب والمراجع، فقد تمثلت في كتابات حول التاريخ الثقافي للجزائر مثل كتابات ابي القاسم سعد الله، وأجرون، ويحي بوعزيز، وكميل رسلر، وغي بارفيه و جمال قنان وغيرهم، وكتابات أحمد بن نعمان، عبد القادر جغلول، وحلوش عبد القادر وغيرهم من الكتابات المهمة بالتعليم والشأن الثقافي عامةً.

وقد اعتمدت أيضاً على بعض تلك الكتابات التاريخية الفرنسية في العهد الاستعماري والتي ينظر اليها على أنها غير محايدة، وابتعدت عن الموضوعية مثل كتابات ستفان غزال، وإميل فلكس غوتي، ومارسي، وهاردي، وغيرهم من المنظرين الاستعماريين أو المنخرطين في المشروع الاستعمارية.

كما يحتوي أرشيف اكس أونبروفنس في فرنسا على جرد من الوثائق تتعلق بالتعليم العالي، حصلت على صور من محتوياته، بالمقارنة والتدقيق استنتجت أنني قد اطلعت على معظمها في سلسلة "وثائق جزائرية".

يحمل الجرد: رقم (2) 17

66A : Serie 3Q

Serie S

Serie T

Serie U – 1U

Serie Y – 1Y

قائمة الملاحق:

احتوت قائمة الملاحق على بعض صور الوثائق او واجهات النشریات، وكذلك مجموعة من الصور والبيانات ذات الطبيعة الوصفية الفوتوغرافية.

قائمة الفهارس:

وتضمنت كافة الفهارس كفهرس الموضوعات، الشخصيات، الأماكن، الأسماء العلمية او المصطلحات العلمية للعلوم التجريبية الواردة في المذكرة.

الصعوبات:

يواجه الباحثون صعوبات مشتركة، لكنني أجد أن بعضاً منها كان خاصاً بي واستثنائي، فخلال تسجيلي للسنة الأولى دكتوراه التحقت بالعمل في الإدارة المركزية (الوزارة)، والتي لا تترك مجالاً من الوقت للبحث، فصعب عليّ الانتقال إلى المكتبات والأرشيف، وقد كنت أبحث في الفترات التي تمنح في لصالح الوزارة، كما أن الموضوع في حدّ ذاته يمتاز بالجدة، مما جعلني مضطراً إلى التعامل مع الوثائق باللغة الفرنسية، فكان أكثر الوقت الذي قضيته في الترجمة، ورغم الفرص التي أتاحت لي للسفر فلا واحدة منها قادتني إلى أرشيف اكس اونبروفنس، او المكتبة الوطنية الفرنسية، واضطرت إلى الاستعانة بالأصدقاء الموجودين هناك لفحص الوثائق وإرسال الصور وبعض أعداد المجالات التي أحتاجها، لا أخفي من الناحية الموضوعية أنني قد وجدت

## مقدمة

---

صعوبات كبيرة في إخراج البحث في الصورة التي هو عليها، وتحكمت فيه المادة المتوفرة إلى حد بعيد.

وفي الأخير، يُمكن القول أن هذه الدراسة هي محاولة وإسهام لسدّ حلقةٍ من حلقات التاريخ الثقافي الاستعماري في مستعمرة الجزائر في مرحلة تشكل طفرةً لها مؤثراتها، اهتمنا خلالها بمنظومة التعليم والتكوين في شقها المتعلق بالتعليم العالي خلال العهد الاستعماري والتي ظلت في الظل لفترةٍ طويلة، وإن كُنْتُ لا أدعي الإمام أو احتكار الموضوع الذي يبقى في خدمة الباحثين لإثرائه أو تناول جوانب منه، فإني أمل أن يكون هذا البحث اسهاماً متواضعاً في المكتبة الجامعية.

# مدخل مفاهيمي

### مدخل مفاهيمي:

تعتبر ظاهرة الاستعمار الأوروبي الحديث، مغامرة حقيقية خاضها الأوروبيون في جو من التنافس المشحون بغرض الهيمنة على العالم ونَهَم التجارة والسيطرة على الأسواق في إفريقيا وآسيا، وكذلك الظمأ إلى المواد الأولية للصناعة، وقد اعتمدت ظاهرة الاستعمار أساسا على القوة والتفوق التقني، وعلى هذا الأساس يبدو أن موضوع التعليم عامة والتعليم العالي خاصة من المتطلبات والتحديات الجديدة التي فرضها الواقع على الاستعمار، ونخص بالذكر الاستعمار الفرنسي في الجزائر ذي الطابع الاستيطاني الذي لا يقف عند الحدود الاقتصادية والسياسية، بل يتعداها إلى الجانب الثقافي، فهو بذلك إرادة واعية نحو إقامة حضارة والقضاء على أخرى، وهو أيضا عدوان قومي وحضاري استهدف الإنسان، وجودا وهوية، وأراد تعويضه بالعنصر الأوروبي.

إن مقتضيات الهيمنة الاستعمارية بعد الاحتلال أضحت كبيرة وكثيرة بالإضافة لحد السيف القائم دائما والآلة التشريعية القمعية وآليات الاستغلال المختلفة، وبرز بشكل ضروري وملح ضرورة تفعيل آلية القلم والفكر وأدوات التفوق التي يملكها الاستعمار لبلوغ أهدافه النهائية.

فبالعقل وحده يتم رسم إستراتيجية الهيمنة الشاملة والاستغلال الأقصى والإخضاع الدائم، وبذلك يحل التعليم عامة والتعليم العالي خاصة في صلب هذه العملية الهادفة لصالح الاستعمار ولتكون الصورة أكثر وضوحا ارتأينا تقديم تعاريفا لعناصر هذه الثلاثية (الاستعمار، الإستراتيجية، التعليم العالي) والتي تشكل العلاقة فيما بينها موضوع بحثنا وكذلك بعض المفاهيم الأخرى المرتبطة بها.

### 1- الاستعمار:

الاستعمار في المعنى اللغوي: من عَمَّرَ يُعَمِّرُ تَعْمِيرًا وزيدت الألف والسين والتاء التي تفيد الطلب ومن معانيه طلب التعمير والسعي لتحقيق العمران ومنه قوله تعالى: "هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"<sup>(1)</sup>، والمعنى اللغوي لا يتفق مع ظاهرة الاستعمار الأوروبي الحديث، والتي دفعت مولود قاسم لتسميته بالاستعمار<sup>(2)</sup> أو الاستخراب كما يسميه الدكتور عثمان أمين.

أما تعاريفه الاصطلاحية فهي كثيرة، ومن التعاريف الشاملة نجد أن الاستعمار هو<sup>(3)</sup> "استيلاء دولة على قطر من الأقطار وإدارة شؤونه والعمل على استثمار مرافقه المختلفة إما بأيدي مهاجرين يُرحلون إليه أو بأيدي سكانه الأصليين أو باشتراك كلا الفريقين، والدولة المستعمرة تضمن في هذا العمل لنفسها وقومها أعظم فائدة تستطيع الحصول عليها.

كما يعبر عن الاستعمار على أنه استغلال لبلد آخر وإخضاعه لضغط سياسي يفرض عليه خدمة لدولة الاستعمار لتحقيق مصالحها الحربية وتمكينها من الاستغلال الاقتصادي للمستعمرة التي تفرض عليها قوانين تمنعها من التعامل مع غير المستعمر.<sup>(4)</sup>

(1) سورة هود: الآية 61.

(2) مولود قاسم: محاضرة ملتقى الفكر الإسلامي الثاني والعشرين، الجزائر، 1988، من 30 أوت إلى 5 سبتمبر.

(3) أحمد بن نعمان: حزب البعث الفرنسي، الجزائر، دار الأمة، 1996، ص 39.

(4) محمد حسنين: الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986، ص 30.

ولعل خصوصية الاستعمار الفرنسي في الجزائر تتضح في إرادته ان يجعل من الجزائر قطعة لا تتجزأ من التراب الفرنسي، أرضا ولغة وثقافة ودينا فهو استيطان تام.<sup>(1)</sup>

ودون الإغراق في النظريات السياسية المفسرة للاستعمار وتاريخه، فإنه قد مر بثلاثة مراحل في التاريخ الحديث، فضلا عن كون الرومان أحسن مثال عن الإمبراطوريات الاستعمارية في التاريخ القديم.<sup>(2)</sup>

فالمرحلة الأولى ترتبط بعصر الكشوفات الجغرافية في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، حيث تميّز بظهور الاحتكار التجاري، طيلة قرنين من الزمن، قادته اسبانيا والبرتغال واستهدف أمريكا وجزر الأنتيل وجزر الهند الشرقية.

أما المرحلة الثانية، فقد تميزت بظهور الطاقة الميكانيكية الناتجة عن الثورة الصناعية أواخر القرن الثامن عشر واستحدثت بديلا عن العمل اليدوي فظهرت المصانع فتحوّلت أهداف الاستعمار الى البحث عن المواد الخام للصناعة وفتح أسواق جديدة في المستعمرات.

أما المرحلة الثالثة: فهي مرحلة الامبريالية التي بلغ فيها الفائض كميات كبيرة فاتجهت الأنظار إلى تصدير رؤوس الأموال إلى المستعمرات على شكل قروض وتم إنشاء البنوك وشركات الملاحة وسكك الحديد والشركات العابرة للقارات، وهي أخطر المراحل وأعظمها تأثيرا في تاريخ الاستعمار الغربي، وفي تاريخ الإنسانية عامة.

أما من حيث انواع الاستعمار فقد شهد العالم نوعين من الاستعمار الغربي في القرن التاسع عشر، هما الاستيطاني والاستغلالي أو الاستراتيجي.

(1) رحيم يحيوي: دراسة مستقبل الاستيطان والتوطين، الاستعمار الفرنسي في الجزائر والحركة الصهيونية في فلسطين، الجزائر، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006، ص 09.

(2) أحمد صديقي الريحاني: ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي 1886-1911م، المطبعة الحديثة، الزيتون، 1991، ص 32.

فالطابع الاستيطاني للاستعمار الفرنسي للجزائر لا يتوقف عند الحدود السياسية بمعنى احتلال الأرض والاستيلاء على الحكم، وإنما يهدف إلى احتلال البيئة الجزائرية العقلية والتقنية بكاملها، أو لنقل الاحتلال الثقافي بأوسع معانيه حتى وإن كان المدخل اليه هو الاحتلال العسكري والسياسي<sup>(1)</sup>. وطبقا لذلك وظف الاستعمار استراتيجيات ومؤسسات مختلفة للوصول إلى تلك الاهداف أي الوصول إلى جعل الجزائر قطعة من التراب الفرنسي، أرضا ولغة وثقافة ودينا، فقد كان لمؤسسات التعليم عامة والتعليم العالي خاصة دورا هاما في استراتيجية الاستعمار الفرنسي هذه.

### 2- الإستراتيجية و السياسة الاستعمارية:

تعتبر الإستراتيجية من اقدم المفاهيم التي عرفت البشرية، حيث ظهرت في بداية الأمر في المجال العسكري، ثم استمر استعمال كلمة الإستراتيجية حتى دخلت المجالات والأنشطة الإنسانية، وقد نشأت الإستراتيجية كمفهوم وكفكر وكوسيلة وكمارسة مع الحروب في شكلها الكلاسيكي وقد عبرت عليها أقوال القادة الصينيين<sup>(2)</sup>.

وقد بدأ مفهوم الإستراتيجية يتطور في مطلع عصر النهضة في أوروبا ليصبح جزءا من العلوم الاجتماعية يرتبط بالنظريات الاقتصادية والقانونية والسياسية، وقد شهد القرن 18 - المرحلة الثانية للاستعمار - تطورا في الأساليب الإستراتيجية ونشأة النظريات والخيارات الإستراتيجية التي ارتبطت بالعقائد الفلسفية والاجتماعية، ومع مطلع القرن العشرين أصبح مفهوم الاستراتيجية يشير إلى علم من العلوم ساهمت في بلورته كثرة

(1) عبد القادر فضيل: "محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي ومعاناتها بعد الاستقلال"، المجلس الأعلى للغة العربية، مجلة اللغة العربية، عدد خاص 2005)، ص252.

(2) يرجع الكثير من الباحثين مصطلح الاستراتيجية إلى التعبير الإغريقي (استراتيجيوس) الذي أورده الإغريقي (أوليسند) في كتابه: تعليمات عسكرية للقادة، وقصد به فن القائد. أنظر: أحمد داود سليمان: نظريات الاستراتيجية العسكرية الحديثة، بغداد، دار الحرية للطباعة، ص17.

الصراعات والحروب العنيفة والسرية وتراكم الخبرات والتجارب في المجال السياسي والعسكري.

فالاستراتيجية في معناها اللغوي: مأخوذة من الكلمة «strategos»<sup>(1)</sup> اليونانية التي تعني فن الجنرال، أو فن الحرب أو الخطط التي يستخدمها القائد لحسم الحرب لصالحه، وهي تختلف عن التكتيك، الذي يعني فن تحريك القوى في حضور العدو في معركة محددة، والمعنى اللغوي يقترب من أقدم التعريفات للاستراتيجية، ذلك المرتبط بالحرب والجوانب العسكرية، قبل أن تتحول الاستراتيجية إلى مجال واسع للتطبيقات المختلفة، فالاستراتيجية في معناها العام تعني استخدام الإمكانيات والموارد بطريقة مثلى لتحقيق الأهداف المنشودة، أو بمعنى آخر أن الاستراتيجية هي مجموعة السياسات والأساليب والخطط والمناهج المتبعة لتحقيق الأهداف المسطرة في أقل وقت ممكن وبأقل جهد مبذول<sup>(2)</sup>.

وتختلف التعاريف وذلك حسب اهتمامات الباحثين ودوافعهم ومجالاتهم الادارية والسياسية والعسكرية والاستراتيجية، فنستخدم باختيار أقرب التعريفات إلى المضمون الذي نستخدمه في هذا المقام وهو التعليم العالي.

فالاستراتيجية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر تعني كون الاستراتيجية هي عبارة عن فرضية تقتضي نقل الشخص من الوضع الحالي إلى المستقبل المرغوب فيه وهي عبارة عن سلسلة من الأهداف المترابطة<sup>(3)</sup>، أو كذلك يلائمنا تعريف مركز الدراسات الاستراتيجية ومقره جنيف الذي ينظر للاستراتيجية بوصفها توظيفاً لعناصر القوة لعمل وتصميم وبناء حاضر يتيح انجاز أهداف المستقبل.

(1) احمد داود سليمان : المرجع السابق، ص17.

(2) د. خليل السامرائي: مدخل إلى الاستراتيجية، محاضرات قسم العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1994، ص32.

(3) محمد صادق الهاشمي: الاحتلال الأمريكي للعراق ومشروع الشرق الأوسط الكبير، تداعياته ونتائجه، مركز العراق للدراسات.

## مدخل مفاهيمي

فمفهوم الاستراتيجية مرتبط بالأهداف الطويلة الأمد، ومرتبطة أيضا بالحاضر وذلك بحسب استغلال المعطيات والموارد والقوة، فهي فن استخدام عناصر القوة للوصول إلى أهداف السياسة.

فإذا ابتعدنا قليلا عن الاستخدام العسكري للمصطلح، وتوجهنا نحو دلالاته الإدارية والاقتصادية والسياسية، فإن عناصر القوة الفارقة والمؤثرة في الحياة هي الإنسان، والموارد، وكيفية استخدامها ضمن إطار الاستراتيجية المعاصرة لتحقيق الأهداف السياسية، ومن خلال ما سبق يُمكن تحديد مفهوم الاستراتيجية المعاصرة في أربع عناصر:

1. أنه مرتبط بأمن الدولة والمجتمع، وفي الحالة المدروسة أمن دولة الاستعمار ومجتمع المستوطنين.
2. تعبئة موارد المجتمع وتنظيمها وتوجيهها، وفي حالة الاستعمار الفرنسي في الجزائر (الاكتشاف العلمي، تثمين المستعمرة، بناء منظومة الاستغلال الاقتصادي وتأمينها).
3. التغيير والتطور بتغيير الظروف والموارد والخيارات المتاحة، ومن ذلك التدرج في استحداث مؤسسات التعليم العالي والمخابر العلمية، حسب الظروف والحاجة.
4. تتضمن في ثناياها مجموعة الخطط المتخصصة التي تترابط وتتكامل فيما بينها لتحقيق كل في مجاله أغراض الاستراتيجية العامة وصولا إلى تحقيق الأهداف التي حددتها السياسة، وفي حالة الاستعمار الفرنسي للجزائر فإننا نلاحظ هذا التكامل بين خطط السياسة الاستعمارية العامة كل في مجاله. فالاستراتيجية هي السياسة الاستعمارية في طور التنفيذ لتحقيق أهداف الاستعمار.<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup> The Encyclopedia Britannico: London: The Encyclopedia Britannico company, LTD, Vol 21, P453.

وبذلك نوظف مصطلح الاستراتيجية بدل مصطلح السياسة، كونه يحمل مدلولاً أقل من مدلول السياسة وأعلى من التكتيك، وكذلك كون مفهوم الاستراتيجية بمستواه الأعلى أي الاستراتيجية العليا الشاملة، قد تختلط بمفهوم السياسة أو قد يختلط المفهوم بمستواها الأدنى وهو الاستراتيجية العسكرية بمفهوم التخطيط أو الشؤون الإدارية، فدور السياسة يكمن في رسم وتحديد الهدف الذي تسعى الأمة أو الدولة لتحقيقه، وتحدد السبل الملائمة لذلك في حين تعتبر الاستراتيجية العليا الاداة التنفيذية للسياسة، فالاستراتيجية هي السياسة في مرحلة الحركة والتنفيذ. وطالما أننا ندرس الحركة في مجال التعليم العالي والأهداف التي يرجى تحقيقها من خلال إنشاء وتنظيم مؤسساته، فإن مصطلح الاستراتيجية أقوى دلالة من مصطلح السياسة على الأقل في مستوى دراستنا هذه.

### 3-التعليم العالي ومؤسساته:

يقصد بالتعليم العالي التعليم الذي يتم داخل الكليات أو المعاهد الجامعية، ويتعلق بموضوعات معقدة بالغة الأهمية للباحثين في حاجة إلى دقة بالغة في علم المناهج وهو المسؤول عن ارتفاع مستوى معرفة الطلاب.

ويعرفه الدكتور "سعيد طه محمود" على أنه أداة رئيسة لتحقيق الأمن القومي وتحقيق التنمية الشاملة، وأداة لبناء الجيش والأسطول القوي، وتحقيق التنمية الشاملة في مختلف مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية.<sup>(1)</sup> وهو أيضا المسؤولية الجامعية التي يتحملها الجامعيون عبر البحث الأكاديمي والبحث المتخصص. وأن يكون هذا البحث متاحا للطلبة عن طريق نشر الكتب والمقالات ونتائج الأبحاث ولذلك يصر ويلزم أن يكون مستوى الدروس عالٍ حقاً، وعملاً عميقاً يساعد في رفع مستوى العلوم.<sup>(2)</sup>

(1) سعيد طه محمود، السيد محمد السيد: قضايا من التعليم العالي الجامعي، مركز الأبحاث للطباعة والكمبيوتر، 2003، ص26.

(2) وزارة التعليم العالي: التعليم والبحث العلمي في الجزائر ما بين 1962-2002، ص-ص 12-18.

وقد جاء تعريف الموسوعة العربية العالمية للتعليم العالي على أنه التعليم الذي يتم داخل الكليات أو المعاهد الجامعية بعد الحصول على الشهادة الثانوية، وتختلف مدة الدراسة في هذه المؤسسات من سنة إلى أربعة سنوات، وهو آخر مرحلة من مراحل التعليم النظامي.<sup>(1)</sup>

أما منظمة اليونسكو فإنها تعرفه على أنه كل أنواع الدراسات والتكوين أو التكوين الموجه التي يتم بعد المرحلة الثانوية على مستوى مؤسسة جامعية أو مؤسسات تعليمية أخرى معترف بها كمؤسسات للتعليم العالي من قبل السلطات الرسمية للدولة.<sup>(2)</sup>

وأنتجت مؤسسات التعليم العالي الاستعماري رصيذا من العلوم الاستعمارية من الاحتلال إلى غاية الاستقلال -لاشك- أنها لاتخدم أهداف الأمة الجزائرية في الجوانب المتعلقة بالهوية والانتماء والتاريخ. وتحمل القيم الفرنسية وتدعو إليها. ولعل فهم الدور الاستعماري لهذه المؤسسات، يتطلب معرفتها خاصة وأنها عملت لمدة طويلة لإرساء التقاليد الأكاديمية الفرنسية، وهو فعل ثقافي استعماري شل من جهة التطور الطبيعي للمؤسسات الأهلية، وشكل منظومة استعمارية على علاقة بتوجهات الاستعمار وأهدافه وتمثلت هذه المؤسسات في الجامعة التي أسست سنة 1909 م بترقية المدارس العليا إلى كليات، وتم إنشاء مدارس أخرى ومعاهد في مختلف التخصصات التقنية والعلمية فمؤسسات التعليم العالي الاستعماري الفرنسي في الجزائر هي جامعة الجزائر ومعاهدها، وكذلك مؤسسات التعليم العالي خارج الجامعة مثل المعاهد الفلاحية والتجارية، والفنية، والصناعية.

(1) الموسوعة العربية العالمية: 1999، ج7، ص25.

(2) UNESCO, 1998, P1.

1- **الجامعة:** ونقصد هنا جامعة الجزائر في الفترة الاستعمارية من (1909-1962) والتي تعتبر جامعة فرنسية. ارتكز نشاطها على تطبيقات العلوم على البيئة الشمال إفريقية خدمة للاستعمار، ويتضح معناها من خلال تعريف الجامعة:

### 1) مفهوم الجامعة:

#### لغة:

كلمة جامعة تعني "التَّجْمِيعُ" و"التَّجْمَعُ"<sup>(1)</sup>، أي التقارب والتواصل وتعتبر الكلمة العربية "جامعة" المأخوذة من كلمة universitas ترجمة دقيقة للكلمة المرادفة لها بالإنجليزية university، وتعني الإتحاد الذي يضم ويجمع القوى ذات النفوذ في مجال السياسة من أجل ممارسة السلطة، وقد استخدمت الكلمة لتدل على التجمع العلمي لكل من الأساتذة والطلاب، كما أورد متن اللغة شرحا لكلمة جامعة جاء فيه " أن الجامعة هي مدرسة كبرى تجمع مدارس وفروعا لتعليم علوم شتى، يختص الطالب بما يشاء من العلم فيلتحق بفرع فيها، وليس بعدها مدرسة"<sup>(2)</sup>.

#### اصطلاحا:

يرى اخصائيو التنظيم التربوي بأنه لايمكن ضبط تعريف واحد، أو تحديد شخصي أو عالمي موحد لمفهوم الجامعة، ذلك أن المفاهيم تعددت حسب آراء الباحثين، ومن وجهات نظر مختلفة كل من زاويته الخاصة، حالها حال مفهوم الأمة والوطن والثقافة وغيرها من المفاهيم المرنة لارتباطها بعناصر مختلفة واختلاف مكوناتها وأهدافها ووظائفها، فيعرفها علي راشد<sup>(3)</sup> بأنها مؤسسة للتعليم العالي يمكن أن يلتحق بها من أتم المرحلة الثانوية لأنها تقدم برامج تعليمية وتدريبية في شتى التخصصات النظرية والعلمية، كما يرى محمد

(1) فاروق عبده: أستاذ الجامعة، الدور والممارسة بين الواقع والمأمول، دم، دن، 1998، ص30.

(2) سامي سلطي: الجامعة والبحث العلمي، عمان، دار الفكر، 2001، ص26.

(3) علي راشد: الجامعة والتدريس الجامعي، بيروت، دار الهلال، 2007، ص13.

العربي ولد خليفة بأنها: "المصدر الأساسي للخبرة والحوار الذي يدور حوله النشاط الثقافي في الآداب والعلوم والفنون، فمهما كانت أساليب التكوين وأدواته فإن المهمة الأولى للجامعة ينبغي أن تكون دائما التوصل الى الخلاق للمعرفة الإنسانية في مجالاتها النظرية والتطبيقية<sup>(1)</sup>."

وبهذا المعنى فهي ناقل للمعرفة الإنسانية وهي التي تثبت الخبرة في الأدب والعلوم والفنون بمختلف التقنيات المتوفرة.

كما أن الجامعة من الناحية التنظيمية تعتبر نسفا خاصا لعدة أشخاص تجمعهم وظائفهم المتنوعة وخبراتهم المختلفة وذلك ما عبر عنه التعريف التالي " تلك المنظمة للفنون الحرة واثنان أو أكثر من المدارس والكليات المهنية، تقدم برنامجا للدراسات العليا وتكون قادرة على منح الدرجات العلمية في مختلف مجالات الدراسة...."<sup>(2)</sup>

وهي أيضا تجمع عدة معاهد عليا، أو هي نتيجة تجميع أو تكوين عدة كليات لها وحدها التفويض بمنح الدرجات العلمية، وحق التقييم الأكاديمي، وحسب " new webmaster's internationals dictionary " هي معهد منظم للتعليم والدراسة في فروع المعرفة العالية، له الحق في منح الدرجات العلمية في دوائر معرفية محددة، كالقانون والطب والأدب...الخ.

كما تعرف بأنها المؤسسة العليا للثقافة والعلوم، وارتباطها بمفهوم الثقافة هو الذي يعقد من مهمة تعريفها.

(1) محمد العربي ولد خليفة: المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986، ص177.

(2) سلطي: المرجع السابق، ص25.

### (2) نشأة الجامعات في العالم وتطورها:

يجد الباحث في تاريخ الجامعات اختلافا كبيرا حول نشأة الجامعة، فيرجع البعض أن جذورها ضاربة في أعماق التاريخ وتعود إلى الحضارة البابلية والصينية والمصرية، ويرى البعض مثل المؤرخ الأمريكي ويلدن<sup>(1)</sup> أن بدايتها تعود إلى العصر اليوناني مع أفلاطون وأرسطو وزينون الرواقي وأبيقور.

كما أن ظهور الجامعات في المشرق الإسلامي يعود حسب هذا الطرح إلى العصر العباسي حيث أنشأ المأمون بيت الحكمة في بغداد لتكون بمثابة جامعة اليوم.

ثم ازدهرت حواضر العلم مشرقا ومغربا، واشتهرت منها القيروان بتونس والأزهر في مصر منذ 970م وازدهرت جوامع مثل: جامع القرويين بفاس بالمغرب منذ 875م، لتشكل ما يشبه الجامعات المعاصرة، كما اشتهر جامع قرطبة بالأندلس أيضا.

تناولت المساجد الجامعة، شتى أصناف المعارف والعلوم من رياضيات وفلك وفلسفة وطب، لتلعب دورا حضاريا رائدا، كما احتوت المساجد الجامعة على مكتبات تفتخر بمخطوطات ابن رشد وابن الهيثم وابن سينا وابن خلدون وغيرهم.

وكانت المساجد الجامعة تمنح الدرجات العلمية عن طريق الإجازات التي يمنحها فقهاؤها وأساتذتها للطلاب كلقب إمام وفقه ومحدث وشيخ.... وغيرها.

وكل لقب يدل على مستوى معين من العلم وكذلك على تخصص أيضا، ويشكل هذا التطور العلمي سبقا للمدارس الإسلامية في مجال البحث العلمي والتنظيم الأكاديمي قبل نشأة الجامعات في الغرب بالشكل المتعارف عبيه حاليا<sup>(2)</sup>.

(1) ويلدن: هو صاحب كتاب جامعات اليونان القديمة، ويذهب إلى اعتبار ظهور الجامعات كان في العصر اليوناني.

(2) سلطي: المرجع السابق، ص17.

## مدخل مفاهيمي

وإذا كان تطور العلوم في الحضارة الإسلامية مرتبط بعلم الدين، فإنه كذلك الشأن بالنسبة لنشأتها في الغرب، بالنظر إلى محتوى التعليم الديني والذي أخذ شكلين منذ ظهور كلمة جامعة Université في 1150م.

فالشكل الأول فيتمثل في التقاف الطلبة حول أستاذ أو مجموعة من الأساتذة لتلقي العلوم، أما الشكل الثاني فيتمثل في تجمع الطلبة وتكتلم لحماية بعضهم، وكذلك لضمان تلقي العلوم من خلال استتجار محلات للدراسة واستقدام الأساتذة ودفع رواتبهم. مثلما هو الحال في جامعة بلونيا بإيطاليا التي تعتبر أولى الجامعات ظهوراً في أوروبا في 1119م.

لم تكن الجامعة في بدايتها في أوروبا سوى وسيلة للتجمع، وحماية مصالح الطلبة بدافع التضامن في رباطات تحولت شيئاً فشيئاً إلى مؤسسات منظمة. حيث قنن البابا 11 جورجفي 13 أبريل 1231م الجامعة في شكل لائحة تحدد مهام الجامعة والطلبة والأساتذة<sup>(1)</sup>، وذلك بسبب الانحرافات الدينية المزعومة آنذاك ضد الكنيسة ولم تكن في كامل أوروبا سوى بعض المدارس الدينية إلى غاية القرن 13م، اعتبرت بمثابة جامعات مثل بولونيا، مونبولي، باريس في فرنسا وأكسفورد ببريطانيا.

وأصبح - مع مطلع القرن السادس عشر - بالإمكان إحصاء حوالي 60 جامعة مسيحية في أوروبا، وأصبح عدد الطلاب يزداد ارتفاعاً فجامعة باريس مثلاً كانت تضم 4000 طالب في 1450م وأكسفورد وكمبرج تضمان أكثر من 1300 طالب لكل منهما<sup>(2)</sup>.

(1) Karen Headey : Naissance et organisation des universités au moyen âge, VQAM.

(2) Headey : op.cit. P04.

يمكن اعتبار جامعة باريس نموذجاً لتطور الأساليب البيداغوجية الجامعية إلى الشكل الحالي، فقد أخذت شكلها البيداغوجي والتنظيمي بتدريس أربعة تخصصات علمية في أربع كليات (الفنون والقانون. الطب. الثيولوجيا) وكل كلية تسير من طرف أستاذ دائم وعلى رأس الكليات الأربع يوجد عميد، ويتجمع الطلبة والأساتذة حسب مواطنهم في مجموعات تسمى: «Les Nations» أي الوطنيات وكانت توجد منها أربعة في جامعة باريس «La Française, La Picarde, La normande, L'anglaise» ، ويسير كل وطنية وكيل يساعد العميد<sup>(1)</sup>.

كانت جامعات بريطانيا تخضع لنظام خاص، حيث لا وجود لعميد واحد وجامعات إيطاليا كانت تسير من طرف الطلاب، وكانت الجامعات تمتاز باستقلال قانوني وتبعية معنوية للكنيسة.

كانت الجامعات في العصور الوسطى في أوروبا تقدم مختلف مراحل التعليم الابتدائية والمتوسطة، كما أن نشأتها تعود للحس التضامني المشترك بين الطلبة قبل أن تتحول إلى مؤسسات منظمة للتعليم العالي، أخذت استقلاليتها وأشكالها التنظيمية الخاصة بتمايز القوميات الأوروبية، وتراجع السيطرة المغلقة للكنيسة بفضل حركة النهضة الأوروبية، وتعتبر جامعة باريس الرائدة من حيث استحداث الشكل التنظيمي والهرمية في الدرجات والوظائف بالشكل الذي هي عليه اليوم مختلف الجامعات.

### (3) أهداف الجامعة ووظائفها:

تنبؤ الجامعات منذ قديم الزمان الصدارة في المجتمع، فهي مركز إشعاع لكل جديد من الفكر والمعرفة، والمنبر الذي تنطلق منه آراء المفكرين الأحرار والعلماء والفلاسفة ورواد الإصلاح والتطوير.

(<sup>1</sup>) Headey, op-cit: P03.

## مدخل مفاهيمي

إن رسالة الجامعة في حقيقتها هي رسالة الإنسان<sup>(1)</sup>، والجامعة باعتبارها مؤسسة اجتماعية تؤثر أيضا في الجو الاجتماعي المحيط بها وتتأثر به، فهي من صنع قياداته الفنية والمهنية والسياسية والفكرية. لذلك تعددت المهام والوظائف المنوطة بالجامعة وكذلك الأهداف المنتظرة منها، والواقع أن الجامعة تدرج في قلب مخططات النهوض بالأمة التي أنشأتها، لذلك تختلف أهدافها من أمة إلى أخرى لكنها تتقاطع جميعها في تحصيل أهداف عامة وهي:

- الارتقاء بالعلم وتطويره.
- تعليمه من أجل ممارسة مهن تتطلبه.
- تدريب الطلاب على البحث العلمي وطرائقه.
- نشر العلم.

لكن الأهداف المنتظرة من الجامعة تختلف حسب الظروف البيئية والاجتماعية التي نشأت فيها، كما تختلف أيضا حسب اختلاف الأمم التي أنشأتها فجامعات بريطانيا - مثلا - تجعل من الحفاظ على الثقافة الوطنية والقومية من أهم أهدافها، كما تجعل الولايات المتحدة الأمريكية من البحث عن المواهب وتدريبها وتوجيهها للاستفادة منها إلى أقصى حد بتوفير الأفكار الجديدة والتكنولوجيا الجديدة أهم أهدافها، بينما نجد الجامعة في المملكة العربية السعودية تركز على الجانب الروحي والقيم في إطار الدين الإسلامي<sup>(2)</sup>. كما تهتم جل الجامعات بالهوية الثقافية للأمة المنشأة لها.

كما يمكن تحديد وظائف التعلم الجامعي فيما يلي:

**1. إعداد الكفاءات البشرية المطلوبة من مؤسسات المجتمع.**

(1) راشد: المرجع السابق، ص18.

(2) راشد: المرجع نفسه، ص20.

2. البحث العلمي.

3. تثقيف المجتمع من خلال النشريات الجامعية والندوات وغيرها.

4. العمل على مواجهة مشكلات المجتمع وتزويده بالقيادات الاجتماعية.

5. بعث الدور الاقتصادي الإنتاجي للجامعة من خلال ربطها بمختلف الدوائر الاقتصادية

يمكن للجامعة أن تقوم بوظائفها وتحقق أهدافها من خلال جملة من العوامل المتداخلة والمترابطة أذكر منها: الطلاب والأساتذة والمناخ الاجتماعي والإطار القانوني، ومهمتها عظيمة في خدمة القوى البشرية في مجال الفكر والممارسة العلمية بنقل المعرفة وتطويرها بشكل يساعد على تهذيب الفكر والسلوك الإنساني والرقى به.

لخص المفكر الألماني كارل ياسبرس الجامعة في كتابه "فكرة الجامعة" The Idea of University مهام الجامعة وهي تتمثل في ثلاث نقاط هامة وهي: التدريب على المهنة والبحث العلمي والثقافة العامة. فالجامعة هي المدرسة المهنية ومعهد البحث والمركز الثقافي في آن واحد؛ وحياتها تقوم على تفاعل الوظائف الثلاث وتكاملها<sup>(1)</sup>.

وعموماً فإن الحكومات بتدخلها في وظائف الجامعة فإنها توجهها لتخدم جانباً من الجوانب أكثر من الأخرى كخدمة الأهداف القومية، وبعث حضاراتها، وخدمة تراثها وثقافتها وتاريخها القومي، وتوجيه النشء لينهل من مشاربها، لذلك ارتبط مفهوم الجامعة في كثير من جوانبه بمفهوم الثقافة ومفهوم الأمة ومفهوم القومية وغيرها من المفاهيم الواسعة الدلالة، مما جعل البعض يذهب إلى القول أنه طالما كان لكل أمة الحرص على إحياء مقوماتها وثقافتها وحضارتها فإن لكل أمة جامعتها.

(1) سلطي: المرجع السابق، ص 35.

وإضافة إلى جامعة الجزائر، ووفق النظام الفرنسي للتعليم العالي، أوجدت الإدارة الاستعمارية مؤسسات أخرى هي مؤسسات التعلم العالي غير الجامعة، أو مؤسسات التعلم العالي خارج الجامعة «Etablissements extérieurs aux universités».

**2- مؤسسات التعليم العالي خارج الجامعة:** وهي حسب تعريف ديوان الجامعات والمدارس الفرنسية سنة 1914 مجموعة من المعاهد والمدارس.... الخ، التي لا تنسب لأي جامعة، وتمثل التعليم العالي الفرنسي، فهي مؤسسات رسمية للتعليم العالي تتبع إدارة عمومية، أو هي مؤسسات خاصة تختص في مجال من العلوم، وتختلف مكوناتها وتنظيمها واهتمامها باختلاف موضوعاتها، فهي في العموم مؤسسات عالية للمعرفة تهتم بالتعليم والبحث والتطبيق في مجالات مختلفة من العلوم. تهتم بالعلوم النظرية في مجال تخصصها وتطبيقاتها الميدانية. وتتمثل وظائفها في تدريب الطلاب وتكوينهم لمزاولة مهنة معينة.<sup>(1)</sup>

وتتميز هذه المؤسسات عن بعضها بخصائص عديدة منها: التنظيمية التي تشمل نظام الدراسة، وشروط التحاق الطلاب بها، وتمدرسهم، ونظامها الداخلي، وكون بعض هذه المؤسسات تابع لإحدى الإدارات العمومية، كالمصالح الفلاحية، والتجارة ومصالح الجسور والأنفاق وغيرها، وتسمى المدارس الفلاحية، والمدارس التجارية ومدارس المهندسين.

وما يجدر الإشارة إليه هنا، أن المدرسة العليا للأساتذة بباريس هي الوحيدة التي كانت تعد من مؤسسات التعليم العالي خارج الجامعة. بينما المدارس النورمالية المنشأة في الجزائر، لا تعتبر ضمن مؤسسات التعليم العالي فهي استثناء لا يدرج ضمن دراستنا.

<sup>(1)</sup> Les Universités et les écoles Françaises Enseignement supérieur, Enseignement Techniques, office national des universités et écoles Françaises, Renseignement, 6ème réaux, Paris, 1914, pp 53-54.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

أولاً: ظهور التعليم العالي الفرنسي في الجزائر.

ثانياً: المدرسة التحضيرية العليا للطب (1857-1879).

ثالثاً: المدارس التحضيرية العليا للحقوق والعلوم والآداب (1879).

رابعاً: المدارس العليا كاملة الصلاحيات (1879-1909).

أولاً: ظهور التعليم العالي الفرنسي في الجزائر:

ارتبط ازدهار منطقة إقليم المغرب الإسلامي وجناحه الإسلامي الأندلس بانتشار الحضارة والفكر الإسلاميين، ودورهما في نهضة أوروبا ويقظتها، وكان أهم شيء قدمه الإسلام الوافد لهذا الإقليم وشعبه، هو وحدة العقيدة واللغة، والحرية السياسية في ظلّ الدين الإسلامي.

وبفضل قوّة العقيدة الإسلامية، وعلاقتها الوطيدة بالعلم، ظهرت بالإقليم مراكز حضارية هائلة، لا تقلّ مكانةً عن مراكز المشرق الإسلامي مثل: القيروان، وفاس وتيهرت، وقلعة بني حمّاد، وبجاية، ومراكش، وتلمسان، إلى جانب حواضر الأندلس الكبرى التي تُعتبر امتداداً لهذه المراكز. فقد عملَ فيها الفكر وتطوّر العمران، وأنجب الإقليم أبطالاً من عظماء الرجال من ذوي المكانة العالية أمثال: طارق بن زياد، وأسد بن الفرات، وجوهر الصقلّي، وجعفر بن فلاح، وبلكين بن زيري، وحمّاد بن بلكين وعبد المؤمن بن علي، وياغمراسن، وكان من نتائج أعمالهم ازدهار الأندلس، وصقلية الإسلاميتين بأوروبا، وتأسيس القاهرة والأزهر الذي تحوّل إلى قلعة للإشعاع الحضاري الإسلامي.

كما أنجب الإقليم فطاحل الشعراء، والأدباء، والكتّاب، والمفكرين، والفُهاء والرياضيين أمثال: ابن رشيق المسيلي، وسحنون القيرواني، وابن عرفة التونسي والقاضي عيّاض السبّتي، والشّريف الإدريسي، وابن مرزوق الخطيب، والمقري العنّابي، وابن الغربي الجرجي، والثعالبي وغيرهم ممن شاركوا كلّهم في بناء صرح تلك الحضارة الرائدة التي ستكون أهم الروافد لنهضة أوروبا ويقظتها.<sup>(1)</sup>

(1) يحي بوعزيز: جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية [الأصالة]، عدد19، الجزائر: مارس - أبريل (1976)، صص 287-301.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

وفي الوقت الذي كان فيه المغرب مُزدهراً، كانت أوروبا تعيشُ العصر المُظلم فقد كان الاستبداد هو الميزة السائدة، والفقْر هو الميزة الاقتصادية الغالبة. وفي الميدان الثقافي كان الجهل هو الميزة الظاهرة، نظراً لتحكُّم الكنيسة في الفكر واحتكارها له وبذلك حبست أذهان الأوروبيين في أقفاص مُظلمة عدّة قرون، وكانت أوروبا جاهلة حتى بصناعة الورق التي ازدهرت بالعالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً.<sup>(1)</sup>

وقد وصل التأثير الإسلامي إلى أوروبا عن طريق نقاط التماس الأربعة: وهي الأندلس وصقلية، ومصر والشام وآسيا الصُغرى، وذلك عن طريق قنوات النّقل الحضاري التي قال عنها ديوارنت<sup>(2)</sup>: "...إنّ النّقل في الحضارة كشأن التّنازل في الحياة...".

فبلاد الأندلس الإسلامي هي التي قدّمت لغرب أوروبا خلاصة الفكر الإسلامي في الأدب والعُلوم، والفنون والفلسفة، وعرّفته بثرّات الإغريق القديم وحمته من الاندثار.

ولقد كانت طريقة المسلمين في الحصول على العُلوم والمعارف، تتمّ باستدعاء بعض العُلماء إلى الحواضر الإسلامية، أو بتسيير البعثات العلمية إلى مواطن العلم. أو بجمع الكُتب وهي أهمّ وسائل النّشاط العلمي والثقافي، وتشجيع حركة التّرجمة والتّأليف مثلما فعل الخليفة الحكم الثّاني المُنتصر.<sup>(3)</sup>

وعندما بدأت كفة الحضارة تميل لصالح الغرب، نشطت حركة النّقل والترجمة والتّأليف استناداً إلى المصادر العربية الإسلامية، ونقلاً من العربية إلى الإسبانية أو إلى اللاتينية، واستمرّت هذه الحركة إلى غاية القرن السّابع عشر، على خُطى ألفونسو الحكيم الذي أسّس مدرسة خاصةً للدراسات الشّرقيّة في القرن الثّالث عشر.

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا في العصور الوسطى، ج1، نظم وحضارة، القاهرة، 1959، ص-ص 123.

(2) و. ل ديوارنت: قصّة الحضارة، ترجمة مُحمّد بدران، ج17، ط2، القاهرة، 1966، ص164.

(3) و. ل. دورنت: المرجع السابق، ص169.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

وقد عمل الغرب على الإفادة من علوم المسلمين، مُستمدداً نفس الطرق التعليمية ومن دلائل ذلك أنّ الملك الإنجليزي جورج الثاني قد أرسل وفداً من ثماني عشر فتاة من بنات أمراء وأشرف إنجلترا وعلى رأسهنّ ابنة أخيه الأميرة دوبانت، ورئيس ديوانه إلى بلاط هشام الثالث الأموي بالأندلس لدراسة نُظم الحكم والدولة وآداب السلوك وكُلّ ما يُؤدّي إلى تهذيب المرأة و أهم مظاهر التاثر أوردها المهندس زكريا هشام زكريا.<sup>(1)</sup>

وكذلك فعل الملك الجرمانى، فأرسل وفداً برئاسة وزيره الأوّل "ويلمين"، الذي سمّاه الأندلسيون "وليم الأمين"، للتعلم والتزود بالثقافة الإسلامية، وأرسل ملك بافاريا إلى الأندلس بعثةً، لدراسة نُظم التعليم ومناهجه، وأساليب الإدارة والحكم، وعند عودته زوّده الخليفة هشام الأوّل بمستشارين لمساعدته في كلّ ما يراه، وأخذ ملوك أوروبا الآخرون يفعلون مثلهم، حتّى أنّ الكثير من الأعمال العمرانية في أوروبا أقامها مهندسون مسلمون مثل جسر هشام على نهر التايمز بإنجلترا.<sup>(2)</sup>

وقد أكّد لوبون بأنّه لا يوجد في إسبانيا المعاصرة من أعمال الرّي إلاّ ما أنشأه المسلمون وخلفوه ورائهم رغم ما حاوله الإسبان من أجل محو وطمس آثار المسلمين بها.<sup>(3)</sup>

هكذا وجد الأوروبيون عندما استيقظوا من نومهم، ثراثاً هائلاً ومُعِيناً لا ينضب من المؤلفات الإسلامية العربية في شتى العلوم والفنون، فمالوا إلى استغلالها بمختلف الوسائل، خاصّةً بعدما اشتدّ عليهم ثقل الكنيسة وكابوسها وتزمتها الشّديد، الذي حاول أن يفرض عليهم دائرة ثقافية ضيّقة، إلاّ أنّ جامعات أوروبا منذ أواخر القرن الثاني عشر، بدأت تنفتح على حياة علمية أكثر خصباً وتنوعاً، في جوّ من الحرّية خلقه فكر ابن رشد

(1) زكريا هشام زكريا: فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، القاهرة، 1970، ص 24-25.

(2) زكريا: المرجع السابق، ص 25.

(3) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، 1964، ص 296.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

وأمثاله من المفكرين والفلاسفة المسلمين، مما جعل روجي باكون (1215-1292) يؤكد بأن الفلسفة مستمدة كلها من العربية، ولذلك يجب تعلم العربية التي أولتها الجامعات الأوروبية عنايةً إلى غاية القرن 19.

وبقيت آراء ابن رشد المحور الأساسي في تدريس الفلسفة بفرنسا منذ القرن الثالث عشر.<sup>(1)</sup>

وقد اعترف لويس 15 بذلك عندما نظم التعليم في بلاده أواخر القرن 16، وأكد غوستاف لويون بأن أساتذة جامعة مونبليي لم يكفوا عن شرح كتابات ابن سينا في الطب إلا منذ نصف قرن فقط.<sup>(2)</sup>

وقد أولت حركة الترجمة في أوروبا أهمية بالغة لكتب الطب التي ألفها المسلمون، مثل كتاب "القانون" لابن سينا، و"الترياق" للرازي وغيرهما.

و جاءت الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830م، و انتهت باحتلال الجزائر وإمضاء الداي حسين لمعاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830م، وقد جاءت في زمن تراجع العالم الإسلامي وفقدانه للريادة العالمية، نتيجة اختلال التوازن الذي أحدثته النهضة الأوروبية والثورة الصناعية، التي نقلت أوروبا إلى الريادة العالمية، وأصبحت أوروبا مؤمنة بقوة نظمها وصحة أساليبها في الجيش، والإدارة والتعليم وغيرهما.

<sup>(1)</sup> بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص17.

<sup>(2)</sup> لويون: المرجع السابق، ص518.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

في السنوات الأربعة الأولى للاحتلال، لم تكن فرنسا قد بدأت في بلورة سياستها الاستعمارية في الجزائر، إلا أن بعض الضروريات بدأت تظهر مثل تعلم العربية وتعلم الفرنسية وتدريس الطب، وبدأ جسّ نبض الشعب، ومحاولة معرفة طباعه وقراءة رُود أفعاله، وهذا ما أشار إليه المستشرق 'برنسي' الذي بدأ في إلقاء دروسٍ أمام أعيان مدينة الجزائر منذ 17 جانفي 1837م، كلّ يوم أربعاء في شارع سوق الجمعة، وقد عبّر عن الهدف من ذلك في قوله: لمعرفة طباع الشعب جيّداً، ذلك الذي نحن مدعون لحُكمه، وأيضاً لوضعه شيئاً فشيئاً في الفكرة الواسعة لحضارتنا"<sup>(1)</sup>.

كان يجب على المرء أن يفهم من وضعه في الفكرة الواسعة لحضارتنا -ميلاد مرحلة جديدة- تزول فيها النُظم المعمول بها، ويحلّ محلّها نُظم أخرى جديدة مُستحدثة تشمل كلّ مناحي الحياة.

ومن جهة أخرى، فإنّ ضرورات الاحتلال والتوسّع واكتشاف شعب جديد فرضت على الجيش الغازي المنتصر ضروراتٍ مُناقضة لمنطق الأشياء..

إنّ التعليم العالي الذي يفترض أن يكون آخر مراحل التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي، فرض نفسه كأولوية على الجيش الفرنسي الغازي.

إنّ التعليم العالي الفرنسي في الجزائر لم يبدأ بافتتاح المدرسة التحضيرية للطب سنة 1857م، أو بتأسيس المدارس التحضيرية العليا الثلاث (الآداب، الحقوق، العلوم) في سنة 1879م، وإنما بدأ في 02 جانفي 1832.<sup>(2)</sup> وذلك أنّ الطبيب الرئيسي للجيش الغازي الفرنسي قد بدأ أولى مُحاضراته في الفيزيولوجيا في مُستشفى حديقة الداى ببوزريعة. كان السيّد ستيفانو بولي (Stephnopoli) مضطراً لتقديم هذه الدُروس وذلك

<sup>(1)</sup> Université d'Alger, Cinquantenaire (1901-1959), Alger, 1959, P15.

<sup>(2)</sup> L'université d'Alger, op.cit. P15.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

لتأهيل مُمارسي الطّب في الجيش، وكذلك لتزويد عناصر الجيش بالمعارف الطبية العامة لحاجة الجيش القُصوى لمثل هذا الاختصاص.

وتحت تأثير نفس الحاجة، بدأ الجراح الرئيسي للجيش بودان (Boudin) بإلقاء مُحاضرات في علم التشريح الوصفي (Anatomie descriptive) وذلك لتمكين مُمارسي الطّب في الجيش من معالجة الحالات الجراحية الكثيرة الطارئة نتيجة إصابة الجنود في ساحات المعرك مع المقاوميين.

تابعت قيادة الجيش وعلى رأسها المارشال راندون "Rando" هذا العمل بإعجاب وتشجيع، إذ اعتبر راندون هذا العمل سيراً على خُطى طبيب نابليون الأول أنطوان كلود منشى مشفى أبو زعل في مصر.<sup>(1)</sup>

وقد دعمت وزارة الحربية الفرنسية جهود العسكريين في تدريس الطّب من خلال إصدار تعليمة وزارية في 10 جوان 1832م<sup>(2)</sup> تسمح إضافة إلى عناصر الجيش للمُهتمين من الطلبة الأتراك والعرب واليهود بمتابعة هذه الدُروس.

وإضافةً إلى الطّب، بدت الحاجة إلى تعلّم العربية لفهم السُكان ضرورةً أيضاً لذلك بدأ السيّد جوني فرعون المُترجم الرئيسي لقيادة الجيش بتنظيم دروس في العربية للضباط ومُستخدمي الجيش في متطوع ضمّ أيضاً بعض المُهتمين بالفرنسية من الأعيان المحليين، كما تمّ افتتاح مُحاضراتٍ عامةٍ للعربية في كلّ من قسنطينة ووههران منذ 1846م، بعد احتلال هاتين المدينتين. وقد ساعدت هذه الدُروس في تكوين مُترجمين مُرتبطين بمصالح الجيش والمحاكم والمصالح الأخرى من عناصر محلية وأوروبية كانت تضمّن عملية الاتصال بين الطرفين وتوصل رسائل وتعليمات الجيش إلى السُكان.

<sup>(1)</sup> L'université d'Alger : op.cit, P16.

<sup>(2)</sup> Ibid. P16.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

بدأ الجيش الخطوات الأولى للتعليم العالي الفرنسي في الجزائر، خاصة وأنه مُزوّد بترسانة من العلماء في مختلف التخصصات، وقد زاد فضوله واهتمامه بالمعرفة والعُلوم والطب والاكتشاف لمعرفة هذه البلاد المترامية الأطراف، المجهولة الأغوار والعدراء. ولقد عبّر عن هذه البداية البارون "بندرون" بمناسبة توزيع الجوائز التشجيعية في المدرسة العسكرية للطب يوم 13 جانفي 1833 قائلاً: "إنشاء مدرسة للطب ليس فقط حدثاً هاماً بالنسبة لضباط الصحة والمرضى، لكنّه أيضاً بدايةً علميةً بمثابة الشعلة للأجيال العلمية في بلد نحن في حاجةٍ لمعرفة كلِّ شيءٍ عنه، يجبُ دراسة المناخ، الأرض، المنتوجات، التطوّرات الممكنة للثقافة، الأمراض وأسبابها وآثارها، وسائل القياس، عادات السُكان وتقاليدهم، طُرُقهم في الحياة، درجة تحضُّرهم وتعلُّمهم، إمكانية تطوير هذا وذاك..."<sup>(1)</sup>

يعكس هذا الجزء من تصريح البارون "بندرون" انفتاح شهية المستعمر لمعرفة كلِّ شيءٍ عن هذه المستعمرة الجديدة، فبداية المدرسة العسكرية للطب كانت مُشجّعة لاقترام مجالاتٍ أُخرى تُساهم في إخضاع المستعمرة أكثر فأكثر، كما تُساهم أيضاً في خلق مجالات الاستغلال الاقتصادي، وتبديد المخاوف فيما يتعلّق بالأمراض المنتشرة في المنطقة، وفتح المجال لدراسة المجتمع، لدراسة المناخ والأرض، لدراسة المنتوجات، وكلِّ ذلك لتحقيق أهمّ غايات الاستعمار وهي الاستغلال الاقتصادي للمستعمرة.

ورغم بداية المدرسة العسكرية المشجّعة، إلا أنّها بدأت تُواجه صعوباتٍ بين ديسمبر 1833م وأفريل 1835م بسبب كثرة الالتزامات العسكرية للأطباء وضرورات تحرّكهم، فاضطرت وزارة الحربية إلى إرسال طاقم رسمي من الأساتذة مُكوّنٍ من ثلاثة أطباء وأربعة جراحين وثلاثة صيادلة في ماي 1835م تدعيماً لعمل هذه المدرسة، كما زوّدتها أيضاً بمكتبة طبية مُتخصّصة ضمت بين 700 الي 800 كتاب وقد عمل هذا الطاقم الجديد على إنشاء حديقة نباتية طبية بجمع حوالي (800) نبتة بفضل أطباء

<sup>(1)</sup> L'université d'Alger, op.cit. P15.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

وعُلماء نباتٍ عسكريين منهم "الدكتور مايو" الذي سمي مستشفى باب الوادي باسمه و"منارد"، و"شافرو".

ظلت هذه المدرسة عبارةً عن مستشفى عسكري للتعليم، مُهدّدة دائماً بسبب الالتزامات العسكرية للطاقم، وكثرة الأعمال، وأولوية التدخل الميداني، لذلك اشتكى الطبيب "بودان" حالها إلى المفتش العام للصحة العسكرية، وطلب حضوره لمعاينة ظروف المدرسة التي تُعاني ضيق المكان وكثرة الأعمال، وكذلك كثرة الأمراض غير المعروفة لدى الأطباء الفرنسيين، و لما حضر كلوزال (Clauzel) إلى الجزائر في جوان 1836م، نقل هذه المدرسة إلى مقرّ دائم في باب عزون في الثكنة القديمة لشارع الملبانجية<sup>(1)</sup>، ثم تلاشت سنة 1836.<sup>(2)</sup>

ظلّ اهتمام المدرسة العسكرية للطب محدوداً، فقد كانت في مُتناول الجيش، فهي جزءٌ منه، وتخدمُ المصالح العسكرية، وتُعنى بأفراد الجيش أكثر، ولأنّ انتشار الأمراض الخطيرة وغير المعروفة في أوساط الجيش ظلّ الهاجس الذي يؤرّق قادة الجيش وأطبائهم، فإنّ الاهتمام بالصحة العامة بات أمراً بعيد المنال.

وإزداد خلال العشر سنوات الأولى للاستعمار نشاط البعثات العلمية المتعدّدة الاختصاصات، كالجمعيات الأثرية والتاريخية، ومع حلول سنة 1839م زارت لجنة علمية رفيعة المستوى الجزائر، وكان من بين نتائج هذه الزيارة إصدارها توصيات بضرورة اعتماد فريق قار من العلماء والباحثين الدائمين في إفريقيا من أجل الاكتشاف العلمي للجزائر.\*

<sup>(1)</sup> Université d'Alger, op.cit. P17.

<sup>(2)</sup> Waardenburg (jean-Jacques), les Universités dans le monde Arab actuel : Documentaire et Essai D'interprétations, Paris, Mouton et eo, la HAYE, Volume1, texte, P137.

\*Exploration Scientifique de l'Algérie.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

وقد زار الجزائر في تلك الفترة أيضاً وفد صحّي برئاسة الطّبيب "ديفال دوغراس" الذي رفع تقريراً إلى مصالح الصّحة العامة في فرنسا، وقف خلاله على الحاجة الملّحة للمزيد من الأطبّاء والصّيادلة في المُستعمرة، وذلك تدعيماً للطّب المدني الذي لم يكن يملك من الإمكانيات إلاّ مشفى واحد. فقد جاء في تقرير "ديفال دوغراس" حول الحاجة إلى الصّيادلة ما يلي: "يرمي يميناً وشمالاً علب سلفات الكينين لمُحاربة الأمراض منها الحمّى القلاعية، وأمراض المناطق الساخنة"<sup>(1)</sup>.

دقت المكاتب العربيّة ناقوس الخطر، واصبحت تُراهن على أهميّة الطّب وازدياد الحاجة إلى الأطبّاء والصّيادلة في أوساط الأهالي والمُستوطنين على حدّ السّواء. فالمُستوطنون كانوا في حاجةٍ إلى طبّ عصري، يقيهم أمراض كثيرة لم يكونوا قد عرفوها في أوروبا، كما أنّ التّمائم والبخور وغيرها لم تكن تُجدي نفعاً لدى الأهالي، ورغم ذلك كانوا يفضّلون عدم الاحتكاك بالأطبّاء الفرنسيين خاصّةً في حالات الولادة. ويذكرُ أحدُ الأطبّاء العسكريّين أنّ حالات الولادة التّقليدية عادةً ما كانت تنتهي بوفاة الأمّ.

وعلى هذا الأساس، جاءت فكرةُ منحِ دُروسٍ في التّوليد بمدينة الجزائر سنة 1850م، إذ كلفت قابلة تُدعى السيّدة "ماحي" بتقديم هذه الدُروس.

وقد بقيت هذه المؤسسة إلى غاية سنة 1859م، وتذكر السيدة ماحي بأنه كان لديها 80 تلميذة: أصغرهنّ عمرها 40 سنة، وأكبرهنّ 95 سنة. وقد كانت هذه السيدة تسمح للأطبّاء -أحياناً- بمُتابعة عملها، مثل رئيس الأطبّاء المدنيّين، بالمُستشفى المدنيّ السيد "نغرين"، وكذلك جراح المشفى العسكريّ السيد "برتران"<sup>(2)</sup>. وقد كانت العائلات المسلمة لاتسمح بمجيء المولدين إلى نساءها.

(1) Université d'Alger, op.cit. P19.

(2) ايغون تيران: المُواجهات الثقافيّة في الجزائر المُستعمرة، المدارس والممارسات الطبيّة والدين، ترجمة: محمد عبد الكريم أوزغله، دار القصبّة، الجزائر، 2007، ص378.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

وقد أوكل الجنرال يوسف مهمة مساعدة القابلات والتلقيح ضدّ الجدري وغيره إلى الراهبات، إلا أن عددهن كان ناقصاً بحيث تمّ احتكارهن بسرعة من طرف مجتمع المستوطنين الفرنسيين، ورافق ذلك صعوبة إقناع كبيرة للأهالي، فقد اجتهد الأطباء مثل "برتران" لإقناع الأهالي بضرورة الخضوع للتلقيح ضدّ الجدري، وقد نشر مقالات في جريدة المبشر حاول من خلالها تبرئة رسالة الطب من الشكوك الدينية حسبه.<sup>(1)</sup>

ورغم أنّ محاولات التعليم العالي قد ارتبطت بالطب سواءً كان عسكرياً أو مدنياً، من خلال الدروس التي كان يلقتها أساتذة مدرسة الطب على ممارسي الصحة أو من خلال تأهيل قابلات التوليد للتقليل من حالات الوفيات في صفوف النساء الحوامل، فإنّ الحاجة المتواصلة لعدد كبير من الأطباء في المستعمرة قد ترجمت في طلب رسمي تقدّم به سنة 1848م الدكتور ترولي (Trollier) الطبيب الرئيسي للمشفى المدني لإنشاء مدرسة تحضيرية للطب والصيدلة في الجزائر تستجيب للحاجة الماسة لهذا الاختصاص في هذا البلد.

<sup>(1)</sup>تيران: نفسه، ص379.

ثانياً: المدرسة التحضيرية العليا للطب (1857م):

كانت الأوضاع الصحية للجيش، وإمكانية تعرض أفراده للأمراض المنتشرة في إفريقيا من أكثر القضايا التي أزقت القيادة العسكرية ومصالح الصحة العسكرية، لذلك انطلق هؤلاء في حماس منقطع النظير من أجل التحكم في الحالة الصحية ومعرفة الأمراض والأوبئة الأشد فتكاً في الجزائر، ومحاولة إيجاد الحلول لها في أقرب الآجال وتطوير انتشارها محلياً وإمكانيات الجيش.

ومع تنامي التوسع الاستعماري وإخماد أهمّ المقاومات الشعبية، ازداد الاهتمام بالاستيطان، وبدأت جحافل المعمّرين تحلّ بالجزائر، وبدأت التساؤلات الكثيرة تُطرح حول طبيعة الأمراض الموجودة ومناطق انتشارها وسبل الوقاية منها، ولم يعد جهد الأطباء العسكريين كافياً، نظراً لمشاغلتهم العسكرية، وطبيعة نشاطهم في صفوف الجيش، واحتكاكهم البسيط بالأهالي.

وزدادت الحاجة إلى الأطباء المدنيين، لقلتهم من جهة، وبسبب انتشار الأوبئة الفتاكة من جهة أخرى مثل: الكلب، والحمى القلاعية، والطاعون، والكوليرا، وأمراض المناطق الساخنة، وكلها تصيب قطعان الحيوانات والتجمعات السكنية على السواء.

وترجمة هذه الحاجة في تقرير اللجنة الطبية التي زارت الجزائر، والتي ترأسها الطبيب (دوفال دوغراس)<sup>(1)</sup>، فقد جاء في هذا التقرير وصف للحالة الصحية العامة في الجزائر، وقد طالب دوغال برفع عدد الأطباء المدنيين العاملين في الجزائر للتخفيف من هذه الأمراض، و تقارير المكاتب العربية بدورها كانت تراهن على أهمية الطب وتدقّ نواقيس الخطر لما كانت ترصده من مخاطر صحية يتعرض لها المعمرون والأهالي على السواء، نتيجة انتشار الأمراض المعدية الفتاكة مثل الجدري الذي كان منتشرًا بشكل كثيف بين الأهالي، وفي الأوساط الريفية، ومما صعب مهمة الأطباء الفرنسيين هو رفض

(<sup>1</sup>) Université d'Alger, Cinquantenaire, op.cit. P19.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

الأهالي التلقيح ولجوئهم إلى الطرق التقليدية في العلاج التي كان يمارسها (الطُّبَة معلمو القرآن ) والمسنيين والمتمثلة في التمام وبعض الطرق التقليدية التي عرفوها بالتواتر. (1)

وقد حاولت مصالح الطب المدني وعلى رأسها الطبيب الرئيسي للمستشفى المدني الدكتور "ترولي"، إيجاد حلول ممكنة للمعضلة الصحية في الجزائر، وذلك باقتراحه سنة 1848م إنشاء مدرسة تحضيرية للطب والصيدلة في الجزائر، تكون مدنية وتدعم مصالح الصحة بأطباء مكونين محلياً دون اللجوء إلى الميترربول.

و تبنت في السنة الموالية (1849م) الجمعية الطبية في الجزائر فكرة إنشاء مدرسة تحضيرية للطب والصيدلة في الجزائر، مُدعمة بذلك اقتراح الدكتور ترولي. وبالفعل تمّ عرض هذه الفكرة على المجلس المالي للجزائر (1849م)، لكن عميد أكاديمية الجزائر المنشأة وفق قانون 7 سبتمبر 1847م رفض بشدة فكرة إنشاء مدرسة تحضيرية للطب والصيدلة في الجزائر بحجة الأولوية الملحة للمدارس الابتدائية. (2)

ورغم هذا الرّفص الملح من عميد أكاديمية الجزائر، فإنّ ظروفأً أخرى قد خدمت فكرة إنشاء مدرسة تحضيرية للطب والصيدلة في الجزائر، فالجراح "بودان" صاحب البدايات الأولى في تدريس الطب العسكري في الجزائر قد ارتقى إلى رتبة مفتش في مصالح الصحة العمومية في فرنسا وعضواً في مجلس الصحة.

(1) تيران: المرجع السابق، ص 396.

(2) مرت فرنسا خلال سنة 1848م بظروف مضطربة، ميزتها أزمة اقتصادية وسياسية خانقة في فرنسا، وقد عبر دي لاکروا عن استغرابه لإنشاء الأكاديمية في الجزائر في جريدة الأخبار بقوله: "كان يجب خلق مدارس ابتدائية، خلق أكاديمية في بلد يحتوي على ثانوية واحدة بثلاثة تلاميذ... هذا مضحك لما تتكلم عن تعليم عالٍ...". أنظر:

Louis Paoli : L'Enseignement supérieur a Alger 1905, BU, 1959, P, 411.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

وإثر زيارة تفتيشية طبية إلى الجزائر، رفع تقريراً إلى المارشال "سانتارنو" وزير الحربية، جاء فيه دفاع عن تعليم الطب في الجزائر وضرورة إصلاح المدرسة العسكرية وتحويلها إلى مدرسة مدنية، وبذلك وافق رؤية فكرة الجمعية الطبية.<sup>(1)</sup>

يبدو أنّ وزير الحربية "سانتارنو" لم يبد موافقته حول مسألة إنشاء المدرسة، لذلك واصل الجراح بودان دفاعه عن هذا المشروع في عهد المارشال "فاييه" "Vaillé"، إذ رفع تقريراً إلى وزارة الحربية جاء فيه: "إنّ القدرة عالية جداً لإنشاء مدرسة للطب... أهالي في الطب العملياتي؟!... التمويل ممكن من مدينة الجزائر، وجود أساتذة ومساعدين، لم يبق إلاّ مرسوم من سيادتكم ليتمّ الإنشاء...".<sup>(2)</sup>

ومن خلال هذه التقارير التي أرسلها مفتش الصحة إلى وزير الحربية، ولم يوجهها إلى عميد الأكاديمية لمعرفة بمعارضته المشروع، وكذلك لقدرة وزير الحربية على التأثير على القرار السياسي أكثر من عميد الأكاديمية، خاصة وأنّ فرنسا قد عرفت في تلك الفترة عودة الملكية ونهاية الجمهورية الثانية، وتغير القيادة في كثير من القطاعات الحساسة وأهمها القيادة العسكرية. كما أنّ القوانين المنظمة للتعليم العالي الفرنسي لم تكن تسمح بإنشاء مدارس عليا بصفة لا مركزية حتى في فرنسا نفسها.

وفعلاً صدر هذا القانون المنتظر، في 04 أوت 1857م، وهو القرار الأول من نوعه في الجزائر المستعمرة، إذ يعتبر أول قانون للتعليم العالي في الجزائر يؤسس لميلاد مؤسسة للتعليم العالي في شكل مدرسة تحضيرية للطب والصيدلة.

<sup>(1)</sup> جاء في تقرير الجراح بودان دفاع عن تعليم الطب، فكتب ما يلي: "الوقت ملائم لإصلاح تعليم الطب في الجزائر، إنّ ما يمكن أن نعتبره مجداً هو أن تفتح في هذه الأرض الإفريقية دروس علم التشريح والجراحة، التي كانوا قد اكتشفوها في العصور القديمة بفضل الرازي وابن سينا".

<sup>(2)</sup> Université d'Alger, op.cit. P29.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

حددت مواد هذا القانون (المرسوم) طبيعة هذه المدرسة تحت الوصاية العلمية لكلية الطب والمدرسة العليا للصيدلة في مونبولي تكون لها الصلاحيات فيما يتعلق بمنح الشهادات النهائية والدرجات العلمية للطلاب.

ويبدو أنّ الوظيفة المعلنة لهذه المدرسة التحضيرية هي تكوين مطبقين في الصحة حسب الحاجة في المستعمرة والتي أصبحت ملحة، وأكثر من ذلك هي التي أملت بإنشاء هذه المدرسة التحضيرية العليا.

ويبدو من خلال التصريحات المختلفة للسياسيين أنّ الهدف من إنشاء هذه المدرسة كان يتجاوز مسألة الحاجة الملحة إلى الأطباء المدنيين، فقد تمّ النظر إلى المهمة الطبية على أنها وسيلة للتغلغل الاستعماري في نفسية الجزائري، وراهن الكثير من قادة الاستعمار على جدوى هذه الوسيلة، مثل الدكتور "تسي" ثم "دي سلفاندي" اللذان شغلا منصب مدير لهذه المدرسة، وحتى السيد دي لاكروا<sup>(1)</sup> والذي كان معارضاً لإنشاء هذه المدرسة أصبح متحمساً للدور الذي يمكن أن تقوم به، فهي في نظره عضو فعال في مستوى عالٍ من التحضر يرغب في إنشائها في الجزائر.

كان ينظر إلى المهمة الطبية على أنها وسيلة تقارب بين حضارتين: فإذا كان الدين وسيلة قوية للتفرقة، فإنّ الطب وسيلة لإحداث هذا التقارب المنشود، والذي يعني على الأقلّ تقبل الأهالي للأوروبيين طالما أنهم يقدمون المساعدة الإنسانية المتمثلة في الطب، ولذلك اعتبر السيد "دي لاكروا" مسألة وجود الأهالي في هذه المدرسة صفةً مميزة

(1) صرح السيد دي لاكروا يوم 10 نوفمبر 1859 بمناسبة افتتاح الدخول المدرسي قائلاً: "تتميز مدرسة الجزائر عن نظيراتها في فرنسا بتركيبتها البشرية، فالإلى جانب الفرنسي، يجلس طلاب من كل الجنسيات المشكلة للشعب الجزائري... لاحقاً ويفضل تطبيق مقاييس خاصة الأهالي يمكنهم الاستفادة من المدرسة وكل العلوم التي تقدمها، سيقنع العرب أنّ تعلم الطب سيمكن أفراد من بني جلدتهم من تنويرهم بطرق علمية بدل حزم رؤوسهم بلفة من القماش".

أنظر: LOUIS PAOLI: L'enseignement Supérieur, Alger, 1905, BU, Alger, 1951, P413.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

لها عن بقية المدارس الفرنسية، فالأهالي يمكنهم الاستفادة من هذه المدرسة وبالتالي سيتمكن هؤلاء الأطباء الأهالي من توفير بني جلدتهم بالأساليب الطبية الحديثة.<sup>(1)</sup>

وقد قدمت المادة التاسعة من مرسوم 4 أوت 1857م<sup>(2)</sup> تسهيلات للطلبة الأهالي للانضمام إلى المدرسة، وذلك وفق شهادة تمنحها الأكاديمية تثبت قدرة هؤلاء على مواصلة دروس الطب في هذه المدرسة.

وتشير الإحصائيات إلى أنه ورغم هذه التسهيلات، فإن إقبال الطلبة الأهالي على هذه المدرسة ظلّ ضعيفاً، إذ قدر مدير المدرسة عددهم بخمسة طلاب فقط منذ 1872م، وذلك رغم حصولهم على تسهيلات أخرى في شكل منح دراسية منذ 1866م، خصصت ليستفيد منها 12 طالباً من الأهالي خلال كلّ دفعة.

ومسألة قلة الطلبة الأهالي في هذه المدرسة لا ترد فقط إلى قلة الأهالي الذين يملكون القدرة على مواصلة الدراسة في هذه المدرسة، وإنما ترد أيضاً إلى محدودية المنح التي كانت مخصصة لهم، والتي قدرت بـ 12 منحة فقط، وهي منح ضئيلة لا تتجاوز العشر من مجموع الطلاب.

ومن جهة أخرى، فإنّ هذا المرسوم 1857م، قد حدد إنشاء هذه المدرسة على أرض تابعة للدولة، وتمّ تكليف مدينة الجزائر بإيجاد المبنى والعناية بكل المصاريف، وقد تمّ التفكير في إنشائها إلى جوار المستشفى المدني بمصطفى باشا، واستقر الاختيار على بناية جاهزة في رقم 04، شارع روني كايه.

أمّا بالنسبة للفريق العلمي والإداري المؤطر لهذه المدرسة، فقد تمّ اعتماد نفس الطاقم الذي كان يؤطر أعمال المدرسة العسكرية، فمرسوم 1857 حدده بثمانية أساتذة

<sup>(1)</sup> Paoli (Louis): L'enseignement supérieur à Alger, 1905, Alger, 1959, P413.

<sup>(2)</sup> مرسوم 04 أوت 1897: هو المرسوم المنشئ للمدرسة التحضيرية للطب في الجزائر، يتكون من 09 مواد يحدد كيفيات إنشاء المدرسة وكل ما يتعلق بها.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

مساعدين مستخلفين، يتولى الإدارة واحداً من الأساتذة المرسمين. <sup>(1)</sup> وبالنسبة للدروس العيادية والتطبيقية فإنها تتم في مستشفى مصطفى والمستشفى العسكري بالجزائر.

وتذكر الإحصائيات أنه بين (1857-1905)، التحق بهذه المدرسة 35 طالباً من الأهالي، تخرّج منهم 03 صيادلة من الدرجة الأولى، و12 ضابطاً للصحة، و06 أطباء، و02 صيادلة من الدرجة الثانية، ولم يتمكن البقية من الحصول على الشهادات، وذلك لتوقفهم عن الدراسة أو لإيقافهم من طرف الإدارة.

وإذا كانت المدرسة التحضيرية للطب والصيدلة هي الوحيدة من بين مؤسسات التعليم العالي التي تمّ إنشاؤها في الجزائر، فإنّ ضعف عدد الطلاب الملتحقين بها له ما يبرره، وذلك أنّ مؤسسات التعليم التي يمكنها تمويل هذه المدرسة بالطلاب كانت قليلة جداً، ففي 21 ديسمبر 1848م أصبحت الجزائر تحوي على ثانوية واحدة، وذلك بتحويل كولاج الجزائر إلى ثانوية. <sup>(2)</sup> ويذكر عميد الأكاديمية السيد دي لاكروا أنّ هذه الثانوية لم تكن تحوي سوى على 3 تلاميذ سنة 1850. ورغم أنّ التحاق الطلبة الأهالي بالمدرسة لم يكن يمرّ بأطوار التعليم الفرنسي، الابتدائي، والمتوسط والثانوي وإنما يتمّ برخصة من عميد الأكاديمية، فإنّ هذه الرخص كانت تخضع إلى تمحيص كبير، وحذر شديد، إذ لا تمنح إلاّ لأبناء نبلاء المدينة المتعاونين مع الاستعمار الفرنسي، وأولئك الذين لا تخشى الإدارة تمردهم أو تشك في ولائهم.

وابتداء من سنة 1856م، أصبح عدد المعمرين الأوروبيين 160,000 في الجزائر <sup>(3)</sup>، وقد حولت إدارة تعليم أبنائهم وفق مرسوم 10 ديسمبر 1860م، إلى مصالح الوزارة الوصية على التعليم بينما ظلّ تعليم الأهالي من اختصاص الحاكم العام وفق

<sup>(1)</sup> أوكلت مهمة إدارة المدرسة إلى الطبيب العسكري Bertherand صاحب كتاب «Médecine et Hygiène Arabe» حتى سنة 1862م، حيث خلفه الطبيب المدني Patin.

<sup>(2)</sup> Mélia (Jean) : L'épopée intellectuelle de l'Algérie, Histoire de l'université d'Alger, La maison des univers, Alger, 1950, P26.

<sup>(3)</sup> Mélia ,Op.cit., P32.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

المادة الخامسة من نفس المرسوم الذي يحرم من يشاء، ويسمح لمن يشاء بمزاولة التعليم، ولم يمر سوى شهر من صدور هذا المرسوم حتى أصبح من الممكن إنشاء مؤسسات أخرى للتعليم الثانوي، إذ تمّ إنشاء الثانوية الوطنية بالقرب من جامع سيدي عبد الرحمان، والتي سلمت إلى مصالح الأكاديمية سنة 1868م، وفتحت أبوابها في أكتوبر من نفس السنة، وكلف إنشاؤها (2.902.800 فرنك).<sup>(1)</sup>

وعموماً، فإنّ وجود ثانويتين فقط في الجزائر حتى سنة 1870م، يفسر العدد الضئيل للملتحقين بالمدرسة التحضيرية للطب في الجزائر، وهناك من الطلبة الأوائل لهذه المدرسة، من أصبح أستاذاً بها مثل الطبيب "كرستوف الكنترا" وهو من أصول كورسيكية، والذي عين في المدرسة سنة 1863م كأستاذ مستخلف بالمدرسة العليا التحضيرية للطب والصيدلة، مكلف بدروس الجراحة.

وقد أشاد بعمله مدير المدرسة السيد "توكسي" في تقريره المؤرخ في 3 نوفمبر 1864م، ولم تمر 3 سنوات حتى عين بمرسوم وزاري أستاذاً لعلم الأوبئة الخارجي وتوفي هذا الطبيب يوم 20 نوفمبر 1879م بعد معاناة مع المرض دامت سنوات.<sup>(2)</sup> بينما لم يتمكن أي طالب من الأهالي الجزائريين من مواصلة الدراسة والحصول على كرسي الأستاذية بهذه المدرسة.

عملت هذه المدرسة بنشاط كبير، فأعمالها توسعت، ومخايرها ازدهرت وارتفعت مقتنياتها من النباتات الطبية الإفريقية، بفضل جهودات علماء النبات "كلوزو" و"ديكلارك" اللذان جمعا أكثر من 4000 نوع نباتي شكلت نواة لحديقة التجارب بالحامة.<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> Méliá, op-cit. P33.

<sup>(2)</sup> Ibid. P29.

<sup>(3)</sup> Ibid., P39.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

كلّ هذا النجاح العلمي لمدرسة الطب جعل منها المدرسة الرائدة، والمدرسة الأم والمصدر الأول الملهم للتكوين الفرنسي العالي في الجزائر، وقد عبرت عن رغبتها في توسيع مجالات اختصاصها وعملها، بطلبها في 28 نوفمبر 1868م بإنشاء مدرسة للعلوم.

إنّ تعاضم الاستيطان الأوروبي في عهد الجمهورية الثالثة، والنجاح الباهر للمدرسة التحضيرية للطب والصيدلة، وارتفاع الأصوات المنادية إلى معرفة الجزائر معرفةً علمية لاستغلال خيراتها كانت من أهم عوامل ازدهار هذه المدرسة.

ومن جهة أخرى فإنّ انهيار الإمبراطورية الثانية (1851-1871) ومجيء الجمهورية الثالثة كان وبالاً على الجزائريين، فأول إجراء قام به الحاكم المدني هو إلغاء المعهدين الثانويين الخاصين بالجزائريين، ونتيجة للمداولة التي جرت في مجلس أكاديمية الجزائر 04 أوت 1871، قدّم هذا الأخير اعترافاً للوالي العام الجديد "دي قيون" يقضي بضمّ المعهدين للتأهوية الفرنسية، وفي 23 أكتوبر 1871 أصدر الوالي قراراً يقضي بذلك.<sup>(1)</sup>

وكلّ هذه الإجراءات جعلت عدد التلاميذ الأهالي ينخفض في بداية عهد الجمهورية الثالثة سواء في الابتدائي أو الثانوي، ومنه في المدرسة التحضيرية العليا للطب، وأصبح المؤهلون من الأهالي يتوجهون طوعاً أو يوجهون إلى مدرسة تكوين المعلمين المنشأة وفق قرار إمبراطوري في 04 مارس 1856م أو إلى المدرسة الفلاحية المنشأة وفق المرسوم الإمبراطوري لـ 26 ماي 1865م.

لم يكن للأهالي الجزائريين صوتاً مسموعاً في قضايا التعليم، بينما احتدم النقاش حول أهمية وجدوى التعليم العالي في صفوف المدنيين والعسكريين من المستعمرين فقد

(1) جمال قنان: التعليم الأهلي في الجزائر: 1830-1944، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

---

بادر هؤلاء إلى تمرير مشاريع برلمانية أهمها مشروع باردو في 08 فيفري 1878م، وتقرير السيد دي روز De Rose في 5 جويلية 1879م، وتقرير السيد بول بارت الأول والثاني في 12 ديسمبر 1877م، و05 جويلية 1878م، والذي وجد سنداً قوياً مكن لاحقاً من إنشاء مدارس أخرى تحضيرية عليا للعلوم والآداب والحقوق.

ويُمكن الإشارة إلى أنّ هذه المدرسة التحضيرية العليا قد استقبلت أول طالبة طب وهي فرنسية سنة 1865م، في وقت كانت تضم 75 طالبا من مختلف الفئات المشكلة للشعب الجزائري.<sup>(1)</sup>

---

<sup>(1)</sup> Waalrdenburg (Jean-Jacques) : les universités dans le monde arabe actuel, Documentation et Essai D'interprétation, op-cit, P137.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

ثالثاً: المدارس التحضيرية العليا (العلوم، الآداب، الحقوق) 1879:

لقد أثبتت المدرسة العليا التحضيرية للطب أنها الأم الحقيقية للتعليم العالي في الجزائر، ونتيجة لتطور أعمالها فقد تنبه القائمون عليها لضرورة تكملة عملها بمدرسة تحضيرية للعلوم، وقد ترجم ذلك في طلبها يوم 28 نوفمبر 1868م بإنشاء مدرسة للعلوم في الجزائر.

ومع بداية الجمهورية الثالثة، ازداد الاهتمام بضرورة دراسة الحقوق، والعادات والتقاليد والأعراف الأهلية، لضرورات الإدارة الاستعمارية، وقد ترجم ذلك أيضاً في قانون الميزانية لسنة 1872م، حيث تم تسجيل غلاف مالي قدره 50,000 فرنك لإنشاء مدرسة تحضيرية للحقوق.

لقد أملت الأهمية والحاجة في نفس الوقت، على ضرورة تكملة عمل مدرسة الطب بمدارس أخرى، وقد عبر عن ذلك السيد العميد دي سالف يوم 29 نوفمبر 1877م بمناسبة الدخول الجامعي في المدرسة التحضيرية للطب، حيث تحدث عن مشروع كبير في الأفق بالتنسيق مع مصالح أكاديمية الجزائر، ويتعلق بخلق معاهد أدبية وعلمية "فضاء علمي متكامل، بويضة ملقحة لجامعة كاملة".<sup>(1)</sup>

تحمس كثيراً السيد دي سالف لرؤية دروس القانون الأهلي، التشريع الأهلي بطريقة عصرية، تكمّلها دروس، التاريخ، الآداب، الجغرافيا الاقتصادية، اللغة العربية واللغات الشرقية، وقد قدر تكلفة هذه المدارس بـ 300,000 فرنك تقتطع منها 200,000 من الجزائر، 30,000 من مدينة الجزائر، 30,000 مقاطعة الجزائر و 20,000 لكل من وهران وقسنطينة.<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> Méliá, op.cit., P40.

<sup>(2)</sup> Ibid., P41.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

ورغم هذا الحماس الذي أبداه عميد المدرسة، إلا أن الأوساط الاستعمارية في المتروبول لم تكن بنفس الحماس، لفتح تعليم عال في تخصصات أخرى غير الطب، وقد أضحت هذه المسألة -خلق تعليم عال في الجزائر- محلّ جدلٍ كبير طال المشاريع المطروحة والمناهج المقترحة، والتي كان على البرلمان تقريرها أو رفضها نهائياً في شكل قوانين:

وقد تلخّصت هذه المشاريع والقوانين فيما يلي:<sup>(1)</sup>

- مشروع باردو في 08 فيفري 1878م.
- مشروع بول بارت الأول في 12 ديسمبر 1877م.
- مشروع بول بارت الثاني في 08 جويلية 1878.
- مشروع دي روز De Rose في 05 جويلية 1879,

لقد أصبح للتعليم العالي في هذه الفترة مبررات وجود كثيرة وقوية، فقد أصبح عدد المستوطنين يفوق 160,000، وقد بلغ عدد التلاميذ الثانويين 3142 سنة 1878م، وكلهم مدعون لتكملة دراساتهم العليا في المتروبول بعد البكالوريا، وقد يترتب عن هذا عدم عودة هؤلاء إلى الجزائر بعد التخرج. وقد شكّلت هذه المخاوف إحدى الدوافع القوية لإنشاء تعليم عال محلي في الجزائر لضمان الإستيطان الأوروبي وكبح الهجرة في الاتجاه المعاكس.

إضافة إلى هذا، فقد أدت الأعمال العلمية القيمة للجمعيات العلمية، كالجمعية التاريخية، والجمعية الأثرية والجمعية الجغرافية وغيرها إلى تبني فكرة الدراسة العلمية لهذه البلاد المترامية الأطراف، العذراء، التي تمّ السيطرة عليها تقريباً وبشكل كلي، فكان منذ الضروري دراسة المناخ، نوعية التربة، إمكانيات تحديث الزراعة، إمكانية إقامة قاعدة

<sup>(1)</sup> L'université d'Alger, Op.cit. P24.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

صناعية محلية، دراسة الثروات الطبيعية والمنجمية، المعادن والمحاجر ضرورة الاستفادة من كل هذه الخيرات للانطلاق في عمليات الاستغلال الاقتصادي والإنشاءات الكبرى.

وفي هذا الاتجاه، أشير إلى مجهودات السيد "بول بارت"<sup>(1)</sup>، وهو عالم فرنسي مشهور، تولى مناصب سياسية عالية وانتخب في البرلمان الفرنسي في عهد الجمهورية الثالثة، وهو جمهوري متحمس للتعليم والعلوم، وهو صديق لجون مار و غوميطا.

رفع السيد "بول بارت" مشروع قانون يتعلق بتنظيم التعليم العالي في الجزائر، يقترح خلاله إنشاء مدارس للعلوم والحقوق والآداب إلى جوار المدرسة التحضيرية للطب وذلك يوم 17 ديسمبر 1877م. واستعمل بول بارت أسلوبه المعهود من أجل إقناع أعضاء الغرفة البرلمانية حول جدوى مشروعه هذا، فقد استند إلى أهمية الاستيطان والاستكشاف العلمي للجزائر وثمن الاستيطان، وتكوين الإنسان الأوروبي -المتوسطي كما سماه- ليكون قادراً على مجابهة ما يحيط به من صعاب طبية وإنسانية، واستعرض وضعية التعليم بمراحله والتي كانت في نظره ملئمة.

وقد خاطب الإداريين والقضاة والعسكر، مذكراً إياهم بوجودهم بين العرب والبربر دون معرفة ولا كلمة من لغتهم، وهم مدعون لحكمهم والقضاء بينهم دون معرفة شيء من لغتهم وتقاليدهم وثقافتهم.

---

(1) بول بارت Paul Bert (1833-1886): عالم ویرلماني فرنسي ولد في مقاطعة أوكسير، 1833م، حصل على ليسانس في الحقوق عام 1857م، وعلى الليسانس في العلوم الطبيعية سنة 1860، وفي سنة 1863م حصل على الدكتوراه في العلوم الطبيعية (الطب) عن أطروحة حول التهجين الحيواني، عمل في المعهد الفرنسي تحت إشراف العالم كلود برنار. و اتجه نحو الاهتمام بعلم الفيزيولوجيا و حصل على الدكتوراه، فيها سنة 1865. عن أطروحة: أبحاث تجريبية من أجل الحيوية الذاتية للأنسجة الحيوانية.

ومنها مكلف بالدروس بكلية العلوم ببوردو، و أستاذاً بمتحف التاريخ الطبيعي بباريس، ثم كلية العلوم بباريس. انتخب نائبا عن مقاطعة ليون بعد 1870. اهتم بالضغط الجوي، وحق الدم وهو من أنصار النظرية العرقية و مضاد للأكليروس، مناصرا للائكية ومجانية التعليم، حيث أصبح وزيرا للتعليم في عهد كونبييطا(1880-1881) زار الجزائر وكتب عنها رسالة القبائل سنة 1885، عين حاكما عاما للمنطقة للأنام و التونكين، توفي بالإسهال الحاد سنة 1886. اشتهر بدفاعه الشديد عن التعليم العالي التحضيري في الجزائر. وقدم مشروعين للغرفة البرلمان الأول في ديسمبر 1877. والثاني 1879.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

فهذا في نظر "بول برت" يعتبر محفزاً لخلق مؤسسة بالإمكانيات المتاحة، تعلم أيضاً ما هو متاح من المعارف الإنسانية، في الزراعة، والتعدين، والميكانيك التطبيقي الطبوغرافيا، التاريخ المحلي، النظم الاجتماعية، القوانين، لغات الأهالي، ومختلف الطرق الإدارية والتشريعات الفرنسية.<sup>(1)</sup>

لقد حاول "بول برت" أن يجعل مشروعه لإنشاء مدارس للتعليم العالي مُجدياً وأكثر من ذلك ضرورياً، فراح يتحجج بحاجة الزراعة إلى التطوير في الجزائر وضرورة إنشاء صناعة خاصة، وأنّ الأرض تزخرُ بثروات متنوعة من محاجر ومناجم، وأنّ المدن التي يستوطن بها المعمرون لا تزال بحاجة إلى أشغال كبرى في سكك الحديد والطرق والتوصيلات المختلفة.

ومن جهة أخرى، حاول إقناع المعمرين بعزلتهم وجهلهم، وحصارهم وسط هذه الشعوب -حسبه- المختلفة، المتعددة اللغات والعادات العائلية، المختلفة في تنظيمها السياسي وبطرقها الخاصة في الحياة والتعلم، والتي يميّزها التعصب الديني المشترك فيهم... فلا يمكن إحداث التوافق بين الفرنسي والأوروبي واليهودي والمسلم في هذه الأرض، إلاّ بدراسة مكونات هذا المزيج البشري التاريخية والإنسانية والسياسية والدينية.<sup>(2)</sup>

وكون السيد بول بارت رجل علم بالدرجة الأولى، فإنّه أراد أن يتوجه بهذه المدارس التحضيرية العليا إلى كلّ العقول مهما كانت، وخاصة إلى أولئك الذين يقع على عاتقهم مهمة تسيير الجزائر وتحديد مستقبلها ومكانتها، وأراد لهذا التعليم العالي أن يكون "يجب أن يكون التعليم العالي الجزائري نظري وعمام، تطبيقي وخاص"<sup>(3)</sup>. وقد تعرّضت الحكومة

<sup>(1)</sup>Paoli: op.cit. P 419.

<sup>(2)</sup> جاء في تقرير بول بارت في ديسمبر 1877 ما يلي: "في هذا البلد أين الزراعة بحاجة ماسة لطرق حديثة، والصناعة تبحث عن طريقها، والأرض تزخر بثروات متنوعة من مناجم ومحاجر، أين معظم الأشغال الكبرى تنتظر الأوامر، أين يجد المعمرون أنفسهم مهددين بالمخاطر الكثرة المجهولة.

<sup>(3)</sup> Paoli, op.cit. P 420.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

لهذا المشروع بالرفض، لأنه من اختصاصها البحث في هذه المواضيع، واقتراح قوانين في أوانها.

و تقدم يوم 8 فيفري 1878، بول بارت بمشروع قانون ثان إلى الغرفة البرلمانية يتضمن إنشاء مدارس تحضيرية للتعليم العالي في الجزائر، وفي تلك المرحلة كان السيد "بادو" وزيراً للتعليم العام والثقافة والفنون الجميلة، وقد كان مهتماً أيضاً بتطوير الجزائر، وقد كان متخوفاً من عدم عودة أبناء المعمرين إلى الجزائر بعد استكمال تعليمهم العالي في فرنسا، وهي مسألة حيوية في نظره، حيث تفقد مستعمرة الجزائر طاقاتها الشابة القادرة على الإدارة والاستغلال، وبالتالي تعرضها في أقرب مناسبة للتهديد الجدي، وبذلك يكون قد دعم بشكل غير مباشر مشروع بول بارت.<sup>(1)</sup> وقدّم بدوره مشروعاً وزارياً.

حاولت الغرفة البرلمانية التوفيق بين مشروع الحكومة ومشروع بول بارت، فعينت لجنة لدراسة المشروعين، وقد عيّنت السيد بول بارت مقررًا عن اللجنة انتهى يوم 03 جوان 1878 إلى أنّ هذين المشروعين يحملان نفس الروح، ولا يختلفان إلا في بعض الجزئيات الصغيرة، تتمثل في اقتراح الوزير إنشاء مدرسة تحضيرية للعلوم ملحقة بالطب والصيدلة، ومدرسة تحضيرية للآداب ملحقة بالحقوق المبرمجة في مشروعه.

(<sup>1</sup>) Méliá, op.cit. P50.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

إن عبارة تحضيرية هذه تشير إلى صبغة خاصة وحذرة، منتظرة للمدارس المزمع إنشاؤها في الجزائر، فهي ليست معاهد ولا كليات تنطبق عليها القوانين الفرنسية في مجال التعليم العالي، ويبدو أنّ "بول بارت" كان على إطلاع بمخاوف الحكومة التي كانت تنتظر بعين الريبة إلى هذه المدارس التي ينوي المعمرون إنشائها في الجزائر، فهي تمنح المزيد من الاستقلالية لهم من جهة، ومن جهة أخرى تكبح هجرة الشباب المعمرين إلى المتروبول، فصبغة تحضيرية تجعلها دائماً تحت وصاية الجامعة الفرنسية، فهي التي تمنح الشهادات النهائية والرتب العلمية، وبالتالي ضمان التبعية والهيمنة والمراقبة الدائمة، فذلك اعتبر "بول بارت" إنشاء كليات للعلوم والآداب أمراً غير ناضج إذ جاء في مُداخلته البرلمانية<sup>(1)</sup>: "... إنّه من غير الناضج إيجاد كليات للعلوم والآداب في الجزائر، إنّه من غير الممكن تخريج دكاترة لغياب الإطار المدرس وجُمهور الطلبة، وكذا التمويل، لكن يجب أن نستجيب للحاجات الملحة ونترك المستقبل يتكفل بالباقي".

ورغم دفاعه الكبير عن التعليم العالي التحضيري ومقترحاته الهامة، فإنّ جهوده لم تسلم من النّقد، فالسيد لويس باولي في تقريره لسنة 1906م، اعتبره غير جاد في مسألة التحجج بقلة التّأطير والوسائل، وأرجع تعلقه بتلك الوضعية -مدارس تحضيرية عليا- بظروف أخرى سياسية وظروف تتعلق بالتعليم العالي الفرنسي عموماً، فلم يكن ممكناً آنذاك إنشاء جامعات لامركزية حتى في فرنسا نفسها.

و رافع "بول بارت" في جلسة الغرفة البرلمانية ليوم 1878/09/23 على ضرورة استقلالية المدارس من أجل أن تكون عملية، وتطبق العلوم بعيداً عن الاعتبارات السياسية والمضايقات التي كانت تفرضها الولاية العامة ومصالح الأكاديمية على مؤسسات التعليم،

(<sup>1</sup>) Paoli: op.cit. P420.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

والتي ستستقطب إلى جانب الأوروبيين بعض الأهالي، فقد دافع بشكل حكيم قائلاً<sup>(1)</sup>: "إنه في العلم نفسه يتم تكوين العقول، لا في المؤسسات التي نودّ إنشائها".

وأثناء هذه الجلسة، جرت مناقشات أهمها تلك المُداخلة للنائب جون دي فوا<sup>(2)</sup> الذي اقترح التوجه مباشرة نحو الهدف وإنشاء كليات للعلوم والقانون والآداب واعتبر أنّ هذه المدارس لا تقدم الكفاية اللازمة، ثمّ إنّ إنشائها بهذا الشكل يجعل منها منقوصة وغير ذات جدوى.

حاول "بول بارت" دحض فكرة "دي فوا"، مُدافعاً عن الشكل التحضيري للمدارس بحجج علمية وأخرى سياسية، فقد أقرّ بأنّ هذه المؤسسات هي مؤسسات المستقبل وليست الحاضر فقط، ويمكنها مستقبلاً أن ترقى إلى مصاف نظيراتها في القارة.

وقد اعترف بعدم إمكانية وضعها في صيغة -كاملة الصلاحيات-، وكانت حجته في ذلك قوية، إذ اعترف أنه ينبغي إجراء تعديلات جوهرية على نظام التعليم العالي ككل في فرنسا من أجل أن يصبح بالإمكان إنشائها.

ويجب حسبه -من جهة أخرى- أن تؤتى هذه المدارس أكلها، أن تقدّم الخدمات اللازمة مرحلياً، أن تحضر لخلق المدارس المتخصصة، والأهم من ذلك كله هو تحضيرها للرأي العام الجزائري ليتقبل هذه الدرجة العالية من التكوين العالي، عليها أن تنتظر حتى يصبح التكوين العالي فيها حقيقة نظرية وكاملة، وعليها أن توفر الشروط اللازمة لحيويتها.<sup>(3)</sup>

(1) Paoli: op.cit. P421.

(2) جاء في مداخلة النائب دي فوا ما يلي: "... تعليمكم هذا وأساتنته مضروب مسبقاً بسبب الشروط المطروحة... لماذا لا توجد هذه الأخيرة في الجزائر، خاصة وأنها تقدم حقلاً هاماً للمستقلين بالطبيعة، لعلماء الآثار، للمؤرخين واللغويين، وهذا يتطلب رجال ذوي كفاءات عالية كذلك التي يملكها أساتذة المعاهد... وهذه لا تتوفر في أساتذة المدارس التحضيرية ولا المتخرجين منها... وأضاف... هذه المنشئة الجديدة جاءت معقدة وبدون فائدة.

(3) Ibid. P53.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

وفي دفاعه عن مشروع المدارس، كان "بول بارت" مهووساً بكلّ ما هو جزائري، فقدّم خطأً لعمل هذه المؤسسات، وأرادها أن تعنى بكلّ ما هو جزائري كأن تقدم دروساً في التاريخ الجزائري، اللغات واللهجات المحلية، تطبيق الإحصائيات الجزائرية في العلوم، ويجب خلق فضاء للتشريع الجزائري، وآخر الحجج التي استخدمها "بول بارت" كانت أنه لا يمكن للشباب الجزائري التكوين في الجزائر فقط، بل هم مدعون -أيضاً- للاستفادة من الديناميكية الموجودة في المتروبول، وعلى عقولهم المحلية أن تتطور في ظل العقلية الفرنسية، وأراد بذلك أن يتجاوز مخاوف النواب المشتغلين بسؤال الجزارة أو الفرنسية، مستندلاً بأنّ الشغل الشاغل في المستعمرات الآن هو الكفاح من أجل البقاء، وأنّه لا يجب إصدار أحكام مسبقة، في مرحلة أصبحت تطرح فيها مسألة الجدوى الاقتصادية للمستعمرات أكثر من أيّ وقت مضى، فهذه المؤسسات هي اللبنة الأولى في طريق الاستغلال الاقتصادي وبناء العقلية الفرنسية في أجيال المعمرين.

ومعلوم أنّ أصواتاً من البرلمانيين قد نادى سنة 1863م بعدم جدوى المدرسة التحضيرية للطب، وقد دافع عنها المدير "تيكسي" يوم 28 نوفمبر 1878<sup>(1)</sup> تاريخ الدخول السنوي، مشتكياً من هذه الأصوات المشوشة، وداحضاً إياها بالأرقام، فمن بين 85 طبيباً متخرجاً من المدرسة، يشتغل 22 منهم بالجزائر، وأنّ كلّ الممارسين من الدرجة الثانية يشتغلون بالجزائر وعددهم 218 منهم 46 ضابط صحة، 95 صيدلي

(1) Méliá : op.cit. P54.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

71 قابلة لتوليد، و3 خبراء أعشاب، وبذلك تكون قد لبت الغاية من وجودها، وهي تكوين ممارسين حسب الحاجة في المستعمرة.<sup>(1)</sup>

وفي الأخير تمكن مشروع المدارس التحضيرية من المرور أمام الغرفة البرلمانية بالصيغة التي جاءت بها الحكومة، وهي خطوة أساسية لبناء تعليم عال في الجزائر.

وتم إرسال المشروع إلى غرفة السينا (مجلس الشيوخ)، والتي بدورها عيّنت لجنة لتفحص المشروع، تشكلت من السيد "دي روزير" مقررًا، وهذا الأخير وضع تقريره يوم 5 جويلية 1879.

ومثله مثل بول بارت لاحظ "دي روزير" أنّ مراحل التعليم الأخرى، المتوسط والثانوي متطورة بشكل يخدم إنشاء تعليم عالي في المستعمرة، واعتبر الجزائر حقلاً واسعاً للبحث والاكتشاف في كل التخصصات.

وحسب السيدان "بول بارت" و"دي روزي"، فإنّ إنشاء هذه المدارس التحضيرية المكتملة للمدرسة التحضيرية للطب ليس إلاّ فعلاً مرحلياً متعلقاً بمرحلة انتقالية، اقتضت الضرورة فيها إنشاء هذه المدارس بهذا الشكل، وفي هذه الظروف صادق مجلس السينا يوم 20 ديسمبر 1879م على القانون المتعلق بإنشاء هذه المدارس. ووفقاً لقانون 20 ديسمبر 1879م المتكون من 09 مواد، فإنّ طبيعة هذه المدارس التحضيرية القانونية وكذا نوع التعليم الذي يقدمه تختلف عن تنظيم التعليم العالي في الميتروبول، بمعنى فقدانها للمواصفات المادية والمعنوية التي تتمتع بها مؤسسات التعليم العالي في فرنسا.<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup>Paoli : Op.cit. P423.

<sup>(2)</sup>Paolil : Op.cit. P424.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

فأطروحة السيد "بول بارت" كانت تتمحور حول فكرة الجهوية، إنشاء معاهد تحضيرية جهوية، تقدم تعليماً يستجيب للحاجيات المحلية، بمعنى جعل هذا التعليم ذو تطبيقات على البيئة المحلية ويستجيب للضرورات المطروحة فيها، بما فيها إشراك عناصر محلية تستفيد منه، وتخدم الفكرة الواسعة للجزائر الفرنسية.

الفُروق المُشار إليها سلفاً، يعبر عنها بوضوح قانون 20 ديسمبر 1879م الذي يُعتبر شهادة ميلاد لهذه المدارس الذي جاء كما يلي<sup>(1)</sup>:

**فالمادّة الأولى<sup>(2)</sup>:** ينشأ في الجزائر، إلى جانب مدرسة الطب والصيدلة الموجودة مدرسة تحضيرية لدراسة الحقوق، مدرسة تحضيرية لدراسة العلوم، مدرسة تحضيرية لدراسة الآداب...".

**المادة الثانية:** تشير إلى برامج التدريس والمواد المقررة جاء فيها:

"... الدراسة في المدرسة التحضيرية للحقوق تتضمن المواد المقررة لنيل البكالوريا، مع إضافة دروس في القانون التجاري والقانون الإداري والنظم الأهلية".

ويجدر الإشارة هنا وأنه حسب تنظيم التعليم الفرنسي حينذاك، فإنّ البكالوريا كانت شهادة تحضر الجزء الثاني منها المؤسسات الجامعية.

وفي مدرسة العلوم تتضمن الرياضيات، الفيزياء، والعلوم، وتطبيقاتها على الزراعة، الصناعة والإحصاء، والحاجات الخاصة بالجزائر.

وفي مدرسة الآداب تتضمن الآداب الفرنسية وآداب البلدان المتوسطة والآداب الكلاسيكية، اللغة العربية، اللهجات الجزائرية، التاريخ وخاصة تاريخ فرنسا و الجزائر، والجغرافيا، والآثار.

<sup>(1)</sup> Université d'Alger, Cinquantenaire, Alger, 1959, P29.

<sup>(2)</sup> Méliá: op.cit. P56.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

المادة الثالثة: تحدد الصفة القانونية للمدرسة التحضيرية للطب والصيدلة، وهذا نصها:

"المدرسة التحضيرية للطب والصيدلة تختص بنفس دور المدارس التحضيرية الفرنسية".

المادة الرابعة: وتتحدث عن الدرجات العلمية الممنوحة، وهذا نصها:

تمنح مدرسة الحقوق دبلوم البكالوريا في الحقوق، وشهادة الأهلية في الحقوق، وشهادة خاصة في الحقوق الإدارية والنظم الأهلية، كما تمنح مدرسة الآداب والعلوم أهليات خاصة.

المادة الخامسة: تتضمن شروط تتعلق بطاقتي التدريس، فأساتذة مدرسة الآداب يشترط فيهم حيازة الدكتوراه من الدرجة الأولى، وكذلك الحقوق.

أما بالنسبة للعلوم فيسمح التدريس لحاملي الليسانس في العلوم أو الدكتوراه في الطب لغياب الكفاءات في الجزائر.

كما يسمح لضباط الجيش بالتدريس، مهندسين، إطارات الاقتصاد، وأساتذة الثانويات.<sup>(1)</sup>

أما باقي المواد (6-9) فإنها تحدد الجوانب المادية المتعلقة بهذه المدرسة وتنظيمها الإداري وهيكلتها التقنية ومقرها.

والبحث عن مقر لهذه المدارس، يشكل الخطوة العملية الأكدية لبدأ نشاطها، والمعلوم أنّ المدرسة التحضيرية للطب كانت في شارع René Caillé في منزل صغير لم يعد يسع أعمالها مع مرور الوقت، ولا يمكن لها أن تستضيف باقي المدارس.

(1) Université d'Alger, Cinquantenaire, Alger, 1959, P29.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

وتمّ إيواء المدارس الجديدة مؤقتاً في عمارةٍ عمومية تقع في 3 شارع سكيو في الشارع المؤدي لباب عزون، وهو الشارع الأكثر شعبية آنذاك، وهذا المقر هو منزل أحمد باي قبل مصادرته.

وظلّ الطابق الأرضي من هذه العمارة مشغولاً من طرف أوروبيين، أما الطابق الأول فقد احتضن مدرسة الآداب، واحتضن الطابق الثاني مدرسة الحقوق، وقاسمتهم مدرسة العلوم تنقلاً بين الطابقين، ومع مرور الزمن اشتكت المدارس ضيق المكان، فنقلت مدرسة الآداب إلى 2 شارع "دولا ليكورن" بشارع الأميرال بيار في شقة صغيرة من منزل أندلسي.

وظلت مدرسة العلوم تعاني التنقل بين مخايرها الموزعة بين شارع موقار ومصالح المناجم في رقم 57 شارع روفيغو، قبل أن يتمّ نقلها إلى عمارة في شارع بوجير سنة 1883<sup>(1)</sup>، وبعد عام تمّ نقل المرصد الفلكي إلى بوزريعة سنة 1884م.<sup>(2)</sup>

أما المكتبة الجامعية فقد كانت تقع في 15 ممر مالاكوف بجوار شارع باب الوادي، يستطيع الطلاب الوصول إليها سيراً على الأقدام، لكن معظم رصيدها كان مكّساً في الصناديق لضيق المكان.

واجهت المدارس مشكلة المقرّ في السنوات الأولى لعملها، وذلك للعدد الضئيل للطلاب الملتحقين بها، ثمّ بتوسعتها بدأ التفكير في إيجاد مقرّ قارّ لها.

وقع الاختيار على ثلاثة أماكن، أولها رأس اسلي (Camp D'isly)<sup>3</sup> الموجود في بلدية مصطفى آنذاك على بعد 300 متر من باب إيسلي، والتي لا تقع بعيداً عن البريد

<sup>(1)</sup> Université d'Alger, op.cit. P33.

<sup>(2)</sup> Méliá: Op.cit. P57.

<sup>3</sup> أنظر الملحق رقم: 01

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

المركزي حالياً، أما المكان الثاني فهو مساحة غير مشغولة تقع بين شارع إيسلي وشارع قسنطينة بين الثانوية وباب الواد، والمكان الثالث هو الأرسنال داتولي.

تمّ استبعاد المكان الثاني بسبب بعده، والثالث بسبب ضيقه، ووقع الاختيار على رأس إيسلي الذي تنبأ له بول بارت بأن يصبح في وسط المدينة بتوسعها مع الزمن وذلك ما حدث.<sup>(1)</sup>

وقد بدأت الأشغال منذ 1884م، أما الهندسة المطلوبة لهذه المدارس فقد كثر الحديث عنها، فهناك من تحدث عن هندسة أندلسية موريسكية لهذه المباني، حتى أنّ السيد "بول بارت" تحدث متسائلاً عن هذا الجدل يوم 03 جوان 1878م، وأرادها أن تكون بهندسة نيورومانية، وأن تكون بسيطة وقليلة التكلفة.<sup>(2)</sup>

قدّرت تكلفة إنجاز مقرات المدارس بـ 2.5 مليون فرنك، إضافة لإنجاز حديقة نباتية بحرية ومرصد فلكي بغلاف مالي تكميلي قدر بـ 100.000 فرنك.

مؤل المشروع وفق قانون 10 جويلية 1884م، وقدّر الغلاف التكميلي وفق قانون 08 فيفري 1887م، انتهت الأشغال على العمارة الرئيسية نهاية ديسمبر 1887م.

وبدأت المدارس ترتب نفسها في المقرات الجديدة ابتداء من نوفمبر 1887م إلى غاية جانفي 1888م، فأخذت المكتبة الطابق الرئيسي للعمارة الكبيرة، وقد ظلّت على حالها إلى يومنا هذا.

(1) أنظر الملحق رقم 01.

(2) جاء في تقرير بول بارت يوم 03 جوان 1878 ما يلي: "لقد سمعت أخباراً عن قصر للكليات، عن قصر للدراسات بهندسة أندلسية، عن موقع مقابل للبحر، مصالح التعليم العالي لم تتحدث سوى عن المكان، عن الأمتار المربعة من المساحة، مخابري ومدرجاتي لا تتطلب سوى طابق أرضي للمقتنيات والمكتبة، وقاعات الأعمال تكون بسيطة وسهلة التنقل، دون تكلفة".

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

افتتحت المنشأة الجديدة أبوابها للتدريس في الموسم 1888م، وقد حضر الافتتاح الرسمي ثلاثة وزراء هم: ميلارد، غراني، وبرتلي إلى جانب الحاكم العام لويس تورمان، وعميد الأكاديمية السيد جون مار الذي عبر عن فرحته بهذه المدارس<sup>(1)</sup>، وقد جاءت المساحات المبنية كما يلي:

- العمارات الكبيرة 2920 م<sup>2</sup>.

- المخابر 1730 م<sup>2</sup>.

- التوصلات 700 متر.<sup>(2)</sup>

اقتضت ضرورات الزمن والتطور أن تحدث تغيرات كثيرة وترتيبات مختلفة بالنسبة للقاعات والمخابر والمدرجات، وتداولت عليها المدارس حسب الحاجة والضرورة، وحسب أعداد الطلبة أيضاً.

وحتى مدينة الجزائر قد دخلت مطلع القرن العشرين في طور جديد من التوسع وفق مخطط "تريسني"، فمدّت السكة الحديدية إلى غاية المحطة الرئيسية، وكذلك سكك الترامواي، وتمّ توسيع الميناء سنة 1905م، وبدأت العمارات تظهر في شارع آغا في اتجاه ساحة أول ماي، وبذلك أصبحت البناية الجامعة في وسط المدينة تماماً.

وأخيراً، نعود إلى هذه المدارس التحضيرية العليا والتي تمّ إنشاؤها، فإنّها لا تتوفر على خصائص مؤسسات التعليم العالي الفرنسي، ولا تتمتع بالاستقلالية اللازمة وذلك ما عبّر عنه كلٌّ من "بول بارت" والسيناتور "دي روز"، فهي في حاجة لأن تصبح مدارس

(1) صرح السيناتور دي روزي قائلاً بشأن وضعية المدارس التحضيرية وأهدافها: "التعليم العالي في الجزائر يجب أن يستجيب للمقاييس المحلية للأرض، المناخ، الدين، اللغة، والمجتمع، إطار يصعب ملامته في نفس الاتجاه لذلك المتعلق بالمدارس التحضيرية التي تقترح إنشاؤها، بمزيد من المرونة التي لا تحدد بأيّ تقليد، لا يوجد مجال للمقارنة، إنه خلق نوع

جديد نحن مضطرين لخلقه وفق الحاجة الجديدة... أنظر: Paoli: op.cit. P 414.

(2) أنظر الملحق رقم 02.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

---

كاملة الصلاحيات، تتمتع بالاستقلالية وإمكانية منح الشهادات، وهذا ما ستحصل عليه لاحقاً بفضل تطور أساتذتها وأعمالها. وقد حدّد مرسوم 10 جانفي 1880م المكمل بمرسوم 5 جويلية 1880م الأجرة السنوية للأساتذة بـ 5000 فرنك إضافة للهامش الكولونيالي، والأجرة السنوية للمدراء بـ 6000 فرنك.<sup>(1)</sup>

---

<sup>(1)</sup> Paoli: op.cit. P414.

رابعاً: المدارس العليا كاملة الصلاحيات (1879-1909):

نقصد بالمدارس العليا كاملة الصلاحيات، تمتع المدارس العليا في الجزائر بنفس الحقوق التي تتمتع بها المدارس التحضيرية في المتربول، فهي تملك الشخصية المعنوية والاستقلال المالي والإداري، ويمكنها منح مختلف الدرجات العلمية في حدود قانونها الأساسي واستقلالها وتخلصها من وصاية كليات الجامعة الفرنسية.

فكما هو معلوم، فإنّ امتحانات وشهادات المدرسة التحضيرية للطب كانت تحت وصاية كلية الطب والمدرسة العليا للصيدلة في مونبولي، وفق ما نصّ عليه قانون 04 أوت 1857.<sup>(1)</sup> وقد فتحت أبوابها بـ 8 أساتذة مرسمين و 4 مستخلفين، وبدأت دروسها بـ 21 طالب من الجاليات المشكلة للمجتمع الجزائري.

وقد رفع قانون 20 ديسمبر 1879م عدد كراسي التدريس فيها، حيث أصبحت تضم عشرة كراس (علم التشريح، الفيزيولوجيا، علم الأوبئة الداخلي، الخارجي، الطب الشرعي، التوليد، الكيمياء والصيدلة، التاريخ الطبي، المادة الطبية).

وقد رفعها قانون 01 نوفمبر 1889<sup>(2)</sup> إلى مدرسة كاملة الصلاحيات، وأضاف لها 08 مقاعد جديدة، 08 مناصب لأساتذة مستخلفين، ومنصبين لرؤساء الأعمال التطبيقية، و06 مناصب لرؤساء العيادات، و12 منصب لمحضري الأعمال والمقاعد الجديدة هي: (أمراض المناطق الساخنة، أمراض الأطفال، علم التخدير، أمراض العيون، الفيزياء، علم الخلية). واخذ المشفى المدني وقت هذا القانون الففة الجامعية فاصبح يسمى المستشفى الجامعي تقدم فيه الدروس التطبيقية، وبذلك أصبح بإمكان الطب والصيدلة تخريج الأطباء والصيدلة دون اللجوء إلى المتربول للحصول على الشهادات وإتمام الدراسة.

<sup>(1)</sup> Waaldenburg, op.cit. P 139.

<sup>(2)</sup> Paoli: op.cit. P 415.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

و تم تنظيم مدرسة الحقوق التحضيرية بنفس الطريقة المعمول بها في المتربول، بطاقم يتكون من 10 أساتذة في مختلف التخصصات المتعلقة بالحقوق ولعلّ الخصوصية الوحيدة لهذه المدرسة التحضيرية هي امتلاكها لمعددين مكلفين بالتشريع الجزائري والقوانين الخاصة بالجزائر، وبذلك توجهت نحو تلبية الحاجة الملحة المنوطة بها، وهي تكوين مختصين في التشريعات الجزائرية.

و أصبح بإمكانها وفق قانون 09 أكتوبر 1892م، منح شهادة الليسانس في الحقوق، ومجموعة من الأهليات وهي: الأهلية في الحقوق، شهادة الدراسات في التشريع الجزائري، والأهلية في الحقوق الإسلامية والشؤون الأهلية، الشهادة العليا في التشريع الجزائري، كاتب ضبط، كاتب توثيق، وشهادة غريفي المحاكم.

وينبغي هنا التفريق بين التشريع الجزائري والأحوال الشخصية للجزائريين والتي كان ينتدب لها القضاة الإسلاميون من خريجي المدارس الثلاث.<sup>(1)</sup>

و كان نظام التدريس في مدرسة الحقوق، مطابقاً لذلك المعمول به في المتربول، مع اجتياز امتحان نهائي يتضمن مادتان هما الحقوق الإسلامية والتشريع الجزائري، وجزء شفهي يتضمن خمسة أسئلة مركزة حول التاريخ والجغرافيا الجزائرية واللغة العربية.

أمّا بالنسبة لمدرسة العلوم، فقد تكون طاقمها المدرس من 09 مقاعد للتدريس و06 مقاعد لمسؤولي الأعمال التحضيرية بنفس البرامج في المعاهد الفرنسية، لكن دون أنتمنح لها القدرة علي منح شهادة الليسانس في العلوم.

(1) (أبو القاسم) سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1945)، ج3، ص387.

ويعتبر الأستاذ سعد الله أن هذه المدارس كانت في نظر الفرنسيين مدارس تعليم عالي إسلامي، ومؤسسات تعليم ثانوي بالنسبة للفرنسيين، يمكن للمتخرجين منها الالتحاق بالمعاهد العليا، والحصول على الليسانس وممارسة القضاء وغيرها.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

وقد تمّ إدراج مقعد متخصص في هذه المدرسة في جغرافية المناطق الصحراوية، كما تميّزت المدرسة في بداياتها بالطابع النظري للدروس، ثمّ توجّهت تطبيقاتها إلى الطبيعة الخاصة بالجزائر (المناخ، النبات، الحيوان).

و أصبح وفقاً للقرار الوزاري المؤرخ في 31 ديسمبر 1893م، في إمكانها منح دبلومات PCB في الدراسات (الفيزياء، الكيمياء، البيولوجيا)، وشهادات في العلوم الفلاحية التطبيقية والصناعات الزراعية الجزائرية (الزيوت، الخمور)، وكلّ هذا لتسير على الخط المرسوم لها، ولصفة التعليم المنوط بها وهو تطبيقي وخاص، خاص بالبيئة الجزائرية وتطبيقي على عناصرها.<sup>(1)</sup>

وقد عملت هذه المدرسة لتكون في خدمة المعمرين، وقد أنشأت لهذا الغرض مصالح الاستعلام الفلاحي، لتكون في خدمة المزارعين الكولون، لتقدم لهم النصائح اللازمة لتجاوز المعضلات الزراعية التي يواجهونها.<sup>(2)</sup>

وبخصوص مدرسة الآداب، فقد تشكل طاقمها المدرس من 08 مقاعد للتدريس رئيسية في فروع الآداب المختلفة، وثلاثة أساتذة مكلفين بالدروس، وضمت أيضاً أساتذة بإجازات خاصة يقدمون دروس في المسائل المتعلقة باللغة والآداب الشرقية وبذلك فتحت أبوابها أمام الاستشراق واصبحت مركزاً هاماً له.<sup>(3)</sup>

و توجّهت هذه المدرسة نحو العناية بمسائل الآداب واللغات الشرقية واللهجات البربرية والتاريخ القديم لإفريقيا، وكذا التاريخ والفلسفة الإسلامية، وزودت انطلاقاً من الموسم (1905-1906م) بمقعد خاص بالتاريخ والحضارة الإسلامية.<sup>(4)</sup>

(1) Paoli : Op.cit. P P 415-425.

(2) Ibid.

(3) أنظر حول قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والفعالية، منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 1983.

(4) Paoli: op.cit. P 428.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

أضحت هذه المدرسة وفق القرار الوزاري المؤرخ في 23 جويلية 1894م إضافة إلى تحضيرها لليسانس تمنح مجموعة من الأهلّيات (الأهلّية في اللغة العربية والأهلّية في اللغة القبائلية "الأمازيغية"، والأهلّية في اللغات البربرية)، وبإمكانها أيضاً منح دبلوم الدراسات التاريخية.

جاءت مدرسة الآداب مزيجاً بين الدراسات الأدبية والدراسات الشرقية، فهي تهتم بالتاريخ والحضارة الإسلامية، وتهتمّ أيضاً بالآثار والحضارات القديمة المتعاقبة على الجزائر، وتقديمها وفق رؤية استعمارية، فإلى جانب أعمال أساتذتها التي سلطت الضوء على ماضي الرومان والشعوب القارية، فقد وضعت الفتح الإسلامي في صورة الغزو البربري، واعتبرت مراحلها فترة مظلمة في تاريخ الجزائر، أو هو فترة انقطاع الحضارة اللاتينية عن هذه البلاد، وصوّرت الفرنسيين بأنهم ورثة الرومان.

وقد انكبّ المؤرخون وعلماء الآثار والمستشرقون في محاولاتهم التي كانت تصب في مجرى شرعنة الاستعمار، ومحاولة إلغاء الماضي العربي و الإسلامي المجيد للجزائر، وقد أزرهم في هذا الاتجاه علماء اللغة واللسانيات، فككّوا اللغة العربية إلى أقسام، وجعلوا منها لغة عربية فصحي ولغة عربية دارجة، ولهجات عربية محلية.

وإنّ وجود هذه المدارس وتمنّعها بالشخصية العلمية اللازمة قد جاء ليؤطر الأعمال العلمية التي كانت تتمّ بصفة حرّة، ويقوم بها باحثون منتسبون إلى الجمعيات العلمية الناشطة في الجزائر، فالسيد بدير بروجور رئيس الجمعية التاريخية للجزائر وهو من أوّل الناشطين في علم الآثار والتاريخ، ذكر أنّ الفرنسيين قد شرعوا في

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

إدخال نظمهم العلمية والأدبية والفنية منذ 1830م، وقد بدأ بعض العلماء وخاصة علماء الآثار مثل شافي في أبحاثهم منذ سنة 1831م، بإذن من القيادة العسكرية.<sup>(1)</sup>

رُسم خطّ عمل هذه المدارس من خلال العناية بكلّ ما هو محلي، فمدرسة الطب مثلاً، توجهت إلى العناية بطبّ المناطق الساخنة، والأمراض الشمال إفريقية، وتمكنت من إصدار أعمال هامة في مجموعة من الدوريات المتخصصة منها:

- **Alger Médical.**
- **La Gazette Médicale.**
- **Le Bulletin Médical de L'Algérie.**

أما مدرسة العلوم، التي عرفت صعوبات في سنواتها الأولى، فإنها قد سارت على نهج تطبيقي، بطلب من الحكومة العامة، فأجرت تجارياً حسب الحاجة للمشتغلين بالأرض، والمناجم، والثروات الباطنية، فأجرت التجارب على الأرض ومردوديتها وعلى الأسمدة، وعلى نوعية الخمور والزيوت.

وقد كان هذا العمل يتجاوز الإطار النظري لاختصاص العلوم، فالغرض من هذه الأبحاث هو وضع القطار على السكة من أجل إيجاد مؤسسات ومراكز البحث اللازمة في الجزائر من أجل تطوير الاستغلال وهو احدي الاهداف غير المعلنة للمدارس.

وقد قدّم أساتذة هذه المدرسة دراسات حول النباتات الشمال إفريقية، وعلى استخداماتها الطبية وإمكانية استخدامها في استخلاص العطور والتجميل، وكذلك الشأن بالنسبة للثروة الحيوانية والسمكية، وتمّ إنشاء مصالح الاستعلام الفلاحي لمساعدة الفلاحين المعمرين.

<sup>(1)</sup> سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص19.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

ولعلّ من أهمّ الأعمال والمشاريع التي أنجزتها مدرسة العلوم هي رعاية مصلحة الخريطة الجغرافية للجزائر التي أصدرت أول نموذج لها سنة 1882م، وقد أعده مهندس المناجم بيون "Pauyon" تحت رعاية العميد "بومال" ، وتمّ أيضاً تنظيم فريق عمل جيولوجي-جغرافي<sup>(1)</sup> قام بإنجاز أبحاث جيولوجية وتوبوغرافية على جغرافية الجزائر (التلّ، الساحل، الصحراء).<sup>(2)</sup>

وبالنسبة لمدرسة الحقوق، فقد انكبت إضافة إلى دراسة القانون الفرنسي، على دراسة المؤسسات الأهلية والقانون الإسلامي والنظم القبلية، ولعلّ من أهمّ أعمالها:

- إصدار قانون الجزائر سنة 1886م برعاية العميد "روبرت اسطنبو".

- إصدار دورية **Juris Predence algérienne**.

أمّا مدرسة الآداب فقد توجهت نحو دراسة علم الآثار والتاريخ والجغرافيا الإفريقية، وقد لمعت أسماء مثل: ستيفان غزال وله أعمال منها:<sup>(3)</sup>

- التاريخ القديم لشمال إفريقيا.

- الأطلس الأثري للجزائر 1911.

- المعالم القديمة للجزائر.

وكذا لمع إميل مسكوري عميد المدرسة، والمستشرق روني باسي ، وكذلك أنشأ

السيد ألبرت دوموا مدير التعليم العالي الفرنسي بعد تقاعده نشره **Bulletin de connaissance d'Afrique** والتي لقيت رواجاً واسعاً في أوروبا.

(1) Paoli : Op.cit. P-P 415-435.

(2) Ibid. P-P 415-435.

(3) Ibid.

## الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)

عرفت المدارس العليا التحضيرية -من حيث الإقبال- تطوراً متصاعداً في إعداد الطلبة الملتحقين، ففي سنة 1880م وهي السنة الأولى للافتتاح بدأت بـ 30 طالباً في شهر جانفي، ثم عرفت 46 في 15 جويلية 1880، ثم تطوّر العدد إلى 54 طالب في 15 نوفمبر<sup>(1)</sup>. تجاوز عدد الطلاب المائة موسم 1885م، حيث عرفت 103 طالباً في 15 جانفي 1885م، و172 طالب في 15 جانفي 1890م، و280 طالب في 15 جانفي 1905، وأخيراً 1033 طالب في 15 جانفي 1909، وأصبحت مدارس كاملة الصلاحيات في الفترة الممتدة من إنشائها إلى سنة 1909م.

وخلال نفس السنة التي تحولت فيها إلى جامعة، بلغ عدد الطلاب الإجمالي 1605، وهو يمثل عدد مناسب لتحويل هذه المدارس التحضيرية العليا إلى جامعة.

(<sup>1</sup>) حول هذه الإحصائيات أنظر: Mélià: op.cit. P57

**الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962).**

**أولاً: فتح جامعة الجزائر (30 ديسمبر 1909).**

**ثانياً: كليات جامعات الجزائر (1909-1962).**

**ثالثاً: المعاهد الجامعية لجامعة الجزائر (1909-1962).**

**رابعاً: مكانة وأهمية جامعة الجزائر الفرنسية.**

أولاً: فتح جامعة الجزائر (30 ديسمبر 1909):

تُعتبر مسألة إنشاء جامعات فرنسية في المستعمرات عامة، وإنشاء جامعة فرنسية في الجزائر خاصة، مسألة في غاية الأهمية والتعقيد، فهي مسألة سياسية بالدرجة الأولى وقانونية بالدرجة الثانية تتعلق بتنظيم التعليم العالي في فرنسا نفسها.

وإذا كانت المسألة السياسية قد وجدت حلاً في سياسة الإدماج المتبعة من طرف الإدارة الاستعمارية، فإن تنظيم التعليم العالي الفرنسي يتطلب تتبع تطور التعليم العالي الفرنسي، وتتبع تاريخ الجامعات الطويل والمعقد، فقد عرفت الجامعات الفرنسية الكثير من التغيرات في فترات مختلفة من التاريخ قبل أن تبلغ شكلها الحالي، فرضتها التطورات السياسية، منذ ما قبل الثورة الفرنسية 1789م، إلى غاية الحرب العالمية الأولى.

فقد عرفت فرنسا في القرن السابع عشر، جامعات مزدهرة، وهي مؤسسات محلية، بشخصية مستقلة وامتيازات هامة، فقد كانت نخوية طبقية تمنح الدرجات العلمية الشرفية التي تمكن النبلاء من تقلد المسؤوليات والمناصب العليا للدولة، سواء كانت مدنية أو دينية أو اجتماعية، وكانت حكراً على الطبقة العليا من المجتمع.

وخلال الثورة الفرنسية صدر المرسوم المعروف بمرسوم اتفاقية 15 سبتمبر 1793م، الذي ألغى الجامعات، وخلق ما يسمى بالمدارس العليا الكبرى المتخصصة من أجل تكوين إطارات الأمة الفرنسية، مثل المدرسة المركزية للأشغال العمومية (لاحقاً المدرسة المتعددة التقنيات) وكنسرفتوار الفنون والحرف ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة الفنون الجميلة ومعظم هذا المؤسسات لا تزال إلى اليوم.

و تم في 10 ماي 1806م، خلق الجامعة الإمبراطورية من طرف نابليون الأول والتي يرأسها مجلس علمي جامعي، وهي جامعة دولة، تؤدي دور متروبول التعليم

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

العالي، وتجمع في كنفها كل مؤسسات التعليم وكل الأساتذة الجامعيين هم أعضاء فيها بالضرورة، وفي المدن أنشئت الأكاديميات يديرها عمداء لتنظيم التعليم، وأيضا توجد الكليات الجهوية والتي تدار عن طريق السلطة المركزية للجامعة التي تعين عمدائها.

و صدر في 15 مارس 1850 قانون "فالوا" الذي ألغى الجامعة الإمبراطورية التي أصبحت الجامعة الفرنسية، وقد أقر هذا القانون حرية التعليم في مختلف مراحلها وأنشأ أكاديمية في كل مقاطعة.

و قسمت فرنسا في 1854م، إلى 16 مقاطعة أكاديمية، وانطلاقا من هذه السنة تلاشت الجامعة كجسم تنظيمي، وعوضت بكليات يرأسها عمداء من غير العلماء ولكن من رجال السلطة.

ونظرا لهذا الفراغ عادت مسألة التعليم العالي إلى النقاش، وأنشئت سنة 1878م جمعية دراسة قضايا التعليم العالي<sup>(1)</sup>.

و صدر في 1885 مرسوم 28 ديسمبر 1886م، وهو بمثابة قانون أساسي مؤقت للجامعات، قبل إعادة الاعتراف بها سنة 1896، وأصبحت الجامعات تسير من طرف عمداء يعينون لمدة 3 سنوات من طرف وزير التعليم ويختارون من الأساتذة المرسمين، وخلال هذه المرحلة أصبحت فرنسا تحوي على 15 جامعة منها جامعة كيان، ثم أصبحت جامعة الجزائر بعد إنشائها تعد من الجامعات الفرنسية وأصبح عددها سنة 1914م ستة عشر جامعة<sup>2</sup>.

وبالنسبة للمدارس التحضيرية العليا في الجزائر فقد تعرضت إلى انتقادات شديدة قبل أن تتحول إلى جامعة.

(<sup>1</sup>) Voir : Société d'étude des questions d'enseignement supérieur, constitution de la société- paris. Paris, la librairie hachette et Co, 1878.

(<sup>2</sup>) Les universités et les écoles Française, op.cit.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وفي إطار الاستقلال المالي للجزائر، تعالت أصوات بعدم جدواها، أو جدوي عملها، أو تحويل مسارها إلى التعليم المهني، وتم اختلاق حجج كثيرة تمثلت في طرق التمويل وافتقادها للإطار القانوني الفرنسي العام وبالتالي انتقاد نوعية التعليم بها وحتى الشهادات التي كانت تقدمها.

ويبدو - بادئ ذي بدء- أن هذا الجدل كان مهددا لمستقبل المدارس العليا، فقد كثرت الحديث عنها، لكنه في النهاية عجل بتحويلها إلى جامعة، ويعود الفضل في هذا إلى جهود شخصيات علمية وأكاديمية وأخرى سياسية.

كان السيد "ألبير دي موا" و خليفته "باييه"<sup>(1)</sup> من الشخصيات المدافعة عن مستقبل المدارس وكذلك عميد أكاديمية باريس السيد "لويس ليارد" وقد زار هؤلاء المدارس العليا في الجزائر، وأعجبوا بأدائها في الفترة الممتدة بين 1883م و1897م.

لكن المدارس العليا في الجزائر عرفت أزمة حقيقية في الفترة بين (1900-1903) نتجت عن انتقادات لاذعة من طرف شخصيات سياسية، فالبعض منهم كان يريد لهذه المدارس أن تكون جزائرية محلية، تقدم تعليما مهنيا وتطبيقيا حسب الحاجة فقط وفريق آخر يريد لها أن تأخذ الطابع الفرنسي العام وتخضع للقوانين التنظيمية التي تخضع لها نظيراتها الفرنسية، فعليها أن تبقى مراكز لنشر الثقافة وتتلاءم مع طبيعة البلاد المنشأة فيها، بمعنى أن يأخذ التعليم العالي في الجزائر شكله الفرنسي العام وطابعه الجزائري الخاص.

(1) شغل كل من السيد ألبير ديموا والسيد باييه منصب مدير التعليم العالي في فرنسا وتابع كل منهما عمل المدارس، فقد أنشأ السيد ألبير ديموا بعد تقاعده النشرة الإفريقية لنشر أعمال مدرسة الآداب في الجزائر، وكان من بين أنصار ترقية المدارس العليا في الجزائر إلى جامعة ودافع عند مدرسة الآداب (Paoli): Op.Cit. P417.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

إن هذا الجدل الدائر حينذاك، له ما يفسره من الناحية السياسية فقد تزامن مع أحداث مطلع القرن العشرين<sup>(1)</sup>، وكذلك مع الاستقلال المالي للجزائر، فأخذ مستقبل المدارس العليا نصيبه من الانشغال السياسي، وجسّ النبض بين المعمرين أنصار الاستقلال المالي والراغبين في توسيعه إلى مجالات أخرى، وممثلي السلطة المركزية، فهو صراع إذن بين الجزائر والفرنسة، جزارة المعمرين وتمثل رغبة هؤلاء في المزيد من الاستقلالية، وفرنسة ممثلي السلطة الفرنسية فتتمثل في إبداء تمسكهم بفرنسية الجزائر وبالتالي ارتباط كل مؤسساتها بالطابع الفرنسي بشكل مباشر.

وأما الجزائريون فلم يكونوا طرفا في هذا الجدل القائم نتيجة وضعهم السياسي كأهالي، ووقوعهم تحت القبضة الحديدية للقوانين الجائرة، وقد كانوا منشغلين في أحسن الأحوال بالحد الأدنى من المطالب.

وإذا نظرنا إلى الموقف المندفع من داخل المدارس، فنجد أن الصمت هو المهيمن على عمل الأساتذة والباحثين، وإنما تركوا الإثبات للنتائج، وانكبوا لإثبات الخط الذي رسمه وزير التعليم "برثيلوا" الذي قال يوم 13 أفريل 1887 أثناء تدشينه مقر المدارس<sup>(2)</sup> "أثبتوا جدارتكم أيها السادة، وسترفعكم الحكومة إلى مصاف نظرائكم في فرنسا".

ومن جهة أخرى، فإن الرأي العام الفرنسي لم يكن يؤمن بوجود تعليم عالٍ في الضفة الأخرى للمتوسط، و كل الأصوات الآتية منه كانت تتحدث عن الرصيد الفارغ للمدارس، فمثلا كتب نائب من مدينة ليون: "الجزائريون يريدون أيضاً كلياتهم، لقد قدمنا لهم المدارس، ما هي النتائج؟ لا أتوانى في القول: لا شيء. المدارس تصحّرت

(1) أحداث عرفتها مدينة الجزائر 1900 بين المعمرين و اليهود.

(2) Paoli, Op.cit. P 418.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

والأساتذة يقدمون خدمة لبعضهم بالحضور المتبادل للدروس، لكي لا يقال بالرصيد الفارغ<sup>(1)</sup>.

وقد ذهب نائب يساري إلى أبعد من هذا، حيث طالب بغلق هذه المدارس بحجة خلقها لعقالية جزائرية خطيرة في محاولة منه لتحميلها مسؤولية أحداث 1900 المعادية لليهود.

هذه الآراء المتفرقة ضد عمل المدارس، ترجمتها بعض الممارسات المتطرفة من المسؤولين والسلطات، فقد عمد مراقب المالية إلى تقليص ميزانية المدارس سنة 1902م<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن مسألة تقليص ميزانية المدارس لها علاقة مباشرة بالمجلس الجديد للمندوبيات المالية، الذي عرف خلال 1902 تقلص الموارد، بسبب انخفاض أسعار الخمور من 18 فرنك للهكتولتر إلى 3 فرنكات فقط، وهي من الموارد الرئيسية لمدينة الجزائر، وقد انعكس ذلك على ميزانية المدارس التي لم يعد لها دور حسب المندوبيات المالية.

ويبدو أيضا أن المبررات السياسية لوجود المدارس ظلت قائمة، وذلك ما تعكسه أرقام الاستقطاب في كل المدارس، فبمدرسة الطب والصيدلة ارتفع عدد الطلاب فيها من 71 طالب سنة 1886 إلى 113 طالب سنة 1909م.

وعرفت أيضا مدرسة الحقوق إقبالا واسعا، فقد ارتفع عدد الطلاب فيها من 71 سنة 1882 إلى 328 طالب سنة 1901م، وكذلك مدرسة الآداب فقد ارتفع عدد الطلاب فيها من 90 سنة 1895 إلى 320 سنة 1904م.

(1) L'université d'Alger, Cinquantenaire, Op.cit. P 40.

(2) L'université d'Alger, Cinquantenaire, Op.cit. P 42.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

ومن جهة أخرى فإن مسألة خلق عقلية جزائرية خطيرة، التي تحدث عنها النائب اليساري، لم تكن حقيقية، فالأرقام المتعلقة بفئة الجزائريين الأهالي في المدارس العليا أو التعليم العالي ظلت عموماً ضعيفة، فعدد الدارسين في الثانويات الفرنسية لم يتجاوز 180 طالبا سنة 1910م، غالبا ما يختارون إحدى الجامعات الفرنسية بعد النجاح في البكالوريا، وتشير الإحصائيات إلى حصول 29 طالب منهم فقط على البكالوريا قبل 1910<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن العقلية الجزائرية المقصودة من طرف النائب اليساري، لا تتعلق بالأهالي وإنما تتعلق بالمعمرين الفرنسيين أنفسهم الذين وبعد أحداث 1900 بدأت السلطات المركزية ترتاب من سلوكياتهم والتي أصبحت تعكس قلة ولائهم للمتروبول.

والدارس لأرقام المنتسبين إلى المدارس التحضيرية العليا في الجزائر، يلاحظ بسهولة مكانة هذه الأخيرة، لوقورنت بالمجموعات الجامعية في فرنسا نفسها<sup>(2)</sup>، فحسب السيد "لويس باولي" فإن هذه الأرقام لا تضاهيها إلا أرقام معاهد جامعة باريس وبالتالي بإمكانها الدفاع عن مستقبل هذه المدارس الذي سيكون تحولها إلى جامعة<sup>(3)</sup>.

وفي تقريره أيضا فنّد "لويس باولي" اتهامات السيد النائب "لافان" السابقة الذكر، كما دافع عن مسألة الحضور المتبادل للأساتذة بأنه سلوك جامعي معروف، أما مسألة الإقبال على تخصصات دون غيرها، مثل الطب والحقوق فهي مسألة سلوك فردي جامعي عام لا ينطبق فقط على المدارس في الجزائر، فكل الطلاب يبحثون عن تخصص يمكنهم من مزاوله مهنة مستقبلية حرة.

(<sup>1</sup>) برفيبي(غي):النخبة الجزائرية الفرنكفونية (1880-1962) ترجمة محمد حاج مسعود وآخرون، الجزائر، دار القصبية 2007 ص47.

(<sup>2</sup>) كانت أعداد الطلبة في الجامعات الفرنسية كلها أقل من عدد طلبة مدارسالجزائر في تلك الفترة ، حيث ضمت 565 ، جامعة كان 484 طالب بجامعة دييجوي، 464طالببجامعة غرونوبل، 163 طالب بجامعة كلرمون فرون.أنظر

:Mélia,op- cit P65.

(<sup>3</sup>) Paoli: Op.cit. P427.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

ولعل أهم المسائل التي عجلت بتقرير مصير المدارس هي مسألة التمويل، فقد أصبح تمويل المدارس العليا يخضع وفق قانون 15 ديسمبر 1900 إلى مصادقة النواب المالية، وفي هذا الظرف ظهرت الآراء المتطرفة المناهية بغلق المدارس أو توجيه عملها إلى التكوين الزراعي والصناعي.

و تم -في ظل هذا الجدل- إيفاد لجنة تحقيق برلمانية برئاسة السيد "بوركري بواسوني" لمتابعة عمل المدارس، وتم أيضا تسطير برنامج تقييمي لعملها في جلسة 11 جوان 1902م، وتشكيل لجنة مكلفة بمتابعة عمل المدارس، وهي مكلفة أيضا باقتراح الإصلاحات الضرورية لتحقيق التوجه الزراعي والصناعي لها، وكذلك إلغاء الفروع التي لا تخدم الجزائر وتلك التي ليس لها علاقة بها.

هذه اللجنة لم تنته أعمالها إلا سنة 1904م، وختمت أعمالها بتقرير لم يناقش، وبقي على شكل وثيقة تتضمن ملاحظات رسمية في أعمال النواب المالية، لكن السيد "باولي" الذي يبدو أنه اطلع على التقرير، ذكر بأنه مما جاء فيه اقتراح ترقية المدارس ودمجها في جامعة، ولعل ذلك هو السبب الرئيسي لعدم مناقشة تقرير اللجنة الذي جاء مخالفا لتوقعات المندوبيات المالية<sup>(1)</sup>.

وحسب هذه الملاحظة أيضا، يبدو أن السلطات لم تكن مقتنعة أيضا بفكرة إنشاء جامعة في الجزائر في تلك الظروف، بسبب القوة المتنامية للكولون وتفكيرهم بالاستقلال بالمستعمرة.

عادت مسألة المدارس العليا من جديد في اجتماع مارس 1905 في المندوبيات المالية، وأثناء طرح السيد "جولي" المكلف بالميزانية لعريضة في جلسة 23 مارس 1905م، أجاب على بعض الانشغالات المتعلقة بمستقبل المدارس، فقد عاد إلى

(<sup>1</sup>) Paoli : Op.cit. P 427.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

الاستشهاد بتقارير، "بورديو"، و"بول بارت" و"ديروزي"، ومقالات السيد "ستيفان غزال" في جريدة لي نوفال، في أعدادها لأيام 5،6،7 نوفمبر 1903.

وانتهى مندوب المالية بخلاصة طلب إرسال موظف كبير من الوزارة يعالج مسألة إمكانية تطوير المدارس حسب رغبة المندوبيات، وكذا معالجة الشروط الممكنة التي من خلالها يمكن دمج المدارس، بخلق جامعة محلية بميزانية خاصة، بمعنى التزود بالقرار اللازم الذي لا تملك السلطات الجزائرية اتخاذه دون الرجوع إلى المتروبول<sup>(1)</sup>.

ومن جهة أخرى، فإن السيد "جولي" كان قد رفع عريضة نوقشت على مستوى الوزارة يوم 21 مارس 1905م، ضمنها تنبيه لفكرة السيد "ماسي" حول ميزانية التعليم العالي في فرنسا، الذي شجع إمكانية خلق جامعات محلية أو جهوية بناء على إمكانيات مالية محلية، وأبدى رغبته أن يتحقق ذلك بالنسبة لمدارس الجزائر، وطالب بإيفاد مبعوث وزاري لمعالجة القضية.

أما السيد "جون مار" عميد الأكاديمية، فرغم دفاعه عن المدارس بوضعها التي كانت عليه، فإنه أبدى رغبته في أن تتحول إلى جامعة طالما أن أعمالها علمية، وتشهد إقبالا كبيرا، وذلك في خطابه أمام المجلس في مارس 1905م، وقد دافع أيضا على إطارات المدرسة، واستند إلى التقارير السنوية لمدراء المدارس، مثل "كوكسي" مدير مدرسة الطب، و"بومال" مدير مدرسة العلوم، والسيد "ماسكوراي" مدير مدرسة الآداب<sup>(2)</sup>.

(1) Paoli : Op.cit. P 224

(2) Méliá: op.cit. P68.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

و قد اقترح على أعضاء المجلس طلب دراسة الموضوع مع مدير التعليم العالي نفسه، ومع الوزير المنتظر حضورهما لمؤتمر جمعية العلماء<sup>(1)</sup>، حيث يتراأس الوزير الجلسة العامة، واقترح الحاكم العام شارل جونار ليقوم بهذه المهمة.

تمثل دفاع عميد الأكاديمية عن المدارس التحضيرية، بكونها تحضر الشهادات مثلها مثل الجامعات الفرنسية دون أن تمنحها، كما تحدث عن الإقبال الواسع الذي أصبحت تعرفه، واستدل بمعطيات ميدانية، والخدمات التي تقدمها للزراعة والصناعة ومصالح الأنفاق والجسور، حيث يتابع دروسها، إشارات عاملة بهذه المصالح.

ولعل خير من دافع عن هذه المدارس هو " شاربونو" وهو أستاذ بمدرسة الحقوق، حيث كتب في تقريره حول السنة الدراسية 1886-1887 ما يلي<sup>(2)</sup> "إذا كانت الأرض الجزائرية في حاجة إلى معمرين يستغلونها ويثمنونها، فإن المجال العلمي يتطلب بدوره أعمالا تحت على الاكتشاف، تستخدم المادة المتاحة وتبني بنيانا يختلف عن كل الأنماط، هؤلاء العقول المستوطنة لهم أيضا ما يشتغلون وما يثمنون... توجد أعمال للإنجاز... مناهج للتطبيق... أهداف للتحقيق... هناك دراسات خاصة... مصالح خاصة، نتائج فريدة من نوعها... الحقوق تجد في القوانين الأهلية الخاصة وفي التقاليد الأهلية مادة تستحق الدراسة، إنه منجم حقيقي غير مستغل...حقا إنها ثروة حقيقية نادرة، الطب مدعو لملاحظة حالات مجهولة في أوربا، العلوم وجدت نفسها أمام مجالات جديدة، والآداب أيضا وجدت خصوصية الفنون الإفريقية، ووجدت في المعالم المبهمة الرومانية... إن مدارس الجزائر تستمر في مهمة الشرف والثقة...".

(1) انعقد المؤتمر الرابع عشر للمتشرقين والعلماء في الجزائر سنة 1905، تحت إشراف الحاكم العام شارل جونار ورعاية المدرسة العليا التحضيرية للآداب. حول أعمال هذا المؤتمر أنظر. *la revue Africaine*, N° 57.

(2) Mélià, op.cit. PP 61-62.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وكل هذه الأعمال حسب "جون مار" تستجيب لرغبة المندوبيات المالية، حتى دروس علم الفلك يهتم لها الضباط العاملین بالصحراء لحاجتهم لتحديد الأماكن بالطرق الفلكية، وقد افاد أيضا -بطبيعة الحال- قسم الآداب خاصة أعمال المستشرق "روني باسيه" و"ستيفان غزال"، وأعمال أساتذة الجغرافيا والجيولوجيا المكفون بإعداد بطاقة علمية حول الصحراء.

كما تطرق "جون مار" في سياق دفاعه عن المدارس إلى المهمة المنوطة بهذه المدارس، وهي الدراسة العلمية لكل ما يتعلق بشمال إفريقيا، فقال: "هناك شيء يجب معرفته جيدا، الجزائر ليست مكلفة بالاكتفاء الذاتي فقط، إنها في هذا الوقت مركز للدراسات المتعلقة بشمال إفريقيا، وإنها مكلفة بتحضير وإنتاج وتقديم علماء قادرين على دراسة كل المسائل العلمية المطروحة في هذا البلد، ليس فقط في الجزائر ولكن في الصحراء الكبرى وتونس والمغرب"<sup>(1)</sup>.

وقد استغل السيد "جون مار" مداخلة المندوب المالي لعمالة قسنطينة السيد "فيرولا" الذي تساءل عن نقاط اختلاف مدارس الجزائر عن الجامعات الفرنسية، ليؤكد على حاجة هذه المدارس لتكون وظيفية أن تتحول إلى جامعة، فهي أحسن طريقة يمكن أن تجعل مستقبلها بين يديها<sup>(2)</sup>.

وقد كان لهذه المناقشات على مستوى النيابة المالية، وكذلك المناقشات التي تدور حول مصير التعليم العالي في الجزائر، بليغ الأثر على مستقبل المدارس التحضيرية العليا، والتي كما رأينا ورغم نشاطها ونتائجها، إلا أنها كانت شبه مشلولة من الناحية

(<sup>1</sup>) Paoli : Op.cit. P431.

(<sup>2</sup>) أجاب جون مار السيد فيرولا قائلا: للإجابة على السيد فيرولا يجب أن أوضح بأن الوضعية الخاصة لمدارس الجزائر تجعلنا لا نستطيع مقارنتها بمعاهد فرنسا، إن هذه المدارس ليست جامعة، وليس لها ميزانية ولا قدرة مالية، مثل ما هي عليه الجامعات الفرنسية، إن أحسن طريقة لجعلها وظيفية هي تحويلها إلى جامعة. أنظر: Paoli: op.cit. P431.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

التنظيمية والبنوية والمالية، ولا تقدم حسب المستوطنين الخدمة المطلوبة والمتمثلة في توجيهها نحو تطوير النشاط الزراعي والصناعي، من أجل تكوين ممارسين أكفاء<sup>(1)</sup>.

وقد أصبحت الجزائر تطلب منظومة متكاملة، خاصة وأن الجامعات أصبحت المنظومات الأساسية في الحياة الثقافية المعاصرة في كل أنحاء العالم.

و أضحت لذلك الضرورة ملحة لتغيير تلك الوضعية، التي كانت عليها المدارس العليا في الجزائر، وفي هذا السياق جاء في تقرير باولي. "بهذا النظام لا يمكن لأي مركز جامعي أن يستمر حتى في فرنسا نفسها حتى وإن كان كبيرا".

ويبدو أن النيابات المالية ظلت متشبثة بموقفها من المدارس، لذلك فإن السيد مقرر المالية بالنسبة للتعليم في اجتماع المندوبيات يوم 11 جوان 1901، أقر بإمكانية التمويل عن طريق المنح للطلبة الراغبين في مواصلة دراستهم في فرنسا، وبذلك يتضح أن معارضة النيابات المالية للمدارس هي معارضة سياسية وليس إشكالية تمويل، وعبر عن عدم استعداده لرمي الأموال من النواذ في إشارة إلى عدم جدوى المدارس. والحقيقة أن ميزانية المدارس لم تكن تتعدى 600.000 فرنك.

وبدأت الكثير من المؤشرات تسير في اتجاه دمج المدارس التحضيرية العليا في جامعة، فعرض المندوبيات المالية "هنري بوشي" Henri bouché في تقريره سنة 1904، وكذلك تقرير "جولي" صاحب الميزانية لسنة 1906، ودفاع السيد "جون مار" كلها تصب في اتجاه تحويل المدارس إلى جامعة مستقلة بمالها، ولكن السؤال الجوهرى المطروح حينذاك هو: ما الذي يجب فعله لدمج هذه المدارس في جامعة؟.

لإيجاد حل لهذا السؤال كان يجب انتظار ما يمكن أن يسفر عنه مؤتمر جمعية العلماء المنعقد في الجزائر في ماي 1905م، وقد جاءت الإجابة على لسان وزير التعليم

(<sup>1</sup>)Paoli: op.cit. P431.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

بيانفوني مارتن (Bienvenu martin) الذي قال<sup>(1)</sup> "المدارس العليا في الجزائر ينبغي أن تبقى صرحا للثقافة العالية، ولكن ينبغي أن تتلاءم شيئا فشيئا مع احتياجات البلد الموجودة فيه، يجب أن يأخذ التعليم العالي في الجزائر شكلا خاصا يتعاون مع كل ما يخدم توسع وثراء البلاد".

وإضافة إلى تصريحه هذا، فقد كلف الوزير اثنين من أعضاء الجمعية الفرنسية بإجراء تحقيق حول المدارس العليا، خلصا معا إلى إنشاء جامعة في الجزائر.

وبذلك تكون السلطات العليا في فرنسا، قد قطعت الطريق أمام كل التحركات التي كان يقوم بها الكولون وبعض المتعصبين من أعضاء المندوبيات المالية من أجل غلق هذه المدارس طيلة الفترة (1900-1905)، أو غلق بعض التخصصات غير المفيدة والذين اقتنعوا أخيرا بفكرة إنشاء جامعة شمال إفريقية<sup>(2)</sup>.

و راسل في 27 جويلية 1905 وزير التعليم الحاكم العام في الجزائر "جونار" حول مشروع تجميع المدارس العليا في الجزائر في جامعة، وبالتالي يمكنها أن تحصل على الشخصية العلمية اللازمة، مثلها مثل الجامعات في المتروبول<sup>(3)</sup>.

هذه المراسلة تهدف إلى معرفة رأي الحاكم العام للجزائر، ذلك أن لهذا التحويل المنشود أثر مالي، وهذا ما يمكنه أن يثير سخط المندوبيات المالية للجزائر.

لكن هذه النتائج التي تؤكد اقتناع الحكومة بضرورة تحويل المدارس العليا إلى جامعة تصطدم مع القوانين المؤسسة للجامعات في فرنسا، والتي لا تمكن المدارس التحضيرية من لقب جامعة.

<sup>(1)</sup>Paoli : Op.cit. P424.

<sup>(2)</sup> Mélia : Op.cit. P83.

<sup>(3)</sup> Ibid. : P89.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

والأكاديميات الفرنسية تحولت إلى جامعات جهوية بفضل قانون 10 جويلية 1896، وقبل ذلك تعرضت لسلسلة من التحولات الإدارية والتنظيمية التي شكلت قاعدة لتكوين جامعات مستقلة.

وقد بدأت فكرة تحويل المعاهد الفرنسية إلى جامعات جهوية في مشروع "وادينغو" 1876م، وتجددت في عهد "جول فيري" الذي فتح تحقيقا واسعا في المعاهد والكليات لمعرفة رأيها حول تحويلها إلى جامعات، وقد وافقت لكن الحكومة رفضت المشروع وفق قانون (25 جويلية 1883م).

استمرت مسألة اللامركزية الجامعية في فرنسا والتي تتفق مع إنشاء جامعات مستقلة بشخصيتها المعنوية، إذ شكلت هذه المسألة موضوع قانون 23 جويلية 1885م الذي يمنح الشخصية المدنية للكليات، وقانون 28 ديسمبر 1889م الذي ينشئ المجلس العام للكليات، فهذه القوانين تعتبر الممهدة والمنشئة للجامعات الفرنسية.

وقد منح قانون المالية 17 جويلية 1889م في المادة 51 منه الميزانيات للكليات وقرر بأن الأرصدة المفتوحة لوزارة التعليم تزود هذه الكليات بالتجهيزات اللازمة، و أدخل في سنة 1893م السيد "شارل ديبي" تعديلا على قانون المالية محصلته: "الجسم المشكل من اتحاد من الكليات من نفس اللون الأكاديمي يحمل الشخصية المدنية، ويمثل من طرف المجلس العام للكليات ويوضع الجزء المتعلق بخزينته وبميزانيته ومحاسبته في السجل المحدد في القانون الإداري العام".

ورغم حل مشكلة التمويل، فإن الأجسام الموجودة هي جامعات بدون اسم حسب السيد "فيني دوكتون" الذي دعا لإحياء مشروع الجامعات الجهوية، واقترح مشروعاً ناقشته الحكومة في 1890، وعرضه على السينا والغرفة البرلمانية، وشكل نواة لقانون 10 جويلية 1896 والذي تتلخص المادة الأولى منه وهي الأهم فيما يلي:

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

"مجموع الكليات المكونة في قانون 28 أبريل 1893 تأخذ اسم جامعات".

والأهم من ذلك أن المدارس العليا في الجزائر لا تحمل اسم كليات وبالتالي لا تنطبق عليها القوانين الفرنسية مباشرة.

ومن جهة أخرى فقد أصبح لمشروع الجامعة في الجزائر أنصار أكثر، منهم وزير التعليم الذي صرح في مداخلة الختامية في مؤتمر العلماء والمستشرقين يوم 27 أبريل 1805 موافقته على المشروع، وأرسل سنة 1906 مبعوثان عنه للتحقيق في مستقبل المدارس وهما السيدان "بوشار" و "مواسان"، اللذان أبديا إعجابهما بالمدارس ورغبتها في أن تتحول إلى جسم جامعي<sup>(1)</sup>.

ومن أهم أنصار تحويل المدارس إلى جامعة نجد السيد الحاكم العام "جونار" وكذلك مدير التعليم العالي بالوزارة، وقد بادر "جونار" بوضع هذا المشروع على طاولة المندوبيات المالية سنة 1906م، وذلك أن جونار كان يحلم بجامعة في إفريقيا الفرنسية، وذلك ما عبر عنه اجتماع المندوبيات المالية يوم 11 مارس 1907.

وقد كان بإمكان "جونار" بفضل منصبه كحاكم عام، الدفاع عن المشروع ودحض كل أشكال التعقيد التي أبداها البعض من أعضاء المندوبيات وكذلك البعض من أعضاء مجلس الولاية العامة، مثل اعتراض السيد "جولي" الذي اقترح الإبقاء على المدارس على حالها وإنشاء معاهد تطبيقية تخدم الأهداف التالية: الإسكان الصناعة والإدارة<sup>(2)</sup>.

و حول المشكلة القانونية، والتي كانت تبدو حاجزا أمام تحويل هذه المدارس إلى جامعة، اقترح باولي في تقريره 1906 إضافة عبارة "والمدارس العليا في الجزائر" لنص المادة الأولى من قانون 10 جويلية 1896، وبذلك لا يتغير شيء سوى النظام المالي

(1) Voir : l'extrait de du rapport sur (Mélia jean) Op.cit. PP92-93.

(2) Méliá OP.CIT. P96.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

باعتبار الاستقلالية المالية الموجودة في الجزائر، وقد اقترح وزير التعليم إضافة مادة إلى قانون المالية لسنة 1908 الخاص بالمندوبيات المالية يتعلق بدمج المدارس في جامعة.

ومن جهة أخرى يبدو أن المسألة ليست مالية فقط وقانونية، ولذلك قرر وزير التعليم إرسال لجنة تحقيق إلى المدارس للوقوف على وضعية التعليم العالي، تشكلت هذه اللجنة الهامة من السيد "بودنو"، ونائب برلماني وهو "شيالي" وأربعة أعضاء من اللجنة المراقبة للتعليم العالي، وهم السيد ليارد (liard) نائب عميد أكاديمية باريس والسيد "بايت" مدير التعليم العالي، والسيد "أبل" عميد كلية العلوم بباريس والسيد "بارثيلي" أستاذ بقسم الحقوق بباريس، وقد وصلت هذه اللجنة إلى الجزائر سنة 1908<sup>(1)</sup>.

وقد حاول السيد "جولي" عضو المندوبيات المالية التأكيد على الطابع التطبيقي والوظيفي للجامعة المزمع إنشاؤها في شمال إفريقيا، والتي يجب أن تستجيب للحاجات الملحة وقد جاء تقرير هذه اللجنة إيجابيا وفي صالح الجامعة.

وفي هذه الظروف وضعت الحكومة على طاولة الغرفة البرلمانية يوم 11 ماي 1909م مشروع إنشاء جامعة من اتحاد المدارس العليا في الجزائر.

وقد جاء في عرض الأسباب لهذا المشروع أن الهدف من المشروع هو منح التعليم العالي في الجزائر تنظيما قويا ومرنا، والذي يرتبط بأهداف المستعمرة.

وإنه من السهل النظر إلى أعمال أساتذة المدارس لمعرفة علاقتها بالمستعمرة كالأعمال حول: الحقوق الإسلامية، والعادات الأهلية، التشريعات الجزائرية، أمراض المناطق الساخنة، الكيمياء التطبيقية، حول الصناعات الزراعية، جغرافية الصحراء المناخ الجزائري، الفلسفة الإسلامية، جغرافية إفريقيا وتاريخ إفريقيا، الحضارة

(1) Méliá: Op.cit. P98.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

الإسلامية، اللغة والآداب العربية، اللهجات البربرية. وهذه الدراسات ليس لها فقط الطابع النظري ولكنها تركز على الملاحظة الميدانية وبفضل هذه المدارس أصبحت كل هذه الأشياء معروفة عن شمال إفريقيا، وكلها في خدمة المستعمرة.

وعالجت لجنة برلمانية عين فيها السيد "شيالي" مقررا مشروع الجامعة، وقد وضع تقريره يوم 24 جوان 1909 أمام الغرفة جاء فيه أن احتياجات الجزائر من هذا المشروع تتلخص في أمرين:

**الأول:** أن تقدم للمعمرين المعارف التقنية اللازمة للاستغلال في حياتهم اليومية وفي مشاريعهم الاقتصادية.

**الثاني:** تكوين جزء من السكان المتوجهين إما إلى الأعمال الحرة أو إلى الإدارة بالتكوين الضروري لمزاولة مهنتهم.

والأهم من ذلك هو معرفة أهمية مشروع الجامعة في تطوير فرنسية الجزائر على حساب جزارتها، وقد هون السيد "شيالي" من خطورة هذه المسألة مستدلا بالنموذج البرلماني، حيث أنشأت بريطانيا جامعات في مستعمراتها دون أن يكون لذلك خطورة تذكر.

وفي هذه الظروف أيضا تم المصادقة على مشروع الجامعة في الغرفة البرلمانية يوم 05 جويلية 1909.

وقد جاء في المادة الأولى مشروع القانون: المدارس العليا التحضيرية في الجزائر يمكن اعتبارها جامعة<sup>1</sup>

ولكن فصلا من هذا القانون تحفظ على دمجها مع الجامعة الفرنسية جاء فيه " سيكون خطأ جسيما دمج بصفة نهائية جامعة الجزائر مع الجامعات الفرنسية في الشق

<sup>1</sup> Méliá: Op.cit. P98

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

التنظيمي، في مصلحتها الخاصة ومصلحة الجزائر، إنها مختلفة تماما، المدارس لم تصبح كليات ولا تقدم الدرجات العلمية...<sup>(1)</sup>

إن الدارس لهذا الفصل من القانون يلاحظ بعض التحفظ حول افتقار المدارس لصفة الكليات، وهذا ما يتعارض مع القانون المتروبوليتاني المنشئ للجامعات الجهوية في فرنسا.

ولهذا جاء رد اللجنة البرلمانية المكلفة بالتصديق مع القانون على لسان السيد "شيالي" في 4 جوان 1909م "المدارس العليا في الجزائر تأخذ لقب كليات وتشكل جامعة"<sup>(2)</sup>.

تُمكن ملاحظة غرفة النواب من الملائمة على قانون 10 جويلية 1896، وبذلك تم التصويت على المشروع يوم 05 جويلية في الغرفة البرلمانية، ورفع المشروع إلى مجلس السينا الذي قررت لجنة منه برئاسة "بيانفوني مارتن" قبول التصديق على المشروع يوم 30 ديسمبر 1909م.

يعتبر مشروع إنشاء جامعة فرنسية في الجزائر الثاني من نوعه بعد إنشاء جامعة هانوي 1907 في الهند الصينية. ومن اهم الخصائص التي حملها قانون 30 ديسمبر 1909 نجد:

**المادة الأولى** منه: المدارس العليا في الجزائر تأخذ لقب كليات وتتأسس جامعة والمجلس العام للمدارس، يتأسس مجلسا للجامعة، وهو المجلس الأكاديمي المخول لمعالجة المسائل التنظيمية والانضباطية المتعلقة بالتعليم العالي العام.

وهذا القانون يختلف عن القوانين التي تنظم التعليم العالي الفرنسي فيمايلي:

<sup>(1)</sup> L'université d'Alger, cinquantenaire, ob-cit P43.

<sup>(2)</sup> L'université d'Alger, cinquantenaire, ob-cit P43.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

المادة الثانية: كليات جامعة الجزائر لا تملك الصفة المدنية ولا الاستقلال المالي ولا تملك ميزانية خاصة" وهذا مخالف للكليات الفرنسية، ولكن جامعة الجزائر هي التي تملك الشخصية المدنية وهي المزودة بميزانية.

المرسوم المنظم لمجالس الجامعات الفرنسية 21 جويلية 1897 يختلف عن ذلك المنظم لمجلس جامعة الجزائر، لأن مجلس جامعة الجزائر يضم ما يلي:

- 1- عميد أكاديمية الجزائر رئيسا.
- 2- عمداء الكليات ومدير المرصد الفلكي.
- 3- مندوبون من كل كلية المنتخبون لمدة ثلاث سنوات.
- 4- ثلاثة من أعضاء المندوبيات المالية معينون من طرفها.

وقد اعتبر القانون الحاكم العام للجزائر عضوا في المجلس وله حق رئاسته ويملك حق التقرير النهائي، ويمكن أن يعوضه عضو من المجلس الأعلى للحكومة العامة يتمتع بنفس الصلاحيات.

ومهمة أعضاء المندوبيات المالية في مجلس الجامعة هو مراقبة الميزانية واستخدام الأرصدة وتوزيع القروض حول أعمال الكليات والمخابر<sup>(1)</sup>.

وقد عين أحد أعضاء المندوبيات المالية مقرا لأعمال المجلس في الموسم الأول للجامعة وهو السيد "فرديريك بربرات".

وقد جاء المرسوم المنظم لجامعة الجزائر مخالفا بروحه لمراسيم المجالس الجامعية، يجعل جوانبها السياسية تحت مراقبة الحاكم العام والجوانب المالية تحت مراقبة المندوبيات المالية وذلك وفق المادة العاشرة من مرسوم 22 فيفري 1910م<sup>(2)</sup>.

(1)Mélia: Op.cit. P106.

(2)L'université d'Alger cinquantaire Op.cit. P46

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

---

إن فقدان الجامعة للاستقلالية الأكاديمية اللازمة جعل أعمالها تتوجه نحو خدمة الحكومة العامة للجزائر، وأن تجعل ثمرة مجهوداتها وأعمالها فيما يخدم رغبة هذه الأخيرة مثل: الأبحاث حول الأمراض، تحليل المياه المعدنية والحموية، دراسات حول توصيلات المياه، والتقيب عنها، الدراسات الجيولوجية، مشاريع السدود و الرعاية العلمية للصيد البحري، نشر خرائط التساقط، وتحضير ضباط المصالح الأهلية. و كلها مهمات موجهة في خدمة الإستراتيجية الاستعمارية في هذه المرحلة والتي تتمثل في تثمين ثروات المستعمرة واستغلالها.

ثانيا: كليات جامعة الجزائر (1909-1962):

أصبحت المدارس التحضيرية العليا السابقة كليات، وهي الكلية المختلطة للطب والصيدلة، وكلية الحقوق، كلية العلوم، وكلية الآداب. والملاحظة الأساسية حول هذه الكليات أنها وفق قانون 30 ديسمبر 1909 لا تملك الاستقلال المدني ولا الاستقلال المادي، وسيكون لها الدور في إنشاء مختلف المعاهد من أجل الفهم العميق لشمال إفريقيا، وهو نفس الدور الموكل للمدارس العليا سابقا، إذ كلفت بإيجاد المؤسسات اللازمة لاكتشاف خبايا شمال إفريقيا، وفي هذا القانون لا يوجد أي تحديث فيما يتعلق بتنظيمها السابق، وبذلك كرس هذا القانون الطابع الجهوي لجامعة الجزائر التي أصبحت تضم 1605 طالب في جانفي 1909، وقد بقي هذا العدد في حدود متوسط 1500 حتى سنة 1926م<sup>(1)</sup> و أصبحت بذلك مدعوة لإثبات مكانتها بين الجامعات الفرنسية.

ولعل أهم أشكال الاستقلالية التي حظيت بها هذه الكليات هو قدرتها بهذه الصفة على منح الشهادات الأكاديمية في مختلف التخصصات كالتي تمنحها نظيراتها في فرنسا وتوجيهها الكامل نحو الدراسات الشمال أفريقية خاصة.

و وفقاً للمهمة المكلفة بها أخذت الكليات الأربع تتطور وتستحدث الفروع الجديدة وفقاً لما تقتضيه ضروريات التطور والحاجة في الجزائر سواء بالنسبة لأعداد الطلبة المتزايدة أو بالنسبة للتخصصات اللازمة أو بالنسبة للقوانين التنظيمية والمقاعد الدراسية وغيرها وسنعرض هذا التطور كما يلي:

(1) Waardenburg : Op.cit. P140

أ- الكلية المختلطة للطب و الصيدلة:

انبثقت الكلية المختلطة للطب والصيدلة عن المدرسة التحضيرية للطب والصيدلة، وهي الأقدم بين مؤسسات التعليم العالي الفرنسي في الجزائر وقد فرضتها ظروف تميزت بتعرض جنود الاحتلال إلى أمراض مفاجئة وغير معروفة، متعلقة بالظروف المناخية الخاصة والبيئة الشمال إفريقية إضافة إلى ندرة الأطباء المدنيين.

وقد أصاب جنود الاحتلال الفرنسي أثناء الحملة على مدينة البليدة مرض الانتكاف الدماغى (Congestion Cerebrale)، وذلك بسبب التغير المفاجئ لدرجة الحرارة<sup>(1)</sup>، وظهر الحمى وقد أصاب الكثير من المستوطنين في السنوات الأولى للاحتلال<sup>(2)</sup> ولعلها حمى المستنقعات لكثرتها بمتيجة آنذاك، وقد كان الأمر يزداد سوءاً كلما حاول المستوطنون استصلاح الأراضي وتجفيف المستنقعات.

وإضافة إلى انتشار مرض العيون، الذي ظهر على شكل وباء يوم 25 سبتمبر 1847م في منطقة ثنية الحد وانتشر بسرعة وسط السكان وكذلك "الكوليرا" في منطقة الدويرة سنة 1849م، ومنها انتشر في كل مدينة الجزائر في نفس السنة وقد لاحظ "كولاردو" أن هذا المرض مرتبط بارتفاع درجة الحرارة فيتلاشى المرض مع بداية الأمطار وموسم البرد.<sup>(3)</sup>

وقد كانت هواجس الأمراض، احدى الأسباب المعرقلة لتقدم الاحتلال من جهة، ومعرقلة للاستيطان من جهة ثانية ولذلك صرح الجنرال "دي فيفي" سنة 1841 قائلاً "لقد تركنا متيجة الموبوءة للذئاب والصعاليك للموت بدون شرف...بوفاريك ألم كبير...".

<sup>(1)</sup> Bertherand (EL) : médecine et hygiène des arabes, Paris, Germer Bailliere, 1855, P151.

<sup>(2)</sup> Léspe (René) : Alger étude de géographie et d'histoire urbaines, in cca 1830-1930, paris I félix alcan, M CM XXY, p68.

<sup>(3)</sup> Bertherand( E.L). Névrologie oculaire épidémique observe aTeniot et hed Provence d'Alger, Imp Rey Delavime et Cl, 1850, P62.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

ولقد أوكلت مهمة إدارة المدرسة التحضيرية للطب والصيدلة سنة 1857 إلى الطبيب الكولوني برثيرون، وبفضل تطبيق قانون 10 ديسمبر 1879م أخذت تنظيمًا جديدًا مدنيًا، فأصبحت مدرسة تحضيرية عليا للطب والصيدلة تحت وصاية كلية الطب لمونبولي التي تمنح الشهادات النهائية.

كان الطاقم المدرس يتكون من ثمانية أساتذة مرسمين وأربعة مستخلفين، وكذلك رئيس أعمال علم التشريح ومخبري محضر أعمال، وكانت المدرسة تحضر للشهادات مثل ضابط الصحة وقابلات التوليد وصيدلة من الدرجة الأولى والثانية وكلهم مدعويين للعمل في المستعمرات الفرنسية خاصة الجزائر لأن هذه الشهادات لا تمكنهم من أداء الوظائف الطبية في المتروبول.

ولقب تعاقب على إدارة هذه المدرسة أساتذة أطباء لامعين، لهم إسهامات قيمة في مجال الطب، وكذلك أعمال قيمة حول الأمراض الشمال إفريقية وأمراض المناطق الساخنة، حيث تناولت تقاريرهم ومؤلفاتهم تشخيص هذه الأمراض ومسبباتها وسبل الوقاية والعلاج منها أشهرهم برترارد (1858-1862) و بوتان (1863-1868) وكذلك ترولي (1868-1870) و توكسي (1870-1895) الذي قدم حصيلة عمل المدرسة سنة 1895 كما يلي: 85 طبيب منهم 22 يعملون في الجزائر، 218 مطبق من الدرجة الثانية منهم 95 صيدلي و 71 قابلة و 46 ضابط صحة.

عرفت المدرسة بعض التعديلات المتعلقة بالكراسي الأساسية للمدرسين فقد صدر مرسوم 10 جانفي 1860 المعدل بمرسوم 5 جوان 1880 الذي حدد المقاعد الأساسية باثني عشر مقعدا وستة مقاعد للمستخلفين<sup>(1)</sup>، كما عدد قانون 03 أوت 1880 الشروط الأساسية لمنح شهادة الكفاءة للطب بين الأهالي الجزائريين.<sup>(2)</sup>

(<sup>1</sup>) حول تطور كراسي التدريس ف كلية الطب أنظر الملحق رقم:03.

(<sup>2</sup>)Abid .A :L'école de médecine d'Alger, 150 ans d'histoire de 1857 -2007, Revue algérienne, novembre, 2006, P03.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وأخذت المدرسة التحضيرية العليا للطب مكانها بين المدارس الجديدة في البناية المخصصة للمدارس في 03 نوفمبر 1887.

أصبح طبيب العيون "بروش" مديرا للمدرسة في الفترة (1895-1904) قبل أن يخلفه كرتلي (1904-1909)، وقد عرفت المدرسة في عهده الانتقال إلى شكل تنظيمي جديد وتحويلها إلى كلية مختلطة للطب والصيدلة.

وقد صدر مرسوم 04 جانفي 1910 الذي ينظم تعلم الطب في الكلية فقد أصبحت الكلية تحتوي على 16 مقعدا متخصصا؛ و تعديلات كثيرة و توجد فروع الجديدة تم استحداثها في عهد كرتلي (1863-1933) والذي مكث على رأس الكلية حتى سنة 1922.

عرفت الكلية في هذه المرحلة تطورا سريعا وملحوظا ونوعيا أيضا وخاصة في الجراحة بفضل الجراح اللامع "أوجان فنسو" الأب الحقيقي للجراحة في الجزائر<sup>(1)</sup>.

ومن ألمع الأسماء التي مرت على الكلية نجد علماء وأطباء وجراحين وصيدلة لامعين عرفوا بأعمالهم العلمية وخدماتهم الجليلة للطب.

فوجد من هؤلاء عالم البيولوجيا "سيدلي" الذي أطلق "لقب مكروب" على الكائنات البيولوجية الدقيقة وتكريما له حملت بناية في مستشفى مصطفى المدني اسمه لمدة طويلة هي علي العقبي حاليا، وكذلك عالم التشريح ومسير مخبر التشريح السيد "بولان ترولار" (1892-1910) حيث مكث طويلا في مخبر التشريح وأنجز أعمالا قيمة.<sup>(2)</sup>

أما في الصيدلة فنجد الصيدلي "جون أمولبي" و "ابر" (1877-1966)، والصيدلي "روشي" أول أستاذ للكيمياء في مدرسة الطب بين (1851-1875)، وعالم السموم "جيلارد"، وكذلك "فوري" أستاذ المادة الصيدلانية وكذلك الصيدلي بطاندي (1848-

(1) Abid . :Op.cit

(2) Mélia : Op.cit. PP124-144.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

(1922) الذي أصدر كتابا قيما عن النباتات الطبية الجزائرية، وكذلك قام السيد ترابون بإصدار قائمة الأسماء المحلية الجزائرية للنباتات الطبية سنة (1935) وهو واضع أسس مدرسة العلوم الفلاحية في الجزائر.

واثناء الحرب العالمية الأولى عرفت المدرسة نزيفا حادا، إذ تجند خلالها خيرة أساتذتها وطلابها، وقد وجد الطلاب الجزائريون الفرصة التاريخية لولوج الكلية بأعداد غير مسبوقة، فقد عرفت الكلية 15 طالبا أهليا مسلما سنة 1419م من بين 344 أوروبي، ثم انخفض عددهم إلى 10 عام 1921م.

وقبل هذا التاريخ لم يحصل إلا عدد قليل جدا من الجزائريين على دبلومات في الصحة، منهم 2 أطباء وقابلتين من الدرجة الأولى وأخرى من الدرجة الثانية، وحصل 12 منهم على درجة ضابط صحة وهي الشهادة التي ألغيت سنة 1893م، وقد تركزت أعمال مدرسة الطب ثم كلية طب على دراسة الأوبئة الشمال إفريقية بصفة خاصة<sup>(1)</sup>.

وقد تطور عدد الطلاب الملتحقين بها، فقد فاقت الـ 500 موسم 1929 بـ 549 طالب، واقتربت من الألف موسم 1951- بـ 976 طالب، وفي مطلع 1960 كانت تحتوي على 35 بروفيسور و 23 أستاذ محاضر وقد ألحقت بها 6 معاهد.

ويرجع ضعف التحاق الطلبة المسلمين بهذه الكلية إلى ضغوطات السلطات وإلغاء شهادة ضابط صحة والمدة الطويلة للدراسة في الطب، واقتناء الطلبة الأهالي للقاعدة العلمية المؤهلة لدراسة الطب قبل 1909 رغم أن القبول كان يتم بدون بكالوريا.

أصبح بإمكان الجزائريات الحصول على دبلومات في الطب بعد تحويل المدرسة إلى كلية، وتعتبر الدكتورة علفية نورالدين أول طالبة مسلمة تحصل على دبلوم الطب قبل

(<sup>1</sup>)Waardenburg : Op.cit. P140.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

أن ينضم إلى الكلية عدد من الجزائريات المسلمات أمثال: نفيسة حرود ومريم بلوصيف، كما تعتبر السيدة مليكة مفتي أول جزائرية تحصل على دبلوم الصيدلة.

وقد تمكن مجموعة من أساتذة الطب والصيدلة من إصدار دورية متخصصة سنة 1922 تسمى "le journal de médecine et chirurgie" ثم أصبحت تسمى

"Algérie médecine de L'Afrique du Nord" سنة 1927 وتم إعادة إحياء

الجمعية الطبية الجزائرية في نفس السنة.

وقد ارتفع عدد كراسي التدريس في الكلية سنة 1930 إلى 20 مقعد، وقد عرفت ذروة تطورها سنة 1956، فأصبحت تضم 32 مقعد و 14 رئيس أعمال و 30 مساعدا و 20 رئيس عيادة و 17 رئيس مخبر و 32 محاضر دروس و 4 مساعدين لعلم التشريح وأصبحت أيضا تظم خمسة معاهد متخصصة مرتبطة بكلية الطب هي:<sup>(1)</sup>

- 1) Institut d'hygiène et de médecine d'autre mer.
- 2) Institut Psychotechnique et de Biométrie.
- 3) Institut De Trichromie et d'ophtalmologie Tropicale.
- 4) Institut d'éducation physique.
- 5) Institut d'odontostomatologie.

وقد أصبحت كلية الطب والصيدلة في مكانة مرموقة بين كليات الطب الفرنسية وقد تمكنت من تنظيم المؤتمر العالمي للكيس المائي بالجزائر برعاية أحد أشهر أعلام الكلية في الخمسينات البروفسور قسطنطين .

وبسبب الاستقطاب الواسع للطلاب، ثم استحدثت ملحقات للطب في كل من وهران وقسنطينة إلى جانب ملحقات للكليات الأخرى في سنة 1958م.

(<sup>1</sup>)Université d'Alger cinquantenaire (1909-1954) Op.cit. PP (100.103).

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

ووفقا لمرسوم 27 جويلية 1950 أصبح بإمكان الكلية تكوين أطباء الأسنان وأصبح بإمكانها أيضا تقديم شهادات متخصصة في تخصصات عديدة متصلة بالطب بلغت 13 تخصصا.<sup>(1)</sup>

ومن رجال الحركة الطلابية المسلمة والحركة الوطنية الذين زاولوا دراستهم بالكلية المختلطة للطب والصيدلية نجد السادة: فرحات عباس، وبن خدة بن يوسف وهما صيدليان والأطباء مثل الجيلالي بن تامي، والحاج منصور وعليو مداني، ومسعود بن زين و يوسف الخطيب والأمين خان وعبد الحليم مجاوي وغيرهم.

### ب- كلية الآداب والعلوم الإنسانية:

أنشئت هذه الكلية بمقتضى قانون 30 ديسمبر 1909م الذي رفعها من مدرسة تحضيرية إلى كلية.

وقد توجهت أعمال المدرسة بشكل خاص نحو دراسة القضايا الشمال إفريقية فاهتمت بتاريخ الشعب العربي والبربري، اللغات واللهجات المحلية-الآثار الرومانية والآثار الإسلامية و الثقافة الشرقية.

وقد اختصت بهذا التوجه دون غيرها من الكليات الفرنسية لاحتوائها على مقاعد خاصة مثل: التاريخ القديم لإفريقيا وجغرافية إفريقيا التاريخ الحديث لإفريقيا واللغة العربية. واقتصر أداء هذه الكلية في السنوات الأولى لإنشائها بتحضير مجموعة من الشهادات (الأهليات) في العربية والبربرية وتكوين الموظفين الإداريين المحليين ومن ثم التحضير للبكالوريا التي أشرف عليها كلية الآداب لمرسيليا<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> Abid : Op.cit. P07.

<sup>(2)</sup> Université d'Alger cinquantenaire (1909.1959), Op.cit. PP (138-142).

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وقد بدأت هذه الكلية تتطور شيئاً فشيئاً، فبدأت توفق بين الدراسات المحلية لشمال إفريقيا، وهو توجهها الأساسي وبين مقتضيات التعليم العالي العام.

وقد وجد الأساتذة والباحثين والمستشرقين المنتمين لهذه الكلية في المغرب وإفريقيا الفضاء الأساسي لأعمالهم، ومنبع لا ينضب أوسع من ذلك الموجود في فرنسا نفسها في الفلسفة والتاريخ والآداب والجغرافيا والترجمة والتحقيق وغيرها، ومن الاهتمامات الخاصة بشمال إفريقيا نجد<sup>(1)</sup>:

### - الدراسات الفلسفية والآداب:

اهتمت الكلية استجابة لتوجه التعليم العالي نحو كل ما هو محلي بالدراسات الإسلامية وخاصة الفلسفة الإسلامية، فقد شغل مقعد الفلسفة السيد "إميل فليكس غوتي" حتى سنة 1932م ودون أن تخلوا هذه الأعمال من الإيديولوجية الاستعمارية التي تعتبر العصر الإسلامي فترة مظلمة في تاريخ شمال إفريقيا<sup>(2)</sup>.

وقد عمل كل من غوتي، و"بواشي" و"مسنار" على الفلسفة، وأصدروا مؤلفات عديدة في الفلسفة.

وقد طور قسم الفلسفة بفتح قسم السيكولوجيا (علم النفس)، ومخبر لعلم النفس التجريبي ومعهد للدراسات الفلسفية، وكلها لا تخلوا من الإيديولوجيات الاستعمارية الاستعلائية، والأبعد من ذلك العنصرية بتصنيف الإنسان الشمال-إفريقي ضمن النموذج البدائي القابل للتطور البطيء.

وقد أوكلت مهمة إدارة قسم علم النفس إلى "بوجي" L.Bowgey، الذي، قدم أعمالاً توافق الطرح الاستعماري مثل: تطبيقات على الأطباء الأبوقراطيين، فلسفة اللذة والألم، وملاحظات وتجارب أرسطو، وقد أوكلت مهمة إدارة قسم الفلسفة إلى الأستاذ "شايري"،

(1) حول تطور الكراسي في كلية الآداب أنظر الملحق رقم:06.

(2) Voir : Goutier (Emill Félix) : les siècles obscures du Maghreb.1927, 355P.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وقد أنشأ الجمعية الجزائرية للفلسفة وكانت تصدر له أعمال في la Revue de la Méditerrané أما الآداب واللغة الفرنسية فقد شغل مقعدها الأستاذ "مرتو" بين (1910-1926)، والذي توجه نحو الدراسات الدينية في إفريقيا، وقد خلفه السيد "روغارد" الذي أنشأ مخبر اللسانيات<sup>(1)</sup>.

وقد كان للآداب واللغات القديمة مكانة أيضا في كلية الآداب فقد استحدث مقعدا لها سنة 1910 شغله الاستاذ "هوغو" وقد توجه نحو دراسة الحضارة الرومانية في إفريقيا. وقد خلفه الأستاذ "جارني" الذي شغل المقعدين (1927-1948) اهتم بدراسة اللغات القديمة مثل (اللاتينية والاعريقية والفرنسية) أما اللغة العربية فقد ظلت مغيبة.

### - الدراسات التاريخية:

شكّلت إفريقيا الشمالية محور اهتمام أساتذة التاريخ في كلية الآداب وحقلا هاما للدراسات التاريخية سواء في التاريخ القديم أو الوسيط الاسلامي أو المعاصر وكذلك علم الآثار خاصة الرومانية وبدرجة اقل البونيقية و نظرا لهذا الاهتمام فقد فتح التخصص في تاريخ الدراسات الشمال إفريقية.

و جعل هذا التوجه الشمال إفريقي كلية الآداب السبابة بين الجامعات الفرنسية للتدريس الرسمي لما قبل التاريخ منذ 1926م، وذلك باستحداث مقعد وشهادة متعلقة بهذا التخصص تسمى: شهادة الدراسات العليا للإثنولوجيا وما قبل التاريخ لشمال إفريقيا، وقد ضمن الاستاذ" راي غوس "هذا النوع من التدريس لغاية تقاعده، علاوة على إشرافه على متحف البارود للإثنوغرافيا وما قبل التاريخ، ثم خلفه الأستاذ" بولي "

<sup>(1)</sup> Madiana Delyes Lastrajoli : l'enseignement supérieur en Afrique du nord, naissance de l'université d'Alger, l'école de lettre et science Humiennes avec histoire des chaires et matières d'enseignement de la faculté 1958-1959. Revue Gant N°80 4ème trimestre, 2002.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

في سنة 1958 وهو عميد كلية الآداب في تلك الفترة، وتم إصدار دورية متخصصة أيضا في علم الآثار والإثنولوجيا هي La Revue Libica.

أما مقعد التاريخ القديم لإفريقيا فقد شغله الأستاذ "ستيفان غزال"<sup>(1)</sup> الذي بدأ منذ 1890 دروسه وأبحاثه في الآثار إلى غاية 1912م، و خلفه الأستاذ "فيرون كركوبرنو" بين (1912-1920)، ثم "أوجان ألبرتني" (1920-1931)، ثم "لويس لوشي" بين (1932-1954).

ترأس ستيفان غزال في سنة 1902م متحف التاريخ القديم وسنة 1923 اشرف أيضا على مصالح التاريخ القديم، وتتوافق أعمال التاريخ القديم مع الرؤية الاستعمارية في محاولة إضفاء الشرعية على الاستعمار، من خلال محاولة إثبات الماضي اللاتيني لشمال إفريقيا، وكل أعمال ستيفان غزال تتمحور حول هذا المغزى وهي<sup>(2)</sup>:

- أطروحة اللاتين في تيبازة 1932.

- المعالم القديمة للجزائر 1910. يهتم أكثر بالمعالم الرومانية

- الأطلس الأثري للجزائر (1902-1911).

- التاريخ القديم لشمال إفريقيا 1913

أما التاريخ الحديث لإفريقيا فقد استحدث له مقعد سنة 1921م شغله الأستاذ "إيف" حتى سنة 1937م، وقد كان يهتم بالعصور الوسطى والتاريخ الحديث لإفريقيا ثم استحدث مقعد جديد للعصور الوسطى سنة 1946م<sup>(3)</sup>.

(1) أصدرت المجلة الإفريقية مقالا خاصا حول حياته وأعماله أنظر: La Revue africaine N°73, 1932 PP (20.36).

(2) La Revue africaine N°73, 1932 PP (20.36).

(3) Madiana: Op.cit.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

والتاريخ المعاصر شغل مقعده الأستاذ Alazard "ألزار"<sup>(1)</sup>، وقد توجه نتيجة تكوينه وميوله الخاص إلى دراسة الفنون، وعمل على إنشاء المتحف الوطني للفنون الجميلة والاهتمام بالفن البلاستيكي، وقد ساهم بدراسات هامة تتعلق بثورة الأمير عبد القادر وهي:

- وثائق متعلقة باتفاقية التافنة 1924.

- مراسلات المارشال فالي 1948.

وقد خلفه الأستاذ مارسال اميرت بين (1937-1941)، واهتم بتاريخ فرنسا في إفريقيا الشمالية ونشر أعمال منها:

- ثورة 1848 في الجزائر.

- الجزائر في عهد عبد القادر 1951م.

وقد تم استحداث مقعد للتاريخ الاقتصادي لشمال إفريقيا شغله الاستاذ "غزافي يكونو" الذي أصدر أعمالا كثيرة أهمها:

- رسالة دكتوراه بعنوان: المكاتب العربية وتطور أنماطها تجاه الأهالي في التل الغربي.

- احتلال سهل الشلف، رسالة دكتوراه<sup>(2)</sup>.

- تاريخ الاستعمار الفرنسي.

- تاريخ الجزائر من نهاية الحكم التركي إلى ثورة 1954م.

---

(<sup>1</sup>) جون ألزار (1887-1900): عميد كلية الآداب والمنشئ ومدير متحف الفنون الجميلة بالجزائر. اهتم بالدراسات الإستشراقية خاصة فن الإستشراق

(<sup>2</sup>) فزافي يكونو: ولد في حي بلكور بالجزائر يوم 28 مارس 1912، خريج المدرسة النورمانية ببوزريعة، تحصل على الدكتوراه من جامعة باريس وعلى أستاذ محاضرا بجامعة الجزائر سنة 1957م. أنظر: NICOLAS SCHAUD: art Yacono Xavier dans, dictionnaire des orientalistes de langue française, karthab, 2008, PP 981-982.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وحضيت الدراسات التاريخية بمكانة هامة بين الدراسات في كلية الآداب، فقد اهتمت بالتاريخ القديم لإفريقيا الشمالية وكذلك الآثار وخاصة ما قبل التاريخ، العلم الذي وضعت أسسه الأولى في الجزائر ومن إنجازات كلية الآداب ما يلي:

- إنشاء عدد من المتاحف المتخصصة (متحف باردو، متحف التاريخ القديم للجزائر ومتحف الفنون الجميلة. وهي وسائل هامة تخدم الاستعمار بمحتوياتها وابحاثها وصورتها
- الجمعية التاريخية الجزائرية في شكلها الجديد.
- إصدار عدد من النشريات والمجلات والدوريات:

- Libyca.
- Etude d'art.
- Revue Africaine.
- Revue de la Méditerrané.

### - الدراسات الجغرافية:

بدأت الدراسات الجغرافية في الجزائر قبل الانشاء الرسمي لمعهد الجغرافيا في 10 أفريل 1921 ومن أوائل الدارسين لجغرافية الجزائر نجد الأستاذ "أغست برنارد" الذي عين أستاذا في المدرسة التحضيرية للآداب وظل على ارتباط بالحكومة العامة لمتابعة تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر، وقد تمكن من إصدار كتاب حول تطور نوميديا سنة 1900م، وأعمالا خاصة حول الصحراء وإفريقيا الغربية سنة 1937م، ولعل أهم الأعمال التي قام بها أيضا تعاونه مع أستاذ العلوم "فيشور" وأنجز معه أول محاولة للتقسيم الإقليمي الجغرافي للجزائر صدرت في حوليات الجزائر الجزء 6 سنة 1902 تحت عنوان "الأقاليم الطبيعية للجزائر" "les régions naturel d'Algérie".

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

ونظرا لأهمية المعطيات الجغرافية بالنسبة للجيش الاستعماري الذي كان يواجه مشاكل التوغل في الصحراء، قام أستاذ الجغرافيا الأستاذ لرنو<sup>(1)</sup> بإصدار دليل أزرق للجزائر، وقام أيضا بنشر تحقيق حول تطور أنماط الحياة لدى الأهالي والهجرة وواصل أعماله بعد انتقاله إلى السوربون حول القضايا الديمغرافية والاقتصادية للجزائر.

وقد واصل تلميذه " إسنارد" الدراسات الجغرافية على نمط أستاذه، فأصدر دراسة جغرافية للجزائر سنة 1946م، ودراسة جغرافية لوههران 1948، وأشرف على أطروحة احتلال سهل الشلف " لغزافي يكونو" .

وقد ظهرت الخريطة -الأولى من نوعها- على جغرافية الجزائر وتونس على يد الأستاذ "دسبوا"، وبدأت تظهر أعمال حول جغرافية الصحراء، وأهتم بجغرافية الصحراء اميل فليكس غوتي، وقد برز ذلك في أعماله ولعل أهمها:

- بنية الجزائر 1912م.
- إسلامية إفريقيا الشمالية.
- القرون المظلمة للمغرب 1927.
- الصحراء الجزائرية 1908 (رؤية تركيبية للصحراء) تحليل جديد للبيئة والشبكة المائية والواحات.
- اجتياز الصحراء 1928م.

<sup>(1)</sup> لرنو: عضو فاعلا في 1932م. [Societe d'Archeologie et de Statistique de la Drome, Valence](http://Societe d'Archeologie et de Statistique de la Drome, Valence).

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

- احتلال الصحراء.

تقاعد إميل فليكس غوتي سنة 1935، وخلفه على رأس معهد الجغرافيا "كابوري".

- الدراسات اللغوية والإستشراقية:

احتلت الدراسات الاستشراقية والدراسات اللغوية خاصة حول اللغة البربرية والحضارة الإسلامية وتاريخ البلدان وتحقيق المخطوطات الإسلامية، مكانة هامة بين الدراسات في كلية الآداب والتي اعتبرت معقلا من معاقل الإستشراق لكثرة المستشرقين المنتسبين إلى الكلية.

فمقعد اللغة العربية تداول على شغله الأساتذة "هوليس" و"بلقاسم بن سديرة" والمستشرق "روني باسيه" العميد الذي توفي سنة 1924م.

وشغل الأستاذ محمد بن شنب كرسي العربية في الفترة (1924-1929) خلفا للمستشرق "روني باسيه" بعد حصوله على الدكتوراه سنة 1922 عن أطروحة بعنوان: "أبو دلامة شاعر البلاط العباسي"، وقد نشر بين 1905-1907 قاموس الأمثال الشعبية العربية الجزائرية والمغربية، ونشر أيضا قائمة عن المخطوطات العربية للجامع الكبير سنة 1903م<sup>1</sup>.

ويعتبر ابن شنب\* وبلقاسم بن سديرة\* والحاج صادق من الأساتذة القلائل الذين كلفوا بمقاعد التدريس في جامعة الجزائر من الأهالي المتخرجين من جامعة الجزائر.

<sup>1</sup>مولود عويمر: أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، دار الخلدونية، الجزائر، 2007، ص ص 145-153.  
\* محمد بن أبي شنب أو أبي شنب (1869-1929) هو هو أديب معروف بإجادته لعدد من اللغات الأوروبية، حتى أنه كتب بعض كتبه بالفرنسية.  
\* بلقاسم بن سديرة من أوائل خريجي مدرسة المعلمين بفرساي، و من أوائل المعلمين في المدرسة النورمالية المنشأة في الجزائر، قامت بمهات لها علاقة باللهجات و الثقافة، وعضو في الجمعية الآسيوية في باريس. له مؤلفات أهمها قاموس الفرنسي العربي، مهمة في بلاد القابنل و إدماج الأهالي 1887. وكتاب الرسائل ومن هو من دعاة التعليم باللغة الفرنسية.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وقد خلف ابن شنب في كرسي العربية الأستاذ "بيريز" الذي أصبح لاحقا أستاذا للعربية الحديثة، بعدما أصبح لها كرسي خاص سنة 1937م، وقد توجهت أعماله نحو الاهتمام بنفائس الأندلس ونشر كتب عدة منها:

- اسبانيا في نظر الرحالة العرب (1610-1930).

- الشعر الاندلسي الكلاسيكي خلال القرن 11.

- أشعار عبد القادر سنة 1932.

- تاريخ البربر لابن خلدون 1956م.

- وصف افريقيا للإدريسي 1957م.

- العربية الدارجة.

- ديوان كثير عزة.

- الأربعين النووية 1950.

- القرآن سنة 1951.

- ألف ليلة وليلة 1944م.

- المستشرقون الفرنسيون والأجانب.

كما أشرف على إصدار نشریات ودوريات أهمها:

- نشرة الدراسات العربية (60 عدد بين 1941-1953).

- المكتبة العربية الفرنسية (11 عدد بين 1942-1953).

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وقد عمل إلى جانب الأستاذ "هينارد" والأستاذ "الحاج صدوق" على إدارة المعهد العالي الاسلامي والمدرسة التطبيقية للدراسات العربية المنشأة بعد 1947.<sup>1</sup>

وبالنسبة للدراسات البربرية فقد تولاهما المستشرق "روني باسيه" منذ 1894م. وأهم دراساته:

- الزناتية (الونشريس والمغرب الأوسط 1901م).

- ندرومة والطرارة 1903.

- نصوص التوارق 1925.

وقد خلف باسي الأب - باسي الابن (A. Basset)، وقد سار على خطى أبيه إذ تولى مقعد اللغة والحضارة البربرية، وقام بدراسات هامة منها:

- دراسة الجغرافية اللغوية للقبائل 1929م.

- الأطلس اللغوي للكلام القبائلي 1936.

وبالنسبة لتاريخ وحضارات البلدان الإسلامية فقد قسم إلى مقعدين المشرق والمغرب، فثغل مقعد المغرب الأستاذ "دوتي" صاحب المؤلف الشهير السحر والدين في إفريقيا الشمالية.

أما كرسي المشرق فقد شغله لوقت طويل المشرق "ليفى بروفانسل" بين 1935-1940 وهو صاحب:

- موسوعة الاسلام.

- ومجلة Revue Arabica.

<sup>1</sup> Mélia: Op.cit. P 163.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وقد شغل الاستاذ "مارسي" مقعد علم الآثار الاسلامية بين (1919-1945)، وقام بإنشاء متحف الجزائر للفنون الاسلامية الذي يحتوي على كنوز هامة ومصادر أساسية لتاريخ المغرب وخاصة المرحلة الاسلامية.

وبالنسبة للغات الحية خاصة المتوسطية مثل الاسبانية والاطالية والألمانية والبرتغالية فهي حديثة التدريس في جامعة الجزائر فتحت اقسامها عام 1958م.<sup>1</sup>

وقد تم التنويه في أكثر من مرة من طرف القائمين على كلية الآداب على أهميتها وتخصصها، فقد اعتبرت مركزا هاما للإستشراق يعتبر الأول بين ثلاثة أو أربعة مراكز في أوروبا<sup>(2)</sup>.

وقد سارت على الخط الذي رسمه عميد الأكاديمية أثناء افتتاح المدارس التحضيرية، فقد أرادها أن تقدم دراسات جديدة حول تاريخ الاسلام الطوائف الأقلية الإخوانيات والزوايا الدينية، التاريخ القديم للجزائر تاريخ الأنظمة الاستعمارية القديمة والحديثة<sup>(3)</sup>.

ونظرا لجهود المدرسة التحضيرية للآداب في مجال الاستشراق قرر المؤتمر الثالث عشر للمستشرقين بأن تكون الجزائر مقرا لمؤتمرها الرابع عشر، وقد أصدرت مدرسة اللغات الشرقية في باريس أعمال المؤتمر وأصدرت أيضا المدرسة التحضيرية للآداب أوراق ونصوص حول الأعمال المتعلقة بشمال إفريقيا خاصة في النجمة الافريقية.

وأكد أيضا الحاكم العام خلال مؤتمر المستشرقين أهمية مدرسة الآداب واعتبرها "مركزا للتفكير الفرنسي"، "مركز نشط جدا للأبحاث العربية والشمال إفريقية"<sup>(4)</sup> وقد أشاد البروفيسور بيار مرتنو في تقريره<sup>(5)</sup> عن جامعة الجزائر الموسم 1922-1923. بمدرسته

<sup>1</sup> Mélia: Op.cit. P 163.

<sup>(2)</sup> Mélia: Op.cit. P 163.

<sup>(3)</sup> Ibid. P 161.

<sup>(4)</sup> Mélia: Op.cit, P164.

<sup>(5)</sup> Ibid: P166.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

التي أصبحت كلية للآداب: "مدرسة الآداب عرفتنا بالتاريخ القديم الروماني وأعادته إلى الوجود، لقد زودتنا بمعارف عن صحراء الجزائر وتونس، لقد قامت بحفريات عرفتنا على الفن الإسلامي والنصوص العربية القديمة، أعادت صورة الشعراء المسلمين المجهولين... لقد عرفتنا على المناهج الأساسية التي تشرح الفلسفة الإسلامية".

وسارت كلية الآداب على المنهج المرسوم لها وذلك تحقيقاً للأهداف المسطرة لجامعة الجزائر، وذلك بخدمة الأهداف العامة للاستعمار، والاستجابة للضرورات العملية الملحة في الجزائر. وفي هذا الإطار نظمت بالتنسيق مع كلية العلوم والحقوق منذ 1913 تكويناً خاصة للضباط العاملين في "مصالح الأهلية" وذلك بتقديم الدروس اللازمة لهم: 15 درس في الأمازيغية، علم الاجتماع العربي، الجغرافيا، جغرافية شمال إفريقيا، الحقوق الإسلامية، التشريع الجزائري القانون الجنائي و الجيولوجيا.

و قرب عدد طلاب الكلية في الموسم 1947 من الألف، حيث بلغ 933 طالب.

وإذا كان لهذه الكلية ما يميزها من حيث نوعية الدراسات الاستشرافية والخاصة بشمال إفريقيا والصحراء، فهي الفريدة من نوعها في الأرض الإفريقية، وإصداراتها من نشرات ودوريات ومجلات تعتبر اليوم مصادر أساسية في مختلف الجامعات الأوروبية والمغربية على السواء وأهمها:

- نشرة المراسلات الإفريقية. Bulletin de correspondance Africaine.

- حوليات معهد الدراسات الشرقية Annuaire de l'institut des Etudes Orientales.

- المجلة الإفريقية La Revue africaine.

- المجلة المتوسط la Revue de Méditerranée.

- مجلة ليبيا le revue libyca<sup>1</sup>.

يلاحظ الدارس لأعداد هذه الدوريات والنشريات الخط الذي سارت عليه كلية الآداب لجامعة الجزائر، وهو التوجه نحو الدراسات الشمال إفريقية والصحراء والتاريخ الروماني القديم والدراسات الاستشراقية والتي تحتوي على كنوز معرفية يستفيد منها الباحثون إلى يومنا هذا في مجالات العلوم الانسانية والاجتماعية.

### ج-كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية:

برزت أهمية التعليم العالي للحقوق منذ زمن بعيد، ففي سنة 1857م ازداد الطلب على خلق مدرسة عليا للحقوق، وفي سنة 1872 تطورت الآراء في اتجاه إنجاز هذه المدرسة عن طريق الاقتطاع من ميزانية الجزائر (50.000 فرنك)، وذلك عقب الطلب الملح لإدماج الاقتصاد الجزائري في الاقتصاد الفرنسي، فقد برزت قضايا تستدعي العلاج القانوني وكذلك ضرورة فرض النظام الاقتصادي الفرنسي الذي يخضع لإجراءات قانونية و ضمانات مالية من أجل حماية المصالح الفرنسية، فكان ضروريا دراسة الفقه الإسلامي، والأعراف الأهلية و محاولة فهم منظومة التشريع الاسلامي .

وقد ظهرت المدرسة التحضيرية للحقوق إلى النور وفق قانون 20 ديسمبر 1879م، وانطلقت دروسها في نفس الموسم، وبأربعة طلبة فقط، ولم تكن المدرسة حينذاك تحضر سوى الأهلية والبيكالوريا في الحقوق، إلا أن أعداد الطلبة أخذت في الارتفاع لقبول المشتركين بالمراسلة<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> Mélia, Op.cit. P121.

<sup>(2)</sup> Mélia, Op.cit. P121.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

و أصبحت المدرسة انطلاقا من الموسم 1881م تحضر لامتحانات الثالثة ليسانس الذي تمنحه آنذاك كلية اكس AIX أو مونيوليه.

ووفق موسم 23-12-1889 اختصت مدرسة الحقوق بمنح شهادات خاصة في التشريع الجزائري والحقوق الاسلامية و الاعراف الاهلية.

و ساهمت انطلاقا من 1914 في تكوين ضباط الشؤون الأهلية بتقديم الدروس الضرورية لهم في التشريع الجزائري والحقوق الاسلامية، وقد توجهت منذ 1922 نحو الدراسات السوسولوجية مثلما جاء في تقرير الأستاذ "مرتو بيار" لموسم 1922-1923.<sup>(1)</sup>

وتدين المدرسة التحضيرية للحقوق ثم كلية الحقوق في تطورها ونجاحها لثلاثة شخصيات وهم "اسطنبو" مدير المدرسة بين (1850-1895)، وقد أصدرت المدرسة في عهدة أعداد المجلة الجزائرية والتونسية والمغربية للتشريعات منذ 1885م، ثم الأستاذ "مونار" الذي أدار المدرسة في الفترة (1906-1932)، ثم جورج هاردي (1932-1942) إلى غاية نزول الحلفاء في الجزائر.<sup>(2)</sup>

وقد أصبحت كلية الحقوق للجزائر تزود كلية الحقوق بباريس ببعض الاساتذة المتخصصين في بعض المجالات الاستعمارية و كذلك تزود مدرسة الحقوق الكولونيالية بالأساتذة منذ 1923م.<sup>(3)</sup>

ومن جهة أخرى فإن كلية الحقوق ظلت الأكثر استقطابا للطلاب من بين نظيراتها في جامعة الجزائر من سنة إلى أخرى، فقد كان عدد الطلاب 124 موسم (1889-1840)، ثم 219 موسم (1899-1900) وبلغ عددهم 338 موسم (1909-1910)

<sup>(1)</sup> Université d'Alger cinquantaire (1909-1959) PP148-152.

<sup>(2)</sup> حول تطور مقاعد كلية الحقوق أنظر الملحق رقم: 04

<sup>(3)</sup> Madiana Delaye Lastrajoli : naissance de l'université d'Alger Revue Gam N°81, 1<sup>er</sup> trimestre 2003.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

ووصل إلى 435 موسم (1913-1914) منهم 7 طلاب فقط من الأهالي الجزائريين واقترب عددهم من الألف موسم (1938-1939) منهم 12 فقط من الجزائريين.

وقد استقطبت المدرسة عددا هائلا من الطلاب موسم (1946-1947) حيث بلغ 1780 طالب منهم 61 طالب جزائري و1650 منهم 235 جزائري الموسم (1958-1959)، وارتفعت نسبة الجزائريين من 0.3% إلى 14.3%<sup>(1)</sup> وهي الأكثر استقطاب للطلبة المسلمين بعدما كانت الأقل إلى جانب كلية العلوم لقدرتها علي توفير مهن حرة.

أما بالنسبة لطاقم التدريس، فقط كانت تضم 10 مقاعد رئيسية انطلاقا من الموسم 1910، منها المقاعد الخاصة للتشريع الجزائري والحقوق الاسلامية.

وقد أخذت المدرسة في التوسع النوعي للتدريس أيضا، فقد عرفت إنشاء العديد من المقاعد المتخصصة الجديدة كالاقتصاد السياسي سنة 1914، والحقوق الخاصة سنة 1919، والحقوق العامة 1921، ثم مقعد العلوم الادارية المستحدث في 04-04-1942<sup>(2)</sup>.

وباعتبار توجهها نحو الاهتمام بعلم الاجتماع عامة، وعلم الاجتماع الشمال إفريقي خاصة، و زودت بمقعد متخصص في علم الاجتماع الشمال إفريقي انطلاقا من 14-06-1946.

وقد زودت أيضا بمقعد للحقوق المدنية المعمقة في 14-06-1949م وكذلك الحقوق المدنية المقارنة ثم مقعد الاقتصاد السياسي المعمق وفق المرسوم الوزاري لـ29 جانفي 1951م.<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup>Mélia : Op.cit. P107.

<sup>(2)</sup>Madiana: naissance de l'université d'Alger, école de droit et science économique Revue Gam N°81,1 er trimestre 2003.

<sup>(3)</sup> Ibid.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وقد تطور عدد مقاعد التدريس من 10 سنة 1909 إلى 15 سنة 1930 وأخيرا 25 مقعدا سنة 1959م.

وقد زال التحفظ بشأن الدرجات العلمية التي تمنحها، خاصة ذلك المتعلق بمنحها للدكتوراه، فقد تحفظ المرسوم 22 فيفري 1910 بشأن منحها الدكتوراه، وسمح القرار الوزاري المؤرخ في 29 مارس 1957 لكلية الحقوق التي أصبحت تسمى كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية بتحضير شهادة الدراسات العليا في العلوم السياسية.

وقد تطورت الكلية فأصبحت تحضر كل الدبلومات والامتحانات المتعلقة بكلية الحقوق مثل الدكتوراه في الحقوق والعلوم السياسية، الليسانس والكفاءة في المحاماة، وشهادة الحقوق لما وراء البحار، دبلوم العلوم الإدارية وأهلية إدارة المؤسسات الأهلية شهادة الدراسات الجزائرية والحقوق الإسلامية، ومع نهاية الخمسينات ألتمت الكلية بكل أنواع الدروس المتعلقة بالحقوق مثل قانون البحار، التشريع المالي، القانون الدولي القانون الدستوري، التشريع الجزائري وقد أثمرت جهودها بإنشاء ملاحق لها في كل من قسنطينة ووهران.

وقد أنشأت الكلية مراكز بحث ومعاهد تحت وصايتها أهمها:<sup>(1)</sup>

- مركز الحقوق المقاربة برئاسة السيد روزير.
- مخبر الإحصائيات والاقتصاد المطبق في شمال إفريقيا برئاسة برنار.
- كما أنشئ معهدان تحت وصاية كلية الحقوق هما:
- معهد الدراسات السياسية المنشأ بمرسوم 2 أوت 1945.
- معهد التحضير للأعمال المنشأ بمرسوم 5 أوت 1957.

<sup>(1)</sup> Université d'Alger : cinquantenaire Op.cit. PP 148-152.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

اهتمت نشاطات الكلية على وجه الخصوص بكل ما يتعلق بالتشريعات الخاصة بالجزائر والحقوق الاسلامية، وقد لمع بعض من أساتذتها في هذا التخصص مثل "مارسال مونار" وغيره.

ورغم اشتراك أساتذة كلية الحقوق في المجلة الإفريقية، فإنها كانت تشرف على النشرة القانونية الجزائرية، وتمكنت في عهد الاستاذ اسطنبو " منذ إصدار "قانون الجزائر" ويتضمن التشريعات الخاصة التي تصدر في الجزائر ولا تنطبق إلا عليها.

وقد تمكنت أيضا من إصدار نشرة الأحكام لغرفة الاستئناف الاسلامية لمحكمة الاستئناف الجزائرية، ومجموعة من الدوريات القانونية السياسية الاقتصادية والاجتماعية في الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية 1945م.

ويعتبر العميد "مارسال مونار" من أشهر الشخصيات التي أدارت الكلية نظرا للتطور الكمي لعدد الطلاب في عهده.

وقد عرفت الكلية نزيفا حادا للطلاب والأساتذة خلال الحربين العالميين الأولى والثانية، وذلك بسبب التجنيد أو الهجرة نحو الجامعات الفرنسية وعدم العودة، وذلك كون المدارس والمعاهد الكولونiale والجامعات الفرنسية أصبحتا تمنح مقاعد متخصصة للحقوق الكولونiale والحقوق الاسلامية، وذلك ما أوجد للأساتذة ذوي الاختصاص الفريد من نوعه مكانة في الجامعات الفرنسية، وقد ظل التحاق الطلبة المسلمين ضعيفا بكلية الحقوق لالتحاقهم بالمدارس التي تمنحهم التكوين اللازم للحصول على شهادات لتولي الوظائف القضائية الاسلامية، فقد بلغ عدد الطلاب المسلمين 61 طالب موسم (46-47) ثم وصل إلى 196 موسم (1954-1955)، وبعد الإضراب 1956 لم يعد منهم سوى 97

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

طالب إلى مقاعد الدراسة وأصبحت وفق مرسوم 26 أوت 1957 كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية<sup>(1)</sup>.

كان الطلاب الجزائريون يبحثون دائما عن التخصص الذي يمكنهم من مهنة حرة في المستقبل وذلك لإغلاق الوظائف العليا أمامهم وذلك ما يفسر التحاقهم إما بكلية الطب أو الحقوق.

وأخيرا فإن هذه الكلية قد عملت على تحقيق الغاية الأساسية من وجودها، وهي إنتاج الكفاءات و الآليات القانونية والاقتصادية لتحقيق الإدماج القضائي التام للجزائريين في المنظومة القضائية الفرنسية والمنظومة الإدارية المحلية، وهذه الغاية لم تتحقق إلا نسبيا إلى غاية الاستقلال.

فقد استمرت الإدارة الاستعمارية في التعامل مع الخصوصية الإسلامية للجزائر وكذلك كلية الحقوق وفي تكوين القضاة المتخصصين في الشؤون الإسلامية فتكون بذلك قد قامت باحتواء القضاء الإسلامي إلى حد بعيد في الإدارة الاستعمارية بدل تحقيق الإدماج القضائي المنشود والذي ظل عملية شبه مستحيلة، لتمسك الجزائريين بالخصوصية العربية الإسلامية والأحوال الشخصية الإسلامية والدين الإسلامي في مسائل العقود كالزواج والطلاق وغيرها، ومسائل المواريث، فرغم هذا الجهد الكبير إلا أن مسألة الأحوال الشخصية الإسلامية ظلت محور الخلاف الأساسي ولعلها محور النضال الوطني الذي بدأ يتصاعد في المرحلة ما بين الحربين العالميتين.

### د- كلية العلوم:

تعتبر المدرسة التحضيرية للعلوم التي بدأت أعمالها منذ 1880، النواة الأولى لهذه الكلية والملاحظ على بدايات هذه المدرسة هو التعثر والصعوبات وذلك بشهادة مديرها

(<sup>1</sup>) Madiana: Naissance de l'université d'Alger , l'école de droit et science économique : gant n°81, 1er trimestre 2003.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

السيد "بومال"<sup>(1)</sup>، ولم تكن تحتوي إلا على أربعة مقاعد أساسية وثلاثة أساتذة محاضرين في تخصصات الرياضيات، علم الفلك، الميكانيك، والفيزياء العامة، وهي تخصصات نظرية في وقت كان يرجى منها إجراء تطبيقات على البيئة الجزائرية في مختلف فروعها. وقد حصلت الكلية على صلاحيات هامة وفق قانون 30 ديسمبر 1909، إذ تعتبر الأحدث بين الكليات الفرنسية في مجال العلوم.

و أصبحت تقدم تعليما في علم الحيوان وعلم النبات والجيولوجيا والمعادن، وذلك تكريسا للهدف منها وهو دراسة كل العلوم المتعلقة بالأرض الموجودة عليها، ودراسة كل ما هو محلي من الكنوز والثروات و المواد<sup>(2)</sup>.

تطورت هذه الكلية أيضا في مختلف الاتجاهات، المخابر، المحطات النباتية والحيوانية وحتى البحرية، وتعداد الطلبة أيضا أخذ في الارتفاع وبلغ أوجه موسم 1956 حيث بلغ عدد الطلاب 1600 طالب يؤطرهم 38 أستاذ<sup>(3)</sup>.

و تطورت نوعية التعليم أيضا ، وتم إدخال العديد من التخصصات الحديثة مثل الميكانيك العام، الفيزياء الصناعية، والكيمياء التطبيقية، والصناعات الزراعية، والجيولوجيا التطبيقية، وعلم النبات الزراعي والصناعي، التجاري، والبيولوجيا العامة والتطبيقية.

وقد تم إدخال بعض التخصصات من الجيل الثالث للعلوم، كالفيزياء النظرية والفيزياء النووية، وعلوم البترول<sup>(4)</sup>.

وقد أرادت كلية العلوم أن تتسق في تخصصها مع كل المصالح المتخصصة كمصالح المناجم ومصالح الإنشاءات ومصالح الأنفاق والجسور، وحتى مع المصالح الصناعية والزراعية، وذلك عن طريق المخابر التابعة لها كمخبر الفيزياء الصناعية

<sup>(1)</sup> Mélia: Op.cit. P147.

<sup>(2)</sup> حول تطور كراسي العلوم أنظر الملحق رقم:05.

<sup>(3)</sup> Université d'Alger : cinquanteaire Op.cit. P105.

<sup>(4)</sup> Madiana: l'enseignement supérieur en Afrique du nord, naissance de l'université d'Alger(4), l'école des sciences, gam N°83, 3ème trimestre, 2003.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

المكلف بالدراسات والأبحاث والتطبيقات، والتجارب على الخصائص الصناعية للمواد والإلكتروتقنية، الإلكترونيك الصناعي والخصائص الفيزيائية والميكانيكية للمواد والري التطبيقي.

و بلغت أوج ازدهارها، بإنشاء معهد الدراسات النووية ومركز الفيزياء النووية والذي ساعد فرنسا في تفجير القنبلة النووية بالصحراء الجزائرية ودخول النادي النووي العالمي.

وقد ظلت نشاطات كلية العلوم على ارتباط مباشر بالاقتصاد الكولونيالي الاستغلالي، من أجل تطوير الزراعة، وخلق قاعدة صناعية، وتطوير البنى التحتية والمواصلات، وذلك بإجراء خبرات حسب الطلب للجهات المتخصصة ككهرباء وغاز الجزائر، مديرية الري، مصالح التجهيز، ومصالح مدينة الجزائر، وإجراء تطبيقات وبحوث حسب الطلب أيضا لشركات الأشغال العمومية والمؤسسات المنجمية.<sup>(1)</sup>

وقد شكل تذليل الصعاب الصحراوية، وتطوير الصحراء وجعلها في خدمة الاقتصاد الاستغلالي أولوية لهذه الكلية، ويتجلى ذلك في طبيعة الدراسات المنجزة المتعلقة بالاقتصاد الجزائري، مثل مشكلة المياه والصحراء وحركة الرمال، وسبل شق الطرق الصحراوية وحمايتها من التصحر وامكانية بناء سكك الحديد الصحراوية.

ومن المحاولات التطبيقية الصناعية نجد الكثير من التجارب على ميكانيكية المواد والحديد والصلب، الخشب، الخرسانة، وذلك باستغلال الموارد المحلية كالحصى في تعبيد الطرقات والبلاط.

وإلى جانب ذلك نجد الاختبارات الكيميائية والفيزيائية على الزيوت ومواد التشحيم المستخلصة من البترول المحلي بعد اكتشافه.

<sup>(1)</sup> L'université d'Alger : cinquantenaire (1909-1959) Op.cit. P109.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وقد تم أيضا ضبط وسائل القياس وفق النظام الفرنسي لوسائل القياس، وكلها من الآليات التي تستهدف إدماج الاقتصاد الجزائري في الاقتصاد الفرنسي، وهي من الإشكاليات الأساسية التي استدعت إنشاء مدرسة الحقوق ومدرسة العلوم منذ 1850.

وفي خدمة الاقتصاد الاستعماري ذو الطابع الاستغلالي، تم إنشاء مخابر مختلفة كمخبر الري على المساحات الكبرى، واختبارات على القنوات الكبرى، وذلك لتجاوز مشكلة الري في بعض المناطق، ومن أجل إقامة زراعة مروية واسعة يكون هدفها التصدير.

وقد ضمت مخابر الكلية فرناً تجريبياً تصل حرارته إلى 2500 درجة مئوية، ويكون بذلك كافياً لمختلف التجارب على المواد<sup>(1)</sup>.

وبالنسبة للكيمياء الصناعية فقد أخذت موقعها أيضا في كلية العلوم، وذلك عن طريق مخبر الكيمياء العامة، ومخبر الكيمياء التجريبية اللذان أجريا أبحاثا هامة حول السوائل، ووضعت تحت تصرف مصالح الحكومة العامة لمعالجة المشاكل المحلية في هذا المجال مثل تحليل عينات الفسفات الشمال إفريقي، واليورانيوم وتحليل المياه و تبني محاولات لإنتاج الماء الثقيل المستخدم في الصناعة النووية<sup>(2)</sup>.

وقد مكنت كلية العلوم المسابرة للتقدم التقني والتكنولوجي آنذاك من دراسة كل المستجدات العلمية منها محاولة استغلال الطاقة الشمسية وقياس تغير ملوحة البحر ورطوبة التربة وقياس مستوى الأنهار عن طريق التحليل الكيميائي للمياه ودراسة مشاريع السدود.

<sup>(1)</sup>Mélia :L'Épopée, Op.cit. PP (148-153).

<sup>(2)</sup> L'université d'Alger cinquantenaire (1909-1959) Op.cit. P113.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وقد أخذ علم البيولوجيا مكانة مرموقة في كلية العلوم التي أنشأت لهذا الغرض عددا من المخابر مثل مخبر الزولوجيا العامة والتطبيقية المتخصص في الزولوجيا البحرية والقارية، وكذلك مخبر علم البحار في الاميرالية.

وأنشأت أيضا مخبر البيولوجيا العامة والتطبيقية، وكذلك مخبر علم النبات العام والتطبيقي المخصص لدراسة النباتات في الجزائر وإفريقيا الشمالية والصحراء، وقد أشرف على هذا المخبر الأستاذ "مار" الذي ترأسه منذ تأسيسه حتى سنة 1949م وجمع حوالي 100.000 نوع نباتي خاص بشمال إفريقيا يمكن استغلاله وفق خصائصه العلاجية والتجميلية والعطرية، وقد خصصت الكلية مخبرا آخرًا خاصًا بالنباتات التجريبية والزراعية من أجل تهجين الأنواع الزراعية القابلة للإنتاج في شمال إفريقيا<sup>(1)</sup>.

ومن أهم التخصصات التي اهتمت بها كلية العلوم نجد علوم الأرض، والتي يعود الفضل في تطبيقاتها المحلية إلى الجيولوجي ب"ومال" الذي أنشأ مخبر الجيولوجيا العامة والتطبيقية لخدمة الصناعة والزراعة، وقد اهتم أكثر بالجيولوجيا المنجمية لعلاقته بمصالح المناجم، وبالتعاون مع مجموعة من الجيولوجيين والمهندسين تم إصدار أول الخرائط الجيولوجية لمقاطعة الجزائر ووهران سنة 1882 تم أول خريطة جيولوجية للجزائر سنة 1889. و سار العالم "فيشور" على خطى "بومال"، وأصدر خريطة جيولوجية لمنطقة القبائل وخريطة جيولوجية لكل الجزائر بمقياس 1/800.000 سنة 1900م.

وبالنسبة للصحراء، أهتم العالم "فلانر" بجيولوجيا الصحراء خاصة المياه الحوضية وذلك بغرض استغلال الصحراء.

و توجت الأعمال الجيولوجية بإصدار ثاني خريطة جيولوجية للجزائر بمقياس أكبر، وهي من إنجاز "دالوني" و"سافورني" 1/500.000. كما تشرفت كلية العلوم باحتضان مؤتمر الجيولوجيا في 1952م بحضور 1129 جيولوجي يمثلون 82 بلد، وقد تم إصدار

(<sup>1</sup>) L'université d'Alger cinquantaire (1809-1959) Op.cit. P109-114.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وثائق هامة بالمناسبة تمثلت في 27 مونوغرافيا لمختلف جهات الجزائر تحتوي على خرائط جيولوجية.

ومهد التوجه والاهتمام بالجيولوجيا والمناجم والشبكات الهيدروغرافية، الطريق للدراسات البترولية، ومن ثم اكتشاف البترول في الصحراء الجزائرية سنة 1957.

وقد أدى التطور في دراسة خصائص المواد والجسم الصلب إلى إنشاء مخبر لدراسة التبلور Cristallographé وهو الأول من نوعه في كل المستعمرات.<sup>(1)</sup>

والمراكز التابعة لكلية العلوم المركز العالي لعروض العمل وهو أيضا فريد من نوعه والهدف منه هو إيجاد العلاقة بين المنظمات المهنية والجامعية.

وفي الأخير يمكن القول أن كلية العلوم قدمت الخدمة اللازمة من أجل الاستغلال الاقتصادي للجزائر، وقد تمكنت من تذليل الصعاب وحل المشاكل ذات الطابع التقني والعلمي التي تعيق الاقتصاد الاستغلالي، ومهدت الطريق لاكتشاف ودراسة واستغلال كل الثروات الموجودة في الجزائر وشمال إفريقيا، وبذلك سارت على النهج الذي تحدث عنه السيد "طوماس" أثناء افتتاح المدرسة حيث قال: "الهدف هو تكوين رجال مزودين بالمناهج العلمية الحالية، والقادرين على التطور مع العصر، ونأمل أن يشرك في المدرسة المزارعون من أجل تطوي الزراعة و التجارة، وخلق علاقة جيدة مع الكولون فيما يتعلق بالمستعمرة والعلوم"<sup>(2)</sup>.

كان هدف المدرسة خدمة الكولون وتمكين طلبة الطب من متابعة دروس البيولوجيا وعلم النبات وغيرها وتكوين المستوطنين ومنحهم شهادات العلوم الزراعية التطبيقية، تم تحولت بعد 1909 إلى واحدة من أحدث كليات العلوم الفرنسية بين نظيراتها في المتروبول، وأصبحت أعمالها تسير بالتنسيق مع علماء أكاديمية العلوم والجمعية

<sup>(1)</sup> L'université d'Alger : cinquantenaire (1909-1959) Op.cit. P121.

<sup>(2)</sup> Méliá : Op.cit., P152.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

---

الكيميائية في فرنسا، والأكثر من ذلك تحتكر ميزة التطبيق على البيئة الشمال إفريقية، وحتى أعداد الطلبة فيها أصبحت معتبرة فقد وصل إلى 682 طالب موسم 1947.<sup>(1)</sup>

ونظراً للجهود التطبيقية في إطار تامين المستعمرة وإنشاء المؤسسات اللازمة لذلك، جعلت كلية العلوم تقترح وتساهم في إنشاء العديد من المعاهد الصناعية والزراعية خاصة المدرسة الفلاحية بالحراش، و ساهمت في بناء القاعدة العلمية المطلوبة، و اقترح واستحداث المؤسسات العلمية الضرورية في الجزائر.

ظلت الكليات النواة الأساسية للتعليم العالي، وساهمت في تطور التعليم العالي الفرنسي في الجزائر، وذلك بإيجاد المعاهد اللازمة المتخصصة والمعاهد بين الكليات لتجعل من الجامعة الفرنسية في الجزائر إحدى أهم الجامعات الفرنسية وأهم جامعة في المستعمرات الفرنسية.

---

<sup>(1)</sup> Ibid., P154.

ثالثا: المعاهد الجامعية بجامعة الجزائر (1909-1962):

عرفت النهضة العلمية الأوروبية أوج تطورها في المرحلة ما بين الحربين العالميتين التي عرفت توجه التعليم العالي نحو التخصص و واكبت الجامعة الفرنسية في الجزائر هذا التطور النوعي، وذلك باستحداث مقاعد الجيل الثالث للعلوم خاصة في كلية العلوم مثل البكتريولوجيا والفيزياء النووية وغيرها، كما أنشأت في فترات مختلفة وذلك وفق ما تقتضيه الحاجة والضرورة معاهدا جامعية متخصصة، وقد تتبعنا ظهور هذه المعاهد زمنيا، فالبعض منها كان تابعا لإحدى الكليات الأربعة، والبعض الآخر نتيجة للتنسيق بينها، وأهم هذه المعاهد الجامعية ما يلي:

**1-معهد النظافة والطب لما وراء البحار: Institut d'hygiène et médecine d'autre mer**

تم إنشاء هذا المعهد بتغيير تسمية واختصاص معهد الطب الكولونيالي لإفريقيا الشمالية المنشأ سنة 1913، والذي يعتبر فرعا لمدرسة الطب الكولونيالي، وبذلك احتوت جامعة الجزائر هذا الاختصاص، وجعلته من معاهدها سنة 1947م، كان المعهد في ظل التسمية السابقة يحضر شهادات في البكتريولوجيا والتراكمولوجيا وتوقف عن تحضيرها منذ تغيير التسمية والاختصاص سنة 1947م<sup>(1)</sup>.

أصبح المعهد يقدم دبلومين متخصصين في النظافة والطب لما وراء البحار وذلك تكملة لمعارف الأطباء العاملين في الجزائر والأطباء القادمين من فرنسا في علم الأوبئة المنتشرة في المناطق الحارة، وكذلك نظافة الجزائر.

<sup>(1)</sup>M. Lacroix :Directeur de l'institut, d'Hygiène rapport sur les activités de l'institut 1959, l'université d'Alger, cinquanteaire (1909-1959) P195.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

تتم الأبحاث في هذا المعهد على مسؤولية مدير كلية الطب "لاكروا" ، وهي موجهة خاصة للبيدرولوجيا والبكتولوجيا والبرازيتولوجيا والطفيليات الناقلة للأمراض في المناطق الساخنة، وكذلك دراسة الحشرات الناقلة للأمراض.

وقد قام هذا المعهد بتنظيم المؤتمر العالمي للنظافة ومحاربة الحشرات المنزلية والناقلة للأمراض سنة 1950م، حضره العديد من المختصين في مختلف مناطق العالم.

وقد اغتتم الدكتور لاكروا هذا المؤتمر لإلقاء محاضرة حول داء "Tylhus" التعفن الذي كان منتشرًا في الجزائر وتمت الإحاطة به والقضاء على بؤره<sup>(1)</sup>.

يعتبر هذا المعهد الفريد من نوعه في الجزائر والمستعمرات الفرنسية على قدر عالٍ من التخصص في مجال الطب في المناطق الحارة، وهو مكمل لمعهد الطب في قضايا طبية ذات بعد محلي شمال إفريقي خاصة وإفريقيا عامة، وقد شكل فضاء بحث في تخصص مستحدث لتلبية حاجات المستعمرة، ولإستكمال تكوين الأطباء الفرنسيين ونظرائهم الدارسين في جامعة الجزائر.

### 2- معهد الأرصاد الجوية وفيزياء الأرض بالجزائر:

تعتبر الأبحاث الفلكية في الجزائر من أقدم العلوم التي راهن عليها الاستعمار إذ بدأت منذ الاحتلال وذلك ليس غريبًا لكثرة الزلازل التي كانت تضرب الجزائر وضواحيها، إذ تم إنشاء أول محطة فلكية سنة 1938م من طرف مصالح الهندسة العسكرية:

أما الأرصاد الجوية والتي تعبر على قدر ليس كبير من الأهمية، فقد ارتبطت بكلية العلوم لدراسة ظواهر التساقط ودرجة الحرارة والتقلبات الجوية منذ 1883م وارتبطت أيضا بأسماء الأساتذة "تلفو" و "كومسيا" و "طوماس" ، والذين عملوا على دراسة الظواهر

(<sup>1</sup>) Méliá : Op.cit. P202.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

المناخية وتزويد المصالح المختلفة بالمعلومات الضرورية في مخبر صغير تابع لكلية العلوم.

وتم تحديث مخبر الأرصاد الجوية سنة 1913م في جامعة الجزائر تحت إدارة الأستاذ "ألزار" واستمر في أداء الخدمة بالتنسيق مع مرصد بوزريعة، وفي 04 مارس 1931 تم تطوير مخبر الأرصاد الجوية إلى معهد للأرصاد الجوية موافق لذلك الموجود في فرنسا<sup>(1)</sup>.

وإضافة إلى مرصد الجزائر الموجود ببوزريعة أنشئ مرصد ملحق في تمناست سنة 1932 لدراسة فيزياء الأرض بما فيها رصد النشاط الزلزالي لمنطقة الصحراء ورصد الظواهر المغناطيسية في الصحراء.

ويفضل هذا المعهد تم التحكم في المعطيات المتعلقة بالمناخ الجزائري والمناخ الصحراوي، وتم تنصيب محطات أخرى لتغطية التراب الوطني كتلك المنشأة في سطيف وغليزان، وتم أيضا إنشاء محطة مغناطيسية ثانوية في منطقة الأبيض سيدي الشيخ تسجل الحركات الطويلة للحقل الأرضي، وقد تم أيضا تزويد مرصد تمناست بجهاز رصد الحركات الالكترومغناطيسية بحساسية عالية جدا، وهو جهاز الفاريوماتر<sup>(2)</sup> للتغيرات السريعة.

### 3-معهد الأبحاث الصحراوية:

ظلت الأبحاث الصحراوية لزمن بعيد محل اهتمام أكاديمية العلوم الاستعمارية لأهمية الصحراء وضرورة تثمينها، وربطها بمحيط إفريقيا الفرنسية جنوب الصحراء.

(<sup>1</sup>) فيما يتعلق بالمرصد الجزائري والمعهد لا يخضع إلى تشريعات خاصة بهما في الجزائر وإنما يتبعان القوانين المنظمة لهذا النوع من الأبحاث في المتربول فهيمؤسسات فرنسية.

(<sup>2</sup>). Grenent : OP.CIT, 208.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

واستجابة لرغبة هذه الأكاديمية، أنشأ بموجب قانون 10 جويلية 1937م معهد الأبحاث الصحراوية في جامعة الجزائر، وقد جاء إنشاء هذا المعهد أيضا استجابة للرهان الذي أطلقه الجغرافي "إميل فلّكس غوتي" في مذكراته الشهيرة عن الصحراء وأهميتها سنة 1929<sup>(1)</sup>.

وعلى خلاف بنية المعاهد الأخرى، يتكون هذا المعهد من طاقم عمل يضم خمسين عضوا دائما من جامعة الجزائر من مختلف التخصصات أطباء، جيولوجيين جغرافيين وبعض الأعضاء من أكاديمية العلوم الاستعمارية في فرنسا، وبعض الأعضاء من شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء يستخدمون كترجمين وأدلاء في مختلف مناطق الصحراء<sup>(2)</sup>.

هذا الطاقم يتكون من لجنة مديرة من عشرة أعضاء، يرأسها عالم النبات وعالم الجيولوجيا "دالوني"<sup>(3)</sup>.

وقد حددت المادة الرابعة من قانون 10 جويلية، مهمة هذا المعهد والمتمثلة في استغلال ونشر وتوثيق الأبحاث حول الصحراء والوثائق المتعلقة بالصحراء، وتنظم هذه الوثائق وجردها عن طريق تقنيات التوثيق، ويتم أيضا وفق هذا القانون إنشاء مكتبة متخصصة في الصحراء تنشر كل المستجدات حول الصحراء ومنها مشروع تغطية جوية بالصور للصحراء الجزائرية.

وقد نظم المعهد رحلات استكشافية للصحراء ضمت علماء مهتمين بالصحراء من كل التخصصات نذكر أهمها:

<sup>(1)</sup> Méliá : Op.cit. P206.

<sup>(2)</sup> Robert Capot-Rey : directeur d'institut Rapport sur l'activité de l'institut, 1959, sur l'université d'Alger cinquanteaire, Op.cit. PP 162-167.

<sup>(3)</sup> Voir : Robert Capot-Rey , le Sahara Français, payé d'autre mer, Tom y PUF, 1953, p163.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

- مهمة فزان (1944-1945)، وضمت 12 عالما، انتهت بإصدار 6 مذكرات حول الصحراء التلية.

- مهمة تاسيلي ناجر (1945)، وانتهت باكتشافات هامة خاصة في علم الآثار.

وقد صدر عن معهد الجغرافيا نشرية علمية تحت اسم "الحوليات الصحراوية" وهي أعمال بدون اسم ضمت ملاحظات وتقارير ومقالات ومذكرات خاصة حول الصحراء جاءت في 17 جزءا.

وبفضل مجهودات العلماء والباحثين التابعين للمعهد عرفت الصحراء اكتشافات هامة في الطاقة والمعادن، وما قبل التاريخ، والشبكات المائية والمناخ.

أدت هذه الاكتشافات إلى إزالة الإبهام عن الصحراء ومنه معرفة ظروفها ودراسة كفاءات استغلالها<sup>(1)</sup>.

### 4-معهد التمدين:

أنشأ المعهد تطبيقا لقانون 11 جويلية 1942م، ولم يبدأ العمل إلا في سنة 1946م. ويتلخص الغرض من إنشائه في تنسيق وتطوير الأبحاث المتعلقة بإنشاء وتطوير المدن، وعلى الخصوص تلك الدراسات المتعلقة بتوسع المدن الشمال إفريقية في تنظيمها وتوسعها العمراني، وكذلك في كل ما يتعلق بتنظيمها الإداري والاقتصادي والاجتماعي<sup>(2)</sup>. يمنح المعهد تكوينا عاليا متخصصا للمنشغلين بالقضايا المتعلقة بالتمدين مثل المهندسين المعماريين والمهندسين المدنيين والمهندسين المتارين.

<sup>(1)</sup>Robert Capot-Rey : Op.cit, P164.

<sup>(2)</sup> J.alazad : Directeur et doyen de la faculté des lettres, Rapport sur les Activité de l'institut 1959, in l'université d'Alger : cinquantaire 1909-1959, PP (186-191).

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وكذلك يتوجه المعهد نحو تأهيل الموظفين في المصالح العامة المدعويين لمعالجة مشاكل المدن والتمدين كالموظفين التابعين لمصالح الأشغال العمومية والمندوبين الماليين المهتمين بقضايا التمدين، وكل هذا بهدف مواجهة المشاكل المتعلقة بالتهيئة العمرانية والتجهيز وتطوير قدراتهم في التخصص، إما باستنساخ تجارب المدن في المتروبول، أو باكتشاف أساليب جديدة تتماشى ومتطلبات المدن الشمال إفريقية<sup>(1)</sup>.

ويمنح المعهد شهادة في تخصص التمدين بعد سنتين من الدراسة وبرنامج التعليم يتناول المقاييس التالية: التاريخ والجغرافيا، الحقوق، علم الاجتماع والاقتصاد، تقنيات تهيئة المدن، وتوكل الدروس إلى أساتذة من أهل الاختصاص وتنتهي الدراسة بإنجاز الطالب لمخطط تهيئة لبلدية صغيرة، وعادة ما تستخدم هذه الأبحاث في عملية التهيئة الرسمية للعينات المستهدفة من البلديات<sup>(2)</sup>.

### 5-معهد التربية البدنية والرياضية:

لقد أسس هذا المعهد بتطوير اختصاص المركز العالي للتربية البدنية الموجود في الجامعة منذ 1937، وذلك تطبيقا لقانون 24 أبريل 1944م<sup>(3)</sup>، الهدف من إنشائه هو خلق مركز للأبحاث العلمية التطبيقية للتربية البدنية والرياضة، وفي نفس الوقت موجه لتكوين مربين (أساتذة) في التربية البدنية والرياضية، وذلك أن نهاية التكوين تتوج بمنح شهادة الكفاءة المهنية لمزاولة مهنة أستاذ التربية البدنية والرياضية.

ويتخذ المعهد من كلية الطب مقرا له في مخبر الفيزيولوجيا منذ 1943، ويسيره أستاذ من كلية الطب، ويتمتع بميزانية خاصة مستقلة عن ميزانية الجامعة، جُلها من حقوق تسجيل الطلبة وتبرعات الجماعات المحلية.

<sup>(1)</sup> Mélia : Op.cit. P210.

<sup>(2)</sup> Pierre Mollet : urbanisme en Alger, de (1935-1952), bulletin municipal de la ville d'Alger, juin 1953.

<sup>(3)</sup> M.O. Ghardoun : directeur de l'institut, rapport des Activité de l'institut 1959, in université d'Alger cinquantaire (1909-1959) PP 193-194.

6-معهد الدراسات الإسلامية العليا:

ويختص هذا المعهد دون غيره في الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الفرنسية، إذ يتمكن الطلاب الحاملين لشهادة البكالوريا من التعليم الثانوي المتخرجين في الثانويات الفرنسية، والذين اختاروا اللغة العربية كلغة حية أولى من الالتحاق به، كما يمكن أيضا غير الحاصلين على البكالوريا من دخول المعهد عن طريق مسابقة، وذلك منذ أكتوبر 1946 تاريخ افتتاح المعهد في قصر الشتاء في شارع لافيغري<sup>(1)</sup>.

يسهر على تقديم الدروس في المعهد أساتذة من قسم الآداب والحقوق، وأساتذة من الثانويات الفرنكو-إسلامية ويتم التكوين في المواد التالية: الفلسفة الإسلامية، اللغة والآداب العربية، الحقوق الإسلامية، حفظ القرآن الحديث، ترجمة النصوص المختلفة، المواريث، القواعد، واللسانيات العربية وهي المواد المدرسة بالعربية<sup>(2)</sup>.

أما المواد المدروسة بالفرنسية فهي: الحضارة الفرنسية، اللغة الفرنسية، تاريخ وجغرافية العالم الإسلامي، الحقوق الإدارية، القانون المدني، الاقتصاد السياسي، التشريع الجزائري، التشريع المقارن الإسلامي، القانون الدستوري إجراءات النقد المدني<sup>(3)</sup>.

كان معظم الطلاب المسلمين يتوجهون إلى هذا المعهد بعد إنشائه، وذلك نظرا لقصر مدة الدراسة به، إذ تقدر بسنة واحدة لأصحاب البكالوريا وستين لغير الحاصلين على البكالوريا.

ويمكن لطلبة المعهد الاختيار بين ثلاثة تخصصات متاحة وهي:

- التخصص القضائي: ويكون القضاة المسلمين.
- التخصص الأدبي: ويكون أساتذة العربية.

<sup>(1)</sup> H. Péres : Directeur de l'institut, Rapport sur les Activité de l'institut, 1959, in université d'Alger cinquanteaire (1909-1959), P-P169-172.

<sup>(2)</sup> Ibid.

<sup>(3)</sup> حول مقر المعهد الإسلامي أنظر الملحق رقم : 07.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وخصوصية هذا المعهد تتمثل في كون المتخرجين فيه يمكنهم تحضير الليسانس بعد الحصول على الشهادة، في إحدى الكليات الآداب والحقوق عن طريق اجتياز مسابقة من الدرجة الثانية، وذلك عكس معظم المعاهد الأخرى التي يلتحق بها المتخرجين من الجامعة<sup>(1)</sup>.

ويحظى هذا المعهد بمكانة هامة في جامعة الجزائر والجامعات الفرنسية لمحاولته التوفيق بين الثقافتين العربية والفرنسية من جهة، ويحظى باحترام الطلبة المسلمين لاحترامه للغة العربية والدين الإسلامي.

ونظرا لاهتمام هذا المعهد بالدراسات الإسلامية قد عوض معهد الاستشراق المنشأ سنة 1934.

### 7- معهد العلوم الإدارية و الاجتماعية:

جاء هذا المعهد نتيجة لمجهود طويل بدأتها جامعة الجزائر منذ 1912، وهو معهد مشترك بين كلية الآداب والحقوق، وقد اقترحت كلية الحقوق في ماي 1938م فكرة إنشاء معهد للدراسات الإدارية الشمال إفريقية والاستعمارية، يمكنه تحضير شهادة عليا في الدراسات الإدارية الجزائرية، الشهادة التي كانت تمنحها جامعة الجزائر منذ 1912م<sup>(2)</sup>.

أوقف مشروع معهد العلوم الادارية بسبب الحرب العالمية الثانية سنة 1939م وقد تم إحياء المشروع سنة 1941 وذلك بصدور مرسوم 19 نوفمبر 1941م، الذي أنشأ معهد العلوم الإدارية والاجتماعية الاستعمارية وقد حددت أمرية 14 مارس 1941

(1).Péres : Op.cit. PP 193-169-172.

(2) Revue de L'institut des sciences Administratives et sociales de l'université d'Alger,N°29, du 20 juin 1948.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

شروط عمل هذا المعهد ، وقد بدأ العمل فعلا سنة 1942م، لكن إنزال الحلفاء بشمال إفريقيا حال دون قدرته على مواصلته وبقي يواجه الصعوبات.

والحكومة العامة بدورها اهتمت بوضعية هذا المعهد، وأصدرت أمرية في 09 أكتوبر 1945م تنشأ معهد الدراسات السياسية، وأيضا دعت لتنشيط هذا المعهد الذي بدأ أعماله بصفة رسمية موسم 1947-1948<sup>(1)</sup>.

وقد جاء هذا المعهد ليستجيب للحاجة المحلية المتمثلة في استقطاب طلبة شمال إفريقيا المتوجهين نحو الجامعات الفرنسية لمواصلة هذا التخصص الإداري.

والهدف من إنشاء هذا المعهد هو الاستجابة لحاجة الجزائر إلى مختصين في العلوم الاجتماعية، ومطلعين على المشاكل السياسية والاقتصادية المتعلقة بشمال إفريقيا، وهذا خاصة بعد إعلان دستور الجزائر (القانون الخاص) .

### 8-معهد الدراسات السياسية:

أنشئ هذا المعهد بموجب قانون 02 أوت 1949 تطبيقا للأمرية رقم 05/2283 الموافقة لـ 09 أكتوبر 1945م، المتعلقة بمعاهد الدراسات السياسية المكتملة لمرسوم 45/2285 لنفس التاريخ الخاص بالتعليم الإداري العمومي.

وقد جاء هذا المعهد مكتملا لقسم العلوم الإدارية والاجتماعية الاستعمارية لجامعة الجزائر المنشأ وفق قانون 19 نوفمبر 1941م<sup>(2)</sup>

بدأ هذا المعهد العمل موسم 1947-1948 في إنتظار تحويله إلى كلية للعلوم السياسية، في وقت لم يكن هذا التخصص موجودا في بعض الجامعات الفرنسية وهي ليون غرونوبل، تولوز، بوردو.

(1) حول رزنامة معهد العلوم الإدارية والاجتماعية أنظر الملحق رقم 06.

(2) J. Mabileur : Directeur de l'institut, science politique Rapport sur les Activités d'institut, 1959, in université d'Alger, cinquanteaire (1909-1959), PP173-177.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

أما مهمة هذا المعهد، فقد أشارت إليها المادة الأولى من أمرية 09 أكتوبر 1945 فهو من جهة يكمل عمل كليات الآداب والحقوق في الجانب الاقتصادي والإداري والاجتماعي، ومن جهة أخرى يؤهل الطلاب ويزودهم بمناهج العمل لحل الإشكاليات المتعلقة بالأمور الإدارية والحياة الاجتماعية.

ويسمح دبلوم المعهد للطلبة بدخول المدرسة العليا للإدارة ومزاولة المهام الإدارية المختلفة، وأيضا يضمن تكويننا تطبيقيا في الوظيف العمومي والخاص، ويدوم التكوين في هذا المعهد ثلاثة سنوات بعد البكالوريا، ويتخرج الطلاب بإحدى الشهادتين التاليتين: شهادة الدراسات الشمال إفريقية للطلبة المحليين، وشهادة الدراسات السياسية للطلبة الأجانب.

هذه الشهادات وهذا النوع من التكوين جعل هذا المعهد الأول والفريد من نوعه في المستعمرات وشمال إفريقيا، يهتم بالتكوين الإداري للإطارات المؤهلة للاضطلاع بإحدى الوظائف الإدارية في إفريقيا الفرنسية.

### 9-معهد الفلسفة ( الدراسات الفلسفية):

أنشئ معهد الفلسفة باقتراح من مجلس الجامعة المنعقد في 25 جوان 1951م والذي أقره قانون 05 ماي 1952م، وتم تعيين الأستاذ "بيار شاردي" مديرا له في 03 جوان 1952م، والسيد "شار راي" نائبا للمدير في نوفمبر 1952م، والذي أصبح هو المدير في أكتوبر 1956م<sup>(1)</sup>.

وقد استطاع هذا المعهد ضمان تعاون أساتذة علم النفس خاصة لويس بورجي وذلك طبقا للدور المنوط به والمتمثل في تأطير الأبحاث والأعمال في العلوم الفلسفية والاجتماعية، وتقديم تعليم مكافئ لمعاهد التخصص الفرنسية والأجنبية.

(<sup>1</sup>) J.Chaix-Ruy : Direction de l'institut, Rapport sur les Activité d'institut, in université d'Alger, Op.cit. PP (183-186).

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

كما يتمثل دور هذا المعهد في نشر البحوث المتخصصة المنجزة في جامعة الجزائر والمعاهد الأخرى.

وقد تحصل المعهد على تسريح وزاري سنة 1953 لتحضير شهادة عليا في علم الجمال، ثم على مخبر لعلم النفس التجريبي.

وأصدر المعهد نشرة خاصة تطل كل ثلاثة أشهر (فصلية) تحت عنوان Psychologie social-sociométrie نشرت أعمالا فلسفية وأعمالا حول علم النفس الشمال إفريقي.

كان معظم أساتذة المدرسة أعضاء في الجمعية الفلسفية المنشأة سنة 1945م والتي تصدر بدورها مجلة الدراسات الفلسفية.

### 10- معهد الإثنولوجيا:

أنشئ هذا المعهد بموجب قانون 31 مارس 1956، وحددت وظيفته الأساسية في تنظيم وجمع البيانات وإنجاز الأبحاث المتعلقة بإثنولوجيا شمال إفريقيا.

وكل هذا عن طريق خلق وتنظيم تعليم عصري باستخدام بيانات المعلومات المتوفرة للكليات الأربعة لجامعة الجزائر في مجالات الإثنولوجيا - البيئة الأنثروبولوجية- الجغرافيا البشرية- الديمغرافيا - أنماط الحياة الأنثروبولوجيا.

ونظرا لتأخر إنشاء هذا المعهد، لا توجد نشرة خاصة به أو دورية، ماعدا إشرافه على توجيه التحقيقات الاجتماعية لمركز الدراسات البربرية في تيزي وزو وبالنسبة لمدة الدراسة بهذا المعهد فإنها تمتد لسنتين تنتهي بدبلوم الإثنولوجيا وذلك وفق قانون 13 أبريل 1956<sup>(1)</sup>.

(<sup>1</sup>) Ph, Marçais : Directeur de l'institut, Rapport sur les Activités de l'institut, 1959, in l'université d'Alger, cinquanteaire, Op.cit. PP187-188.

11- معهد تحضير الأعمال: (IPA)

وهو معهد جامعي تحت الوصاية المزدوجة لكلية الحقوق والعلوم أنشأ بموجب قانون 05 أوت 1957م<sup>(1)</sup>.

ترتكز برامج التكوين في هذا المعهد على تطوير مختلف المناهج الادارية والمعارف الضرورية لسير المؤسسات، ويقدم شهادة القدرة على إدارة المؤسسة (CADE).

ويتكون المجلس الاداري للمعهد من أساتذة من مختلف الكليات ويسعى إلى تحقيق الأهداف التالية وذلك كما أشار مديره السيد "شابرت" :

- تطوير وتحديث المعارف العلمية والتقنية لرؤساء وإطارات المؤسسات لتحسين الإنتاجية للمؤسسات.

- تحضير الطلاب وتسهيل اندماجهم في الحياة الاقتصادية.

- دراسة وإيجاد الحلول للمشاكل التي تطرح على مستوى التسيير الحديث للمؤسسات في الداخل والخارج.

- تسهيل الاتصال بين الجامعة والمؤسسات العمومية والخاصة والمجموعات المهنية لمعالجة كل المشاكل ذات الطابع الاقتصادي والقانوني و الاجتماعي في عالم الأعمال.

ويهدف هذا المعهد إلى تعزيز المعارف وتبادل الخبرات من أجل ربط الإتصال بين المؤسسات لتحسين الإنتاجية وضمان الفعالية في المؤسسة.

11- معهد البسيكوتكنيك والبيوميتري:

<sup>(1)</sup> M, Chabert : Directeur de l'institut Rapport sur les Activités de l'institut, 1959, in l'université d'Alger, cinquantaire, Op.cit. PP 197-200.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

تطور هذا المعهد عن قاعة السيكتوتكنيك والبيومتري في كلية الطب المنشأة منذ 1941م، والهدف منه هو تكوين إطارات في المجال التطبيقي للسيكتوتكنيك، وذلك بعد سنة من الدراسة للحصول على شهادة الكفاءة المهنية، كما يعمل على إجراء أبحاث على المستوى المهني التطبيقي.<sup>(1)</sup>

ويمكن للطلبة الحاصلين على شهادة المعهد (opérateur) الالتحاق بمعهد الدراسات للأعمال والتوجيه بباريس ليصبحوا مستشارين للتوجيه المهني.

يهدف تكوين إطارات هذا المعهد إلى إيجاد سبيل الملاءمة مع العمل، ومن ثم اختيار العمال المتوجهين إلى الجزائر تحت وصاية وزارة العمل، فهو يفكر بما يتعلق بمشاكل الملائمة مع العمل لدى المترشحين المقبلين على الوظائف وكذلك العمال في المؤسسات.

### 12- معهد الدراسات الاستشراقية:

وهو معهد متخصص ضمن كلية الآداب، ويوجد مثل هذا المعهد في جامعة السوربون منذ زمن بعيد إضافة إلى الدراسات الإسلامية، وتكمن أهمية هذه المعاهد في كونها تظهر فرنسا كقوة إسلامية كبرى، قادرة على استيعاب الإسلام كأحد العناصر الأساسية ضمن الإمبراطورية، ولذلك تم استحداث هذا المعهد سنة 1934م<sup>(2)</sup>.

وحسب بيان تأسيس هذا المعهد، فإنه يهدف ليس إلى تنظيم تعليم خاص، ولكن من أجل تكوين فوج عمل ولجنة للنشر، ويهتم بكل ما يتعلق بالتاريخ والحضارة واللغات المنتشرة في العالم الإسلامي، ويهتم خاصة بالإسلام وشمال إفريقيا.

<sup>(1)</sup> J. Malmejac : le directeur de l'institut, Rapport sur les Activités de l'institut, in université d'Alger cinquanteenaire, (1909-1959) P-P197-200.

<sup>(2)</sup> Méliá : Op.cit. PP 203-204.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

يحتوي هذا المعهد على أربعة أفواج أو مجموعات، وأولها هو فوج التاريخ وعلم الآثار والذي يهتم بكل شيء عن شمال إفريقيا والصحراء و ما قبل التاريخ و الحضارة الإسلامية في الأندلس، المغرب، تونس و مصر، ويهتم أيضا بدراسة النقوش والكتابات القديمة خاصة العربية، ويضم أيضا فوج اللسانيات والذي يهتم باللغات الأساسية والنحو العربي والنطق العربي الشمال إفريقي واللهجات البربرية الكثيرة.

أما فوج الآداب والفيلولوجيا (فقه اللغة)، ويهتم بدراسة النصوص الأكثر قدماً للإسلام، وكذلك تلك المتواترة حتى ذلك العصر من مخطوطات وقصاصات من الجرائد العربية.

وأخيرا فوج السوسولوجيا والحقوق، ويهتم بالجغرافيا البشرية والاثنوغرافيا الأمازيغية، والمؤسسات الإسلامية، والعادات والتقاليد الأهلية في شمال إفريقيا والتشريعات الجزائرية والتونسية والمغربية.

ومعظم أعمال معهد الدراسات الإشرافية كانت تصدر في المجلة الإفريقية وكذلك في دوريات (حوليات) المعهد.

وأعمال هذا المعهد لا تتحدد في المقالات والمحاضرات، وإنما تجاوزت ذلك إلى إنجاز مجموعة Bibliotheca Arabica وبذلك يكون هذا المعهد المركز الفرنسي الأكثر نشاطا في مجال الإستشراق.

### 13- المعهد التطبيقي للتنقيب المنجمي الاستعماري:

تم إنشاء هذا المعهد باقتراح من مجلس الجامعة وفق مرسوم 15 سبتمبر 1942 وهو تحت وصاية كلية العلوم، وبالتعاون مع مصالح المناجم، ومصالح الخارطة الجغرافية للجزائر وكذلك مديرية المناجم بمصالح الدولة الفرنسية لما وراء البحار وكذلك مديرية

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

المناجم لإفريقيا جنوب الصحراء، وهذا المعهد مهم جدا لأنه يهتم بكل ما هو في باطن الأرض بالنسبة لإفريقيا الفرنسية.<sup>(1)</sup>

ويهتم المعهد بالأبحاث المخبرية المتعلقة بالقضايا الجيولوجية والمنجمية لكل إفريقيا الفرنسية.

ويتوجه التعليم في المعهد إلى الشباب الحاصلين على شهادة معادلة للأهلية العليا ويتلقون التعليم لمدة سنة، منها ثلاثة أشهر نظرية والباقي في التطبيق، ويتمكنون من الحصول على وظائف في كل إفريقيا الفرنسية في مجال التخصص.

### 14- معهد علم الإجرام الشمال إفريقي:

تم إنشاء هذا المعهد بتوجيه من مجلس الجامعة وفق مرسوم 25 أفريل 1942 وقد حدد هذا المرسوم أهداف هذا المعهد كمايلي:

- دراسة علم الإجرام من وجهة نظر تطبيقاته الاجتماعية خاصة في شمال إفريقيا.
  - تدريس المواد المتعلقة بعلم الإجرام.
  - التكوين المهني للمتشحين للقضاء، الطب الشرعي، والمستخدمين في سلك الشرطة.
- ويتعاون المعهد مع مصالح الأمن العام للجزائر، وذلك بتنظيم محاضرات موجهة إلى ضباط الشرطة.
- وُضع هذا المعهد تحت الوصاية المزدوجة لكلية الحقوق والطب، ويمنح دبلومات في التخصص.

(<sup>1</sup>)Mélia : Op.cit. PP212-213.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وأخيرا فإن هذه المعاهد هي أهم الثمرات التي جاءت بها الجهود الطويلة لتطوير تخصصات جامعة الجزائر، سواء بالتعاون بين الكليات أو باقتراحات من مجلس الجامعة.<sup>(1)</sup>

### 15- معهد الدراسات النووية:

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وخروج فرنسا شبه محطمة منها، ازدادت أهمية الجزائر كممول أساسي لفرنسا، وازدادت أهمية التكنولوجيا الاستراتيجية، خاصة صناعة الطيران والطاقة النووية والإلكترونيك المعاصر (صناعة الترانزستور)، وفي المجال النووي والذري، اهتدت السلطات الفرنسية إلى الصحراء كمكان ملائم لأولى التجارب الذرية وذلك في سرية تامة، وبدأت أولى هذه التجارب في 13 فيفري 1960م، وذلك بإبقاء كل المستلزمات في المتروبول.

ومن جهة أخرى فإن الدراسات الاستشرافية للولاية العامة ومصالح المياه أثبتت أن حاجة الجزائر في تزايد مستمر للطاقة الكهربائية، وأن القدرات الحالية للإنتاج غير كافية وذلك منذ 1950م.

ورغم اكتشاف البترول إلا أن استغلاله بدأ محتثما في حاسي مسعود بين (1956-1957) وكذلك الغاز في حاسي الرمل (1954-1956).

ولذلك قام فرانسيس بيران Francis Perrin المحافظ السامي للطاقة الذرية بزيارة للجزائر سنة 1951م، والتقى السيد صالح بوعكوير المدير العام للشؤون الاقتصادية والصناعية، وعالجا معا مسألة إنشاء مفاعل نووي، كذلك التقى البروفسور

(<sup>1</sup>)Mélia : Op.cit. P210.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1962-1909)

" أندريس بلان "لابير André Blanc Lapière أستاذ الفيزياء النظرية، ودرسا معا إنشاء معهد جامعي لمرافقة المشروع وتحقيق الأهداف التالية:<sup>(1)</sup>

- التكوين الجامعي الأساسي في الفيزياء النووية والعلوم الملحقة.
- التكوين المتخصص والبحث في إطار مشروع إنشاء معهد للدراسات النووية.
- تحسيس العالم الاقتصادي والصناعي المحلي للمشاركة في المشروع.

وقد استخدم محافظ الطاقة النووية كل قدراته وسلطاته للبدء في المشروع الذي يعتبر المركز الذري الثالث في كل فرنسا حينذاك، وكانت جامعة الجزائر خامس جامعة فرنسية قادرة على تطوير الفيزياء النووية، وذلك ما تم عن طريق مرسوم 22 جويلية 1955 ومرسوم 23 سبتمبر 1955، الذي أنشأ في كلية العلوم في جامعة الجزائر التعليم من الدرجة الثالثة، الذي يحضر لدبلوم الدراسات المعمقة في الفيزياء الذرية (DEA) والفيزياء النظرية.

وقد تم تجنيد عالم الاقتصاد والصناعة لدعم المشروع الذري بإنشاء الجمعية الجزائرية للتوثيق الذري "Aldocatom"<sup>(2)</sup> برئاسة صالح بوعكير وفي 7 ديسمبر 57 وضعت حجر الأساس، لبناء المعهد من طرف "روبارت لاكوست" وزير الجزائر وبعض الشخصيات في الجزائر.

وقد جاء في تقرير مدير المعهد المنشور في خمسينية جامعة الجزائر 1959 أن إنشاء هذا المعهد يهدف إلى:<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> Jean Pierre FILLARD ET MICHEL SAVOLLI : l'institut d'étude nucléaire, de l'université d'Alger in revue du cercle Algerianiste, N°99, septembre 2002 et N° 100 octobre 2002.

<sup>(2)</sup> أنظر الملحق رقم 7.

<sup>(3)</sup> Blanc Lapière : Rapport sur les Activités de l'institut d'étude Atomique, 1959, PP (206-208).

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

- تكثيف التعليم العالي في مجال الفيزياء الذرية وفي تلك التخصصات التقنية التي لها علاقة بالفيزياء النووية.

- يكون الاطارات اللازمة لتطوير الأبحاث المعتمدة في مجال الفيزياء النووية والتقنيات المرتبطة.

والجزء الأول من المعهد الذي يحتوي على المسرعات النووية دخل الخدمة بين (1958-1959) ويقدر المسافة التي يشغلها  $3.500\text{ م}^2$ .

أما الجزء الثاني والذي تم إنجازه سنة 1963م فيحتوي على مخابر الأبحاث في الفيزياء النظرية و الالكترونيك، الجسم الصلب، وتطبيقات الطاقة النووية، ويتربع على مساحة  $4.500\text{ م}^2$  ويحتوي المصالح العامة للإدارة والتوثيق والملحقات كالورشات، وقاعة الآلات، وقاعة الرسم، ويملك مسرعين نوويين أحدهما صنع فرنسي والآخر بريطاني، ويختص المعهد في ثلاثة أنواع من البحث<sup>(1)</sup>.

(1) البحث النووي الصرف ( أبحاث حول التفاعلات النووية).

(2) أبحاث نووية مركزة على تطوير وسائل الكشف في الفيزياء النووية.

(3) دراسات حول خصائص الجسم الصلب والنشاط الاشعاعي.

وتعتبر هذه الأعمال تكملة لإعمال مخبر الفيزياء النظرية لجامعة الجزائر الممارسة منذ عشرية من قبل حول ( الرقائق الالكترونية - أنصاف النواقل - الظواهر الكهرومائية) وكان طاقم المعهد يتكون من 100 شخص، نصفهم باحثين والباقي عمال إداريين، وباحثين في الطور الثالث من التعليم العالي للفيزياء النظرية والنووية، يستقطب هؤلاء من الجامعات الفرنسية ومن المركز الفرنسي للأبحاث العلمية، ومدارس المهندسين.

(<sup>1</sup>)Lapi re: Op.cit. P207.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

ويعتبر هذا المعهد المركز الإشعاعي للعلوم من الجيل الثالث المتعلقة بالفيزياء النووية، وقد أبقى على هذا المعهد بعد الاستقلال يديره ويسير أبحاثه متعاونين فرنسيين. والغريب أن هذا المعهد على أهميته الاستراتيجية، وحادثة العلوم التي يقدمها وعلاقتها بإنتاج الطاقة وإمكانية استغلال أبحاثه في تطور الجزائر لم يتعرض إلى الاعتداء من طرف منظمة (OAS) مثل المكتبة الجامعية ومدرسة الفنون الجميلة وذلك ربما لعدم اختراقه من طرف هذه المنظمة بإنتماء بعض أعضائه إليها، أو نظرا لليقظة الأمنية المفروضة عليه<sup>(1)</sup>.

وقد قامت فرنسا بإجراء تجاربها النووية في الصحراء الجزائرية يوم 13 فيفري 1960، وذلك بتفجيرها لأول قنبلة ذرية، وقد مضت فرنسا لتفجير أولى قنابلها النووية وذلك بإسناد رئاسة المشروع النووي إلى أحد قدماء ثانوية الجزائر والمعهد المتعدد التقنيات "Lux Dogens"<sup>(2)</sup> وبالتعاون مع زميله ميشال كرايول<sup>(3)</sup>.

وبقيام فرنسا بتجاربها النووية في الجزائر، تكون قد ارتكبت جريمة ضد الإنسانية لا تزال تبعاتها تظهر إلى اليوم كون الصحراء أهلة بالسكان، وتم القضاء على البيئة الصحراوية بسبب انتشار الإشعاع النووي.

<sup>(1)</sup> René Moyer : les Pieds Noires et la bombe, Algerianiste, n°120, Décembre 2007.

<sup>(2)</sup> Luc Dagens : ولد يوم 12 فيفري 1932 بباريس، درس في ثانوية بيجو في الجزائر والمدرسة العليا للمجلس سنة 1952 وأكمل دراسته وأصبح عالما نوويا.

<sup>(3)</sup> ميشال كرايول: ولد بالجزائر 30 جوان 1934، وهو ابن رئيس بلدية القبة، درس بثانوية بن عكنون والمدرسة المتعددة التقنيات، يعتبر أب القسمة النووية الفرنسية.

### رابعاً: مكانة وأهمية جامعة الجزائر الاستعمارية:

تعتبر جامعة الجزائر منذ إنشائها سنة 1909، إحدى جامعات الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية ولأنها كذلك فإنها في صلب الاستراتيجية الاستعمارية تقوم بوظائف مؤسسات التعليم العالي الكولونيالي، وكذلك بعض الوظائف في خدمة ثراء وتوسع الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية خاصة في إفريقيا الشمالية، وطالما أن فرنسا تملك مؤسسات للتعليم العالي الاستعماري في المتروبول وكذلك بعض المؤسسات التي تم إنشاؤها في المستعمرات الفرنسية، مثل جامعة هانوي بالهند الصينية، وجامعة السنغال وغيرها، وبهدف معرفة خصوصية جامعة الجزائر ومميزاتها الخاصة وطابعها الاستعماري، يجب وضعها في سياقها العام مع نظيراتها الفرنسية في المتروبول، وفي باقي المستعمرات الفرنسية فالميزة الأولى لجامعة الجزائر الفرنسية أنها توجد خارج التراب الفرنسي، وإذا كانت فرنسا تعتبر الجزائر آنذاك جزءاً لا يتجزأ من فرنسا، وهي مخصصة أيضاً للبحث العلمي الصرف أو إلى التعليم العالي، وتضمن هذه الوظيفة المزدوجة، وذلك بدراسة البلد المنشأة فيه وليس فقط البلد وإنما كل شمال إفريقيا فهي تخصص جزءاً كبيراً من اهتمامها لدراسة لغة وآداب وتاريخ وفنون فرنسا، وجزءاً ليس بالقليل للغة ووقائع وآداب وثروات ومناخ المنطقة المنشأة فيها<sup>(1)</sup>.

تعتبر فرنسا مؤسساتها للتعليم العالي، مراكزاً للتبادل الثقافي بينها وبين البلدان المنشأة فيها، بهدف تمتين العلاقات الثقافية ومنها الاقتصادية، وتولي فرنسا الاستعمارية أهمية كبرى لمؤسساتها خارج وداخل فرنسا في الجانب المتعلق بخدمة المصلحة العليا للبلد، وذلك دائماً بإحاطة فرنسا بركب التطور العلمي الحاصل في العالم، وإما توطيد استراتيجيتها الاستعمارية المبنية على التفوق الفرنسي، الاستغلال الاقتصادي، والهيمنة

(<sup>1</sup>) L'université d'Alger, cinquantenaire 1909-1959, Op.cit. P27.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

الاستعمارية الطويلة، بتوظيف تطور كل أشكال العلوم الإنسانية والتقنية خدمة لهذه الغاية.

والاستفادة من التعليم العالي الفرنسي، ليست حكرا على الفرنسيين في كل الأوقات سواء في فرنسا وجامعاتها أو في المؤسسات المنشأة في المستعمرات الفرنسية، لأنه منذ العصور الوسطى يرتاد الأجانب الجامعات والمدارس الفرنسية.

وتشير الإحصائيات أنه منذ 1900م ازداد عدد الطلاب الأجانب في فرنسا فأصبح فيها 1770 طالب في 15 جانفي 1913م مسجلين في مختلف جامعات فرنسا التي كانت تحتوي على أكثر من 41109 طالب في نفس السنة، وإذا أضفنا الطلاب من مختلف الفئات يصبح العدد 10.000 لأن فرنسا كانت تحتوي على عدد وافر من المدارس والمعاهد العليا في مختلف التخصصات<sup>(1)</sup>.

قد بلغ عدد الجامعات الفرنسية سنة 1914 ستة عشر جامعة<sup>(2)</sup>، وتعتبر جامعة الجزائر إحدى الجامعات الفرنسية وقد تأخر دمج كلياتها في جامعة إلى غاية سنة 1909م، بالنظر إلى وضعها الخاص المتمثل في انعدام الكليات ووجود فقط مدارس تحضيرية عليا تتماشى والعقلية الاستعمارية المنشأة لها في ذلك الزمن، والتي توضع بدورها إلى ترتيب الأولويات والحاجات الاستعمارية وحاجيات الاستيطان والتوسع والاستغلال، فالجامعات الفرنسية ظهرت تنظيميا بهذا الشكل وفق قانون 10 جويلية 1896م الذي جمع الأجسام الأكاديمية في جامعات<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> L'université d'Alger : Cinquantenaire, 1909-1959, op.cit, P27.

<sup>(2)</sup> الجامعات الفرنسية حتى سنة 1914 هي: جامعة باريس، أكس-مرسيليا، الجزائر، بيزنون، بوردو، كان، كلمونت فاراند، ديجون، غرونوبل، ليل ليون، منجولي، نانسي، بواتي، ران وتولوز.

<sup>(3)</sup> Les universités et écoles françaiseS : Op.cit. P22.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

هناك تفاوت بين الجامعات الفرنسية، فالبعض منها له تاريخ طويل مثل جامعة باريس أو مونيبي، والبعض منها يملك عدد كبير من المعاهد والتخصصات والبعض الآخر يقتصر على الكليات الكلاسيكية العلوم، الحقوق، الآداب، والطب.

ورغم امتلاك هذه الجامعات للتسيير الذاتي، فإنها تضمن الحد الأدنى من التربية القومية الفرنسية، خاصة اعتمادها الأساسي على اللغة الفرنسية وتدعيمها للتاريخ الفرنسي وتعظيمها لفرنسا والوفاء لقيمها ومبادئها التي هي هناك قيم ومبادئ الثورة الفرنسية<sup>(1)</sup>.

وفي هذا الإطار تخصص جامعة الجزائر جزءا من اهتمامها "بالأرض وليس البلد- المنشأة فيه" لأن فرنسا لم تكن تعترف ببلد اسمه الجزائر وذلك بتدريس تاريخها الذي أصبح تاريخا لإفريقيا الشمالية ولغاته وليس لغته، لأن فرنسا الاستعمارية أسست للتعدد اللغوي بتأسيسها لتدرس اللهجات العامية واللهجات البربرية، وكذلك تخصص الجزء الأكبر إلى احتياجاتها الاقتصادية.

تحدد القوانين الفرنسية علاقة الجامعات بالجهات الموجودة فيها، بضرورة أن تخصص هذه الأخيرة إمكانياتها المادية والمعنوية في خدمة الجهة الموجودة فيها ولذلك نجد توجيه جامعة الجزائر نحو العلوم الشمال إفريقية وطب المناطق الحارة والجغرافية الصحراوية والتشريع الإسلامي، والدراسات الاستشراقية، ومن ذلك تستمد أصالتها وشكلها الخاص فجامعة الجزائر من هذا المنظور هي جامعة استعمارية، تعتبر مركزا للدراسات الاستشراقية وكذلك مركزا أساسيا لرعاية الايديولوجية الاستعمارية<sup>(2)</sup>.

(1). Méliá: Op.cit. P107

(2).Ibid

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

وتعتقد الجامعات الفرنسية أن دورها الأساسي هو إنتاج العلوم، وبذلك فإنها تتوجه أكثر نحو الدراسات النظرية ولكن بالدرجة الأولى إلى العلوم التي يحتاجها العصر، وقد توجهت جامعة الجزائر في هذا المنحى توجهها خاصا، فقد خصصت قسما بالدرجة الأولى من أجل دراسة العلوم التي يحتاجها الظرف الاستعماري، وليس العصر، وذلك باستحداث شهادات للتخصصات المحلية، وأصبحت كلياتها تتوجه أكثر وتهتم بالعلوم التطبيقية، وتقرب من كونها مدارس من أجل التحضير لتطبيقات الصناعة الزراعية والميكانيك وغيرها.<sup>(1)</sup>

وإذا كانت بعض الجامعات الفرنسية تضم بعض التخصصات التي ترتبط بالاستعمار والمستعمرات، مثل جامعة باريس التي كانت تحتوي على معهد الطب الاستعماري، وجامعة بوردو، التي تضم المعهد الاستعماري.

والبعض الآخر تتبعها معاهد مقامة في المستعمرات الفرنسية، فجامعة ليون يتبعها المعهد الفرنسي للحقوق ببيروت، وكذلك المدرسة الفرنسية للمهندسين ببيروت، تماما مثلما كانت المدارس التحضيرية العليا في الجزائر تتبع لإحدى الجامعات الفرنسية.

فجامعة الجزائر في هذا الاتجاه، يمكن اعتبارها جامعة استعمارية لاهتمامها بتخصصات لا توجد في كل الجامعات الفرنسية الأخرى، وأخرى خاصة فقط بالجزائر وشمال إفريقيا.

وكانت جامعات فرنسا تحتوي على نظام تدريس يتمثل في المحاضرات والحصص التطبيقية والملتقيات، ورشات العمل والمخابر وتضع في خدمة الطلاب الكليات، المتاحف، ولا تختلف جامعة الجزائر في نظام التمدرس عنها في شيء<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> Camille Risler : La politique culturelle de la France en Algérie (1830-1962), l'harmattan, Paris, 2004, P120.

<sup>(2)</sup> Les universités et écoles françaises Op.cit. P27.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

بالنسبة لإدارة الجامعات الفرنسية فإنها تتم عن طريق مجلس جامعي يضم ممثلي الكليات، وعميد الأكاديمية الذي يمكنه رئاسة المجلس، وكل كلية يرأسها عميد أو مدير منتخب من طرف زملائه لمدة ثلاثة سنوات<sup>(1)</sup>، الاستثناء يكمن في جامعة الجزائر فالمجلس يتكون إضافة إلى هؤلاء من أعضاء ممثلين عن المندوبيات المالية، والحاكم العام نفسه يملك العضوية في المجلس، ويمكنه رئاسته وله الحق في نقض كل قرارات المجلس، وتظهر هنا الخصوصية الاستعمارية لجامعة الجزائر، فهي تدار عن طريق القرار السياسي، فمتى رأى الحاكم العام أنها لا تخدم في جانب من جوانبها الاستراتيجية الاستعمارية، يتدخل لإبطال هذا التوجه أو ذلك أو إجراء أي تعديل يراه مناسباً.

وتختلف أيضاً شروط التسجيل في الجامعات الفرنسية، وفقاً لأنظمة التعليم الموجودة، وكذلك الشهادات المحضرة، فمنذ 1914م يقبل الطلاب بشهادة البكالوريا أو شهادة معادلة مثل شهادة التعليم الابتدائي العالي أو شهادة إنهاء الدراسة الثانوية.

وبالنسبة للشهادات الجامعية المحضرة، فهي كذلك أنواع، فالشهادة التي تقدمها الدولة، تسمى شهادة دولة تمنح الحق لممارسة وظيفة في فرنسا، وشهادة الجامعة وهي مكافئة لشهادة الدولة، سواء كان دكتوراه أو ليسانس ولكنها لا تؤكد الحق في ممارسة مهنية في فرنسا<sup>(2)</sup>.

ولقد كانت جامعة الجزائر تمنح الشهادات الجامعية، وشهادات من الدرجة الثانية وكذلك شهادات المساعدين للكثير من الملتحقين بها قبل 1909، وكذلك الشهادات التطبيقية، ثم استكملت شكلها التنظيمي بتحضير جميع أنواع الشهادات بما فيها الدكتوراه بعد 1914م، وبالنسبة لنوعية العلوم التي يقدمها التعليم العالي الفرنسي في الجزائر يمكن أن تحدد خصائصه التالية:

(1) Ibid.

(2) Les universités et écoles françaises : Op.cit. P28.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

- التعليم العالي الخاص بإفريقيا الشمالية ويتمثل في تدريس الحضارة، الآداب، لغات المسلمين في شمال إفريقيا، وكذلك بتعلم العلوم والطب المخصص للجزائر وتونس والصحراء<sup>(1)</sup>.

فإذا جئنا إلى كلية الحقوق فإننا نجدتها تختلف عن الجامعات الفرنسية في تدريسها للتشريع الاستعماري، الحقوق الإسلامية، الأعراف الأهلية والتشريع الجزائري والقانون الفرنسي الخاص بالأهالي، وتختص كلية الحقوق لجامعة الجزائر ببعض الشهادات الخاصة بها دون كليات الحقوق الأخرى، وهي شهادة التشريع الجزائري وشهادة الحقوق الإسلامية والأعراف الأهلية، ويمكن أن يحصل عليها ضباط الصحة والصيدلة من الدرجة الثانية المعلمين والحاصلين على شهادة الدراسات الابتدائية العليا<sup>(2)</sup>.

وتمنح أيضا كلية الحقوق شهادات عليا لدراسة التشريع الجزائري، الحقوق الإسلامية والأعراف الأهلية وكذلك الشهادة العليا للدراسات الإدارية الجزائرية بعد الحصول على الليسانس في الحقوق.

أما كلية الطب والصيدلة فقد تميزت بالتحضير لشهادات ضباط الصحة والصيدلة من الدرجة الأولى والثانية، وقابلات التوليد، وتختص جامعة الجزائر بتدريس طب المناطق الساخنة وطب ما وراء البحار، أما بالنسبة لكلية العلوم لجامعة الفرنسية في الجزائر، فإنها تختص دون غيرها من الجامعات الفرنسية بتدريس جغرافية وفيزياء الصحراء، وإنشاء السكك الحديدية واستغلال المناجم والبناء الصناعي والكهرباء الصناعية، وتحتوي الكلية أيضا على المرصد الفلكي والمحطة الزولوجية، وتقدم أيضا شهادات في هذه التخصصات وهي شهادة الجيولوجيا، المعادن، البناء الصناعي وشهادة

(1) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر إلى يومنا هذا، بدون تاريخ، ص 297.

(2) Jean Claud Vatin : science juridique et institution coloniale, l'école du droit d'Alger (1879-1909), revue Algérienne des sciences juridiques, économiques et politiques, N°4, 1983

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

الكهرباء الصناعية. ويتابع دروس هذا الكلية العاملين والمهتمين بهذه المجالات من المدنيين والعسكريين.

وهذه التخصصات على علاقة مباشرة باستراتيجية الاستعمار وأهدافه، التي تتمثل في بناء المنظومة الاقتصادية القائمة على استغلال الثروات التي تحتوي عليها الجزائر وشمال إفريقيا، وذلك عن طريق اكتشافها ودراسة سبل استغلالها وتوظيفها في الاقتصاد الاستعماري.

أما كلية الآداب والتي تختص أيضا بتدريس جوانب من الحضارة الإسلامية وفق الرؤية الاستعمارية، التي تجعل من الفتح الإسلامي غزوا عربيا كغيره من مراحل الغزو الأخرى، وتجعل من فرنسا في صورة باني الحضارة، الذي يقدم يده للشعوب المتخلفة لتنهض، وهي تدرس تاريخ الفلسفة الإسلامية والتاريخ القديم لإفريقيا وما قبل التاريخ والتاريخ الحديث لإفريقيا.<sup>(1)</sup> وتختص أيضا بتدريس جغرافية إفريقيا وتاريخ الحضارة الإسلامية وتاريخ العرب والآداب العربية والمغربية.

وتدرس أيضا اللغة العربية باعتبارها لغة أجنبية، وتقسيمها إلى لغة عربية دارجة ولغة عربية فصحي، وتدرس أيضا اللهجات البربرية وتقدم وتحضر أيضا لشهادات في الدراسات الأدبية، مثل دبلوم الدراسات العليا للغة العربية وأدائها، وأهلية اللغة العربية ويستقطب أيضا الطلاب من الضباط والاداريين الراغبين في التكوين في اللغة الأمازيغية، وتقدم شهاداتها كالأهلية في اللغة القبائلية ودبلوم اللهجات البربرية<sup>(2)</sup>.

إن جامعة الجزائر إضافة إلى اهتمامها بالعلوم الحية، ومواكبتها لركب التطور العلمي، فقد أخذت تتمتع بمكانة مرموقة بين الجامعات الفرنسية، فهي الجامعة الاستعمارية الوحيدة بين الجامعات الفرنسية التي تعتبر جامعة استعمارية بامتياز، لأن

<sup>(1)</sup> Les universités et écoles françaises : Op.cit. P48.

<sup>(2)</sup> Vatin : op.cit.

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

الأغلبية العظمى من طلابها من الفرنسيين المستوطنين، ومن كل الاتحاد الفرنسي فحيوية هذه الجامعة جعلها تحتوي على 6000 طالب سنة 1959م، منهم حوالي 500 من الطلاب الأهالي المسلمين، وهي نسبة ضئيلة تمثل حوالي 8.3% من مجموع الطلاب الذين ينتمون لفئة سكانية تفوق تسعة أعشار السكان.

وأخيرا فإن جامعة الجزائر هي جامعة الامبراطورية الفرنسية الاستعمارية ولأنها كذلك فإنها مسؤولة عن إنتاج وشرعة ونشر الايدولوجيا الاستعمارية المتمثلة في التميز بين الأجناس والأعراق إن لم نقل العنصرية الاستعمارية صراحة، وتروج أيضا لأسطورة تفوق الذكاء الفرنسي والترويج له<sup>(1)</sup>.

وقد ميز أيضا جامعة الجزائر الاستعمارية الطابع التطبيقي للعلوم على البيئة الشمال إفريقية، وذلك تطبيقا للخط الذي رسم لها منذ إنشائها، وقد نجم عن هذا التوجه تحضير الكثير من الشهادات في أغلب الأحيان غير مطابقة لتلك المقدمة في الجامعات الفرنسية في المتروبول ولا يتم الاعتراف بها إلى في أرجاء الامبراطورية خارج المتروبول. وجامعة الجزائر هي مؤسسة موجهة من طرف الولاية العامة للجزائر بقوة قانونها الخاص نحو خدمة المستعمرة والمستعمرين، فهي أداة أساسية للاحتلال الثقافي والعلمي معدة لخدمة عمليات التطوير التي كانت تتم وفق ما تمليه مستجدات السياسية من حيث فروع الاستقطاب ومجالات الاهتمام<sup>(2)</sup>.

وفلسفة جامعة الجزائر في استقطاب عدد قليل جدا من الطلاب الأهالي المسلمين جاءت تكملة لسياق التعليم العام وسياسته، جعلت منهم أقلية لا تتجاوز 10% في أحسن الأحوال، وذلك استجابة لاستراتيجية تقتضي أن يكون الأهالي المسلمين العمالة الأساسية للاجتهد الكولونيالي، المبني على مبدأ السيد والعبد، ولذلك كانت جامعة الجزائر تمنح

(1) Aissa Kadri: centenaire de l'université d'Alger, ElWatan du 20 mai 2009.

(2) Risler: op.cit. P120

## الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962)

لطلابها الأهالي في غالبيتهم شهادات مساعدين "Oxillieres" أوتقنيين تسمح لهم بالحصول على وظيفة متوسطة، ذلك أن أبواب الوظائف السياسية ظلت مغلقة أمامهم.

لقد أراد الساسة الاستعماريين أن تكون هذه المؤسسة الأداة العلمية لتبرير مبدأ الميز العنصري، وتفوق الرجل الأبيض، وتكريس الدونية الأهلية، واعتبار تاريخها وحضارتها مجالا مظلمًا يفصل الماضي الروماني المزدهر عن العصر الفرنسي المضيء.

وقد توسعت جامعة الجزائر، ليصبح لها ملحقات في مقاطعة قسنطينة ووهران وفي هذا الإطار انطلقت دروس في هذا الملاحق سنة 1958م، تضم الدروس النظرية للسنوات الأولى في الوحدات البيداغوجية للأداب والحقوق والطب، وبذلك تكون جامعة الجزائر قد أصبحت من جامعات الصف الأول في فرنسا.<sup>(1)</sup>

وأخيرا يمكن القول أن جامعة الجزائر هي جامعة فرنسية استعمارية تخدم استراتيجية الاستعمار فيما يتعلق بالتعليم العالي، تخدم في برامجها وفي أعمالها وفي توسعها أفكار والأهداف وتطور الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

(<sup>1</sup>)Danel Junqua : l'université d'Alger, l'Echo d'Alger du 11.12.13 et14 aout 1959.

الفصل الثالث: المخابر العلمية ومراكز البحث  
والتوثيق الجامعية (1879-1962).  
أولاً: المكتبة الجامعية (1887-1962).  
ثانياً: معهد باستور الجزائر (1894-1962).  
ثالثاً: المرصد الفلكي ببوزريعة (1873-1962).  
رابعاً: المخابر العلمية التطبيقية والمجلس العلمي  
التطبيقي (1879-1962).

أولاً: المكتبة الجامعية(1887-1962):

يقودنا الحديث عن إنشاء المكتبة الجامعية في الجزائر إلى الحديث عن التشريعات المتعلقة بالمكتبات الفرنسية الجامعية والتي صدر أول تشريع حولها في شكل مرسوم وزاري في 18 مارس 1855.<sup>(1)</sup>

و لم تبدأ هذه المكتبات في العمل فعلا إلا بعد 1878م بعد صدور التعليمات الوزارية الموافقة ل 04 ماي 1878م والمتبوعة بالمرسوم الوزاري الموافق ل 23 أوت 1879م. و لاحقا، بين سنوات 1878 و 1886م صدرت العديد من القوانين المتعلقة بالتنظيم الهيكلي للمكتبات الجامعية وكانت الفكرة الأساسية تتمثل في خلق مكتبة جامعية بالنسبة لكل أكاديمية.

وقد عرفت تعليمات 1885 م المكتبة الجامعية كما يلي<sup>(2)</sup>: المكتبة الجامعية في المقام الأول هي واحدة من الخدمات المشتركة التي تجتمع حولها الكليات في المركز الواحد، وهي رغم استقطابها لمجموعات مختلفة أو مجموعة واحدة في حالات نادرة ورغم خدماتها للطلاب والأساتذة، يجب أن تنظم وتدار فقط في اتجاه تطوير الأبحاث..".

ومنذ صدور تعليمه 04 ماي 1878م، كل المكتبات الجامعية حكمت وفق التوجيهات العامة المتعلقة بالمكتبات الجامعية، والتي تركز على الصرامة في تطبيق التوصيات والتوجيهات لأداء الخدمة وذلك ربما للإمكانيات المادية والبشرية الضعيفة آنذاك، وكذلك القدرات التنظيمية.

ويتطور التنظيمات أصبح بإمكان المكتبات منذ 1885م تطبيق قوانينها الداخلية الخاصة على مستوى الكليات والمدارس العليا، وذلك وفقا لقرار 28 ديسمبر

<sup>(1)</sup> Paoli Luis Domonique : simple note sur la bibliothèque universitaire d'Alger : Section de droit de médecine et de pharmacie des sciences et des lettres P3,in : Bibliothèque universitaire d'Alger, catalogue méthodique des publications périodique : recuis par les écoles de droit et des lettres, P28.

<sup>(2)</sup> Ibid.

## الفصل الثالث: المخابر العلمية و مراكز البحث و التوثيق الجامعية(1887-1962)

1885<sup>(1)</sup>، وكذلك التعلّمة الوزارية الموافقة لـ 31 ديسمبر من نفس السنة الخاصة بالمكتبات الجامعية.

وبالنسبة للمكتبات الجامعية في الجزائر فإن جذورها تعود إلى مقتنيات الكتب الخاصة بمدرسة الطب والصيدلة للجزائر، والمتمثلة في حوالي 800 كتاب كانت وزارة الحربية قد زودت بها المدرسة العسكرية للطب وقد كدست في بناية صغيرة في شارع روني كاييه.<sup>(2)</sup>

و تناغما مع هذه القوانين جاء القرار الوزاري الموافق لـ 20 جانفي 1887م لتنظيم المكتبة الجامعية في الجزائر وذلك بعد سنوات من صدور قانون 20 ديسمبر 1879م، المنظم للتعليم العالي في الجزائر والذي أنشأ إلى جانب مدرسة الطب والصيدلة مدارس للأداب والعلوم والحقوق.

وانطلاقا من سنة 1888م، أخذت المكتبة الجامعية مكانها في العمارة الرئيسية الجديدة للمدارس، وذلك من أجل أداء مهمتها الرئيسية وهي أن تكون في خدمة التعليم العالي في الجزائر بعد زمن من الترحال بين المقر القديم في شارع سكييو والمحل الكائن بـ 15 ممر ملاكوف وأخيرا محلات شارع هنري مارتن التي كانت مقرا للأكاديمية.

و اثناء تنظيم المدارس العليا في شكل جامعة وفق قانون 20 ديسمبر 1909م، كانت المكتبة الجامعية قد أمضت أكثر من ثلاثين سنة من النشاط، اجتازت خلالها مراحل من التنقل ونقص المقرات وغيرها، قبل أن تستقر في مقرها الحالي، وكانت تضم حال افتتاحها حوالي 14000 مجلد وكتاب، وتتمتع المكتبة الجامعية لجامعة الجزائر بموقع وظيفي يتوسط البناية الرسمية للجامعة، الذي يتوسط بدوره المباني الجامعية، مما

<sup>(1)</sup> Paoli Notes : op.cit. P5.

<sup>(2)</sup> Arab Abdhmid : la Bibliothèque Universitaire d'Alger sur la domination Coloniale Française, Département de Bibliothéconomie et des sciences Documentaires de l'université d'Alger 2005, P8.

يمكن الطلاب والباحثين من الوصول إليها بسرعة و في ظروف ملائمة، وتستجيب أيضا هذه المكتبة للمقاييس المعمول بها، فالقاعة الرسمية للمكتبة مزودة بأربع قاعات ملحقة تقع في الطابق الثاني للعمارة الرئيسية لمباني كليات الجامعة<sup>(1)</sup>.

وتبدو القاعة الرئيسية مستطيلة الشكل، يبلغ طولها 43 مترا وعرضها 8 أمتار وارتفاعها 8.30 متر، كما تحتوي على ثمانية عشر نافذة كبيرة مساحة كل منها حوالي 10 أمتار، تمكن من الإضاءة الجيدة للقاعة.

والمساحة الإجمالية لهذه القاعة 344 متر مربع، موزعة بين قاعة المطالعة والمخزن، وذلك ما جعل جول فيري يصرح عندما زار المكتبة لأول مرة سنة 1887 قائلا "هاهي قاعة منقوصة للأسف"<sup>(2)</sup>، وعندما سمع لويس باولي "محافظ المكتبة بهذا التصريح قال: "إنها حقيقة، وأبعاد هذه المكتبة تثبت ذلك"

وبالنسبة للترتيبات الداخلية للقاعة الرئيسية فإنها تحتوي أربع مقصورات خصصت الرئيسية منها للطلاب، حيث تعبر قاعة العمل بالنسبة للطلاب تحتوي على طاولات كبيرة تسع 60 قارئاً، وتحتوي الجدران على أدراج تحتوي الكتلوغات والموسوعات ذات الاستخدام الحر.

وبالنسبة للمقصورتان المجاورتان للمقصورة الرئيسية، فإن الأولى مخصصة لأعمال الأساتذة تحتوي على طاولات صغيرة تسع 20 قارئاً، وخصصت المقصورة الأخرى إلى قاعة الإيداع وغرفة المكتبيين.

وأما القاعات الأربعة الملحقة بالمكتبة والتي تقع أسفلها ويمكن الوصول إليها عن طريق سلم، فإنها خصصت كمخزن للمطبوعات الجامعية تحتوي على الرفوف اللازمة لتسهيل عمل المكتبيين.

(<sup>1</sup>) Sauvage, Paul : la Bibliothèque de l'université d'Alger in Clip, Alger, 1931, P182.

(<sup>2</sup>) Méliá : op.cit. P186.

وانطلاقا من سنة 1888 أصبح بإمكان المكتبة الجامعية تزويد أرصدها بحوالي 1200 كتاب سنويا وحوالي 2000 مجلد تحصلت عليها من خلال عمليات التبادل الجامعي للنشریات والدوريات والأبحاث.<sup>(1)</sup>

أما جمهور الطلاب المستخدم للمكتبة فقد بلغ عددهم 500 سنة 1900، وانتقل إلى 1500 سنة 1920 ثم إلى 2000 سنة 1930م، وبقيت القاعة بنفس طاقة الاستيعاب رغم تضاعف عدد الطلاب والمقتنيات من الكتب، ففي الموسم 1933-1934 لم تكن توفر سوى 104 مقعدا لـ 2686 طالب.<sup>(2)</sup>

أدت هذه الوضعية إلى المطالبة بتوسيع المكتبة انطلاقا من سنة 1929م، وقد اعترف المحافظ لويس باولي بأن هذه المكتبة لا يمكنها أن تقدم أكثر من الحد الأدنى للخدمة، وقد طالب المكتبي " بول صوفاج" بتوسع المكتبة عن طريق تقرير أرسله إلى عميد الجامعة في 31 جانفي 1929.<sup>(3)</sup>

وقد حاول القائمون على المكتبة إيجاد حلول عملية لتحسين عملها منها تخصص قاعة خاصة للأساتذة وكذلك تخصيص بعض غرف كلية الآداب لتخزين 130.000 مجلد وكتاب وذلك منذ 1930م.

وخلال الموسم 1930-1937 تم تزويد المكتبة بـ 6000 متر من الرفوف المعدنية وتم تهيئة الطابق العلوي للعمارة ليكون مخزنا جديدا، و أصبح حجم الرفوف في 14 أفريل 1951م يساوي 12291 متر.

<sup>(1)</sup> Bibliothèque Universitaire d'Alger, catalogue méthodique des publications, P6.

<sup>(2)</sup> Koelbert Marcel : Rapport sur le fonctionnement de la BI.4 pendant l'Année 1933-1934, P2.

<sup>(3)</sup> Arab: op.cit P14.

وبعد التوسيعات التي جرت وفق مشروع 1953م، أصبحت المكتبة الجامعية تحتوي على حوالي 20.000 متر طولي من الرفوف المخصصة للكتب<sup>(1)</sup>.

وإذا كان تاريخ المكتبة يرتبط بتاريخ التعليم العالي فإن تطورها يرتبط بتطور تقنيات اقتصاد المكتبات وكان طاقم المكتبة يتكون ممايلي:

#### - المستخدمين:

في ظل انشغال السلطات الفرنسية بتطوير القدرات التقنية لمستخدمي المكتبات وفي عهد وزارة جول فيري، تم الإمضاء على قرارين في أوت 1879 يتعلقان بتوظيف مستخدمين متخصصين في المكتبات حاصلين على شهادة الكفاءة في المكتبات بعد إجراء تكوين خاص.

وفيما يتعلق بالمكتبة الجامعية الجزائرية، فإنه ومنذ إنشائها إلى غاية 1907، لم تكن تحتوي سوى على مكتبي وعامل في قاعة المطالعة، وبين 1921 و1924 تم توظيف عاملين جديدين للقاعة.

وبسبب التطور المتزايد لأعداد الطلبة والمقننات أصبحت المكتبة تحتوي سنة 1925 على: مكتبي رئيس، ومكتبي و 4 أعوان للقاعات.

و أصبح خلال سنة 1958م عدد الموظفين في المكتبة 28 موظفا، منهم مكتبي رئيسي (محافظ)، و 4 مكتبيين، و 3 مساعدين مكتبيين، و 02 عامل رقن، و 18 بين مخزني وأعوان القاعات.

وقد تداول على إدارة المكتبة، عدد من المتخصصين، ولعل أشهرهم لويس باولي الذي شغل إدارة المكتبة من 1 سبتمبر 1884 حتى 30 سبتمبر 1925م، ثم يأتي بعده

(<sup>1</sup>) Université d'Alger : cinquantaire, op.cit. P220.

بول سوفاج (1 أكتوبر 1928 و 7 مارس 1932) وكذلك مارسال كولبار ( 1952-1962) وهم أشهر المكتبيين المتداولين على المكتبة الجامعية.<sup>(1)</sup>

أما بالنسبة لتمويل المكتبة فإنها تتلقى ميزانية من الدولة بلغت 13000 فرنك سنة (1855)، وفاقت 10.510.263 فرنك سنة 1954، و يمكنها الاستفادة من ميزانية إضافية<sup>(2)</sup>، كما يمكن أن تستفيد المكتبة من أظرفة مالية خاصة من وزارة التربية ومديرية المكتبات الفرنسية.

و تشكل حقوق الاشتراك في المكتبة مصدرا آخرا من مصادر التمويل، إذ قدرت ب 10 فرنك منذ 1873، ثم وصلت إلى 60 فرنك سنة 1935 م ، وأصبحت سنة 1947 م، 100 فرنك، ثم ارتفعت أيضا إلى 190 فرنك سنة 1957 م.

أما مقتنيات المكتبة فإنها تأتي عن طريق الطرق التالية:

- الشراء: ويتم عن طريق لجنة متخصصة تخصص له 5/2 من ميزانية المكتبة تسمى لجنة المكتبة.

وقد تشكلت هذه اللجنة تطبيقا لأمرية جوان 1899 م، وتتكون من أستاذ من كل مدرسة من مدارس التعليم العالي، وكذلك من عميد الأكاديمية والمكتبي الرئيسي للمكتبة الجامعية، ويتم انتخاب هؤلاء الأعضاء-الاساتذة- لمدة ثلاثة سنوات قابلة للتجديد.

وفي المكتبة الجامعية في الجزائر، اقتناء الكتب أصبح يتم وفقا لتنظيم المكتبة الموافق لقرار 20 جانفي 1878 م خاصة المواد التالية:<sup>(3)</sup>

(1) Arab.; op.cit P19.

(2) Arab: op.cit P29.

(3) Ibid

**المادة 4:** فتح على مستوى المكتبة سجل لطلبات الاقتناء، وكل شخص له الحق في المكتبة يمكنه اقتراح المقتنيات في السجل بتدوين عناوين الكتب التي تبدو مهمة، هذه الطلبات يجب أن تكون مؤرخة وممضاة.

**المادة 5 :** لجنة المكتبة تجتمع على الأقل مرة في الشهر، لتتظر في الطلبات المسجلة ويمكنها اقتناء مراجع هامة غير مسجلة في السجل.

**المادة 6:** المكتبي يطبق القرارات الصادرة عن اللجنة، ويسجل بالنظر إلى كل طلب مقبول تاريخ استلام الكتب من طرفه في السجل وهو المسؤول عن الاقتناء والعمليات المتعلقة به.

**المادة 7:** لا يمكن اقتناء كتب دون تسجيلها في السجل حتى تلك التي تقرها اللجنة دون طلب تسجيل في السجل الخاص بالاقتناء.

**المادة 8:** السجل الخاص بالطلبات المتعلقة بالاقتناء يكون دائما في متناول الأشخاص الذين يملكون الحق في المكتبة.

وإذا كانت المكتبة قد اقتنت سنة 1890م، حوالي 82 عنوانا فقط فقد أصبحت مشترياتها بالآلاف حتى أصبحت 8377 عنوانا سنة 1955.<sup>(1)</sup>

#### - تبرعات الخواص:

ولعل أشهر هذه التبرعات تلك التي قدمها الدكتور مايو Maillot، حيث عبرت السيدة مايو من خلال الرسالة التي أرسلتها في 5 نوفمبر 1895 إلى وزير التعليم، و وزير التعليم بدوره أرسل رسالة مؤرخة في 21 نوفمبر 1895 إلى عميد أكاديمية الجزائر

(<sup>1</sup>) Arab: op.cit P47.

## الفصل الثالث: المخابر العلمية و مراكز البحث و التوثيق الجامعية(1887-1962)

يعلمه برغبة السيدة مايو بتطبيق وصية الدكتور مايو بالتبرع بحوالي 49 كتاب علمي هام في تخصص الطب الي المكتبة الجامعية في الجزائر<sup>(1)</sup>.

وكانت المكتبة تتلقى هبات وتبرعات مثل تبرعات القنصل البريطاني، والحاكم العام، ومصالح الإعلام الأمريكي وغيرها، حيث تلقت المكتبة الجامعية أكثر من 15 ألف كتاب في شكل تبرعات بين 1890-1955م.

- التبادل: تتلقى المكتبة الجامعية في الجزائر بصفة دورية سنوية كل الأبحاث والكتابات الأكاديمية الآتية من مختلف الجامعات المشكلة للاتحاد الفرنسي، وذلك تطبيقا للقرار الوزاري 30 أفريل 1882م<sup>(2)</sup>.

وبذلك تملك المكتبة مجموعات لأطروحات الدكتوراه في الطب لكليات: ستراسبورغ باريس، مونبولي، نانسي، ليل وبوردو، وكذلك أطروحات الدكتوراه في الحقوق لجامعة باريس وكل الأطروحات في الآداب والعلوم منذ 1882<sup>(3)</sup>.

وتستقبل المكتبة الجامعية أيضا الكتابات والمجلات الأكاديمية لأكثر من 34 كلية أجنبية آتية عن طريق اتفاقيات التبادل بلغت 2886 عدد سنة 1958م.

وبالنسبة للأشخاص الذين يمكنهم الاستفادة من خدمات المكتبة، فهم أعضاء التعليم العالي والثانوي، وكذلك طلاب الكليات الجامعية وكذلك الأشخاص المستفيدين من رخص خاصة من عميد الجامعة.

وقد عرفت المكتبة الجامعية إقبالا طلابيا كبيرا، وفقا لنظام عمل يومي ماعدا الأحد:

- صباحا من 9:00 إلى 11:00.

(1) Arab,op-cit : p52.

(2) Algérie Conseil supérieur du gouvernement, procès-verbaux des délibérations, nov. déc. 1885, P138.

(3) Ibid.

- مساء من 14:00 إلى 17:00.

وانطلاقا من سنة 1943م أصبح نظام العامل يمتد إلى 6 ساعات:

- صباحا: 8:30-11:30.

- مساء: 14:00-17:00، واستحدث نظام خاص يمتد بين 12:00-14:00 سا

و 17:00-21:00 سا.

و وقفا علي أهمية المكتبة الجامعية في الجزائر، يجب مقارنتها بنظيراتها من المكتبات الفرنسية الجامعية، فقد كانت في مراتب متقدمة من حيث العمليات المتعلقة بالنشاط المكتبي، فقد كانت تحتوي على 486.361 كتاب منها 242.770 كتاب و دورية و 243.591 رسالة جامعية وكتابات أكاديمية، ومع الاستقلال أي خلال سنة 1962، كانت المكتبة تحتوي على حوالي 500.000 كتاب، بينما تتحدث الصحف عند حوالي 600.000 كتاب.

- حادثة إحراق المكتبة الجامعية 07 جوان 1962:

يوم 07 جوان 1962م على الساعة 12:40 دقيقة، انفجرت ثلاثة قنابل فسفورية في العمارة الرئيسية لجامعة الجزائر، وقد التهمت النيران محتويات المكتبة، و شوهدت سحابة قائمة من الدخان تغطي سماء الجامعة.

ودبرت هذه الواقعة المفتعلة بعد وقف إطلاق النار بأقل من ثلاثة أشهر، وقبل شهر واحد من إعلان الاستقلال فهي عملية إجرامية ضد الشعب الجزائري في معركته العادلة نحو النصر<sup>1</sup>.

ولا يمكن وصف هذه العملية بالحادثة، فهي عملية إجرامية بكل المقاييس جاءت لتنفيذ الإدعاء المزعوم للرسالة الحضارية، التي طالما تغنى بها المستعمرون لزمن طويل.

وتعبّر الجريمة من جهة أخرى عن حالة الإحباط التي آلت إليها جماعة فرنسا الاستعمارية والجزائر الفرنسية، والتي أرادت بهذه العملية التعبير عن امتداد سياسة الأرض المحروقة وعن الرغبة في افساد كل شيء جميل ومفيد لابناء الجزائر .

وقد مرت هذه الجريمة في صمت من الرأي العام العالمي، وقد تناولتها الصحف الفرنسية باقتضاب وخبث فيه الكثير من التشويه والتكتم والتقليل من خطورة هذه العملية الجبانة التي أبى أنصار الجزائر الفرنسية إلا إتلافها نكالا في الجزائريين.

فجريدة الفيغارو "le Figaro" المقربة من اليمين الفرنسي كتبت في عددها الموافق ل 8 جوان 1962 ما يلي " يوم 07 جوان 1962، سحابة من الدخان اعتلت سماء الجزائر، المكتبة الجامعية احترقت وأحترق معها 600.000 كتاب، لم نترك لهم حتى

(<sup>1</sup>) أنظر صورة إحراق المكتبة الجامعية في الملحق رقم:07.

ثقافتنا وعلومنا" وهي تعد تقريبا نفس الجملة التي ذكرها المؤرخ ايف كوري في كتابه "حرب الجزائر" الجزء الرابع المعنون بـ " نيران اليأس".

أما جريدة لومند فقد كتبت في عددها الموافق ليوم 09 جوان 1962 "عمل اجرامي استهدف الجامعة، ثلاثة قبائل فسفورية انفجرت في المكتبة، وإلى جانبها قاعة الأساتذة، المدرجات (الكيمياء والعلوم) ومخبر علم الأوبئة... لقد استخدم المنفذون آلات إجرامية ودلاء الوقود..."

وكتبت أيضا جريدة "فرنسا المساء" France-Soir " مايلي: "شهد مكان الحي الراقي، شارع مشلي، دخانا غير عاد، منبعت من احتراق المكتبة الجامعية والذي أتى على 600.000 كتاب، مدرجين، ومخابر كلية العلوم..."

وكتبت جريدة "باريس اليوم" Paris le jour "بالعودة إلى حادثة احتراق المكتبة الجامعية، 500.000 كتاب احترقت والطابق الأول للعمارة الجامعية، قاعة الأساتذة المدرجات (الكيمياء والعلوم) ومخبر علم الأوبئة".

نقرأ خلف سطور هذه الكتابات الواردة في الصحف الفرنسية، السياسة الإعلامية المطبقة وهي نقل الخبر باقتضاب شديد، وبنفس الطريقة، ودون تعليقات ولا تحليل ودون ذكر الفاعلين والسبب، وهذا في محاولة للتهرب عن سؤال من المستفيد؟، إنها عقدة فيرون" التي حلت بأنصار الجزائر الفرنسية فجأة، لقد أحرقناها حبا فيها ونكالا في الجزائريين الذين يمكن أن يوظفوا كنوز هذه المكتبة للنهوض ببلادهم".

وقد صرح "روبرت بيرون"، وهو متحدث باسم الحكومة الفرنسية وأحد الأعضاء الفرنسيين المشتركين في اتفاقيات ايفيان كمايلي: "هؤلاء الذين أحرقوا المكتبة يريدون إغلاق أبواب الثقافة الفرنسية أمام النخب الجزائرية كما أنهم يعتبرونها مخصصة لهم فقط".

يبدو من هذا التصريح أن الدبلوماسية الفرنسية هونت من شأن الحادثة واعتبرتها عملا غير واع يمكن أن يلحق الضرر بمستقبل الثقافة الفرنسية في الجزائر، وهو الطريق الوحيد الذي يضمن استمرار المصالح الفرنسية في الجزائر عن طريق استمرار النفوذ الثقافي واستمرار استخدام اللغة والوثائق الفرنسية.

أما الجانب الجزائري فقد صرح بسرعة أن الحريق كان مدبرا من مصالح ل OAS وبالتواطؤ مع الإدارة الاستعمارية وهذا الرأي ورغم احتياجه لمبررات فإنه الأقرب إلى الصواب للأسباب التالية:

- وقوع أحداث ليلية 7 و 8 أبريل 1962م، بعد إعلان وقف إطلاق النار بأيام أدى إلى إغلاق جامعة الجزائر.

- التمهيد لعملية الحرق وذلك بإتلاف سجلات الجرد في المكاتب المقابلة للساحة العامة في شهر ماي 1962م، وقد كتبت عن الحادثة جريدة Paris le jour في عددها الموافق ل 8 جوان 1962م.

- في صبيحة 07 جوان غادر محافظ المكتبة إقامته في نفس عمارة المكتبة ومعظم الموظفين في المكتبة كانوا قد توجهوا في ماي 1962 إلى باريس لإجراء تريض حول تطبيق "النظام العشاري في الجرد في المكتبات الجامعية"

- نقل أرشيف جامعة الجزائر إلى جامعة AIX وذلك حسب جريدة لوفيغارو في عددها الموافق ل 8 جوان 1962.

ومن خلال عرضنا لهذه الأعمال الممهدة لجريمة حرق المكتبة الجامعية، يبدو جليا تورط افراد من الإدارة الاستعمارية، ومنظمة "OAS" في التدبير وتنفيذ جريمة إحراق المكتبة الجامعية، وبذلك أتلفت أهم الأبحاث والوثائق التي كان من الممكن أن يستفيد

منها كل الجزائريين لاحقا، وأبطلت أسطورة الرسالة الحضارية التي شكلت مطلباً طالما تحجج بها المستعمرون.

ومن أجل إعادة تأهيل المكتبة الجامعية الجزائرية، وإصلاح ما يمكن إصلاحه تم تنصيب لجنة في ديسمبر 1962م، عرفت باللجنة الدولية من أجل إعادة تأهيل المكتبة الجامعية للجزائر (CIRBUA) والتي ترأسها السيد محمد بوعباد ونائبه نور الدين اسكندر الملحق بديوان وزير التربية، كما تم تعيين الكاتب جون سناك سكرتيراً عاماً للجنة وهذا تكملة للمبادرة التي قام بها العميد Roche الذي حاول إصلاح بعض المجموعات من أجل إنجاح الموسم الجامعي.

وبفضل مجهودات اللجنة الدولية (Cir Bua)، تم إعادة فتح القاعة الكبيرة الرئيسية للمكتبة للأساتذة ثم الطلاب، وتم أيضاً فرز وترميم الكثير من الوثائق، والكتب والدوريات التي شكلت رصيد المكتبة في السنوات الأولى للاستقلال.

ثانياً: معهد باستور بالجزائر ( 1894-1962):

يتعلق تاريخ بناء معهد باستور الجزائر بتاريخ تاسيس وتوسيع معهد باستور في المتروبول ويتعلق إنشاء هذا المعهد بنتائج العلمية القيمة للعالم لويس باستور<sup>(1)</sup>، الذي تمكن من اكتشاف لقاحاً مضاداً لداء الكلب وقد جرب باستور هذا اللقاح على الإنسان يوم 6 جويلية 1888م، بعد أن كان قد أعلن اكتشافه يوم 2 مارس 1896م أمام زملائه بأكاديمية العلوم بباريس.

وقد أدى هذا النجاح الذي حققه من خلال إجراء 350 علاج ناجح ضد الكلب، إلى مطالبته بإنشاء معهد متخصص قادر على إنتاج هذا اللقاح، وكانت أمنية باستور أن يتضمن مركز اللقاح مركزاً للأبحاث والتعليم، وأن يأخذ هذا المعهد طابعا خاصا مستقلا عن السلطات<sup>(2)</sup> و حلم بان يضمن له دخلا منتظما ومريحا .

وبدات محاولات انجاح هذا المشروع بإنشاء جمعية بغرض جمع الأموال من مصادر مختلفة فرنسية وأجنبية، وتم شراء قطعة أرض في سهل جافيل "javel" وتمت الأعمال بسرعة كبيرة وتم افتتاح أولى المباني يوم 4 نوفمبر 1888م من طرف الرئيس الفرنسي، ويتضمن المعهد المخابر والمكتبة ومراكز التلقيح وكذلك قاعات الدروس ومنزل لويس باستور، وقد تم تنظيم المعهد باستحداث خمسة أقسام خصص واحد منها لداء الكلب أما البقية فخصصت للبحث النظري والتطبيقي.

---

(1) لويس باستور (17 ديسمبر 1822-28 ديسمبر 1895): ولد لويس باستور في مدينة دول "dole"، تم انتقال مع عائلة إلى ديوا، وزاول مراحل دراسته في هذه المدينة قبل أن ينتقل إلى باريس لمزاولة دراسته الثانوية ببيرنستون، التي أصبح معيدا فيها سنة 1841، وحصل على شهادة في العلوم الفيزيائية سنة 1842 وكانت أولى اكتشافاته في الفيزياء (التناظر) انتقل إلى ثانوية ديمون ثم استازا مساعدا بكلية العلوم بستراسبورغ، وقد تزوج ابنة عميد أكاديمية ستراسبورغ، وقد عين نائبا مدير للمدرسة العليا للعلوم ورغم تخرجه في 19 أكتوبر 1868م، إلا أنه واصل أعماله العلمية حيث اكتشف لقاح مضاد لداء الكلب وطالب بإنشاء معهد خاص به، ولقي تكريما خاصا من الأمة الفرنسية سنة 1894، كان باستور يؤمن بأنه لا حدود ولا قومية للعلم وضرورة استقلالية العلماء عن مراكز السلطة.

(2) Marange Michel : Histoire de l'institut Pasteur, Cahier Pour l'Histoire de CMRS, p10.

وقد تمت توسعت معهد باستور بباريس سنة 1900 حيث أصبح يضم عمارة الكيمياء البيولوجية ومستشفى متخصص للأمراض المعدية.

و يعمل المعهد ابحاثه في قاعات للدروس ومخابر للتطبيقات فالهدف الأساس دائما - حسب رغبة باستور- هو نشر التقنيات الجديدة في مجال الميكروبيولوجيا ويهدف المستشفى الملحق بالمعهد إلى تطبيق الاكتشافات الجديدة في الطب علي المرضى.

وبعد سنوات من عمل المخبر في باريس، بدأت طلبات إنشاء فروع له أو مخابر مماثلة تأتي من وراء البحار، وذلك لاستحالة نقل جميع المرضى إلى باريس،وقام المعهد بإنشاء العديد من المعاهد في المستعمرات منها معهد باستور الجزائر، سيديني ، صايغون، تونس، سان لويس بالسنغال.(1)

وقد كانت الحاجة ملحة في الجزائر لمثل هذا الاختصاص، فقد جاء في تقرير الدكتور لاسر "Lassère" يوم 16 جوان 1939م ممثل الصحة في اللجنة المشتركة للمندوبيات المالية "يجب الخروج من هذه الكابوس"، ويقصد تفاقم اصابات الكلب، فقد لاحظ التقرير أنه منذ 1924م تم علاج 2000 حالة في معهد باستور الجزائر والغريب أن عدد الحالات كان يستمر في التفاقم، فقد عالج معهد باستور 2607 حالة سنة 1938م، وفي 1933م عالج 4000 حالة للجوء الاهالي للطرق التقليدية وفقدانهم للقدرة علي تشخيص المرض قبل مراحلها النهائية وجهلهم بجدوي اللقاح (2) .

وقد لاحظ الدكتور "لاسييري" أن الكلاب المعروفة المالك أكثر عرضة للكلب، وأن بإمكان المصاب منها نقل المرض إلى 100كلم، وبذلك طالب بإجراءات وقائية تتمثل في تلقيح الكلاب الأليفة والقضاء على الكلاب الضالة.

(1)Marange : op.cit, P104.

(2) كان معهد باستور تابعا لجامعة الجزائر قبل أن يستقل ، ويحصل على مقر خاص، أنظر الملحق رقم:09.

ومن جانب آخر، ورغم هذه الفترة المتأخرة، فإن الجزائر حال المطالبة بإنشاء هذا المعهد كانت بؤرة للأمراض المعدية مثل: التيفيس، والفاريول وكذلك الطاعون والكوليرا وغيرها، وحتى الحيوانات المصدرة إلى فرنسا كانت تحمل أمراضا فتاكة ولذلك عملت السلطات الاستعمارية على منع كل أشكال تصدير الحيوانات منذ 1877م، ومنذ سنة 1879 م اشترطت لجنة الطب الحيواني البيطري تلقيح القطعان المستوردة من الجزائر.<sup>(1)</sup> وفي ظل هذه الأوضاع كانت الجزائر في حاجة ماسة لإنشاء هذا المعهد. وقد أخذ الأستاذ ترولار" وهو أستاذ في مدرسة الطب والصيدلة على عاتقه مهمة إنشاء معهد لتطبيق وتحضير اللقاحات خاصة وأنه درس تقنيات معالجة الكلب وقد وجه في هذا الشأن تقريرا إلى الحاكم العام الذي حوله بدوره إلى باستور.

وقد جاء جواب لويس باستور يوم 16 جوان 1893 إلى الحاكم العام، والذي عبر من خلاله على اهتمامه بالموضوع واطلاعه على تقرير الدكتور ترولار وقال: "الدكتور ترولار عالج في عمله مشروع إنشاء مخبر مضاد للكلب في الجزائر بكفاءة عالية وعبر أيضا عن قدرته على إدارته بكفاءة".

ومن جهة أخرى، جاء في تعريف جون مليا لمعهد باستور ما يلي: "هو مؤسسة للتعليم العالي خارج الجامعة ولكنه أنشأ من طرفها"، ففي البداية تم إنشاء معهد باستور في البناية نفسها لمدرسة الطب والصيدلة في الجزائر، وبدأ العمل منذ 1 نوفمبر 1894م ولكن بصعوبات مالية وإدارية، وقد حددت صلاحياته في التطبيقات العلمية للميكروبيولوجيا وقد بقي لمدة خمسة عشر سنة في هذه الظروف حتى سنة 1909.<sup>(2)</sup>

ورغم هذه الظروف فإن الاحصائيات تشير إلى أدائه لدوره بقوة حيث أنه:<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> Mélia : op.cit. P225.

<sup>(2)</sup> Dolle A : Institut Pasteur d'Alger, Echo d'Alger du 18 Mars 1913.

<sup>(3)</sup> Mélia: op.cit P225

- بين (1894-1894) عالجت مصلحة الكلب 1899 حالة بنسبة وفيات 0.49%.
- وزعت مصلحة التلقيح المضاد للكلب 47661 جرعة تلقيح مجانا.
- تم التحليل البكتريولوجي لـ 849 عينة وبائية و 14 عينة لمياه الشرب.
- إرسال معهد باستور للطبيب " سولي " في مهمة إلى طنجة سنة 1894 حيث سجلت بعض حالات الطاعون (laPeste).
- اكتشاف المرض المزمن للقطعان الجزائرية بين (1890-1899) من طرف مصلحة التلقيح وهو " لاكلوكسي " وتم اتخاذ الاجراءات بإنشاء لجنة للمتابعة سنة 1895م.
- تكليف الحاكم العام لمعهد باستور بإيجاد حلول لمشاكل وباء القطعان، وإنتاج اللقاح اللازم وقد مكن هذا الاجراء من القضاء على مخاوف استيراد القطعان الجزائري، ورفع الحجز عنها، وقد وزع معهد باستور 505.051 جرعة لقاح منها 111.041 سنة 1897م و 208.930 سنة 1895 و 185.080 سنة 1899م خاصة بالمواشي .
- تمكن الطبيب " ترابو " مدير معهد باستور وأستاذ العلوم في المدرسة العليا للعلوم من تحضير الخميرة الممتازة لتخمير العنب والضرورية لتطوير صناعة الخمر.
- وبفضل هذه النجاحات أصبح من الضروري أن يصبح لهذا المعهد الشخصية المعنوية والاستقلال المالي، وبذلك يستطيع أن يطور نفسه بنفسه حسب متطلبات وجوده.
- كانت هذه المسألة إحدى المحاور الأساسية لنقاشات المندوبيات المالية منذ 1902م، إذا ناقشت المندوبيات المالية الميزانية الموجهة للمعهد وجاءت كمايلي:
- 13.600 فرنك للمستخدمين.
- 6000 فرنك للتجهيز.

- 3000 فرنك للميكروبيولوجيا النباتية.

- 164.700 فرنك للقاحات.

وقد طالب مندوب جماعة الكلون كورب "corps" الكولون في جلسة 20 ماي 1901 بعدم التصويت على ميزانية المستخدمين بحجة أن المعهد لا يقدم خدمة عمومية. وطرح نفس الحجة في السنة الموالية 1903م، وأجابه الأمين العام للحكومة الجزائرية بأن المشروع مطروح على مستوى الوزارة حيث سيحول المعهد إلى مؤسسة ذات طابع عمومي، وقد تكرر الطلب في سنوات لاحقة حيث طرح مندوب الكلون قيرون في اجتماع 14 مارس 1907 سؤالا مباشرا على محافظ الوزارة<sup>(1)</sup>: هل يمكن أن نقول لنا متى يحصل المعهد على شخصيته؟

أخذ الحاكم العام شارل جوناك هذا الانشغال على عاتقه، وقد حاول أن يجعل من معهد باستور مدينة الجزائر، معهد باستور لكل الجزائر وذلك بالنظر للأهمية والبريق الذي أصبح لهذا المعهد، وقد كان جوناك يحلم بمعهد مماثل لذلك في باريس، وحسبه فإن هذا المعهد يجب أن يشرف العلوم التي يجد لها مجالا لعمله في الجزائر، وبكل الأبحاث في المجالات الإفريقية، وأيضا من حقه الفخر بالخدمات التي قدمها للجانب الآخر من المتوسط.<sup>(2)</sup>

وقد توجه يوم 08 جويلية 1909م إلى مدير معهد باستور بباريس الدكتور "رو" من أجل تحضير مشروعين-اتفاقيتين-تتعلق بالضروريات المالية بالنسبة لمعهد باستور المزمع إنجازه.

(1) Méliá, op.cit P235.

(2) Notice sur l'institut pasteur D'Alger Tome I, P-P 6-7.

وتتم هذه العملية في الأساس، عن رغبة في فصل معهد باستور الجزائر، عن جامعة الجزائر وإحاقه بمعهد باستور بباريس، وقد اختار جوناك لهذه المهمة الطبيب "كالمات" مدير معهد باستور بليل، ووافق مدير معهد باستور على اقتراح جوناك في رسالة وجهها له يوم 19 جويلية 1909م، وقد اقترح الدكتور، "ادموند سارجو" لخلافة كالمات أثناء غيابه.

ولقد جاء هذا الاختيار لأن الدكتور سارجو كان في الجزائر منذ 1900 في مهمة دائمة لمعهد باستور بباريس في الجزائر، وذلك لمراقبة اكتشاف الباحث "رونالد روس" المكمل لأطروحة "لافرين" حول دور الحشرات في نقل الملاريا، ولمتابعة تطور البكتريولوجيا الجزائرية وفق المناهج البستورية.

وقد أجاب الحاكم العام جوناك في رسالة يوم 30 أكتوبر 1909م الدكتور "روكس" حول مشروع الاتفاقيتين المعدة من الحكومة العامة في الجزائر من أجل تكليف معهد باستور بإعادة تنظيم معهد باستور الجزائر قائلاً<sup>(1)</sup> "إن اختيار الدكتور "كولمات" يقود حتماً إلى النجاح، وسيكون للدكتور سارجو ضمان مصالح المؤسسة المستقلة".

لقد لعب الحاكم العام جوناك دوراً مهماً في تقليص النفوذ المتزايد للكولون، والذين كانت السلطات المركزية تتخوف من نزعتهم الانفصالية. على الأقل بعد أحداث 1900م. وذلك من خلال سعيه الدؤوب لمحاولة إحداث التوازن الغائب بينهم وبين الأهالي من جهة واستعادة النفوذ المركزي والرقابة على الكثير من المؤسسات الاستراتيجية ومنها معهد باستور.

وقد جاء مشروع الاتفاقية الأولى والذي تضمن التنظيم الجديد لمعهد باستور الجزائر من أجل منحه الاستقلالية و الشخصية المدنية، وكذلك يمنح امتيازات للباحثين

(<sup>1</sup>) Méliá, op.cit. P240.

ويحررهم من الضغوط الإدارية ويضمن كل ما يحتاجونه، ومنح الحرية المطلقة للمدير الذي لا يخضع لأي رقابة ما عدا تلك المخولة لمجلس الإدارة فقد كان الهدف هو ايجاد علماء عاملين وليس موظفين.وقد جاء في الفصل الأول أهداف البيان التأسيسي لمعهد باستور كما يلي:

- دراسة الأمراض الفيروسية والمتقلة (المعدية) السكان، الحيوان، والنبات المتعلق بالجزائر والبلدان الفرنسية لأفريقيا الشمالية.

- تدريس المناخ الميكروبيولوجية المطبقة في الطب الانساني والحيواني والفلاحة.

- التوزيع المجاني والدوري مع تحضير الاحتياجات تحت وصاية معهد باستور باريس للقاحات اللازمة للمصالح العمومية النظافة و المتابعة الطبية لحاجة مصالح الولاية العامة في الجزائر.

- معالجة الكلب وفق المنهج البستوري وتحضير المصل اللازم.

- تنظيم وتوجيه كل الأعمال، المهمات والدرسات العلمية الموكلة إلى الباحثين الميكروبيولوجين والمهتمين بالصحة العمومية، وكل الابحاث المطلوبة من الحكومة العامة.

وبالنسبة لأدارة المعهد فإنه يملك مجلسا للإدارة يتكون من ثلاثة أعضاء منتخبين من طرف المندوبيات المالية يوافق عل عضويتهم الحاكم العالم.

- ثلاثة اعضاء يختارهم معهد باستورباريس منهم مدير معهد باستور الجزائر<sup>1</sup>

- رئيس مجلس الادارة والتطوير، يعينهم الوالي العام للجزائر بالتوافق مع مدير معهد باستور الجزائر.

---

<sup>1</sup> Mélia,op-cit, pp241-242.

وبالنسبة للتعليم فإن معهد باستور بإمكانه الاستقبال المجاني في خدمة الولاية العامة للجزائر وجامعة الجزائر الأطباء والطلاب المدنيين والعسكريين وأعضاء الجامعة.

ومتلما لاحظ المشروع فإن معهد باستور باريس هو الذي يعمل على انتقاء الإدارة التقنية وتوظيف الباحثين.

والحقيقة أن هذه الإجراءات ليست جديدة، فقد تم العمل بنفسها فيما يتعلق بمعاهد باستور في المستعمرات الأخرى (تونس-الهند الصينية).

أما المشروع الثاني من الاتفاقية<sup>(1)</sup>: وقد عالجت مسألة إنشاء معهد باستور (المباني والأرض)، حيث تم تخصيص قطعة من الأرض بمساحة هكتارين تقع قرب حديقة التجارب من طرف مصالح الدومين وأهم موادها:

**المادة الأولى:** الولاية العامة تتعهد بإنشاء - بناء - معهد باستور الجزائر على أرض مساحتها هكتار تقع في حديقة التجارب من طرف مصالح الدومين.

**المادة الثانية:** خصصت الولاية العامة لهذا الغرض مبلغ 300.000 فرنك بما فيها تكاليف التجهيز اقتناء المعدات اللازمة.

**المادة الثالثة:** المستعمرة تبقى مالكة المبنى وعلى معهد باستور باريس الترميمات اللازمة والترميمات الكبرى على عاتق المستعمرة.

**المادة الرابعة:** يأخذ معهد باستور باريس على عاتقه صيانة وتجديد المعدات والتجهيزات اللازمة للمخابر التي تبقى من أملاكه.

ولقد تم إنشاء البناية الرئيسية للمعهد بجانب فيلا عبد اللطيف مقر المتحف الوطني للفنون الجميلة<sup>(1)</sup>، لقد كان هذا المكان مجهزا بشكل جيد، فالمخابر مجهزة ومزودة

(<sup>1</sup>) Ibid. P-P (245-246).

## الفصل الثالث: المخابر العلمية و مراكز البحث و التوثيق الجامعية(1887-1962)

بالوسائل الضرورية الموجودة ، كغرف التبريد ، والقاعات الجافة ، والقاعات الاسوداء؛ الموجودة في الطابق السفلي، وكذلك مختلف مساحات التجريب في الحديقة النباتية والحيوانية.

ويملك معهد باستور مكتبة من بين المكتبات الأكثر ثراء وتخصصا، بفضل اتفاقيات التبادل، وقد وجد في أرشيف المعهد أكثر من 300 منشور دوري، خاصة حول الميكروبيولوجيا.

### - الملاحق:

يملك معهد باستور ملحقا يقع في وسط مدينة الجزائر، في جانب الجامعة في شارع باستور مخصص لمصالح مكافحة الكلب، وتوزيع الأمصال، اللقاحات والخمائر، وكذلك لاستقبال التجهيزات الميكروبيولوجية الوبائية الموضوعة تحت التحليل.

كما يملك المعهد ملحقا رئيسيا يتربع على مساحة 5 هكتارات في مدينة القبة أين يتم العناية بقطعان المواشي والحيوانات الخاصة بالتجارب وتحضير اللقاحات والأمصال وقد تم إنشاء ملحق صحراوي في المصحة الأهلية لبني ونيف سنة 1907م في الجنوب الوهراني.

وقد تم إقامة محطة تجريبية سنة 1927 في واد منديل ببئر التوتة تتربع على مساحة 300 هكتار، بعد أن أخضع المستنقع الموجود في المنطقة لعملية التطهير

(1) أنظر الملحق رقم 09.

والتجفيف والذي كان سابقا مصدرا للكثير من الأوبئة في المنطقة وفي ضواحي مدينة الجزائر والبلدية.

### مهام وأبحاث معهد باستور.

حدد الحاكم العام "تيودور ستيغ" مهمة المعهد في كتابه "السلام الفرنسي في شمال إفريقيا" «la paix Française en Afrique du Nord» سنة 1926 بقوله "هو مكان للتفكير والتجريب... اين العلم ينتج... اين العلم يحكم أين العلم يطبق"<sup>(1)</sup>.

ومساهمة معهد باستور في حل المعضلات الطبية في الجزائر، بدأت باكتشاف عظيم يوم 6 نوفمبر 1880 بقسنطينة، حيث اكتشف الطبيب لافرين A. Laveran البرازيت المسبب للمالاريا، وهو السبب في انتشار المرض في المناطق الحارة، وفتح هذا الاكتشاف الباب واسعا أمام الاهتمام العلمي بالأوبئة الخاصة بالمناطق الحارة خاصة تلك المنقولة عن طريق الحشرات، والتي منعت الجيش الأبيض من الوصول إلى المناطق الاستوائية على الأقل لمدة أربعين سنة قبل هذا الاكتشاف.<sup>(2)</sup>

وبفضل هذا الاكتشاف أصبح من الممكن التغلغل في المستعمرات، وفي هذا الاكتشاف قال الطبيب "كالمات" إن اكتشاف "لافرين" هو الأهم في الطب بعد اكتشاف باستور، وبالنسبة للجزائر هو من دواعي الفخر، وبالنسبة للعلوم الفرنسية يعتبر من دواعي اعتراف الآخرين بالعقل الفرنسي".

وقد تابع لافرين بنفسه طيلة 25 سنة أبحاثا أخرى متعلقة بالأمراض التي تسببها البروتوزوهرات الدقيقة، وفي ظل المجال الذي فتحه لافرين وبتوجيه من الدكتور "رو"

<sup>(1)</sup> Edmand Sergent : L'ouvre de l'institut pasteur en Algérie : in Document Algerianiste, Science Sociales, N°44, de 30 décembre 1953.

<sup>(2)</sup> La Belge Manepoule : les instituts Pasteur du Maghreb : la recherche Médicale dans le cadre de la politique coloniale, Revue Française d'histoire d'autre mer, Année 1987, vol 74 N° 274, P-P27-42.

Roux وجهود " فليكس مسنيل". والأخوين "سارجو"، تم توجيه أبحاث المعهد إلى الأمراض المعدية المتنقلة الأكثر انتشارا في الجزائر وهي:

- **المالريا:** وقد تركزت الأبحاث حول حمى المالريا وطرق انتشارها والمسببات الرئيسية، فقد ترسخ الاعتقاد بأن " لا مالريا من دون ذباب" ومن تم اكتشاف الفيروسات المسببة لهذا المرض بفضل تعاون مجموعة من الباحثين: الأخوين "سارجو"، "قال"ي "بارو"... وغيرهم، وقد تم إرسال بعثة طبية خاصة من الجزائر لمتابعة تطور المالريا التي أصابت الجيوش الفرنسية في المشرق بطلب من وزير الحرب سنة 1916 ونتيجة لأبحاث المعهد تم التحكم في مختلف طرق ووسائل انتقال المرض وتطويره.

-**الحمى التراجعية والتفيس النمشي Fierre Recrrente et Tuphus Exanthématique:** ففي سنة 1907 قادت الأبحاث الدكتور رامون سارجو وفلوري إلى اكتشاف دور القمل في انتشار الحمى التراجعية، بعد تجارب أجريت في المخبر، ونفس الشيء بالنسبة للتفيس النمشي.

- الحمى التراجعية - الإسبانو شمال-إفريقية:

وقد أعلن الطبيب سارجو وجود هذا النوع من الحمى في الجزائر سنة 1933م لدى الإنسان ولدى الفئران.

- مرض الذباب الجملى: ذباب الجمال "Debab des Dromadaire":

وهو حسب خبرة سكان الصحراء المرض الوحيد الذي يصيب الجمال في الصحراء، وقد اكتشف إدماند و" اتيان سارجو" أنه ناتج عن لسعة النعرة السوداء وقاما بإجراء دراسة مسحية على انتشار المرض، وتم تحضير علاجات كيميائية لهذا المرض، لأن كل القطيع الشمال إفريقي كان مصابا بالمرض<sup>1</sup>.

- البيرو بلاسموز: Piroplasmos:

وهو مرض يصيب قطعان المواشي ويهلكها عن آخرها، وقد استنتج الباحثون في معهد باستور أن هذا المرض المسمى "Iajaunisse" تنفرع إلى خمسة أنواع وتم إيجاد وتحضير اللقاحات اللازمة، بنسبة وفيات لا تتجاوز 1%.

- دراسة الخمائر وذباب الفاكهة:

سبق وأن اكتشف باستور بأن تخمر عصير العنب ناتج عن خميرة توجد في قشرة حبوب العنب الناضج، وكان الاعتقاد بأنها تأتي من الغبار، ولكن أبحاث معهد

---

(<sup>1</sup>) La Belge Manepoule op.cit pp27-42

باستور أثبتت أنها ناتجة عن ذباب رقيق يضع الخميرة مع بيضة تسبب في تخمير عصير العنب الذي تتغذى عليه اليرقات، وقد جاء هذا الاكتشاف سنة 1924م.

-**الذغف البشري (Timni nouvelle myiase humaine):**

تمكن إتيان و إدموند سارجو سنة 1901 من الإعلان بأن الذغف الذي يصيب القطعان (بالتارقية تيمني) يستطيع أن يصيب الإنسان، ويسبب التهاب في العيون.

- **البيوض (بيوض النخيل):** وهو أخطر الأمراض التي تصيب غابات النخيل وتهدد الثمار والنخيل معا، وقد اكتشف الباحثون سنة 1921 أنه ناتج عن فطر رطب ينمو على أشجار النخيل.

- **أمراض الحيوانات الأليفة:<sup>(1)</sup>**

وقد أجريت التجارب على الكثير من المكروبات المسببة للأمراض، مثل الأنيميا التي تصيب القطعان، تقيس الخنازير، وطاعون الخنازير.

- **السل: Tuberculose:**

وقد تم إعداد خريطة لانتشار المرض بتقنيات ميكروبيولوجية (cuti-réaction) ومن ثم تم توزيع 240.000 جرعة لقاح المضاد للسل (PCG) بين (1924-1946).

- **الحمى المتموجة (Fièvre Ondulante):**

وقد تم القضاء على هذا النوع من الحمى نهائيا بعد 1908م من طرف معهد باستور.

---

(<sup>1</sup>)Sergent : Rapport sur les Activités de l'institut Pasteur, 1946.

- التراشوما **Trachome**:

قام معهد باستور بإجراء تحقيق حول انتشار هذا الوباء في التل والصحراء وأنشأ لهذا الغرض ما يعرف بـ"بيوت العينين".

\* **الأمصال واللقاحات والمبيدات:**

- **المصل المضاد للسه العقري:** قام معهد باستور بتحضير المصل المضاد للسه العقري بنسبة نجاح وصلت بين 80 إلى 100%.

- **لقاح المواشي:** وقد قام جون بريدي وأنطون بوجي بإعداد لقاح للمواشي المصدرة إلى فرنسا لحماية المستهلكين<sup>1</sup>.

\* **محلول ميليا المضاد للجراد:** وذلك باستخلاص محلول من شجرة الميليا التي لا يهاجمها الجراد، وجاءت هذه الفكرة من طرف "مشال فلوكتسكي" سنة 1937م، وذلك لحماية المزروعات من الجراد وكنتيجة لتطور أبحاث معهد باستور فإنه أنتج اللقاحات اللازمة ضد الأمراض الكثيرة الانتشار مثل: الطاعون، الملاريا، التقيس، والخمائر المستخدمة في الصناعات ولذلك دور كبير في تأمين الزراعة وتربية المواشي والسكان.

**التعليم العالي في معهد باستور:**

وإضافة إلى مهامه البحثية، يتولى معهد باستور الجزائر مهمة التعليم العالي للميكروبيولوجيا عن طريق التلقي والكتابة وأهمها:<sup>(2)</sup>

- دروس في علم الملاريا.

---

<sup>(1)</sup>Sergent : Rapport sur les Activités de l'institut Pasteur, 1946.

<sup>(2)</sup> Sergent, Ibid.

## الفصل الثالث: المخابر العلمية و مراكز البحث و التوثيق الجامعية(1887-1962)

- التبرصات النظرية في المخابر للمارسين الفرنسيين والأجانب من اطباء وطلاب.
- التوجيه والإدارة العلمية للأطباء المتوجهين إلى مقاطعات الجنوب.
- طبع المطويات الطبية سنويا حول الأمراض المعدية.
- التدريس في المحطة التجريبية لتقنيات الميكروبيولوجيا وطرق الاستفاداة منها في الاقتصاد الريفي.
- اصدار الطبيب "بارو" سنة 1922 لكتاب الصحة بنسخة عربية مهذا إلى الأهالي الجزائريين من طرف معهد باستور.
- وكل أبحاث المعهد يتم نشرها في دورية فصلية "أرشيف معهد باستور"، وكذلك تصدر ملخصات عنها في التقارير السنوية لمدير المعهد.<sup>(1)</sup>
- ويضمن أيضا معهد باستور للصالح العام، تحقيقات ومهمات بطلب من الحكومة العامة وذلك بالتحليل الميكروبيولوجي لكل الأمراض التي تتطلب تدخل الدولة- وكذلك تخصيص وتوفير وتوزيع الأمصال واللقاحات الضرورية لمصالح المتابعة الطبية والمصالح البيطرية.
- ولعل من بين أعمال معهد باستور الكبيرة هي التنقية الصحية لمستتقع أولاد منديل المتربع على مساحة 360هـ، والذي كان بؤرة للأمراض، وقد تم نشر التقرير النهائي لهذه

---

(1) تسمى دورية معهد باستور "أرشيف معهد باستور" صدرت لأول مرة تحت هذه التسمية سنة 1923 تكملة للدورية التي يتبعها تحت تسمية "أرشيف معهد باستور شمال إفريقيا"، ومؤسسها هو L.Pariot تقدم الدورية في مطبوعة حجم 25/23 سم، تصدر كل ثلاثة أشهر ثم أصبحت سنوية، عدد الصفحات لكل منها بين (240 إلى 280)، تطبع في المطبعة الحديثة للجزائر.

## الفصل الثالث: المخابر العلمية و مراكز البحث و التوثيق الجامعية(1887-1962)

العملية في نشرة بعنوان "قصة مستنقع جزائري" في مجلدين 294 صفحة و310 صورة وخريطة<sup>(1)</sup>.

أما بالنسبة للأبحاث الميكروبيولوجية الصحراوية فقد امتد عمل معهد باستور إلى الصحراء وتم تحقيق النتائج التالية في مجال الطب الانساني والحيواني والنباتي:

- اكتشاف طريقة انتقال الحمى القلاعية إلى أقصاها.
- اكتشاف طريقة انتقال مرض زرر الشرق.
- اكتشاف المصل المضاد للسعة العقربية.
- اكتشاف الميكروب الذي يسبب مرض ذباب الجمال (وطريقة انتقاله).
- اكتشاف الفطر الذي يسبب أخطر أمراض التمور "البيوض".
- اكتشاف مرض التيمي " العيون " في الصحراء والقبائل.
- اختراع مستخلص الميليا المضاد للجراد.
- إزالة خطر غزو طاعون الضأن للشمال الافريقي بتطبيق إجراءات جمركية صارمة.
- نشر إدموند سارجو، لدراسة بعنوان "الاستيطان البشري للصحراء من خلال المعارف الجغرافية والفيزيائية والجغرافيا البشرية"، أي حسب يمكن له إعمار الصحراء واكتشف أن العائلات النوميدية والسكان البيض تستعصي عليهم الصحراء لأسباب فيزيولوجية.<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup>Sergent, Rapport Sur l'institut, le 15 septembre 1946, P01.

<sup>(2)</sup> Sergent, op.cit PP3-5

- المتابعة العلمية للدكتور H. Folley من معهد باستور للاكتشاف العلمي للصحراء طيلة 40 سنة من خلال (مكوته في محطة بني ونيف، واهتمامه بقضايا الديمغرافيا والتاريخ الطبيعي).

ولم يتوقف نشاط معهد باستور الجزائر في المستوى المحلي، بل أصبحت له سمعة عالمية، فقد تم تكليف مدير معهد باستور الجزائر سنة 1949 من طرف مدير معهد باستور Roox لمناقشة ودراسة مشروع إقامة معهد باستور في اليونان وكذلك سنة 1934 لمراجعة اتفاقية المعهد مع اليونان.

وكذلك الشأن بالنسبة لإنشاء معهد باستور في المغرب بين (1928-1932)، وقد تم استدعاء مدير معهد باستور الجزائر للمشاركة في برنامج عصبة الأمم لمكافحة داء الملاريا، وتشرف برئاسة اللجنة المكلفة بالملاريا.

وبعد عرضنا لهذه الأعمال الكبيرة لمعهد باستور، لا نحتاج إلى دليل لإثبات الدور الكبير الذي لعبه لإزالة هاجس الخوف لدى الإدارة الاستعمارية والمستوطنين من الأمراض المنتشرة في الجزائر، في التل والصحراء ولعل أحسن ما ثبت هذا الدور هو تصريح حاكم الهند الصينية كريميو "معهد باستور من أحسن وسائل الاستعمار التي نملكها".

لقد قام معهد باستور بالمهمة الموكلة إليه، وهي المساهمة في تطوير العلوم عن طريق أعمال البحث، وتقديم الخدمات العلمية المتعلقة بالميكروبيولوجيا الضرورية لحماية الصحة العامة والاقتصاد الريفي للجزائر ولكل بلدان ما وراء البحار.

ومثلما هو الحال فإن أعمال معهد باستور لا تتوقف على الأشياء العلمية والنظرية ولكن على جعلها عملية ووظيفية وقابلة للتطبيق، وتكون بذلك النتيجة هي اقتصاد الحياة

## الفصل الثالث: المخابر العلمية و مراكز البحث و التوثيق الجامعية (1887-1962)

---

الانسانية والقضاء على الأمراض وحماية القطعان والمزروعات والمساهمة في ازدهار  
وثرء المستعمرة.

ثالثاً: المرصد الفلكي ببوزريعة(1873-1962):

يحتل علم الفلك مكانة هامة ضمن الحضارة الإنسانية فهو من أقدم العلوم التي عرفتھا البشرية، ولا يمكن التطرق إلى علم الفلك دون خلفية تاريخية وثقافية، فقد ظلت الجزائر جزءا من العالم الإسلامي الذي عرف باهتمامه وسبقه إلى هذا العلم.

وقد اشتهر من أرجاء العالم الاسلامي، المشرق، والمغرب والأندلس علماء فلك أذاذا على مر التاريخ مثل الخيام وابن رشد اللذان اهتمتا بعلم الفلك وعلوم أخرى.

وقد اشتهر في أرجاء بلاد الإسلام فلكيون متخصصون مثل ابن سنان البتاني ( 240-370هـ/854-929م) صاحب الدوال المثلثة ومعدل خط بطليموس وصاحب المؤلفات الفلكية، و من علماء الأندلس الفلكيين نجد أبو القاسم المجريطي (950-1008م) وهو أول من بدأ النهضة الرياضية والفلكية في المغرب العربي وأشهر مؤلفاته "رسالة في الاسطرلاب"<sup>(1)</sup>.

ولقد تابعت الدولة العثمانية أبحاث علم الفلك في محاولة منها لمواكبة التطورات الحاصلة في أوروبا فأنشأت مرصدا لعل أهمها مرصد "الغ بك" بسمرقند والذي خدم فيه الفلكي موسى بن محمد القاضي محمود الرومي المتوفي ( 840هـ/1436م) وهو من علماء الفلك المسلمين المتأخرين في القرن الخامس عشر.

ورغم هذا الاهتمام بعلم الفلك إلا أن الأبحاث المتعلقة به ظلت في نطاق الثقافة العامة وليس العلم، بعيدا عن تطبيقاته في مجال المناخ والملاحة والخرائط وغيرها والتي برع فيها الأوروبيون بعد عصر النهضة والكشوف الجغرافية.

(<sup>1</sup>)أنظر: علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى، محاضرات السيونر كرلونيلو، مكتبة الدار العربية للكتاب (أوراق شرقية) ط1993، 2، ص 377 .

فأنتقل الاستخدام والاهتمام بهذا العلم إلى أوروبا، لحاجتهم إليه في الملاحة البحرية والاكتشاف وتحديد المواقع على الخرائط بطريقة فلكية وحتى معرفة أحوال الطقس وتقلبات المناخ.

ولقد تنبه الاستعمار الفرنسي في الجزائر، إلى ضرورة دراسة المناخ والظواهر الجيوفيزيائية وذلك استجابة للتحديات الطبيعية التي واجهوها في الجزائر أثناء التوسع أو لدراسة ظاهرة الزلازل المدمرة التي كانت تضرب المدن الجزائرية بين الحين والآخر، ولعل أحسن الأمثلة على ذلك تلك العاصفة الثلجية التي أعاققت تقدم القوات الفرنسية في طريقها إلى قسنطينة لاحتلالها، والتي تنبه من خلالها جنرالات الاحتلال إلى ضرورة الإلمام بمعطيات المناخ والتقلبات الجوية.

نصب المرصد الجزائري الفلكي لأول مرة سنة 1856م، في ثانوية الجزائر في وقت لم تكن فرنسا تحتوي سوى على أربعة مراصد، باريس، مرسيليا تولوز ثم الجزائر، وذلك عن طريق قرار وزاري صدر عن وزارة التعليم في شكل فرع مؤقت للمرصد الإمبراطوري بباريس وكذلك في شكل محطة للأرصاد الجوية تحت إدارة السيد شارل سيمون.

وفي عهد وزارة الجزائر والمستعمرات (وزارة جيروم برانس نابليون) جاء قرار منها يوم 04 ديسمبر 1858م انشأ محطة المرصد الفلكي وقد تم تعيين السيد سيمون شارل رئيساً لمصلحة الأرصاد الجوية ومغناطيسية الأرض.<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup> Hamid Sadsaoud : une Histoire de l'observatoire Patrimonial d'Alger, colloque international «lumière et Astronomie»Alger 21/22 décembre 2015.

## الفصل الثالث: المخابر العلمية و مراكز البحث و التوثيق الجامعية(1887-1962)

وفيما يتعلق بالجزائر، جاء قرار وزاري آخر يوم 18 أفريل 1859م، من وزارة المستعمرات والجزائر عين من خلاله السيد "لويس دي لاكروا" مدير أكاديمية الجزائر على رأس المرصد.<sup>(1)</sup>

ويبدو أن موقع المرصد الفلكي في ثانوية بيجو لم يكن ملائما للرصد الحي للظواهر الفلكية لذلك قام "بولارد" بنصب التلسكوب المعروف بتلسكوب فكولد (33م) في أعالي بوزريعة عن طريق تأجير مكان ملائم، ولكنه سرعان ما عاد إلى مكانه نهاية الإيجار في 30 ديسمبر 1860م.<sup>(2)</sup>

وبإلغاء وزارة الجزائر والمستعمرات سنة (1860)، تم تعيين بولارد على رأس المرصد بقرار من الوالي العام وبموافقة وزارة التعليم.

وبسقوط الامبراطورية وقيام الجمهورية الثالثة تم تنظيم المرصد الجزائري عن طريق مرسوم رئاسي بتاريخ 26 ديسمبر 1873 تحت وصاية وزارة التعليم العام، وأصبح المرصد يتمتع بقانون خاص واستقلالية مالية.

وبإنشاء المدارس التحضيرية العليا وفق قانون 30 ديسمبر 1979م تم إلحاق المرصد الجزائري بالمدرسة التحضيرية للعلوم التي اقترحت مقعدا لعلم الفلك سنة 1880م، يكون فيها أستاذ علم الفلك مسؤولاً عن أعمال المرصد، وقد خضع المرصد في هذه المرحلة إلى إعادة تنظيم، حيث نصب في منطقة القبة وتم إدارته من طرف أستاذ علم الفلك بالمدرسة التحضيرية للعلوم.<sup>(3)</sup>

وتعبر المرحلة (1883-1890) الانطلاقة الحقيقية المرصد الجزائري لعلم الفلك، فقد قررت الولاية العامة منح المرصد قطعة أرض مساحتها 4 هكتارات في بوزريعة

<sup>(1)</sup>Sad Saoud, op-cit

<sup>(2)</sup> Boutquin : l'observatoire d'Alger, journal ciel et tuer, vol 32, P1.

<sup>(3)</sup>Mélia :op.cit. p230.

وانطلاقاً من سنة 1885م، تم النقل النهائي للمرصد إلى بوزريعة بعد أن انتهت الأشغال في العمارات الرئيسية ونصب المرصد، وقد دامت الأشغال إلى غاية 1890م وبذلك بدأ المرصد عمله في مكان ملائم وتجهيزات عصرية.<sup>(1)</sup>

أما بالنسبة لهندسة مباني المرصد فقد جاءت بالأسلوب الهندسي النيوكلاسيكي تم اختيارها من طرف المدير ، ونفذها المهندس الشاب جول فوانو في مطابقة شبه تامة مع هندسة مرصد نيس.

#### \* تجهيزات المرصد: زود المرصد بالأجهزة الفلكية التالية:

- المنظار الفلكي المسمى تلسكوب فوكولد ( Felescope de Fauould)<sup>(2)</sup>، ذو المقاسين Type: neutoien, Ø50 cm, F3.5m والذي وصل إلى الجزائر في ديسمبر 1861م، والمركب أساسا من الخشب، وقد نصب مؤقتا في القبة قبل أن يتم نقله نهائيا إلى بوزريعة، وقد تم إزالة الإطار الخشبي للتلسكوب سنة 1908م، وتم استبداله بإطار معدني سنة 1909م.

وتتوجه أعمال الرصد عن طريق هذا التلسكوب إلى رصد المذنبات والكواكب الصغيرة.

- الدائرة الطولية الكاملة ( la Grand Cercl Meridiem ) 1887: وقد تم صناعة هذه الآلة الفلكية سنة 1882م، باشتراك بين غوتي في الجزء الميكانيكي، وتم تركيب العدسات من طرف الإخوة هنري ( Ø= 19cm et F 2m30 ) وتتطلب هذه الآلة ترتيبات خاصة في العمارة المعدة لاستقبالها ( سقفيين وانحدار متحرك)، وقد تم تزويد هذه

(<sup>1</sup>) حول تجهيزات المرصد ومقره أنظر الملحق رقم 10.

(<sup>2</sup>) Sad Saoud, op.cit.

الآلة سنة 1957م، بساعة فلكية وكرونوغراف (بوني)، وهي الوسائل التي تم الاعتماد عليها من أجل إعداد الكشوفات والكاتالوجات الأساسية الموجودة في أرشيف المرصد.<sup>(1)</sup>

- الكوع الاستوائي (مدى الزاوية): 1888م: (Equatorial coudé):

وقد تم صنعها سنة 1884 م من طرف موريس لوي Maurice loewy في الجزء المتعلق بالعدسة، أما الجزء الميكانيكي فقد تولاه غوتي Gautier والمرابيا صنعها الاخوة هنري (Ø=32cm,F=6m60)، وقد استخدمت بعد تنصيبها في مراقبة النجوم المضاعفة، واستخدمت أيضا لمراقبة المذنبات والكواكب الصغيرة، استغلها الفلكي "بالدي" (Baldet) منذ 1912م.

- الإكواتوربال الفوتوغرافي: 1890م (L'Equatorial photographique): تم

نصب هذا الجهاز سنة 1890م وهو موجه إلى مشروع خريطة السماء التي شكلت العمل الرئيسي للمرصد بين 1895 - 1900م.

- اسطرلاب دانجول (1957): L'Astrolabe de Danjon<sup>(2)</sup>: اكتشف هذا الجهاز

اندي دانجون سنة 1956م، وتم صنع 40 نموذجا منه بين جانفي 1957 وجويلية 1955، وبمناسبة السنة الدولية للجيوفيزياء تم نصب هذا الاسترلاب N°8 OPL في الجزائر وتم تعيين الفلكي "بيلود" مستخدماً رئيساً للجهاز ونائباً ثانياً عنه الفلكي "ميلييه"، وقد عرفت هذه المرحلة تضاعف عدد الفلكيين المستخدمين بالمرصد الفلكي الجزائري، وفي نفس السنة تم إدخال التقنيات الإلكترونية للمرصد وذلك للأهداف التالية:

- دراسة وضبط دوران الأرض وحركات القطبين.

(1)Sad Saoud, op.cit

(2)أنظر صورة الاسترلاب في الملحق رقم 10.

- ضبط الكتالوجات الأساسية (FK<sub>4</sub>et FK<sub>5</sub>).

- ضبط التقويم الفلكي من مختلف الكواكب.

ويحتوي أيضا المرصد الفلكي في بوزريعة على مكتبة ثرية يحتوي على قرابة 2000 كتاب وحوالي 100 متر طولي من الأرشيف العلمي والإداري الخاص.<sup>(1)</sup>

وإضافة إلى برامجه العادية في اكتشاف ومراقبة ورصد السماء الجزائرية شارك المرصد الجزائري ذو المكانة العلمية المرموقة في مشاريع دولية أهمها:

#### - مشروع الخريطة السماوية:

تم تبني مشروع الخارطة السماوية "خريطة السماء" وتعني عملية التصوير الفوتوغرافي للسماء بمناسبة المؤتمر الأول "لأستروفوتوغرافيك" في باريس سنة 1887م، وذلك بتوصيه المؤتمر على إنشاء لجنة دولية دائمة تضم إحدى عشر مديرا لإحدى عشر مرصدا دوليا منها مرصد الجزائر، ويتمثل المشروع في قياس 30 إلى 40 مليون نجم سماوي وتركيب خريطة من 22 ألف مقطع فوتوغرافي، في مدة تدوم من 6 إلى 8 سنوات وإنجاز كاتالوغ فوتوغرافي في حوالي 25 سنة.<sup>(2)</sup>

وتمثلت مشاركة فرنسا في هذا المشروع، باشتراك ثلاثة من مراصدها في المشروع، باريس، بوردو، تولوز بالإضافة إلى مرصد الجزائر.

وقد أوكلت مهمة تنفيذ الجزء (20<sup>+</sup>-4) إلى المرصد الفلكي الجزائري ضمن مشروع "خارطة السماء"، ولأجل هذه المهمة زود المرصد الجزائري بالتجهيزات اللازمة، وتم استخدام رياضي للحساب، وتم إقتناء جهاز ميكروماتر ذو الحقل الكبير وكذلك أجهزة ضبط القياسات.

<sup>(1)</sup> Voir, Jane Dela Noe, François le cuet Tully et Jain Dovelgineau : l'observatoire d'Alger et le Projet « la carte de ciel » (1857-1970).

<sup>(2)</sup> Boutqun, , op.cit, P2.

وقد واجه المشروع صعوبات تتمثل أساسا في:<sup>(1)</sup>

- اختلاف الرؤية الدولية من الهدف من المشروع.
- اختلاف الأجهزة المستخدمة ونظام القياسات المتبع في مختلف المراصد.
- مشاكل تسيير المشروع واختلاف المساهمين.
- طول مدة المشروع والتغيرات السياسية والخلافات التي حصلت بين أعضاء المشروع ( الحروب الدولية).

ورغم هذه الصعوبات فإن المشروع حقق نجاحا هاما يتمثل في:<sup>(2)</sup>

- استخدام حوالي 22 مرصدا عالميا.
- استغراق مدة تراوحت بين 20 و 40 سنة.
- نشر حوالي 150 مجلد حول العملية.
- قياس حوالي 4.600.000 نجم.
- 8.600.000 عملية قياس فلكي.

مكن المرصد الجزائري من خلال هذه العملية من حجز مكانة عالمية و سمعة علمية بين أنشط عشرة مراصد في العالم في تلك الفترة، وقد ترصعت عباءة المرصد بكثير الاكتشافات من الكويكبات والمذنبات من خلال نشاط أعضاء هذا المرصد من فلكيين وباحثين ومن أشهر المستكشفين نجد الفلكيين:

---

<sup>(1)</sup> L'observatoire d'Alger et le projet la carte de ciel, op.cit. .

<sup>(2)</sup> Ibid.

- شارل تريبيد **Charles Triepied (1843-1907)**: فلكي فرنسي كلف سنة 1880م بنصب المرصد الجديد، وقد قام بين (1881-1905) بحوالي 20.000 عملية رصد فلكي وعدد كبير من الملاحظات حول الكواكب والنجوم، وقد تمكن المعهد في عهده من المشاركة في مشروع "خارطة السماء" وفي سنة 1892م اكتشف منهج جديد في القياس الفلكي، "منهج تريبيد" الأسترومترى الجديد، وقد ساهم في إيجاد مشروع خاص "القبعة الفضائية"، توفي في بوزريعة يوم 10 جوان 1907م<sup>(1)</sup>.
- **فردريك سي**: رياضي وفلكي في مرصد بوزريعة، بدأ حياته العملية في القياسات الفلكية في بوزريعة، وهو من بين المكتشفين للمذنب (Gory-ev-Trook) ، واكتشف عدد من الكويكبات (أسترويدات)، أهمها أسترويد 858 المسمى "الجزائر" يوم 26 ماي 1916، والأسترويد 859 المسمى "بوزريعة" يوم 29 أكتوبر 1916، وحمل شارع في بوزريعة اسمه، وقد كرمه باييه بإطلاق اسمه على الكويكب (1714).
- **كروسي اشيل**: دخل إلى المرصد سنة 1897، وأوكلت له مهمة القياسات الفلكية، تم انتقال إلى استخدام آلة القياسات، وقد غادر المرصد حوالي 1950م.
- **بنجامين جيخوسكي Benjamin jekhowsky**: من أصول بولونية، تابع دراسته في جامعة موسكو والتحق سنة 1912م بمرصد باريس ثم مرصد بوزريعة، مختص في الميكانيك السماوي واشتغل على تحديد مدارات المذنبات، اكتشف كويكب "الجزائر" 1924/ والجزائر 1925".
- **فليب لاقرولا**: دكتور من جامعة ليون حول أطروحة عناقيد النجوم، وهو خليفة المدير السابق في إدارة المرصد من 1931 حتى 1938م، اكتشف كويكب 1412 يوم 19 جانفي 1937.

(<sup>1</sup>) Boutqun, op.cit, P3.

## الفصل الثالث: المخابر العلمية و مراكز البحث و التوثيق الجامعية(1887-1962)

- **مارسيل بيروت (1908-2006)**: مهندس فنون وحرف ودكتور في العلوم، شغل منصب رئيس مصلحة الأعمال التطبيقية، وهو أستاذ الفيزياء العامة، بجامعة الجزائر، وهو صاحب فكرة إنشاء معهد الطاقة الشمسية<sup>(1)</sup> الذي لم تكتمل أعماله غداة الاستقلال، وقد أنشأ أيضا محطة للطاقة الشمسية ببوزريعة ( 1948 - 1962) وتابع أعماله الفلكية والعلمية حول الخصائص الضوئية والكهربائية للطبقات، وحول الأشعة الضوئية، وأنشأ أيضا فرناً شمسيا سنة 1954م يعتبر الفريد من نوعه حينذاك.

- **لويس باييه (1901-1991م)**: وهو فلكي من بوزريعة وهو الأكثر اكتشافا للكويكبات، حيث اكتشف أكثر من 40 كويكبا.

- **غوتوين فرانسو ( 1856-1934)**<sup>(2)</sup>: وهو أستاذ علم الفلك في الجزائر منذ إنشائه، وهو حاصل على دكتوراه في الرياضيات عمل في مرصد ليون (1907-1909)، ثم في مرصد لينا، ثم في مرصد باريس، عين مديراً لمرصد الجزائر بين (1908-1931) اهتم برصد المذنبات واكتشاف الكويكبات (915) يوم 14 ديسمبر 1918، والمسمى باسمه، وأيضا الكويكب "931" يوم 19 مارس 1920م، وقد سمي باييه الكويكب 1971 باسمه، وقد كان عمله الأساسي هو متابعة مشروع خارطة السماء وإنجاز الكتالوجات الأساسية.

وقد مكن موقع المرصد الممتاز 483 . 36° شمالا<sup>(3)</sup>، وارتفاعه الجيد 325م عن مستوى سطح البحر، من اكتشاف هذا العدد من الكويكبات وكذلك بالنسبة للمناخ الجزائري الذي يوفر أيام رصد مضاعفة بالنسبة لتلك في أوربا، فهو قريب من البحر وعدد الليالي المضيئة كثيرة خلال فصول السنة، وهي الأجواء التي مكنت المرصد من مشاهدة

<sup>(1)</sup> Guille Monat-Ma : un Essai industriel de captation de l'Energie Solaire a Alger in Document Algériens, N°112, de 10 décembre 1954, P7.

<sup>(2)</sup> De Lyon a Alger, Français Gonnessait le virtuose de l'Astronomie, conférence « lumière et Astronomie » collègue international, Alger, 21 décembre 2015.

<sup>(3)</sup> Boutquin, op.cit. P3

## الفصل الثالث: المخابر العلمية و مراكز البحث و التوثيق الجامعية(1887-1962)

مذنب بولي سنة 1908، وكذلك مذنب هالي بوضوح يوم 14 سبتمبر 1909م في وقت لم يتمكن أي مرصد من ملاحظته ما عدا المرصد الأمريكي لشيكاجو.<sup>(1)</sup>

ويوم 18 جانفي 1910 تمكن المرصد أيضا من مشاهدة مذنب جوهنزبورغ وكذلك المذنب " دانيال" والتي يستعصي على معظم المراصد مشاهدتها.

ولم يكتفي المرصد بعلم الفلك، فقد اهتم أيضا بعلم الأرصاد الجوية وخاصة الظواهر الحرارية والضغط الجوي، والتساقط لاحتوائه على أجهزة التسجيل والقياسات المتعلقة بالأحوال الجوية مثل البارومترات الزئبقي والبارومتر المعدني "Anéroïdes" والمعلوم أنه منذ 04 مارس 1932 ثم تم إنشاء معهد للأرصاد الجوية وفيزياء الأرض في جامعة الجزائر وإضافة لمرصد الجزائر الكائن ببوزريعة تم إنشاء مرصد ملحق في تمنراست في 1932، لدراسة فيزياء الأرض (النشاط الزلزالي - مغناطيسية الأرض)، كما تم أيضا إنشاء محطات للأرصاد الجوية في سطيف وغليران، وكذلك محطة مغناطيسية ثانوية في الأبيض سيدي الشيخ، تسجل الحركات الطويلة للحقل الأرضي.

ورغم هذه التطورات فإن مرصد بوزريعة قد حافظ على مكانته العلمية وإشعاعه العالمي بين المراصد الدولية، وإضافة إلى هذا فإن هندسته ومحتوياته تعتبر من بين المعالم الإنسانية التي تسعى منظمة اليونسكو إلى تصنيفها تراثا إنسانيا للبشرية.

(<sup>1</sup>)Boutquin, op.cit. P3.

رابعاً: المخابر العلمية التطبيقية والمجلس العلمي التطبيقي (1879-1962):

المخبر أو المخبر - لغة- مكان مجهز تجري فيه التجارب العلمية أو التحاليل الطبية أما اصطلاحاً فهو حسب تعريف "ريتون" تفاعل نشط بين الأفكار والتجارب، وهو نمط التفكير والأداء يتفاعل فيه التخطيط والتعليل والتفسير وحل المشكلات مع الأعمال التطبيقية والمشاهدات وبعض الأنشطة، فهو موقع للتعليم تمارس فيه أعمال ميدانية أساسية، وقد ارتبط إنشاء المخابر بتدريس العلوم التطبيقية، وذلك في الثانويات والجامعات منذ أواخر القرن الثامن عشر في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم انتقل التعليم إلى كل الجامعات في العالم.

وتحتوي جامعة الجزائر إضافة إلى مخابر كلية الطب والعلوم، الضرورية للتدريس مخابر تطبيقية، وأخرى متخصصة لها علاقة بالتكوين العالي من جهة وبالحياتة الاقتصادية من جهة أخرى، وإنطلاقاً من سنة 1946م، ارتبطت هذه المخابر أيضاً بالمجلس العلمي التطبيقي المنشأ في الجزائر من أجل حمل العلوم على تطوير الحياة الاقتصادية، الزراعة والصناعة، وكذلك من أجل تنمية الاستغلال الاقتصادي وحل المعضلات التي تواجه الاقتصاد الكولونيالي، فما هي هذه المخابر وكيف تقوم بدورها المزدوج بالتنسيق مع المصالح العلمية التطبيقية؟<sup>(1)</sup>

ولقد وجدت في جامعة الجزائر بعض المخابر التي تظهر وكأنها معاهد صغيرة ونجد منها:

- مخبر تاريخ الفن: الجزائر بلد الضوء والألوان، بلد المناظر الخلابة، والآثار القديمة، وكل ما فيها ملهم، وككل المقاطعات لها حياتها الخاصة ونظرتها لما يتعلق بالفن والجمال، كما تحتوي على رصيد من اللوحات يمكن من دراسة مضامين المنطقة عبر

(<sup>1</sup>)Mélia., op.cit. P221.

التاريخ، وككل الكليات الفرنسية حينذاك، كانت كلية الآداب تدرس تاريخ الفن وفق الرؤية الاستشراقية التي أثرت في أعمال الفنانين الفرنسيين الذين جعلوا من الجزائر ومناطقها المختلفة موضوعات للوحاتهم.

وتاريخ الفن، ومخبر تاريخ الفن في كلية الآداب، يمكن الطلاب من التخصص في هذا المجال وتنمية اهتمامهم وذوقهم، من خلال الألبوم الفوتوغرافي المنشأ على مستوى المخبر، وكذلك مكتبته المتخصصة في كل ما يتعلق بالفن، ويوفر المخبر أيضا فرصة لتطوير الأساليب والنماذج الفنية التي يمكن أن تشكل سوقا في هذا المجال.

- **مخبر اللسانيات التطبيقية:** وهو مخبر من مخابر الآداب، مهم للغاية وذلك كونه يبحث في القوانين الخاصة التي تتحكم في مختلف التعابير اللسانية. استحدث هذا المخبر وطور بمرور الزمن، وفي هذا الصدد قال مدير المخبر الأستاذ جون كنتنو:<sup>(1)</sup> "اللسانيات كعلم للكلام، لا تتعلق فقط باللسانيات العامة، ولكن تتعلق أيضا -على الأقل- بفيزياء الصوت، ووظائف الأعضاء (السمع والنطق)".

ولقد تم إنشاء هذا المخبر سنة 1936 م، وكان في استضافة معهد الدراسات الشرقية، ولم يكن يتوفر مقره على المياه الضرورية لإظهار التوتر الصوتي الفوتوغرافي لجهاز الذبذبات<sup>(2)</sup>.

وقد تم تجهيز المخبر وتحويل مقره سنة 1938، إلى الطابق التحت أرضي لتجنب الأصوات التي تعرقل أعمال البحث به.

ويمنح المخبر شهادات اللسانيات النظرية والتطبيقية، ولأنه غير مدر اقتصاديا فإنه يستفيد من ميزانية خاصة قدرت ب (1000 فرنك سنة 1941).

<sup>(1)</sup>Mélia., op.cit. P221..

<sup>(2)</sup> حول هذه المخابر وتجهيزاتها أنظر الملحق رقم: 11.

ويستفيد المخبر لاقتناء تجهيزاته الباهظة من صندوق البحث العلمي، الذي منحه (1500 فرنك سنة 1938) و(1100 فرنك في السنة التي يليها).

وقد استفاد أيضا هذا المخبر من منحة جمعية أصدقاء الجامعة (5000 فرنك) سنة 1938، و 1000 فرنك سنة 1939م، و 1500 سنة 1940م، وكذلك منحته ميزانية الجامعة خلاف مالي قدرة 3.000 فرنك، وكل هذا من أجل دفع هذا المخبر المهم نحو الأداء المثالي، وكذلك من أجل إنشاء التقنيات الحديثة التي تتطلبها أبحاث اللسانيات واللسانيات التطبيقية .

وإضافة إلى تجهيزاته، فإن المخبر يحتوي على مكتبة خاصة، ومجموعة أسطوانات صوتية، تمكن من البحث في اللسانيات وتقدم الدروس النظرية والتطبيقية.

#### - مخبر الفيزياء الصناعية:

تطرح مشكلة التنسيق بين العلوم النظرية والتطبيقية، ضمن الانشغالات الأساسية التي يؤدي التوفيق بينها إلى الابتكار والإبداع، وينعكس ذلك على تطور المجتمع وبسبب ضرورة التنسيق بين العلوم والصناعة الاستعمارية الفنية في الجزائر، تم إنشاء مخبر الفيزياء العامة في كلية العلوم في جامعة الجزائر، وهو مخبر مماثل لمخبر التجارب في المتروبول، ويتميز مخبر الفيزياء الصناعية في الجزائر في دوره المزدوج الذي لا يقتصر على الجزائر ولكن يمتد لكل شمال إفريقيا.

فإلى جانب دورة التعليمي، إذ يضمن تحضير شهادة الدراسات العليا للفيزياء العامة، فهو مكان لمتابعة الأبحاث العلمية سواء من منظور التحضير للدراسات العليا، أو من أجل تطوير الصناعة وذلك بإجراء الخبرات والمراقبة التي تتطلبها الصناعة.<sup>(1)</sup>

(<sup>1</sup>) M, Vertaine, le laboratoire de physique industriel de la faculté de science d'Alger:in Documents Algériens, N°17,série Economique le 18 juillet 1946, rubrique industriel.

ويمكن لمخبر آخر، وهو مخبر الكيمياء الصناعية والزراعية من معالجة المسائل الكيميائية المتعلقة بالصناعة أو الزراعة وتكملة عمل مخبر الفيزياء الصناعية، وبفضل ذلك تكتمل المنظومة الموجهة لحاجات الصناعة، ومخبر الفيزياء الصناعية، ويحتوي ضمن مكوناته وفروعه على منظومة متخصصة حيث تحتوي على مايلي:

- **مخبر الكهرباء:** بفضل الاستشارات الكثيرة المطلوبة من طرف الادارة الاستعمارية والخواص، حول المسائل المتعلقة بالكهرباء، القياس، المراقبة التقنية في مجال الكهرباء تم إنشاء مخبر الكهرباء من طرف مخبر الفيزياء الصناعية، وذلك ليقوم بمهمة مزدوجة أيضا، يضمن الحراسة بفضل التدقيقات في الحسابات ذات الخصوصية الصناعية والعلمية البحتة، بالفولط أو الأمبير حيث حصل المخبر على دقة وصلت إلى 1/10.000 فولط، وهي نسبة دقة عالية جدا بمقاييس ذلك العصر.

ومن جهة أخرى يعتبر مخبرا للإلكتروكيميا، مماثل لكل تلك المخابر الموجودة في المتروبول، وكل الآلات الموجودة في الصناعة الفرنسية موجودة في هذا المخبر (نماذج مصغرة)، بغرض التجريب والتدريب، وذلك من أجل إنتاج الكهرباء وفق الشروط المطلوبة.<sup>(1)</sup>

- **مخبر الهيدروليكي:** من أجل دراسة المسائل المتعلقة بالمياه في الجزائر، وهو تحت تصرف مصالح السدود والأنفاق، من أجل دراسة نماذج فيضان السدود ومنسوب المياه، ويجري أيضا تجارب على تجهيزات المياه مثل المضخات ووسائل القياس وغيرها.<sup>(2)</sup> يحتوي أيضا على اسطوانة الريح (Soufflerie): وهو جهاز من أجل قياس سرعة الرياح وفحص ومراقبة تجهيزات الهواء والغاز في الصناعة.

<sup>(1)</sup>Vertne: op.cit.

<sup>(2)</sup> Ibid.

والغرفة الحرارية: وهي فرع تجريب المعادن وتشكل الجزء الأكبر من أعمال المخبر أين يقدم خدمة معينة معتبرة للمنشغلين بالمناجم والصناعة وذلك بتجريب كل المواد ( المعادن، المواد، الخشب، الأحجار...الخ) المستعملة في صناعة الآلات والأجهزة وكذلك في أعمال البناء والأشغال العمومية، وهي تتمتع بخصائص فيزيائية وميكانيكية يعتمدها المهندسون في دفاتر الشروط، ويعمل المخبر على دراسة العينات ومدى استجابتها للشروط.

ويمتلك المخبر أجهزة المانومتر لقياس ضغط الماء، البخار والغاز وجهاز قياس لزوجة الزيت، وجهاز للأشعة X، وأجهزة لدراسة خصائص الاسمنت والزفت المستخدمة في الطرقات.<sup>(1)</sup>

وتشكل الهيئات العمومية، للكهرباء، الأنفاق والجسور، الهندسة، الزبائن الأساسيين للمخبر، وكذلك مصالح الصحة من أجل فحص الأجهزة الطبية ومراقبتها ولا يقتصر عمل المخبر على الجزائر فقط، فهو يهتم أيضا بكل المسائل المتعلقة بشمال إفريقيا في مجال تخصصه.

ويعمل المخبر بالموازاة مع مخبر الفنون والحرف ومخابر المتروبول، وذلك بهدف اقتصاد الكهرباء والمواد الأولية واليد العاملة في مجال الصناعة، فهو إلى جانب كونه مهتم بالتعليم، يقوم بدور المراقبة التقنية، ودراسة العينات الصناعية ومنح المطابقة.

وبفضل "الجامعة" التي تملك هذا المخبر، أمكن للكثير من المؤسسات الصناعية الاستمرار في الحياة والعمل وتجديد الوسائل وتطوير المردودية، وبذلك يكون هذا المخبر قد قدم خدمات جليلة للاقتصاد الجزائري، وأخذ دورا ومكانة مرموقة في الصناعة الجزائرية حسب دوره المزدوج، كجهاز مراقبة ومركز لتكوين المهندسين الكهربائيين، وبفصل جهود

<sup>(1)</sup>Mélie: op.cit. P224.

هذا المخبر أيضا يعتبر الكثير من علمائه وخاصة مدير المخبر أعضاءا دائمين في المجلس الأعلى للبحث العلمي التطبيقي في الجزائر.

- المجلس الأعلى للبحث العلمي التطبيقي في الجزائر ( 1946):

شكلت مسألة إكتشاف ودراسة واستغلال الثروات الطبيعية في الجزائر احدى أهم الإنشغالات الاستعمارية طوال مرحلة الاستعمارالفرنسي في الجزائر ويهدف تنسيق الجهود المبذولة من طرف مختلف الهيئات المشتغلة في مجال البحث المنجمي الصناعة والزراعة والبحث العلمي والإدارة الاستعمارية، قام الحاكم العام "إيف شاننتو" بإنشاء المجلس الأعلى للبحث العلمي التطبيقي في الجزائر وفق قرار منه يوم 20 جويلية 1946م.<sup>(1)</sup>

ويتكون هذا المجلس من شخصيات يتم اختيارها من طرف الحاكم العام، من بين الأساتذة والمهندسين والمهنيين الأكفاء وبعض الممثلين عن المجتمع وبعض ممثلي التقنية الفرنسية في الجزائر، وكذلك الذين يملكون مساهمة هامة في مجال تطبيق العلوم ويتم اختيارهم كأعضاء دائمين في المجلس، وقد جاء أول تشكيل للمجلس كما يلي:

- بيتار المفتش العام للمناجم.
- بيلتران أستاذ تكنولوجيا وميكروبيولوجيا الزراعة في المدرسة الوطنية للزراعة بميزوكاري ( الحراش حاليا).
- كرسبو: عامل تعدين.
- دالوني: أستاذ كلية العلوم في الجيولوجيا التطبيقية للزراعة والصناعة.

(<sup>1</sup>) Voir/ le conseil Supérieur de recherche scientifique Appliquée en Algérie in : Document Algériens, N°29, la série économique, Paris le 20 Aout 1947.

## الفصل الثالث: المخابر العلمية و مراكز البحث و التوثيق الجامعية (1887-1962)

- فلاندرني: الجيولوجي الرئيسي للمناجم، مساعد المدير.
- فريكسن: مهندس فنون وحرف، مدير مؤسسة "قوى المحرك الجزائر".
- غيلمونا: دكتور علوم مكلف بمهمة لدى الحاكم العام.
- غانتز: أستاذ الكيمياء التطبيقية في كلية العلوم.
- لومنو: أستاذ علم الوراثة في المدرسة الوطنية للفلاحة.
- مالي: مهندس أنفاق وجسور، المهندس الرئيسي لمصالح الدراسات العامة والأشغال الكبرى لدى الولاية العامة.
- كني: مدير معهد فيزياء الأرض.
- فيران: أستاذ الفيزياء الصناعية في كلية العلوم.
- ويتمثل دور هذا المجلس في مايلي:<sup>(1)</sup>
- تزويد الإدارة بالآراء التقنية والمعلومات العلمية المتعلقة بالأبحاث الخاصة باكتشاف واستغلال الثروات الطبيعية في الجزائر.
- ضمان التنسيق مع المنظمات المماثلة في المتروبول، خاصة مع المراكز الفرنسية للبحث العلمي ومع مجلس البحث العلمي الاستعماري، في مجال تقديم الاقتراحات حول الاكتشافات العلمية الجديدة.
- التشجيع على تكوين وتدريب وتوظيف المختصين الموجودين.

<sup>(1)</sup> Le Conseil Supérieur (RSA) op.cit.

ويجتمع هذا المجلس مرتين كل سنة في جلسات مغلقة، وتوكل إلى اللجان الدائمة والمؤقتة دراسة المشاكل المطروحة.

ويضمن الأمانة العامة لهذا المجلس موظف من مصالح الحاكم العام، والذي يضطلع بالتوثيق وتحضير الجلسات.

وقد اجتمع هذا المجلس لأول مرة يوم 26 أبريل 1947، برئاسة الحاكم العام شننويو، وذلك لدراسة القضايا الهامة المتعلقة بالاقتصاد الكولونيالي في الجزائر وتضمن جدول الأعمال ما يلي:<sup>(1)</sup>

- الطاقة الشمسية.

- الأبحاث في مجال علم الطيران.

- الأبحاث الزراعية.

- أبحاث متنوعة.

ويبدو من خلال جدول الأعمال المطروح، مجالات البحث والتي تبدو في غاية التطور ومسايرة العصر من الناحية التقنية والعلمية، وذلك بهدف أساسي، هو إيجاد سبل تطبيق نتائج العلوم في الحياة الاقتصادية الجزائرية وقد تم معالجة هذه المحاور كما يلي:

- الأبحاث المنجمية: وقد تم التطرق إلى منجم الفحم بالقنادسة (بشار): وهو الوحيد قيد الاستغلال في تلك الفترة، وقد عالج المجلس الأساليب المستخدمة في استخراج الفحم والمطابقة حسب المهندسين للأساليب الأمريكية، لكن ضعف المردود مرده إلى ضعف الطبقات والذي يجعل من عملية الاستخراج مكلفة، وتم دراسة طرق أخرى غير مكلفة وتقتصد الطاقة وتضاعف الإنتاج (طريقة الغازات السطحية).

<sup>(1)</sup>Le Conseil Supérieur (RSA) op.cit..

فتم أيضا دراسة مسألة تزايد الطلب الجزائري على الرواسب المعدنية (Giles minervaux) وقد كلف الحاكم العام دالوني وتيان بتكوين لجنة أبحاث متخصصة لحل مشكلة استغلال الفوسفات، الرصاص، النحاس والأمنيتوت.

- **الطاقة الشمسية:** وذلك بالبحث في خلق الطرق الضرورية لاستغلال الطاقة الشمسية، وذلك لأن الجزائر بلد ضعيف في مجال الطاقة في ذلك الوقت قبل اكتشاف البترول، وقد تم التفكير فيها في ذلك الوقت لتعود اليوم الخيار الأول كبديل في حالة زوال الثروة النفطية.<sup>(1)</sup>

- **الأبحاث في علم الطيران:** تم التأكيد على مركزية الأبحاث في مجال الطيران في المتروبول، أما تلك الموجودة في الجزائر فتلك المتعلقة بالميكانيك فقط  
**الأبحاث الزراعية:**

يبدو أن الزراعة ظلت الانشغال الدائم للاقتصاد الريفي والاقتصاد الجزائري وقد تطرق المختصون في الزراعة من أعضاء المجلس الأستاذان تيران ولومو، إلى طبيعة الأبحاث الزراعية التي تتم آنذاك في المدرسة الزراعية في الجزائر والتي تهدف إلى تحسين نوعية المنتوجات ذات الأصل النباتي والحيواني، والهدف هو النوعية، لأنها أي النوعية المعيار الأساسي للجودة التي تضمن التنافسية في الأسواق الدولية وقد ركزت المدرسة أبحاثها أيضا حول الصناعات التحويلية الغذائية خاصة:

---

(1) تم إنشاء أول هيليودين للطاقة الشمسية " فرن شمسي " سنة 1952، عن طريق توجيه من المجلس العلمي العالي للأبحاث العلمية التطبيقية، بتنشيط من المهندس العام للمناجم، بيلي، والسيد فريكسون مدير إنتاج الكهرباء وغاز الجزائر والأستاذ غلمونا أستاذ بكلية العلوم، أنظر:

- صناعة المواد الدسمة.
- صناعة المواد النشوية ( القمح بنوعيه، السميد، الأميدون).
- صناعة السكر ( السكر، السكر، السكر، الشمندر).
- مشكلة الحليب والمصبرات ( العلب المعقمة، التبريد، نزع الماء) لأن تقنية البسترة<sup>(1)</sup> لم تكن مكتشفة.
- مشكلة النسيج (إحياء وتطوير زراعة القطن).
- مشكلة الأسمدة ( دراسة استخدام الأسمدة الاصطناعية).
- زراعة التبغ (تنويع زراعة التبغ بجلب الأنواع الأمريكية).

والأبحاث العلمية لا تعرف المستحيل فهي مغامرة غير أكيدة، قد تكون نتائجها مخيبة وبعيدة المنال والتطبيق، وقد تكون مفيدة ومدرة اقتصاديا، ولذلك نلاحظ في القضايا التي عالجها المجلس العلمي التطبيقي، الأعمال الناجحة، الممكنة، المكلفة، غير المدرة، وغيرها.

وفي مجال استخلاص الزيوت وإنتاج المواد الدسمة أجريت دراسات على بذور حبات العنب من أجل استخلاص الزيت، وكانت النتائج أن الخمور الجزائرية لا تحتوي إلا على 7% من المواد الدسمة، وبالتالي فهو غير مجدي اقتصاديا، أما عملية تهجين الحبوب فقد تم الحصول على عشرة أنواع من القمح المقاوم حسن المردود وتجري الأبحاث لاستخلاص نوع ذو مردود عالي ومقاومة عالية للظروف الجزائرية، ورغم أن مردود القمح اللين عال في الجزائر إلا أنه لا يضاهي المردود الكندي والأسترالي

---

(<sup>1</sup>)البسترة: تقنية منع التخمر اللبني، بالأسلوب الميكروبيولوجي الباستوري، تمكن من حفظ الحليب دون الحاجة إلى التبريد أو العلب المعقمة.

والأمريكي، والجزائر لا تحتوي على مساحات واسعة كتلك الموجودة في استراليا وكندا ولذلك فإن دخول الأسواق الدولية بالقمح اللين سيكون غير مجد أيضا، وبالتالي ركز المجلس على التوجه نحو القمح الصلب ذو التنافسية والجودة.

ويلاحظ أيضا خلال مناقشات المجلس، إضافة إلى التخصص العالي للأعضاء والخبرة التطبيقية التي يتمتعون بها، يدرسون أيضا المنافسة الدولية ومعطيات الأسواق وبالتالي إمكانية حضور الاقتصاد الكولونيالي في الجزائر كمنافس جاد على المستوى العالمي، وبمنتجات محلية زراعية وصناعية، وهي الميزة التي افتقدها الاقتصاد الجزائري بعد الاستقلال.<sup>(1)</sup>

وبالنسبة لاستغلال النباتات الكحولية (الساغو، الشمندر، الخرشوف) فقد عرض لومو بعض الدراسات المتعلقة بها، وعرض كذلك مشروع مصنع يشتغل طوال السنة لاستخلاص عصائر هذه المواد واستغلالها في الصناعات الغذائية.

وقد اقترح "شاتونو" الحاكم العام أحياء زراعة القطن عن طريق تهجين عينات البذور وإيجاد طرق للقضاء على جرثومة القطن التي كلفت الإدارة الاستعمارية الاستغناء عن هذا النشاط.

وقد تم خلال جلسات المجلس، التنويه بمجهودات كل من مخبر الفيزياء الصناعية بجامعة الجزائر، وكذلك مخبر الكيمياء الصناعية الذي وصفه مديره غوتز بأنه بمثابة "طبيب العائلة" بالنسبة للصناعة الجزائرية.

وفي الأخير يظهر من خلال، أعمال المخابر الجامعية وعلاقتها بالحياة الاقتصادية والدور التنسيقي والتوجيهي الذي يقوم به المجلس الأعلى للبحث العلمي التطبيقي في الجزائر الذي يتكون في غالبيته من علماء وباحثين جامعيين، العلاقة المثبتة بين الإدارة

<sup>(1)</sup>Le Conseil Supérieur (RSA) op.cit.

## الفصل الثالث: المخابر العلمية و مراكز البحث و التوثيق الجامعية (1887-1962)

---

الاستعمارية ومراكز البحث العلمي وعلى رأسها جامعة الجزائر، والمدارس الزراعية والصناعية من أجل إستغلال الثروات الطبيعية الجزائرية وجعلها في خدمة الاقتصاد الكولونيالي.

**الفصل الرابع: مؤسسات التعليم العالي خارج الجامعة (1879-1962).**

**أولاً: التعليم العال الفلاحي (1881-1962).**

**ثانياً: التعليم العالي التقني ومدارس المهندسين (1880-1962).**

**ثالثاً: التعليم العالي للتجارة (1900-1962).**

**رابعاً: التعليم العالي للفنون (1881-1962).**

أولاً: التعليم العالي الفلاحي (1881-1962):

مثل ظهور الزراعة والكتابة محطتين بارزتين في تطور الإنسانية، فظهور الزراعة مهد لحياة الاستقرار وبناء الحضارات، أما ظهور الكتابة فقد مثل حدثاً فاصلاً بين ما قبل التاريخ والمرحلة التاريخية، ومع تطور الزمن عرفت الكتابة طريقها إلى الزراعة، وبدأت تظهر المؤلفات الزراعية، فالقرطاجيون والرومان اهتموا بالزراعة وألّفوا حولها فقد ألّف الكاتب الروماني كوليمال Calumelle كتاباً في الزراعة ذكر فيه بإعجاب مالو القرطاجي الذي يعتبر أبو الاقتصاد الريفي وخلال الفتح الإسلامي للأندلس اهتم أيضاً علماء الأندلس بالزراعة وأشهر مهتم ابن العوام العارف بالزراعة وتقنياتها، وحتى ابن خلدون تناول الزراعة في مقدمته (1).

ورغم معرفة الجزائريين بالزراعة، فالمصادر التاريخية على الأقل تلك التي تناولتها لم تشر إلى وجود مدرسة زراعية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، الذي اوجد في مراحل مختلفة من وجوده مدارس لتدريس المزارعين ثم مدارس لتخريج الإطارات المسيرة للمصالح الفلاحية، وذلك بهدف الاستغلال الزراعي للجزائر دعماً للاقتصاد الاستعماري وتلبية للحاجات الغذائية المتزايدة للسكان؛ وبغرض التصدير أيضاً فما هي مؤسسات التعليم العالي الفلاحي الاستعمارية؟ وما هي مجالات تخصصها؟.

ومن خلال تتبع المسيرة التاريخية لتطور التعليم العالي الفلاحي، نلاحظ أن التعليم الفلاحي كان يتم في مستويين: المستوى الأول منه يشمل تعليماً عالياً فلاحياً يهدف إلى تكوين الإطارات العليا للفلاحة، أما المستوى الثاني فإنه موجه إلى تكوين

(1) عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، وفي الفصل الثامن وصف هذه الحرفة بالضيعة فعنوانه: الفصل الثامن في أن الفلاحة من مهن المتضعين و أهل العافية من البدو وفي الفصل الرابع والعشرون تحت عنوان صناعة الفلاحة وربطها بالبدو ووصفها بالقدم.

الإطارات المتوسطة فقد اوكل إلى مؤسسات من الدرجة الثانية مثل المدارس الجهوية الفلاحية والمدارس التطبيقية الفلاحية.

- المستوى الأول: من المدرسة الفلاحية إلى المدرسة الوطنية العليا للفلاحة:

عملت السلطات الاستعمارية على تحسين الأساليب الزراعية المستخدمة في الجزائر، وذلك بإنشاء أول مدرسة تطبيقية للفلاحة سنة 1881 برويبة في شكل مزرعة - مدرسة على ملكية السيد ديكايه<sup>(1)</sup> الذي أدارها حتى وفاته سنة 1900 وفي ظل تعاظم الاستيطان وبروز المشاكل الحقيقية للفلاحة، مثل داء الفيلوكسيرا الذي أصاب الكروم كلف مدير الفلاحة والإستيطان بالولاية العامة كل من لويس ترابون النباتي الرئيسي للولاية العامة و مهندس الفلاحة "روجر مارز" بوضع مشروع تحويل مدرسة رويبة إلى سهل بلفور لإنشاء مدرسة فلاحية بميزوكاري<sup>(2)</sup> وقد تمكنت فعلا من فتح أبوابها سنة 1905، قبل صدور مرسوم 22 فيفري 1907 الذي استكمل إنشائها.

ويتكفل بتقديم الدروس في هذه المدرسة أساتذة من جامعة الجزائر، وكذلك المهندسين الفلاحيين القادمين من المتروبول، وهي مماثلة للمدرسة المنشأة في تونس سنة 1899 وقد تم تشجيع الطلاب عن طريق المنح من أجل تكوين مختصين زراعيين يمكنهم مواجهة المشاكل الفلاحية بالطرق العصرية خاصة داء الفيلوكسيرا الذي أهلك الكروم في المتروبول وانتقل إلى الجزائر.

وقد تمكنت هذه المدرسة من تكوين حوالي 120 تلميذا بين (1905-1914) وتداول على إدارتها كل من مارز (1905-1907) وستولز (1907-1908) واسمان

(1) نيكولا ديكاي (1832-1910): مهتم بالفلاحة، ومارس التعليم، جاء إلى الجزائر من سويسرا سنة 1852م، اشترى قطعة أرض وحولها إلى مزرعة وبتفاق مع الولاية العامة سنة 1980 حولها على مدرسة لتعليم الفلاحة:

Jean Bisgambiglia : « les grand Familles qui en cent ans ont fait la France Africaine » in, Dépêche Quotidienne d'Alger du 19 janvier 1960.

(2) روجر مارز Roge Marés: صاحب كتاب "l'Algérie Agréable" 1906.

(1908-1914) وقد أغلقت أبوابها سنة 1914 بسبب الحرب العالمية الأولى وتجنيده معظم الأساتذة<sup>(1)</sup>.

وبنهاية الحرب العالمية الأولى، شرعت السلطات الاستعمارية في توفير القروض من اجل إنشاء عمارات جديدة وتجهيز المخابر، وتوسيع قدرات الاستقطاب، وتوظيف المستخدمين وذلك باقتراح من السيد بريفال "Beruvel" المدير السابق للمدرسة الفلاحية بتونس وهو نائب مدير الفلاحة في الحكومة العامة بيار شارفن "كما تم الرفع من مستوى القبول في المدرسة، التي تحولت إلى المعهد الفلاحي الجزائري الذي أهل وفق مرسوم 28 فيفري 1921 الصادر عن الحاكم العام لتحضير شهادة مهندسين زراعيين، يمكن أن تضاهي تلك الشهادات التي تقدمها مؤسسات التعليم العالي في المتربول والخارج<sup>(2)</sup>.

وقد كان المعهد الزراعي يملك مزارع ومراكز التجريب والإسطبلات والمستودعات اللازمة للنشاط تتمثل في ثلاثة مزارع.

- **المزرعة الأولى:** وهي تلك التي يمتلكها المعهد في ميزوكاري "الحراش" تتربع على مساحة 135هـ، معدة للزراعات التجريبية مثل: عنب الخمر (25 هكتار) المحطة النباتية، وكذلك ملحقة للمواشي في الديار الخمس، وتحتوي المزرعة أيضا على اسطبلات الأبقار، الخنازير، ورشة الأعلاف، ومستودع للحبوب ومعصرة الخمر.
- **المزرعة الثانية:** اشتراها المعهد سنة 1928 وتقع في واد السمار وتتربع على مساحة 72 هكتار مخصصة للمزروعات الصناعية وتربية المواشي.

(<sup>1</sup>) منيروكاري: تسمية أطلقها الفرنسيون سنة 1845 على الحصن الذي أنشاه الأتراك سنة 1724 لمراقبة الجسر الحجري المنشأ على وادي الحراش سنة 1697.

(<sup>2</sup>)Edgor Scotti: L'institut Agricole d'Algérie, Ecole National Supérieur Agronomique d'Alger 1905-1962 Revue du cercle Algerianiste, N° 40 décembre 1987.

• **المزرعة الثالثة:** وتقع في أولاد حملة في عين مليلة، يمتلكها المعهد منذ سنة 1909م، وتترجع على مساحة 450 هكتار، يزورها الطلاب و يتزودون بمعلومات حول الشروط المتغيرة لإدارة مستمرة كبيرة معزولة في الهضاب العليا في ظروف صعبة<sup>(1)</sup>، وانطلاقا من سنة 1921، أصبح المعهد الفلاحي يقوم بالوظائف الثلاث: التعليم البحث والتجريب. وقد رفع المعهد الفلاحي مستوى التدريس وأصبح يستقطب الطلاب عن طريق المسابقة من بين الشبان الذين حصلوا على شهادة المدارس الابتدائية العليا، ومؤسسات التعليم الثانوي، أو شهادات المدارس العليا المهنية الزراعية لإفريقيا الشمالية الفرنسية أو الأجنبية، ويتقبل الطلاب من كل شمال إفريقيا وحوض المتوسط والمغرب.

وانطلاقا من سنة 1930م، تم فتح مراكز اجتياز مسابقة للدخول إلى المعهد الفلاحي في الجزائر، باريس؛ وهران؛ قسنطينة، الدار البيضاء، الرباط، ليون، مرسيليا، بوردو، ديجون ونايسي<sup>(2)</sup>.

ويتم التحضير للمسابقة في أقسام تحضيرية في الثانويات لمدة سنتين يحصل الطلاب على الشهادات بعد نهاية سنوات الدراسة، والتي ظلت لمدة طويلة سنتين قبل أن تصبح ثلاث سنوات.

وبصدور قانون 22 ماي 1946م الذي ادمج المعهد الزراعي الجزائري مع المدارس الفلاحية الوطنية الفرنسية، أصبح الدخول إليه يتم عن طريق نفس الشروط التي تعتمد عليها تلك المدارس، واستكمالا لهذا الإدماج جاء القرار الوزاري في 14 أفريل 1960م يسمح للمعهد بمنح دبلوم مهندس فلاحي للطلاب المترشحين.

(1) Edgor Scotti, op- cit..

(2) Omar Bessaoud : l'École D'agriculture le Maison Carrée Alger (1905-1962), Fragments d'histoire in colloque international .50 ans de Fonder et de recherche et les défis scientifique, Alger de 22 oui 24 avril 2010, pp 9-12.

وأخيرا جاء قرار 20 جويلية 1961م والمنشأ للمدرسة الوطنية العليا للزراعة في الجزائر، فأصبح الطلاب المنتمين للمعهد يخضعون لشرط الحصول على بكالوريا الرياضيات، ويتم تحضير الدخول إليه عن طريق مسابقة مشتركة لكل المدارس الزراعية، باريس، غريغون ؛ رانس، مونبليه والجزائر.<sup>(1)</sup>

وقد استقبل المعهد الزراعي سنة 1919 م. 102 مترشح وأصبح عدد الطلاب يرتفع من سنة لأخرى ليصل إلى 200 سنويا سنة 1932م<sup>(2)</sup>.

وفي ظل الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالزراعة بين (1930-1935) انخفض توجه الطلاب نحو التكوين الفلاحي فلم تعرف المدرسة سوى 62 مترشح سنة 1936م؛ وفي هذه المرحلة أسندت إدارة المعهد الزراعي بشكل مؤقت إلى السيد إ. فيفي وهو نائب مدير الفلاحة بالحكومة العامة، ومختص زراعة الكروم الأكثر شهرة فقد عرفت المدرسة في عهده انتعاش التكوين فاستقطب المعهد سنة 1938 139 طالب و202 سنة 1940 ليصل إلى 317 سنة 1942م.

وقد عرفت المدرسة اضطراباً بسبب الحرب العالمية الثانية، حيث تجند أساتذة المدرسة في الحرب وادمج طلاب المدرسة التطبيقية في المعهد وبسبب هذه التطورات تم سنة 1940م إبقاء القبول بدون مسابقة بالنسبة للطلاب الحاصلين على البكالوريا أو الأهلة العليا، ومراجعة برامج وشروط القبول لتكون موافقة للمدارس المتروبوليتانية وقد شمل الإصلاح الداخلي أيضا، تغيير مواقيت العمل وتحديث أنظمة التدريس بخلق مقاعد جديدة مثلالكيمياء و الهندسة الريفية، المحاسبة وتنظيم العمل الزراعي والرحلات العلمية وإنشاء العديد من المهنيات الزراعية أهمها الغرفة الفلاحية.

(1) Guy Georges Guiltonneaux: Histoire de L'École Agricole Pendant La période Française, pp12-17

(2)Barbut : l'institut Agricole d'Alger, in document Algériens série économique Agriculture N° 41 du 20 janvier 1918.

والهدف من هذه التدابير هو المزيد من التطور والفعالية للتعليم العالي الفلاحي وقد تم إضافة سنة دراسة وفق قرار 24 فيفري 1942م، المستوحى من المادة 12 من قانون 5 جويلية 1941 الذي يظم التعليم العالي الفلاحي في المتروبول<sup>(1)</sup>.

وقد عرفت المرحلة (1945-1962) إدارة السيد مارسال مارمات وهو المفتش العام للزراعة، الذي واصل برنامج الانشاء والتهيئة حتى سنة 1962<sup>(2)</sup>.

وقد أدت التدابير السابقة المرافقة للحرب العالمية الثانية، إلى تحويل المعهد الفلاحي الجزائري إلى المدرسية الوطنية للفلاحة وفق قانون فيشي الذي أعاد تنظيم التعليم العالي الزراعي في المتروبول ومنه في الجزائر<sup>(3)</sup>، وبذلك صدر مرسوم الحاكم العام الموافق لـ 24 أفريل 1942م الذي حدد سنوات التدريس بثلاثة سنوات بينما أدمج قانون 22 ماي 1946، المعهد الفلاحي الجزائري، ضمن المدارس الوطنية الزراعية في المتروبول القانون الفرنسي رقم 46-1140.

والالتحاق بالمدرسة الوطنية للفلاحة، يتم عبر الأقسام التحضيرية المنشأة على مستوى الثانويات المخصصة لذلك، ففي شمال إفريقيا نجد ثانويات (تونس، الجزائر والرباط)، أما في باريس فنجد ثانوية لويس الكبير، هنري الخامس، وفي المقاطعات الفرنسية نجد ثانوية مرتنان في بوردو، ثانوية ليون، والمدرسة الزراعية في شيسني.

ورغم أن مرسوما صادرا عن الحاكم العام قد خصص نصف المقاعد الدراسية في مدرسة الجزائر الفلاحية للطلاب المحليين سنة 1947م فإن اثنان من ثلاثة طلاب ظلوا من أصول أوروبية، وقد عرف الموسم 1952 46 طالب منهم 29 لا يعرفون شمال إفريقيا، وذلك مخالفا لمرسوم 23 أوت 1947م.

(1) Barbut.op-cit.

(2) Témoignages: pour une école revue d'Agria Maison Carrée d'Alger, Document de association Amicale des Anciens élevés de ENSA d'Alger , p 162.

(3) مرسوم 24 أفريل 1942: جاء مطابقا للمادة 12 من قانون 5 جويلية 1941م المتضمن للتعليم الفلاحي في فرنسا.

وقد تواصلت جهود تأهيل التعليم الزراعي أو بالأحرى إدماج التعليم العالي الزراعي في الجزائر، في التعليم العالي الفرنسي، وذلك بإعطاء نفس القيمة للشهادات الممنوحة وكذلك نفس مستوى التعليم.

فمرسوم 28 جويلية 1960، الصادر يوم 03 اوت 1960م، جاء فيه ما يلي:<sup>(1)</sup>

- مؤسسة التعليم العالي الفلاحي الواقعة في الجزائر والتي يتكون من المعهد الفلاحي الجزائري، و المدرسة التي تحتوي قسم الفلاحة الإفريقية الموجهة لتكوين الإطارات التقنية الضرورية للقطاع العام والقطاع المهني، هذا القسم يمكن أن يحتوي حسب الضرورة على الفروع التالية:

- الأشغال الريفية، المياه والغابات.
- المساعدين في المصالح البيطرية.
- تقنيات التسيير الريفي.

ويقبل في المدرسة الوطنية للفلاحة المترشحين المقبولين في الامتحانات المشتركة للمدارس الوطنية الزراعية وتنظيم وبرامج الدراسة هي نفسها في كل المدارس، وينتهي التعليم بديبلوم مهندس فلاحي بكل الحقوق والواجبات المرفقة؛ والقبول في قسم الفلاحة الإفريقي يتم بموافقة الحاكم العام في الجزائر والذي يحدد عدد الطلاب المقبولين في القسم في حدود النصف، منها مقاعد مخصصة للمترشحين المسلمين الذين يتوفر فيهم ما يلي:

- حاصلين على البكالوريا أو ديبلوم الفلاحة من الدرجة الثانية.

- و اجتازوا مسابقة الدخول بنجاح.

ومنه الدراسة تكون لثلاثة سنوات، وبهذا الشكل الجديد يمكن ان نفهم وجود مدرسة وطنية للفلاحة، بقسم خاص بالفلاحة الإفريقية؛ وفي السنة الموالية 1961م تم رفع المدرسة إلى مصاف المدارس العليا وفق مرسوم 20 جوان 1961م، وبعد سنة واحدة

(<sup>1</sup>) Jacques Solari : l'enseignement Agricole en Algérie (1830-1962), Document Fournis (Témoignage) a la société Amicale des Ancien de IAA (Promotion 1960/1963).

ولدت المدرسة الوطنية العليا للفلاحة بالجزائر<sup>(1)</sup>، طبقا لقانون الإصلاح الزراعي 02 أوت 1960.

وقد شكلت المدرسة العليا للفلاحة الإفريقية المنشأة منذ 1957 الفرع الإفريقي للمدرسة والتي يمكنها استقطاب الطلاب المسلمين الفرنسيين<sup>(2)</sup>.

وتضمن المدرسة العليا للفلاحة الوظائف الثلاثة: فهي معهد للتعليم، ومركز للبحث ومركز للتدريب والتجريب الفلاحي، ويتمثل برنامج التعليم فيما يلي:

- كل الفروع المتعلقة بالفلاحة.
- العلوم المرتبطة بالفلاحة وتطويرها.
- حل كل مشاكل الزراعة المكثفة المعاصرة.
- تدريس الهندسة الريفية.

ويسهر على تقديم هذه الدروس أساتذة متخصصين أو أساتذة من جامعة الجزائر ومختصين من المصالح الفلاحية في الولاية العامة، وتحتوي المدرسة العليا على المخابر التالية:

- **مخبر علم النبات وأمراض النباتات:** ويحتوي على قاعة الميكروسكوب والمجموعات النباتية، آخر من ترأسه البروفيسور "ديبيه" ويختص في انتقاء أنواع الحبوب المخصصة للزراعة في الجزائر.
- **مخبر علوم الأرض:** ويحتوي على مجموعة عينات من الطبقات الجيولوجية ومحطة أرصاد جوية.

---

(<sup>1</sup>) Voir : le bulletin N°36 de l'Amicale des Enciens élèves d'Ecole d'Agriculture.

(<sup>2</sup>)le bulletin N°36 de l'Amicale des Enceins élèves d'Ecole d'Agriculture. Op.cit..

- **مخبر الزولوجيا الزراعية والانتمولوجيا:** ويشتهر بمواجهته لموجات الجراد التي عرفتھا الجزائر بين (1920-1930).
- **مخبر الزراعة:** وهو محطة لتحسين النباتات وأنواع الحبوب عن طريق التهجين والتجريب ملحقة بالمعهد الوطني للبحث الزراعي. هجن الدكتوران موسلي ولومو حوالي 10 أنواع من القمح المقاوم للجفاف
- **مخبر زراعة الأشجار المثمرة والكروم:** ويقوم بتجريب مردود عينات الأشجار النادرة في المحطات النباتية، وقد اهتم المخبر بتحسين أنواع الطماطم والورود، وقدمت رسالة حول عقم بعض أنواع اللوز في الجزائر.<sup>(1)</sup>
- **مخبر الكروم:** ويملك المخبر مساحة 03 هكتارات لتجريب أنواع الكروم مثل كروم المائدة وكروم المعاصر، وأهم الباحثن هو الأستاذ فيفي Vivet الذي أجرى أبحاث حول مردود مختلف الأنواع من الكروم.
- **مخبر كيمياء الخمور Oenologie:** لقد طور الأستاذ "فابر" و أعوانه ، في هذا المخبر الأساليب المستخدمة في إنتاج الخمر، والتي مكنت الخمر الجزائري من فرض نفسه في الأسواق الدولية بشكل دائم، وتعمل محطة التخمير وصناعة الخمر والمعصرة التجريبية على إيجاد الأساليب التي تجعل من الخمر الجزائري مطابقا لمقاييس القانون الأساسي للخمر الخاص بالمعهد الدولي للخمر والمعهد التقني للخمر وذلك بفضل فوج عمل هام حول الأستاذ "بريمو" يضم "الانسة روبرت" وكورتوازي وبرتتي وكذلك العاصرين : كوست و "ورو" الذين ارتبطت سمعة ورواج الخمر الجزائري بأسمائهم.
- **مقعد الزولوجيا:** وترأسه الأستاذ "تروفات" الذي حاول تطوير انتاج الانواع المحلية من المواشي والأبقار، وقد تم تطوير التلقيح الاصطناعي في هذا المخبر

<sup>(1)</sup> حول المدرسة الفلاحية و هياكلها أنظر الملحق رقم: 12.

بفضل مجهودات "جون دارسي" و "موبوني" وإنشاء مخبر البحث الز ولوجي والبيطري سنة 1952 م.

● **مخبر التكنولوجيا والفيزياء:** وعمل على تطوير الزيت بفضل جهود "فوزات" وحفظ الفواكه الجافة بفضل خيسون وقام المخبر بدراسات حول تقنيات حفظ الأطعمة بالتعاون مع المعهد التبريد المنشأ في بئر مراد رايس.

● **مخبر الهندسة الريفية والميكانيك والإلكترونيك:** وقد ركز هنا المخبر على الآلات والمحركات الزراعية ونتاج غاز الميثان من النباتات.<sup>(1)</sup>

● **مقعد الاقتصاد الريفي:** وتعتبر آخر عمارة شيدت سنة 1954 لإيواء مخبر البحث الاقتصادي والاجتماعي المطبق على الجزائر، وذلك من أجل دراسة أوضاع السكان في الهضاب العليا.

● **مخبر البيولوجيا النباتية والحيوانية:** وقد خصص لفوج الزراعة الإفريقية الملحق بالمدرسة الوطنية العليا للفلاحة.

وبالنسبة للطلبة المسلمين الذين زاروا دراستهم في المدرسة نجد الطالب العروسي خليفة أول طالب مسلم يلتحق بالمعهد الفلاحي (دفعة 1937) ثم أصبح بإمكانهم الدخول إلى الفوج الإفريقي سنة 1957م، حيث تم إحصاء خمسة طلاب فقط في تلك الفترة.<sup>(2)</sup>

وطالما أن قدرات المعهد انحصرت في تكوين بين (25-35) مهندس في كل دفعة فقد كون حوالي 1600 مهندس ليس منهما لا عدد قليل جدا من المسلمين لايتجاوز خمسة مهندسين ، فالمدرسة احتفظت بالطابع الأوروبي الفرنسي العام رغم وجودها على الأرض الجزائرية لذلك أدمجت بشكل تام ضمن المدارس الفرنسية وقد

(<sup>1</sup>)Bessaoud: op cit, p 12.

(<sup>2</sup>)Cérémonie du Cinquantenaire de l'école National Supérieur D'Alger, 10 Octobre 1970, Grignon Sait Germain : Document de l AAAE.

اهتمت أعمال المدرسة بالاقتصاد الفلاحي وركزت على انتاج الحبوب والأشجار المثمرة و خاصة الكروم، وكذلك تطوير الثروة الحيوانية ومحاربة الامراض خدمة للاستيطان الأوربي، وخاصة احتياجات المستثمرين من المعمرين .

وقد عملت المدرسة على نشر أبحاثها في دورية سنوية "Annales" وكذلك الحملة الزراعية لإفريقيا الشمالية التي أسسها روني باسكيه المعروف بأعماله ضد زحف الجراد. وقد قامت جماعة من قدماء المدرسة بتكوين جمعية سنة 1909م أصبحت تدير شركة خدمات زراعية "Colonia" في متيجة وتعمل الجمعية على نشر "Agrica" وهي نشره تضمن التواصل بين قدماء المدرسة، وتظم لمشركين من كل افريقيا الفرنسية اوروبا وحوض المتوسط.

أما التكوين الفلاحي الذي استقطب عدد كبير من الجزائريين المسلمين فهي المدارس الجهوية ذات المستوى المتوسط<sup>(1)</sup>.

#### - المستوى الثاني: المدارس الجهوية الفلاحية والمدارس التطبيقية:

وتقوم هذه المدارس بتقديم تكوين متوسط في مجال الفلاحة للأوروبيين والمسلمين على حد سواء، ليكتسبوا معارف تمكنهم من الحصول على مناصب عمل في المجال الفلاحي، كرؤساء أعمال، ومسيري مزارع، وموجهي الأعمال وأهمها:

#### 1. المدرسة الجهوية للفلاحة سكيكدة (فليب فيل):

وقد أنشأت هذه المدرسة وفق مرسوم موقع من الحاكم العام مؤرخ في 05 أبريل 1900م، وذلك استجابة لأنشغال يعود الي سنة 1851م عندما طالب رئيس

(1)Solari: Témoignage, op.cit. p 11.

دائرة فليب فيل بإنشاء مزرعة- مدرسة مطابقة لتلك الموجودة في فرنسا وفق قانون 20 أكتوبر 1848م.<sup>(1)</sup>

وتهدف هذه المدرسة إلى تكوين رؤساء المستثمرات الفلاحية، المزارعون وأمناء المال، القادرون على استيعاب مشاكل الزراعة في حوض المتوسط وتطبيقها وبفضل قدراتها على التطبيق والتجريب حولت إلى مدرسة جهوية للفلاحة سنة 1958 وتترع المدرسة على مساحة 306 هكتار وتتميز بما يلي:<sup>(2)</sup>

- أرض زراعية حيث يمكن تجريب كل المنتوجات الساحلية
- تجريب تربية الحيوانات بالأساليب العصرية .
- توظيف التجهيزات والأساليب العصرية.
- 2. المدرسة الجهوية للفلاحة بسيدي بلعباس:

أنشأت هذه المدرسة سنة 1930 في سهل المكابرة على ارتفاع 500م، في مزرعة فلاحية ب 100 هكتار وتعتبر محطة تجريبية متنوعة للكروم 25 هكتار، الحبوب 4 هكتار، الزيتون 500 شجرة، ويتم إجراء التجارب على ما يلي:

- تربية النحل.
- تربية الأرناب.
- تربية الأغنام والماعز.

ويتميز موقع المدرسة بالظروف المثالية للتجريب تتمثل في تغير المناخ، قلة التساقط والفروق الحرارية الكبيرة، وكذلك رياح السيريكو، وتمتلك المدرسة أيضا مزرعة مساحتها 63 هكتار و 8 آر على طريق تسالة وهي مخصصة للحبوب، وتم ترقية المعهد

(1) أنظر الملحق رقم: 12.

(2) Agria :Témoignages pour une École maison carrée-Alger.

إلى مدرسة سنة 1947م، بعد زيارة الجنرال لكلاك الذي لقي حتفه إثر سقوط طائرته في بشار يوم 28 نوفمبر 1947م.<sup>(1)</sup>

### 3. المدرسة الزراعية بعين تيموشنت:

وهي مزرعة - مدرسة أنشأت في 1929م تتربع على مساحة 124 هكتار منها 25 هكتار للكروم المتنوعة تنتج بين 1250-1400 هكتولتر منا الخمر سنويا، و02 هكتار مخصص للأشجار المثمرة (الخوخ، المشمش، الكرز، البرتقال) وتحتوي أيضا على:

• 2 هكتار لمحاصيل الخضر.

• منحلة من 30 خلية.

• 70 هكتار مخصصة للحبوب والبقول الجافة.

وبقرار للحاكم العام في 03 جويلية 1946م تم تحويل المزرعة إلى مدرسة زراعية تهتم بتلقيح الأشجار وتحسينها تحت وصاية المصالح الفلاحية لوهران<sup>(2)</sup>.

### 4. المدرسة الزراعية لقالمة:

طالب مدير الغرفة الفلاحية لقسنطينة السيد "بريش" بإنشاء محطة تجريبية في قالمة سنة 1913م وقد تم حول تحويلها إلى مدرسة - مزرعة تجريبية سنة 1922م خاصة بتكوين الأهالي<sup>(3)</sup>.

وفي الفترة (1907-1928) ترأس هذه المدرسة السيد فاتح Fatah وتوسعت على ملكية البرج 38 هـ، وملكية سعيد 90 هكتار وهي ملكية الدوق "تروماتوني".

وخلال سنة 1947 تحولت هذه المزرعة - المدرسة إلى المدرسة الزراعية التجريبية الموجهة إلى أبناء الفلاحين تختص في لزراعة الحبوب وتربية المواشي.

<sup>(1)</sup>Solari : op.cit, pp 11-16.

<sup>(2)</sup> Ibid.

<sup>(3)</sup> أنظر الملحق رقم 12.

5. حديقة التجارب بالحامة الجزائر:

يعود تاريخ حديقة التجارب إلى أمره المرشال "سولت" والمارشال "بيجو" في السنوات الأولى للاحتلال حيث أمر بإنشاء المشتلة المركزية ووضعت تحت تصرف المدرسة العسكرية للطب، وهي ضرورية لدراسة علم النبات الطبي؛ وفي سنة 1913 أصبحت حديقة التجارب تحت وصاية المستعمرة (الولاية العامة) على شكل منتزه عمومي.

وقد أنشأ في الحديقة مدرسة لتنشئة ربات البيوت من بنات وزوجات المعمرين، أو المزارعين حول الحياة الريفية وذلك بتعليمهم، الطبخ، رعاية الأطفال ورعاية الحدائق المنزلية وتربية الدواجن والنحل، وتضمن أيضا للأطفال المسلمين الفرنسيين بتعليمًا عامًا وتكوينًا مهنيًا يتوج بشهادات الكفاءة CAP، وقد تحولت الحديقة إلى ثكنة لقوات الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية (1942-1946). وتترع الحديقة على مساحة 62 هكتار، وتحتوي على أكثر من 4000 نوع نباتي<sup>(1)</sup>.

وهي الي اليوم تحفة نادرة للمختصين والطبعيين والسياح، فقد وصفها عالم النبات مارتنز لما زارها قائلا: تملك فرنسا أجمل حديقة نباتية للمناطق الحارة. لا تضاهيها إلا حديقة كلكتا وباتيفا في اندونيسيا<sup>(2)</sup>.

وقد كانت مدرسة الحامة في خدمة طلاب المدارس النورمالية لتلقي الدروس التطبيقية<sup>(3)</sup>؛ وقد حولت المدرسة إلى بن عكنون تحت تسمية institut ménager Agricole وتحتوي على قسمين:

- قسم عالي يتم الانضمام إليه عن طريق شهادة الأهلية للمدارس الابتدائية العليا يكون التكوين لمدة سنتين.

(1) Hames George, L'ouvre Agaricale Française en Algérie 1906, p 162.

(2) انظر الملحق رقم 12.

(3) HAMES, op.Cit.

• قسم يحضر ممرن دولة، يتم الانضمام إليه عن طريق البكالوريا. مدة التكوين به ثلاث سنوات

ويتم إنشاء فروع لهذه الأقسام في كل من قسنطينة، عنابة، بجاية، الشلف، مستغانم وتلمسان.

#### 6. مركز التدريب الشجري لمتراس:

وقد خصص هذا المركز المنشأ في أعالي القبائل "جرجرة" والذي يتربع على مساحة 14 هكتار لزراعة الأشجار المثمرة والكروم، ويمتلك أيضا مزرعة في بومهدي قرب بوغني ، مساحتها 100 هكتار ويتخصص فيما يلي:

- تجفيف الفواكه.
- عصر الزيت، وذلك بإنشاء تعاونية معصرة بوغني.
- تربية النحل باستخدام الخلايا المربعة بدل الاسطوانية التقليدية.
- المشاتل التي تمنح المزارعين أحسن أنواع الأشجار.
- تربية الأبقار.

وبفضل إعادة تنظيم التعليم الزراعي تم تحويل هذا المركز سنة 1954م إلى مدرسة الجهوية للفلاحة<sup>(1)</sup>.

وتشير الإحصائيات أن التعليم العالي الزراعي قد كون في المرحلة (1881-1914) حوالي 120 تلميذا، وأن العهد الزراعي قد كون بين (1919-1946) حوالي 267 مهندس زراعي، فيما ظلت المدرسة الوطنية للفلاحة تكون بين 25 إلى 30 مهندساً فلاحياً سنوياً، وقد ضم الفوج الفلاحي الإفريقي 93 طالب فيدفعاته الثلاثة حتى سنة 1959 لا يوجد منهم إلا خمسة مهندسين من المسلمين، وهو عدد ضئيل جدا يعكس انغلاق الإدارة الفلاحية التي تشرف على التعليم العالي الفلاحي على الجزائريين الأهالي،

(1) أنظر الملحق رقم 12.

وعدم رغتها في توليهم المناصب القيادية في قطاع حساس مثل الفلاحة بينما تحتوي عدد كبير من طلاب المستوى الثاني من الأهالي وذلك لحاجة المصالح الفلاحية إلى اليد العاملة المؤهلة وبذلك يظل التسيير الفلاحي حكرا على الإدارة الاستعمارية، والمستوطنين الذين يشكلون الغالبية العظمى من ملاك الأراضي الخصبة والمهتمين بأساليب تطوير الاقتصاد الزراعي، ويرفضون إلى درجة التعصب وجود نخب فلاحية أهلية تشترك في إدارة شؤون الفلاحة، ذلك أن الثروة الحقيقية لهؤلاء تم جمعها من الملكيات الزراعية والاستغلال الزراعي للأراض المصادرة من الأهالي وكذلك عن طريق استغلالهم فيها بأجور زهيدة.

ثانيا: التعليم العالي التقني ومدارس المهندسين (1880-1962)

يعود وجود مدارس الهندسة في فرنسا إلى سنة 1747 م تاريخ إنشاء أو كلية للهندسة المدينة، ثم جاء إنشاء المدرسة المركزية للأشغال العمومية وهي مستقلة عن أي جامعة سنة 1794م، لكن نابليون بونابرت سرعان ما عسكر هذه المدرسة وحولها إلى مدرسة عسكرية سنة 1805م، خدمة لمصالح الجيش الإمبراطوري، الذي أصبح يضم مصالح الهندسة العسكرية، وكذلك استغلالاً لهذه المدرسة في تدريب الكوادر الفنية العسكرية التي يحتاجها الجيش، بوصفه المقاول الأول في فرنسا، فالجيش يشق الطرق وبنى الجسور ويقوم بأعمال التعدين والمياه والغابات، وبيني التحصينات والسفن. وقد كان لمصالح الهندسة العسكرية الفرنسية إنجازات هامة، شجعتها على التنظيم والاستمرار لعل أهمها إنجاز قناة السويس التي افتتحها فردناند ليسابس يوم 17 نوفمبر 1889م.

وبعد احتلال الجزائر، وتوسعات الجيش الفرنسي انشأ الجنرال بيجو في أكتوبر 1844م مدرسة مهنية في دلس، وأوكل مهمة إدارتها إلى ضابط من مصالح الهندسة اسمه "داماري" وذلك من أجل تكوين التقنيين اللازمين لبعض الإنشاءات التي كان يقوم بها الجيش<sup>(1)</sup>.

وكان الجيش العامل في الجزائر بنظم بعض المهندسين المتخرجين من المدرسة المتعددة التقنيات، وأوكلت لهم مهام الإنشاءات الكبرى مثل المباني الإدارية، الطرق سكك الحديد وحتى استغلال المناجم.

ورغم أن السلطات العثمانية كانت قد أنشأت مدارس المهندسين منذ 1730 وذلك في إطار عسكري، فإنها لم تهتم بهذا النوع من المهن في الجزائر<sup>(2)</sup>، إلا أنها أنشأت

(1) Francis Poulallion : Dellys et son école des arts et métiers Echo d'Alger, 1999, N° 65

(2) Omelkhir Touati: les ingénieurs en Algérie de l'époque colonial à la crise des années 1990, approche socio-historique d'un métier, l'année du Maghreb, CNRS EDITION, pp 589-611.

مدرسة للمهندس في مصر سنة 1815، وأخرى في تونس وهي المدرسة المتعددة التقنيات للباردو سنة 1840م.

وقد بادرت مدرسة دلس المهنية العسكرية، بتكون التقنيين في بعض المجالات اللازمة للجيش؛ ويتطور المنظومة التشريعية الفرنسية، وتطور الثورة الصناعية، فان القوانين المنظمة للمهن قد بدأت تظهر في عهد الجمهورية الثالثة، وذلك بتطبيق قانون 19 ماي 1874م المعدل بقانون 02 نوفمبر 1892م والذي ينص على ضرورة تلقي العاملين في الصناعة والتجارة تكويناً وتدريباً مهنيًا<sup>(1)</sup>.

وبذلك أصبح التدريب والتكوين إجباريين لكل المشتغلين بالمهن والفنون وهذه التدريبات تكون طويلة تصل إلى 04 سنوات، من أجل تعلم المهنة، أما تكوين الإطارات العليا فقط ضل حكراً على الجيش.

وطوال الفترة الممتدة بين (1843-1912) ظل التكوين حكراً على أربع مدارس عليا للمهندسين في المهن والحرف كلها في المتروبول، تكون رؤساء الورشات حدثت ثورة في 18 أبريل 1871 في ناحية دلس، تعرضت خلالها مدرسة "بيجو" إلى التخريب التام وأصبح من الضروري إعادة بنائها، وقد حاول بعض الساسة الفرنسيين نقلها إلى "هافر" بالمتروبول مثلما فعل "فلكس فور" أو إلى سكيكدة وذلك باقتراح من "ليسو" رسيناتور قسنطينة ومالك مقلع الرخام بقلعة واستقر الأمر على إبقائها في دلس باعتبارها أهم مركز عسكري قرب العاصمة<sup>(2)</sup>.

---

(1) Poulallion, op.cit.

(2) Ibid.

ولما تم ابقاء المدرسة بدلس، فقد قام المجلس البلدي لدلس بمداولات يوم 31 ماي 1877م، تم بموجبها تخصيص قطعة أرض ومبلغ 50.000 فرنك من أجل إنشاء المدرسة المهنية تحت وصاية مصالح الاتفاق والجسور، وتوفير كل المتطلبات لإيواء وتكوين المتربصين وذلك لتسريع التكوين لحاجة الجزائر الماسة للتقنيين، فتم الاعتماد على تلاميذ المدارس النورمالية، والتلاميذ الحاصلين على الأهلية من المدارس الابتدائية العليا عن طريق مسابقة في الرياضيات؛ الفرنسية؛ الكيمياء والفيزياء والرسم الصناعي وتم تحت مسؤولية مصالح الهندسة العسكرية انتقاء 23 تلميذ للتكوين ولكن سرعان ما تم وضع المدرسة تحت وصاية وزارة التجارة والصناعة وفق قرار 09 جويلية 1883 وأصبحت تسمى المدرسة الوطنية للتدريب الفنون والحرف<sup>(1)</sup>.

وقد جاء القرار الموافق لـ 12 أوت 1883م ليحدد التعداد الأقصى للتلاميذ بـ 60 تلميذ كحد أقصى (20 لكل دفعة) وبفضل الاستقلال المالي الذي حصلت عليه الجزائر وفق مرسوم 21 ديسمبر 1900 أصبحت المدرسة كولونيا لية تحت الوصاية الخاصة للحاكم العام للجزائر، الذي وضعها تحت مسؤولية إدارة الفلاحة والتجارة.

وقد صدر مرسوم تنظيمي في 22 أكتوبر 1905 يخص المدرسة نص علي ما يلي:<sup>(2)</sup>

- خلق نظام خاص بالأهالي في حدود 30 متربص، يتم قبولهم عن طريق مسابقة من الحاصلين على شهادة الابتدائية.
- تحديد عدد الطلاب بـ 120 كحد أقصى ومدة التكوين بـ 03 سنوات.
- نظم الإدارة والتي تضم: المدير، المقتصد، ومساعدين.
- تنظيم التعليم بـ 05 أساتذة و 10 رؤساء ورشات (التلحيم، الكهرباء، التجارة الصلب، والتصميم).

(1) انظر الملحق رقم 14.

(2) Poulallion, op, cit.

وبعد الحرب العالمية أصبح اسم المدرسة "المدرسة الكالونيالية للصناعة" وربما عادت هذه التسمية بقرار من الحاكم العام.

وخلال الخمسينات من القرن الماضي، وبفضل مجهودات الساسة وقدماء الطلاب الذين أنشأوا ودادية الطلاب القداماء منذ 02 افريل 1902<sup>(1)</sup>، وضعت المدرسة المهنة تحت وصاية وزارة التعليم الفرنسية تحت تسمية المدرسة الوطنية المهنية CNP.

وتعتبر هذه المدرسة الوحيدة في فرنسا التي تضم إلى جانب التخصصات الصناعية التي تكون رؤساء الورشات وليس المهندسين قسم الساعاتي وقسم للتبريد وقسم للأشغال العمومية.

وقد استقرت مدة التكوين في حدود أربع سنوات بعد الحرب العالمية الثانية والتي توقفت خلالها الدراسة، ويتم الدخول إلى المدرسة عن طريق امتحان في القطاعات الثلاث في حوالي 10 مراكز، ويتم انتقاء بين 30 إلى 40 تلميذ للتبريد حاصل علي مستوى الأهلية، وتقوم معاهد وثانويات وهران بالتحضير لمسابقة الدخول في أقسام خاصة ولذلك كان معظم المترشحين من هذه المقاطعة بنسبة 50 إلى 75%.

كونت المدرسة طوال مدة شتغالها بين 2600 إلى 2800 من رؤساء الورشات Godz'artes معظمهم غادروا البلاد بعد الاستقلال منهم "784" رئيس ورشة صناعية مما أدى إلى شلل القطاع الصناعي في الجزائر.

ورغم أن هذه المدرسة لا تكون المهندسين فقد كان بإمكان الخريجين منها مزاوله الدراسة للحصول على رتبة مهندس، وبذلك فهي تمهيد إلى التعليم العالي التقني

(1) تشكل ودادية قداماء طلاب مدرسة دلس من أربع أفواج، منها فوج أكش-مارسيليا- وفوج الجزائر ولا تزال تعقد الاجتماعات مثلا فرع اكس -مرسيليا ورشة السيد بولايو فرنسيس صاحب المقالات حول تاريخ المدرسة والتي تعتبر المصدر الوحيد لتاريخها، وملك محاضر اجتماع الجمعية العامة للوادادية ليوم 2014/12/05.

الذي تسهر عليه المدرسة الوطنية للأشغال العمومية والعمارات في ميزوكاوي (الحراش).

- المدرسة الوطنية لمهندسي الأشغال العمومية الميزوكاري (1950):

أنشأت المدرسة الوطنية للأشغال العمومية والعمارات منذ 1950م، وأصدرت أولى شهاداتها سنة 1953 لدفعة (1949-1953). وهي بذلك تشكل المرحلة الأولى في طريق إنشاء المدرسة المتعددة التقنيات لمهندسين بمستوى تدريس مطابق لذلك الموجود في المتروبول في مدارس غرونوبل؛ نانسي، ستراسبورغ وتولوز، وكذلك تم إنشاء مدرسة للكهرباء تحتوي اختصاص الإلكترونيك والإلكتروتكنيك سنة 1959م ومدرسة للهندسة الكيميائية سنة 1960م لم تسمح ظروف البلاد الجديدة والمتمثلة في الاستقلال من إكمال نشاطها وبقيت مجرد مشاريع جاهزة نظريا للتجسيد.

ويرجع إنشاء هذه المدرسة إلى التطورات التي أحدثت على العهد الصناعي الذي تم إنشاؤه سنة 1925م، من أجل تكوين تقنيين ساميين في ثلاثة تخصصات هي الأشغال العمومية والعمارات والميكانيك والكهرباء.

وبوجود هذه التخصصات الثلاث، يعتبر المعهد متعدد التقنيات منذ البداية وكان التعليم فيه يتم في أربعة سنوات للطلاب ذوي المستوى النهائي في حدود 30 تلميذ في كل دفعة<sup>(1)</sup>.

ومن أجل معرفة مستواه التكويني ومستوى شهاداته بالنسبة للمؤسسات الفرنسية الأخرى، فهو يقع في مرتبة متوسطة، فهو من حيث مستوى التكوين أعلى من المدرسة الوطنية المهنية بدلس (ENP)، وذلك نظرا للمستوى الأعلى لامتحان الدخول، الذي يحتوي على جانبين الكتابي والشفهي، يشمل الكتابي 9 مواد والشفهي 7 مواد، وكذلك

مدة التدريس التي حددت بأربع سنوات وحجم الدروس ونوعية التدريس النظري والتطبيقي.

(1) George Scotti et Autres : Institut industriel d'Algérie, Revue Allégoriste N° 40 Décembre 1987, pp 100-106.

و تمكن السنتان الاولى والثانية فيه من تلقي جذع مشترك من المعارف الرياضية والعلمية والتقنية اما السنوات الأخرى فهي للتطبيق والتخصص.

ومن جهة أخرى، يقع مستوى التدريس في هذا المعهد في مرتبة أقل من مدارس المهندسين في المتروبول، مثل مدرسة الفنون والحرف بأكس ، أو المعاهد المتعددة التقنيات في تولوز، غرو نوبل ونانسي.<sup>(1)</sup>

طُرحت مسألة ترقية المعهد إلى مدرسة للمهندسين بشكل دائم على الإدارة الاستعمارية؛ وكانت دائما تشهر الجواب نفسه: الجزائر لا تمنح وظائف كافية نظرا لضعف الهياكل الصناعية والأزمة الاقتصادية لسنوات الثلاثينات من القرن الماضي. وتحجبت الإدارة الاستعمارية بالمناخ الصناعي في الجزائر الذي لا يسمح للطلاب بالاستفادة من التربصات والزيارات الميدانية لمتابعة الإنشاءات الصناعية المعقدة اللازمة لتكوين المهندسين.

وعموما، فإن المعهد الصناعي في الجزائر مصمم خصيصا للاستجابة للحاجيات الخاصة للجزائر لسنوات 1930م، وليس ليخرج المدارس الفرنسية المنشأة في المتروبول والتي تمنح طلابها فرصا للتشغيل في الجزائر ومنها امكانية تدريسهم في المعهد الصناعي ورئاسة الورشات والمخابر المختلفة<sup>(2)</sup>.

وبالنسبة لمدارس المهندسين، فقد كان يتم التحضير لها في أقسام خاصة في ثانويات المتروبول وهذا ما لم يكن متوفرا في الجزائر، والمعهد الصناعي نفسه كان يعتبر قسما محضرا لدخول المدارس المهندسين المتروبولتانية؛ فالمدرسة

---

(<sup>1</sup>)Scotti et Autres : op.cit., p 102.

(<sup>2</sup>) Ibid.

المتعددة التقنيات بتلوز وغرونوبل ونانسي ومدرسة الكهرباء بمرسيليا تقبل الطلاب المتخرجين من المعهد الصناعي الجزائري، لإكمال دراسات مهندسين وكذلك تقبل مدرسة الشغال العمومية ديبلوم المعهد الصناعي الجزائري، مع بعض الملاحظات كالتفوق والتميز

ومنذ بداية عمله سنة 1925م وإلى غاي ترقيته الى المدرسة الوطنية للمهندسين سنة 1953 كون المعهد الصناعي في الجزائر حوالي 600 تقني بمستوا جيدا أتاح لحوالي 26 منهم مواصلة الدراسة في المدارس الميتروروبوليانية منهم:

- 17 في المعهد المتعدد التقنيات لغرونوبل.
- الآخرون موزعون بين المدرسة العليا للكهرباء، مدارس المهندسين والأشغال العامة.
- يستقطب هذا العدد الكبير من الخريجين وفره الوظائف في القطاعات العمومية المختلفة كمصالح الكهرباء والغاز، الأنفاق والجسور، الأشغال العمومية والإدارات العامة مثل البلديات ومصالح الفلاحة والصناعة.
- وكذلك توجه خريجوا المعهد الصناعي نحو القطاع الخاص، وأنشأ البعض منهم شركات عائلية وخاصة ناجحة في كل التراب الجزائري نذكر منهم:<sup>(1)</sup>
- شركة مربي « Esclapéz » بجليزان.
- شركة التدفئة المركزية اسبوزيتواي في الجزائر.
- شركة البناء فيرنانديز في سيدي بلعباس.
- شركة المسابك ( Gris ) في ميناء الجزائر.
- شركة مواد البناء مرتنز في وهران.
- الورشات الصناعية والميكانيكية رامون في وهران.

(1)Scotti et Autres : op, cit, p 104.

وشهادات الكفاءة المسلمة من طرف المعهد (IEA) تضمن المتخرجين تولي مناصب إدارات ومهندسين وذلك بمتابعة تكوين مكمل.

ولعل من أعمال طلبة المعهد الهامة، استغلال دفعات سنوية الثلاثينات 1930 في إنجاز المركز الكهروماني في تيزي وزو ووهران، وذلك باستغلالهم في متابعة الإنجاز كرؤساء ورشات أو أقسام من الورشات.

ويتم توظيف خريجي المعهد في وظائف رؤساء مصالح الصيانة في مراكز توليد الطاقة الحرارية، وفي شبكات النقل (السكك الحديدية والترامواي) كرؤساء مصالح المراقبة الكهربائية، وكرؤساء مراكز الترابط، ورؤساء التوزيع... الخ.

وفي النهاية فإن الصناعيين من خريجي المعهد الصناعي موجودين في كل المراكز الحيوية والاقتصادية الاستعمارية في الجزائر، ففي إحصاء قام به قدماء المعهد الصناعي الجزائري، صدر في حولية قداماء المعهد الصناعي 1953، ظم توزيع 267 من خريجي المعهد على المهن تم الحصول على التوزيع التالي<sup>(1)</sup>:

- العمارات والأشغال العمومية ومواد البناء 15.3%.
- مهندسين معماريين، مهندس مستشار، مستشار 3%.
- الهيدروليك، شبكات القنوات 4.5%.
- تجهيزات زراعية، تجهيزات المؤسسات (الميكانيك، الكهرباء، السباكة، التبريد والتسخين) 12.7%.
- التجارة وأعمال حرة 2.6%.
- مكاتب المراقبة التقنية 0.8%.
- الزراعة والصناعات والتبغ 4.1%.
- الأرصاد الجوية، التأمين، الضرائب، تطهير المياه والغابات 3%.

(1) Annales de L'Amicale des Anciens élèves de (IIA), 1953.

- الصناعات البترولية البنزين والزيوت 3%.
- التعليم 6%.
- البريد والاتصالات 3.4%.
- كهرباء وغاز الجزائر « EDF » 13.1%.
- النقل بالسكك الحديدية 12.2%.
- السلاح والمتفجرات 6.4%.

ويلاحظ من خلال هذا التوزيع الأهمية التي كان يحظى بها المعهد الصناعي الجزائري، فهو يضمن تغطية وظائف القطاع العمومي في مختلف المجالات التي تحتاج إلى تكوين متخصص، كان يؤديها المستوطنون الفرنسيون في الجزائر، لضمان تصنيع وعصرنة المستعمرة وهو الأسلوب الذي تبنته الإدارة الاستعمارية بعد الأزمة الاقتصادية سنوات الثلاثينات من القرن الماضي دون اشراك الاهالي في هذه الوظائف.

والملاحظ ايضا ان عدد كبير من الفلاحين وأبناء المعمرين المهتمين بالقطاع الفلاحي اهتموا بالتكوين الصناعي لتطوير زراعتهم وذلك بهدف تطوير المكننة الزراعية وضمان عدم تجزئة ملكياتهم الزراعية، وتقليص اليد عاملة التي كانت تستهلك جزء كبير من المردود الزراعي وكذلك التحكم في الصناعات الغذائية .

وكغيره من المعاهد لفرنسية في الجزائر، عرف المعهد الصناعي توقفا سنوات الحرب العالمية الثانية (1942 - 1945)، واستخدمت بنايات المعهد من طرف الحكومة الفرنسية، وقد فقد المعهد 19 ضحية خلال الحرب من دفعاتها المختلفة أقيم لهم نصب رخامي في فناء المدرسة<sup>(1)</sup>.

(<sup>1</sup>) Scotti et Autres : op.Cit, p 106.

ولتجنب خطر النقص في المنتجات الصناعية الناتج عن خراب أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، توجهت السلطات الاستعمارية أكثر نحو تصنيع الجزائر وتوجهت أيضا نحو الصناعة التحويلية، وأنشأت لذلك الغرض المناطق الصناعية الفرنسية في المنطقة الغربية من الجزائر في بابا علي، واد سمار وجسر قسنطينة وكذلك في وهران. وقد اضطرت أيضا مصالح الكهرباء والغاز الى توسيع شبكاتها، وإنشاء مراكز جديدة، وبعد اكتشاف البترول في الصحراء الجزائر أصبح الحديد يدور حول التنقيب والحفر والاستغلال، وخطوط الأنابيب ودراسة شبكات الغاز الطبيعي والمميع. كل هذه المعطيات، أزلت الحجج القديمة المعارضة لرفع المعهد الصناعي إلى مصاف المدارس الميتربوليتانية للمهندسين، وقد بدأ التأهيل برفع مستوى القبول في المعهد سنة 1949م، ليصبح مطابقا لمستوى الدخول للمدارس الوطنية للمهندسين في الميتربول.

ووقف مرسوم صادر في الجريدة الرسمية (JOF) ليوم 27 أوت 1950م، تم تأهيل المعهد لتحضير شهادة مهندس في تخصص الأشغال العمومية والعمارات<sup>(1)</sup>. وبفضل الجهود القديمة لمدراء المعهد الصناعي، مثل السيد بورت « Porte » وخلفائه السادة " شمبون لاجي"، و"ماكس واتبلاد"، وطاقم التدريس المتكون من أساتذة لامعين<sup>(2)</sup>:

- الكيمياء الأستاذ اينال وأوتي، وبوي، وغلفي.
- انشاءات أسمنتية مسلحة الأستاذ " شاتاي".
- الكهرباء الأستاذ "كارتان".
- مقاومة المواد الأستاذ روكس.

(<sup>1</sup>) أنظر الملحق رقم 13.

(<sup>2</sup>) Scotti et Autres , op.cit, 106.

- الميكانيك والتكنولوجيا الأستاذان شامبون وباديال.
- الرسم الصناعي وميكانيك الأرض هيفار.
- الفرنسية والاقتصاد، الأستاذ هكتور بركارد.

ويعتبر الأستاذ بيركارد، الأكثر حضورا وأهمية بين الأساتذة، باعتباره مستشار الاتحاد الفرنسي، ورئيس بلدية عين طاية وقد كان لمكانته دورا هاما في تحويل المعهد الصناعي إلى المعهد الوطني للمهندسين، وذلك ما حدث سنة 1960م، بميلاد أول مدرسة متعددة التقنيات للمهندسين في الجزائر ملحقة بمصالح التعليم العالي والتقني وفي نفس مصاف وشخصية المدارس المتعددة التقنيات الفرنسية وبنفس مستوى التعليم، فقد تم أخيرا إدماج التعليم العالي التقني إدماجا تاما في التعليم العالي التقني الفرنسي وخلال الموسم (1960 - 1961)، ترشح حوالي 407 طالب للتسجيل في مختلف مراكز الامتحان لفرنسية من أجل 90 مقعد مقترح للسنة الجامعية، ورغم المستقبل المظلم بالنسبة للمستعمرين الفرنسيين الذي أصبح يلوح في الأفق وبشائر الاستقلال التي أصبحت تلوح للجزائريين فقد تم برمجة مدرسة للميكانيك أيضا خلال سنة 1960 لم يكتب لها الميلاد في الجزائر.

وقد انشأ في الجزائر أيضا جمعية لقدماء الطلاب سميت بوجدادية قدماء الطلاب في المعهد الصناعي والتي كان لها دور في تأهيل المعهد إلى مدرسة وطنية، وكذلك الاحتفاظ بجوانب من تاريخ المعهد من أشهر رؤسائها "بيار ميليا"، ولوسيان فيدال وجورج فليبي، وبول كابو، كانت حاضرة دائما من أجل مصالح قدماء المدرسة وكذلك من أجل التعليم العالي التقني.

وفي الأخير يمكن القول أن التعليم الصناعي الفرنسي في الجزائر ظل في الدرجة الثانية بعد التعليم العالي الاستعماري، فالتعليم العالي الصناعي الكولونيالي كان يكون الإطارات المسيرة لمصالح المستعمرة، كما استخدمت الإطارات المتوسطة من خري

المعهد الصناعي في وظائف تقنية ضرورية لمواكبة التحديث والعصرنة التي عرفتھا مختلف القطاعات الاقتصادية في الجزائر المستعمرة وكذلك المصالح الإدارية الاستعمارية التي أصبحت تتطور وتستعد لتواكب التطورات الحاصلة في العالم في القرن العشرين.

ثالثا: التعليم العالي للتجارة: (1900-1962):

تعد التجارة من أقدم المهن التي مارسها المسلمون، وكان للوقع الجغرافي المتميز الدور الهام في ربط أرجاء العالم الإسلامي بباقي مناطق العالم، وقد امتد النفوذ التجاري للعالم الإسلامي من الهند إلى الأندلس، وقامت مراكز تجارية في بغداد ودمشق والقاهرة وغرناطة وإشبيلية، ومع الانتعاش التجاري تقدمت الزراعة والحرف الصناعية، ثم بدأت هذه النهضة تهدد بقيام الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي وظهرت مراكز تجارية جديدة بجنوب أوروبا في جنوة والبندقية ومرسيليا، وقد أدى ذلك إلى تطور المواصلات والنقل بين الشرق والغرب وقد سيطر العالم الإسلامي على أهم الطرق التجارية العالمية، كطريق الحرير، وطريق الفيروز وطريق الملح والذهب وطرق رحلة الشتاء والصيف، وطرق الحج بعد ظهور الإسلام.

ونظرا لارتباط التجارة المركنتية بالطرق التجارية من جهة وبقواعد السوق من جهة أخرى والمتمثلة في العرض والطلب، فقد عملت الكشوف الجغرافية وموجة الاستعمار على الهيمنة على هذه الطرق، وعلى الممرات الاستراتيجية والمضائق البحرية، وقد تم في هذا الإطار فتح قناة السويس سنة 1869م.

والتجارة كممارسة اقتصادية في ضل الدين الإسلامي لم يتحول إلى علم يدرس وإنما ارتبطت بالفقه الإسلامي الذي يحدد الأخلاقيات التجارية وأنصاب الزكاة وغيرها. ولما جاء الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر، سيطر على التجارة الداخلية، بما فيها تجارة القوافل الصحراوية وعلى التجارة الخارجية، وليست فقط أرقام التجارة الخارجية والداخلية وأهميتها للاستعمار، هي التي أوجت بإنشاء تعليم تجاري في كل المستويات ولكن تطورات أخرى متعلقة بمدى التطور التنظيمي للمؤسسات الاقتصادية التجارية والإنتاجية وطبيعة معاملاتها المعقدة والعلمية هي التي أملت على الإدارة الاستعمارية

إنشاء تعليم عال للتجارة، وإخضاعه للإدارة الاستعمارية، فما هي الأسباب التي أدت لإنشاء تعليم عال للتجارة في الجزائر وما هي مؤسسات هذا التعليم؟.

كانت التجارة في الفترة الممتدة من الاحتلال إلى غاية 1890م وخاصة التجارة الداخلية المتمثلة في تجارة التجزئة والجملة تضمنها عدد من المحلات المنتشرة في المراكز العمرانية الرئيسية وبعض المراكز الريفية، والتي لا تتطلب إلا معرفة صغيرة للممارسين ولا تتطلب أيدي عاملة مؤهلة، وظلت تجارة الجملة بين أيدي المختصين ولا توظف إلا عدد قليل من العاملين وبدون تنظيم علمي، طالما أنها ملكية أشخاص يديرونها في اتجاه تحقيق الربح والثراء.

لكن العالم التجاري والصناعي عرف تطورا ملحوظا في أوروبا، فقد ظهرت المؤسسات الإنتاجية، والمؤسسات المالية والممولة، والمؤسسات التجارية وبدأت العلاقات بين هذه المؤسسات تزداد تعقيدا، بل وأصبحت المؤسسات في حد ذاتها بشكلا ومضمونها بنسبة معقدة تتطلب مسيرا محترفا وطاقما قادرا على إدارة العلاقات الأكثر تعقيدا (1)

وبظهور هذه المؤسسات أصبح التعليم التجاري ضروريا بين أصناف التعليم الموجودة، وازدادت أهميته بازدياد تعقيد التشريعات الجبائية والمالية، والدور الأول لهذا التعليم يتمثل في التنظيم العلمي للعمل والمحاسبة، هذه الأخيرة التي لا ترتبط فقط بالقواعد المألوفة لنظام المحاسبة بل أصبحت اختصاصا علميا قائما بذاته. ولمواكبة هذه التطورات الحاصلة، تم إنشاء مدرسة للتجارة في الجزائر كانت في بداياتها مؤسسة خاصة، يلتحق بها الأفراد الراغبون في تعلم التجارة كعلم حديث

(1) Paul Messerschmit : l'école supérieur de commerce d'Alger, une grande école au service de l'économie in Alegria et l'Afrique du nord, illustré : revue mensuelle, octobre 1951, N0 : 23, édition de « OAAET », Alger, 1951.

برغبة ذاتية أو حاجة عملية أو عائلية مرتبطة بممارسة نشاط تجاري أو تسيير مؤسسة<sup>(1)</sup>.

ورغم أن الفترة التي استغلت فيها المدرسة العليا للتجارة بوصفها مؤسسة خاصة للتعليم التجاري لا تستند إلى تاريخ محدد، فإن بعض المهتمين بتاريخها يعيدونها إلى سنة 1900م، سنة الاستقلال المالي للجزائر.

والمعلوم أن هذه المدرسة سرعان ما اعتمدها مصالح الولاية العامة سنة 1901م، ووضعت لها قانونا خاصا، والحقت تسييرها بالناحية الاقتصادية لمدينة الجزائر، وضعت مراقبتها من اختصاص مديرية التعليم التقني، وأدمجتها مع المدارس من نفس الاختصاص الموجودة في الميتربول.

وقد جاء تعريفها في جريدة صدى الجزائر « echo d'Alger » ليوم 29 جوان 1958م كما يلي: <sup>(2)</sup> المدرسة العليا للتجارة في الجزائر هي مؤسسة للتعليم العالي التجاري، معترف بها من طرف الدولة، مسيرة من طرف الناحية الاقتصادية للجزائر، وتحضر للمهن المتعلقة بالاقتصاد... والتكوين الذي تمنحه يكون الطلاب نحو مهن التسيير والإدارة في المؤسسات الصناعية والتجارية... ويسمح لهم تكوينها وشهاداتها بالمشاركة في العديد من امتحانات الدخول لإدارة وإلى امتحان خبير محاسبة.

ونظرا لكون هذه المدرسة فرنسية بشكل عام ، ومدمجة مع المدارس الفرنسية في نفس الاختصاص فإنها تتبع نفس النظام المتبع في هذه المدارس فيما يتعلق بامتحان الدخول، والمواد المدروسة، والاختصاص الإقليمي، وذلك أن كل مدرسة عليا للتجارة

(1) Di Constantino :une grande école au service de l'économie, l'écolesupérieur de commerce d'Alger, témoignagedocument de l'association des anciensélèves de ESCA.

(2) l'écolesupérieur de commerce d'Alger, Article de l'échod'Alger du 24 juin 1958.

من المدارس الفرنسية الأربعة عشر يمكنها أن تضيف مواد تراها ضرورية بالنسبة للناحية الموجودة فيها.

وتتمتع المدرسة العليا للتجارة في الجزائر بالاختصاص الشمال إفريقي وبقدرتها على استقطاب الطلاب من الجنسين وكذلك لم تأثر أعمالها بمجريات الحربين العالميتين كثيرا، وذلك عكس المدارس التقنية الأخرى.

وقد صدر مرسوم في الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية بتاريخ 19 ماي 1937م أعاد تنظيم مؤسسات التعليم العالي للتجارة المعتمدة من طرف الدولة وقد تضمن أساسا (1):

- توحيد نظام القبول
  - تقريب الاختلافات في نوعية الشهادات المحضرة
- فبالنسبة لنظام القبول جاء كما يلي:
- يملك حق الالتحاق بالمدرسة التلاميذ الحاصلين على الجزء الأول والثاني من البكالوريا، وكذلك التلاميذ الحاصلين على الأجزاء الثلاثة كاملة للأهلية العليا.
  - الطلاب الآخرين يتبعون مسابقة موحدة في كل من فرنسا والجزائر، ويحدد عدد الطلاب المقبولين من طرف الجهة الاقتصادية حسب الحاجة لكل سنة، والمسابقة نفسها ليست متاحة إلا أمام الطلاب الحاصلين على الجزء الأول من البكالوريا، أو على الجزئين الأول والثاني من الأهلية العليا، أو تابعوا السنة التحضيرية المفتوحة في المدرسة والتي يقبل فيها تلاميذ الثانويات أو الذين تابعوا التعليم الابتدائي العالي.

أما برنامج التدريس فيحتوي عدد من المواد التقنية وهي: المحاسبة والرياضيات والمالية، التكنولوجيا، النقل، والمواد القانونية، القانون المدني، القانون التجاري وتشريعات

(1) l'école supérieur de commerce d'Alger, L'ESCA : in Alegria et l'Afrique de nord illustré : revue mensuelle, aout- septembre 1938, édition de « OAAET » Alger 1938.

العمل، ومواد إجبارية أخرى كالاقتصاد السياسي والجغرافيا الاقتصادية ويتضمن البرنامج لغتين حيتين إحداهما الإنجليزية او العربية<sup>(1)</sup>.

وإضافة إلى هذه المواد الإجبارية في كل المدارس العليا للتجارة، يمكن لكل مدرسة إضافة دروس حسب حاجة المنطقة الموجودة فيها، وفي هذا الإطار تكيفت المدرسة العليا للتجارة في الجزائر مع واقعها، بإضافة المواد التي تراها ضرورية مثل: التاريخ، الجغرافيا، التشريع الكولونيالي في شمال إفريقيا، وهذا ما يشكل تميزها عن باقي المدارس المدارس العليا للتجارة في فرنسا<sup>(2)</sup>.

وتستقطب مدرسة الجزائر الطلاب من كل إفريقيا الشمالية، وقد وفرت لهم منزلا للطلاب "فندق خاص" بفضل المنح التي توفرها الولاية العامة، مدينة الجزائر والغرفة التجارية لأبناء الفئات المتواضعة ويسهر على تقديم الدروس العليا للتجارة في الجزائر أساتذة في المواد التقنية يتم توظيفهم بصفة دائمة، كما تستعير المدرسة أساتذة من جامعة الجزائر وثانويات الجزائر، وكذلك إطارات المقاطعة التجارية والغرفة التجارية لتدريس مواد تخصصهم، ومن أشهر أساتذة المدرسة نجد<sup>(3)</sup>:

- القانون التجاري، الأستاذ بول ميسر شميت المدير والأستاذ فردناد دريدا.
- التكنولوجيا: الأستاذ أندري برنارد
- تجارة الخمر: أرناسن برنارد
- القانون التجاري: فردناند دريدا
- اللغة الإنجليزية: إيفون دافينو
- الرياضيات المالية: مارسال سانت جون

(1) Alegria et l'Afrique du nord illustrée, op.cit.

(2) ibid.

(3) Di Constantino : l'écolesupérieur de commerce d'Alger, une grande école au service de l'économie, témoignage, document de l'association des anciensélèves, promo 1953.

- الإسبانية: السيد شوفالي
  - المراقب العام: السيد شوفالي
  - الجغرافيا: فاركيه (المدير من 1954-1962)
- وطاقم هذه المدرسة، يتغير بمرور السنوات وذلك باعتبار نظام إعادة الأساتذة المعتمد من طرف الإدارة، والطاقم أعلاه يعود إلى سنة 1951م، وذلك وفق شهادة طالب من دفعة 1953م هو دي كوستانزوا.
- وقد ذكر هذا الطالب عدد من قدماء الطلاب الذين أصبح لهم شأنًا في الحياة الاقتصادية الفرنسية في عالم البنوك، الصناعة النقل والعبور الدولي، مثل شيافتينو في النقل البحري وفيشان الذي ترأس الغرفة التجارية لباريس وسورنزون في تجارة الخمور.
- وبفضل التطور الحاصل في المناطق الأنجلوسكسونية ورغبة الإدارة الفرنسية في مواكبة التطورات الحاصلة، عملت على إحداث إصلاح عميق للتعليم التجاري وذلك ما عبر عنه مرسوم 03 ديسمبر 1947م، والذي أعاد تعريف المدارس العليا للتجارة كما يلي: (1) "هي مؤسسات تهدف إلى تكوين رؤساء المؤسسات المختلفة التجارية أو المالية، وكذلك الإطارات العليا في هذه المؤسسات أو المصالح الإدارية أو التجارية، وكذلك للمؤسسات الصناعية".
- ووفق هذا القانون أيضا، وضعت كل المدارس العليا للتجارة المعتمدة من طرف الدولة تحت نفس القانون، فبرامجها موحدة في السنة الأولى والثانية وفي السنة الثالثة يمكن لكل مدرسة اعتماد المواد الصالحة للجهة الموجودة فيها بحجم ساعي يساوي 07 ساعات من 27 ساعة.

---

(1) Paul Messerschmit: l'école de commerce d'Alger l'ESCA, une grande école au service de l'économie : in Alegria et l'Afrique du nord illustrée : revue mensuelle. Octobre 1951, N° 23, édition de « OAAET » Alger 1951.

فالمواد المشتركة وفق هذا القانون هي: المحاسبة والرياضيات المالية والقانون المدني والتجاري، الاقتصاد السياسي، الجغرافيا الاقتصادية، وتم بالاحتفاظ بإجبارية اللغتين الحيتين.

وقد سجلت مدرسة الجزائر تطبيقا لهذا القانون في برنامجها الخاص بالمواد المتعلقة بالاقتصاد الجزائري وهي: الاقتصاد الجزائري، القانون البحري، القانون الجبائي الجزائري، النظام السياسي والإداري للجزائر.

وقد تم اعتماد شروط موحدة لقبول الطلاب عن طريق المسابقة الموحدة مع أحقية الحاصلين على البكالوريا في التسجيل المباشر، وقد تم اعتماد معدل 20/11 كشرط للانتقال من السنة الأولى للثانية ومعدل 20/12 كشرط للحصول على الشهادة (شهادة المدرسة العليا للتجارة) التي يمنحها وزير التعليم الفرنسي.

كما تم توحيد امتحانات السنة الثانية والسنة الثالثة النهائية بين كل المدارس تضمنها مديريةية التعليم التقني، ويتم تصحيح أوراق الطلاب في باريس<sup>(1)</sup>. وبذلك أصبح هدف هذه المدرسة ودورها هو تزويد الطلاب بثقافة عامة تمكنهم من تسيير وإدارة الأعمال، وذلك تحت رقابة كتابة الدولة للتعليم التقني.

وتحتفظ المدرسة العليا للتجارة في الجزائر بخصوصية الإدارة فيها، فهي تدار عن طريق مجلس، رغم وجود مدير أو إذا صح التعبير مدير أعمال، فهذا المجلس المدير يتكون من: (2)

- رئيس المجلس: وهو رئيس المقاطعة الاقتصادية للجزائر.
- ممثل عن الحكومة العامة للجزائر
- ممثل عن عمادة أكاديمية الجزائر

(1) Messerschmit: op.cit.

(2) ibid.

- رئيس بنك الجزائر وبنك تونس
  - رئيس بلدية الجزائر
  - عميد كلية الحقوق لجامعة الجزائر
  - رئيس الكنفدرالية العامة للتجارة والصناعة
  - رئيس جمعية قداماء الطلاب
- ويشبه هذا المجلس مجلس جامعة الجزائر، ويتيح أيضا للحاكم العام فرض إرادته وسيطرته على هذه المدرسة.
- ويمول هذه المدرسة، الحكومة العامة، والمنطق (المقاطعة الصناعية) للجزائر وبنك الجزائر ومدينة الجزائر.
- ويلاحظ المدراء المتعاقبون على هذه المدرسة، توسع سوق العمل في الجزائر من سنة لأخرى وذلك بعدم قدرة هذه المدرسة على تلبية حاجات سوق العمل الجزائرية، ويعتبر ذلك مؤشرا على أهميتها ونجاحها.
- وفي أقصى سنوات مجدها لم تتمكن هذه المدرسة من تجاوز عتبة 200 طالب في كل الدفعات، فقد عرفت سنة 1938م: 170 طالب في كل السنوات، وانخفض هذا العدد سنة 1939م بسبب معطيات الحرب العالمية الثانية إلى 89 طالب منهم 52 طالب في قسم التحضيري، و23 طالب في السنة الأولى و14 طالب في السنة الثانية وتم خلال هذه السنة استدعاء 17 طالبا إلى خدمة العسكرية، وقد حافظت المدرسة على نشاطها خلال الحرب كونها مختلطة تظم الإناث والذكور ولم تتأثر بالتجنيد الي حد كبير<sup>(1)</sup>.
- ورغم ان هذه المدرسة ظلت مفتوحة منذ سنة 1900م، فإن عددا قليلا جدا من الأهالي المسلمين الجزائريون تمكنوا من الحصول على شهادتها وذلك كون الخريجين من

---

(<sup>1</sup>) Messerschmit: op.cit.

هذه المدرسة مدعوية لإدارة المؤسسات الاقتصادية الخاصة، ولشغل وظائف الإدارة العامة، وللبنوك وهذا ما لا يتقبله المعمرون الفرنسيون والإدارة الاستعمارية .

وحسب الإحصائيات المتعلقة بموسم (1939-1940) فإن عدد الخريجين في القسم العالي قد ضم "9" تسعة ناجحين للحصول على الدبلوم العالي للمدرسة العليا للتجارة، منهم إثنان أحدهما باسم عربي وهو كراي محمود وآخر باسم غربي ولقب عربي بوثلة مايغل يحتمل أن يكون الثاني أحد أبناء الأسر المختلطة، أم فرنسية أب جزائري، أما الأول فيمكن أن يكون تونسيا أو مغربيا أو جزائريا، والاحتمال الأضعف أن يكون جزائريا، لأن إدارة المدرسة كانت تغتم أبسط الأسباب لطرد ورفض الجزائريين ومثال ذلك أن الإدارة قد طردت من فوج السنة الأولى لموسم (39-40) ثلاثة طلاب بحجة أن مظهرهم ولباسهم غير مواكب للعصر ولتقاليد المدرسة وهي حجة واهية لإقصاء أكبر عدد ممكن من الطلاب والأهالي القادمين إلى المدرسة بجدارة وتفوق في المسابقة<sup>(1)</sup>.

وكذلك نجد في السنة الثانية لنفس السنة (1939-1940) طالبين بأسماء عربية وهما خنفيير مختار ولوناس محمد من دفعة بمجموع ثلاثة عشر طالب، فعملية الغربة الشديدة قبل الدخول إلى المدرسة وإثناء مزاولة التكوين لم تكن تبقى إلا خبرة الطلبة لذلك نجد في الإحصائيات، الطلاب الشمال إفريقيين دائما على رأس الدفعات المتخرجة وفي الأخير فإن طبيعة هذه المدرسة التي انطلقت بوصفها مدرسة خاصة ثم حصلت على الاعتراف من السلطات الاستعمارية، جعلها أكثر انغلاقا على الجزائريين، كما أن تخصصها وطبيعة التكوين الذي تمنحه لا يسمح للجزائريين لاحقا بالحصول على وظائف في سوق العمل الذي يسيطر عليه المعمرون الفرنسيون وكذلك انعدام رجال أعمال من الجزائر يمتلكون شركات إنتاجية أو خدماتية، توظف هؤلاء الخريجين.

(<sup>1</sup>) Messerschmit: op.cit..

ومن جهة أخرى فإن هذه المدرسة تمتاز بكونها مدمجة مع نظيراتها الفرنسية منذ حصولها على اعتراف الدولة سنة 1901م، وتخضع لنفس القوانين والتشريعات الفرنسية، ولا تمتاز إلا بخصوصيتها الجهوية كونها في شمال إفريقيا، تستقطب الطلاب من تونس والمغرب والجزائر، وتضيف بعض المواد المتعلقة بهذه الناحية كالتاريخ والجغرافيا والتشريع الشمال إفريقي والقانون الجبائي الخاص للجزائر وغيرها. ولعل ما يمكن ملاحظته من خلال التطرق لهذه المدرسة هو السيطرة الشبه تامة للمستوطنين الأوربيين وكذلك اليهود علي التجارة الداخلية والخارجية بأساليبها المعاصرة ولم يكن للأهالي الا الجزء اليسير منها ومن ارباحها وذلك ما يفسر حالة الفقر العام للأهالي

رابعاً: التعليم العالي للفنون (1881-1962):

تستند الفنون ولأسيما التشكيلية منها على رصد يتخذ من مقومات الأمة الأساس الأصيل للانطلاق والإبداع، وانطلاقاً من مقومات الإسلام والعربية ظهر لدى المسلمين فن المنمنمات، وكذلك تنوع الزخرف المتعلقة بالخط العربي التي ظلت تزين المساجد والقصور وغيرها من المنشآت والاماكن العامة .

ونظراً لأهمية الفنون في إبراز شخصية الأمة والإبحار في أغوارها، وتوثيق حاضرها وماضيها، فقد عمد الاستعمار الفرنسي في الجزائر إلى العناية بالفن وإنشاء مدارس للفنون الجميلة، البعض منها ظل مدارس خاصة لبعض الفنانين المشهورين الذين أنشئوا ورشات للتدريب وتكوين الفنانين والبعض الآخر أنشأته السلطات الاستعمارية مثل إنشائها للمدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر محاولة غرس الهوية الفرنسية للجزائر<sup>(1)</sup>.

ويعود تاريخ إنشاء أول مدرسة للفنون الجميلة في الجزائر إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث أنشأت أول مدرسة للرسم سنة 1843م سرعان ما أخذت طابعا رسميا سنة 1848م، بتحويلها إلى مدرسة بلدية لمدينة الجزائر.

وقد أنشأت المدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر، وفق مرسوم 08 نوفمبر 1881م، واتخذت من مسجد العشاش بشارع البحرية مقراً لها<sup>(2)</sup>.

ولقد كانت ظروف العمل والتدريس صعبة للغاية، في هذا المكان الذي يبدو غير ملائم لتعليم الفنون لافتقاره إلى الوسائل الضرورية والامكانيات اللازمة لتسيير مختلف ورشات التعليم؛ وهو في الأساس مسجد استقرت الإدارة الاستعمارية السكان بتحويله الي نشاط اخر.

(<sup>1</sup>) حول مدرسة الفنون الجميلة انظر الملحق رقم 14.

(<sup>2</sup>)Henri Klein : feuillets d'el djazair : tom1, Edition de tell, blida, 2003.

ولقد أثبتت التجارب أن الحاجة إلى تطوير الفنون تقتضي إشراك النخبة المحلية من الجالية الأوروبية خاصة، وكذلك من مواهب الأهالي التي تنتقي وتوجه لخدمة الأغراض الاستعمارية من للفنون الجميلة.

والغاية الأولى لإنشاء هذه المدرسة تمثلت في انجاز اللوحات الخالدة للجزائر والتي تعرض في المزادات ودور العرض في المتروبول، وتقدم الدليل على جمال الجزائر وعظمة فرنسا التي أصبح أمر وجودها في الضفة الأخرى واقعا ملموسا وتهدف هذه الأعمال الفنية أيضا إلى تنمية الذوق الفرنسي الأصيل وتنمية روح الجمال<sup>(1)</sup>.

اعتبر الحاكم العام شارل جوناك (1857-1927)، المدرسة الوطنية للفنون الجميلة، إضافة إلى المتحف الوطني للفنون الجميلة، منشآت ومؤسسات أساسية للاستعمار الفرنسي، ولذلك بذل جهودا جبارة لتشجيع الإنتاج الفني، وأنشأ المؤسسات اللازمة لإشعاع الثقافة الفرنسية، وبعض الفنون المحلية الأهلية، من متاحف وقاعات للعرض وخاصة فن الاستشراق الذي يتخذ من الطبيعة والإنسان في الجزائر موضوعا له. وقد شجع الإنتاج الثقافي والفني بالجوائز القيمة والمنح، كما شجع أيضا المعرض وورشات العرض الخاصة، والجمعيات والنوادي الثقافية، وهذه المنشآت الضرورية حسب جوناك تعيش من الفن وتجعله يعيش في نفس الوقت<sup>(2)</sup>.

عرف عهد الحاكم العام شارل جوناك، إرساء مؤسسات التعليم العالي في الجزائر وبعد أكثر من عشرين سنة من النشاط أصبح لرجال الثقافة الفرنسية والفن الاستشراقي مكانة في المجتمع وفي الدراسات، ويعود الفضل في ترقية نشاطها إلى الأستاذ جون أزار عميد كلية الآداب في جامعة الجزائر، ومحافظ المتحف الوطني للفنون الجميلة الذي

(1) Pouillon, op.Cit. p 190.

(2) Francois Pouillon : la peinture monumentale en Algérie un art pédagogique in : cahier d'études africaines, n141 , 1996, Vol, 36, pp, 189-190.

جعل الكثير من أساتذة المدرسة وطلابها اللامعين ملحقين بالمتحف الوطني للفنون الجميلة.

ويمكن للطلبة من ذوي المواهب والمهتمين بالفنون الالتحاق بالمدرسة دون اشتراط أي مسابقة للدخول، ولقد كانت أصول الطلبة مختلفة فمنهم الفرنسيين أصلا والفرنسيين بالتجنيس، وكذلك الإيطاليين والمالطيين، وقد تم ربطهم بطريقة آلية بالاستعمار الفرنسي الرسمي.

ونظرا لحساسية وخصوصية عالم الفن، وارتباطه الوثيق بنخب المجتمع، فقد أمكن قياس حيوية المدرسة وفعاليتها بمدى ارتباطها بالمجموعات الفنية المحلية كجمعية الفنانين المستشرقين، وجمعية الفنانين الفرنسيين، وكذلك بتأثيرها بمتحف الفنون الجميلة الذي يحتوي على معظم ورشات الأعمال الفنية.

وقد تمكن أساتذة وطلاب مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر من المشاركة في مختلف المحافل الدولية والمحافل الفنية في كل إفريقيا الفرنسية لانتمائهم للجمعية الوطنية للفنون الجميلة الفرنسية، وجمعية الفنانين الفرنسيين وكذلك جمعية الفنانين المستشرقين، فقد كانت دور العرض في باريس مفتوحة لأعمالهم دون تمييز. وعلى قدر المساواة مع الفنانين الفرنسيين في الميتروبول، وذلك ما مكنهم من تكريس مواهبهم التي استغلت وتم توجيه خطها في مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر (1).

وقد كانت الدروس في مدرسة الفنون الجميلة في الجزائر مجانية، ودون أي مسابقة أو شهادة كشرط للالتحاق، وقد كانت المدرسة تدرس المواد المتعلقة بالفنون الجميلة وهي الرسم، التلوين، والنمذجة، الهندسة المعمارية، علم التشريع، تاريخ الفن وكذلك الرياضيات والتصميم (2).

---

(1) voir : Marion Vidal-Blui, Alger et ses peintres 1830-1962, Edition paris, méditerranée, 2000.

(2) voir : Elisabeth Gazenove, les artistes de l'Algérie, Edition associations abd-latif...2004.

وقد فتحت المدرسة قسما للسيراميك خاص بالأهالي الجزائريين وهو قسم تحضري يمكنهم من القبول في كلية الفنون الجميلة في باريس ويسمح لهم أيضا بالانضمام إلى المدارس النورمالية الخاصة بتكوين المعلمين في الرسم. كانت المدرسة الوطنية للفنون الجميلة، المكان الرسمي لتعلم الفن، وتتبع توصيات أكاديمية الفنون الجميلة بباريس، وقد ضلت هذه التوصيات غامضة بالنسبة للمعلمين والطلاب على السواء لأنها تعمل على حرمانهم من التحدي والابتكار والتطور ومواكبة الأفكار الجديدة، التي جابت أوروبا وشمال إفريقيا، تلك الأفكار التي تتحدث عن الحرية الانعتاق، ونبذ الاستعمار<sup>(1)</sup>.

وقد ضل الفنانين المحايدون المهتمين بالمناظر الطبيعية في الجزائر، سواء كانت الصحراوية التي تعكس سحر وجمال الصحراء، أو تلك التي تتناول مناظر المدن الجزائرية، الساحات الرئيسية، المعالم، النساء، أو تلك المنحوتات التي تتناول قصة الخلق، أو حياة المسيح، أو الماضي اللاتيني هي الأكثر تقييما من الإدارة الاستعمارية وأكاديمية الفنون الجميلة، ولعل أكثر اللوحات جرأة هي تلك التي تتناول الحياة الأرستقراطية لبعض الأهالي المقربين من الإدارة الاستعمارية أو تلك التي تخدم الإتجاه الاستعماري العام.

أصبحت المدرسة أكثر نشاط من بين الحربين العالميتين بازدهار الفن وامتلاك الجزائر، لكل المؤسسات التي تشكل سوقا له، فقد بلغ عدد الطلاب سنة 1927م حوالي 400 طالب، وذلك رغم كونها ليست المكان الوحيد للتكوين الفني للجزائر، فقد وجدت أكاديميات خاصة ومزدهرة. ولكنها ليست في متناول الجميع مثل تلك التي أنشأها الفنان أنطوان دريات، لكن الأقبال على المدرسة ضل كثيرا حيث ضمت 300 تلميذ سنة 1952م، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حصلت المدرسة على قطعة أرض في أعالي

(<sup>1</sup>) Marion, op. cit.

تليملي قرب حديقة الحرية، وهي ملكية فيلا سفرين هوج مساحتها 10572م<sup>2</sup> على هضبة مطلة على البحر وقد أوكلت مهمة إنجاز مبنى المدرسة الجديد إلى المهندسين "ليون كلار و"جاك داريدا" وقد بدأت الأشغال نهاية سنة 1950م، وانتهت سنة 1954م، لتنتقل المدرسة إلى المقر الجديد الذي تشغله إلى يومنا هذا (1).

وقد تعرضت هذه المدرسة مثل مكتبة جامعة الجزائر إلى اعتداء ناسف عن طريق القنابل البلاستيكية الفسفورية من طرف منظمة OAS أتى على جزء هام من المبنى الرئيسي.

وتحتوي المدرسة على مكتبة ثرية نظم نفائس الكتب والمصادر التاريخية المتعلقة بتاريخ الفن في أوروبا، وكذلك التاريخ عامة وتاريخ أوروبا في العصور الوسطى.

والمدرسة الوطنية للفنون الجميلة لم يكن بوسعها تكوين المهندسين المعماريين خلال العهد الاستعماري بل أخذت تسمية المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية والفنون الجميلة وهدفها تكوين المهندسين المعماريين وكذلك فني الفن البلاستيكي، وقد تم نزع اختصاص الهندسة المعمارية منها خلال الإصلاح الجامعي سنة 1971م (2).

تم النظر إلى هذه المدرسة على أنها إحدى المؤسسات الاستعمارية الأساسية في الجزائر، وذلك كون رسالة الفن هي رسالة الأمة المنتجة له فمن خلال الفن يمكن التعرف على القومية أو الأمة أو الحضارة التي ينتمي إليها، وظاهرة الفن الاستشراقي التي اعتنقها معظم الفنانين في هذه المدرسة تدخل في سياق مترابط مع ظاهرة الاستعمار، فهي تستغل وتصور مواضيع تخدم الفن والإيديولوجيا الاستعمارية على حد

(1) Francois, la peinture monumentale en Algérie un art pédagogique, op.cit. p 190.

(2) ظلت المدرسة تستقبل الطلاب بدون أي شهادة، بما فيها البكالوريا بالنسبة للمهندسين المعماريين من سنة 1971م، ولذلك تم تحويل تخصص الهندسة المعمارية إلى المدرسة الوطنية المتعددة التقنيات في الحراش.

سواء، فميزة الفنانين المستشرقين الموجودين في الجزائر لا تكمن في العلوم والدراسات التي تلقوها عن الشرق عامة والجزائر خاصة، وإنما تكمن في وجودهم وجها لوجه مع هذا الشرق في ظل توجيه شبه كلي من أكاديمية الفنون الجميلة بباريس وإذا كانت نظرة المستشرقين عموما، تنطلق من دراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد لغزو الفكر الإسلامي، باعتراض قيمه وتشويهها وبالتالي الحيلولة دون اعتناقها بشكل واسع<sup>(1)</sup>، فإن نظرة وغاية فن الاستشراقي تسويق النفوذ والتغلغل الاستعماري في الأوساط الغربية عبر بوابة الجمال تصلح لتكون مادة تجميلية لوجه الاستعمار البشع.

وقد دعم المستشرقون الفنانون أعمال المشرقين، بتصوير الحياة الإسلامية على النحو الملائم لأغراضهم تلك المبنية على محاولة هدم الإسلام وأساسه وعقائده نفسيا وحضاريا، واتهام الإسلام بعرقلة حرية الفرد، والجمود والتحجر والتخلف ومن ذلك نبذ الإسلام للتصوير وتشدد في تحريمه فهو في نظرهم نبذ للفن بذاته<sup>(2)</sup>.

أكثر الفنانون الفرنسيون من لوحات النساء في الحمام، وعيون الماء والاحتفالات وفي المقابر، وغيرها، وذلك إسقاطا للأساطير والخرافات القديمة الشائعة حول المرأة الشريفة مفادها أن المرأة تتعرض للأذى إذا صورت<sup>(3)</sup>، وربما يبطنون وراء ذلك غايات خبيثة تستهدف عفة المرأة الجزائرية، وبالتالي استهداف استقرار ووقار المجتمع المسلم. وقد تداول على إدارة هذه المدرسة فنانين ونحاتين فرنسيين أهمهم:

(1) مغلي (محمد البشير)، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المشرقين وعلماء الغرب، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2002، ص 47.

(2) حجازي، (محمد عبد الوهاب)، الثقافة العربية ومستقبل الحضارة، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2000، ص 170.

(3) Dubreucq (Patrik), les orientalistes, AlexanderRoubtzolf, une vie Tunisie, volume 11, ARC Edition, Paris, 1996, p102.

- إيميل شارل لابي (1885-1881).

- هيبوست ديبوا (1885-1909).

- ليون كوفي (1909-1933).

- لويس فردناند انتوني (1933-1938).

- إيفان ألفرد لهو وبيار أوليفرين (1938-1962).

وقد تقلد منصب الأساتذة في هذه المدرسة بعض الفنانين من أصول جزائرية أهلية أشهرهم مصطفى بن دباغ<sup>(1)</sup>، وهو ابن عائلة تمتهن حرفة النحاس، وقد ترأس جمعية شمال إفريقيا للحرف من أجل حماية الفنون التقليدية العربية الإسلامية من الاندثار، وقد أنشأ ورشة خاصة للنحت والنقش على النحاس، وقد تولى تدريس الفن التطبيقي والديكور في مدرسة الفنون الجميلة، وقد شارك في عدة معارض دولية وخاصة معرض الفن الأصلي المنظم لأول مرة في الجزائر سنة 1937م، وكذلك في أول صالون في الفن البلاستيكي بعد الاستقلال سنة 1964م، وقد واصل عمله إلى غاية تقاعده سنة 1982م. وقد خلف الفنان الجزائري محمد كشكول (1882-1942) والذي عمل أستاذا في الفن التطبيقي المورسكي في غرفة الصناعات التقليدية قبل أن يلتحق بمدرسة الفنون الجميلة سنة 1932م<sup>(2)</sup>.

وكذلك نجد ممن درس بهذه المدرسة الفنان علي خوجة (1923-2010) وهو فنان منمنمات ورسام جزائري، أحد أحفاد داي الجزائر، وهو قريب الفنان محمد راسم أيضا، وقد حصل على منحة الولاية العامة رفقة يلس سيد، وعمر راسم وتمام وحماش وقد

---

(<sup>1</sup>)Mansour Abrous, les Articles Algériens, dictionnaire biographique, 1917,1996,Alger, Casbah édition, 2002.

(<sup>2</sup>)Evocation/ Mohamed KechkouL, appliqués (1892- 1942), la polette lue d'un Artiste in : Algérie confluences ; Mai 2016.

تفنن في أعماله الفنية علي المنمنمات وعين أستاذا للمنمنمات بمدرسة الفنون الجميلة الجزائر سنة 1961<sup>(1)</sup>.

حاولت الإدارة الاستعمارية استغلال واحتكار الحرف التقليدية الجزائرية، المنتشرة في أسواق المدن الكبرى، وذلك بتشجيع المعارض التقليدية وإقضاء التحف واللوحات وإدماجها ضمن الصناعات الفرنسية واعتبارها ملكا لها، لذلك اختارت أحسن الحرفيين والنقاشين على النحاس والخشب والزجاج، وأوكلت لهم مهمة تدريس الفنون التي يحصدها في المدرسة العليا للفنون الجميلة، وهي محالة لاستيعاب الفن الجزائري والحرف التقليدية الجزائرية في الاتحاد الفرنسي.

وفي الأخير وبعد استعراضنا في هذا الفصل لأهم مؤسسات التعليم العالي التقني، في مجال الفلاحة والصناعة والفنون التي أنشأها الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وهي مؤسسات التعليم العالي ما عدا الجامعة، نتناول في الفصل اللاحق علاقة إنشاء هذه المؤسسات باستراتيجية الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وخطته من أجل الهيمنة الثقافية التامة والاستغلال الاقتصادي الذي يتبعها ويكملها ، عن طريق توظيف المؤسسات العلمية وبالطرق والأساليب التي رآها الاستعمار ملائمة لأحكام سيطرته.

---

(<sup>1</sup>)Jean Senac : visages d'Algérie, Ecrit sur l'art, Paris, méditerranée, ALG, Edit, 2000-2002 , p 103.

**الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار  
(1879-1962): قضايا ومجالات.**

**أولاً:** التعليم العالي الاستعماري والتعليم العالي في المستعمرات.

**ثانياً:** التعليم العالي الخاص بالمسلمين الجزائريين.

**ثالثاً:** نخب التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار.

**رابعاً:** اهتمام التعليم العالي بالثروات الباطنية ضمن استراتيجية الاستعمار.

أولاً: التعليم العالي الاستعماري والتعليم العالي في المستعمرات الفرنسية:

أنشأ الاستعمار الفرنسي تعليماً عالياً في مستعمراته في الهند الصينية وفي إفريقيا الشمالية، وإفريقيا جنوب الصحراء، كما أنشأ أيضاً مؤسسات للتعليم العالي في المتروبول. تعنى بالعلوم المتعلقة بالمستعمرات، فلقد كان لفرنسا مستعمرات في البيئة الاستوائية، وفي آسيا، وفي البيئة الصحراوية، يعني ذلك مجالات جديدة للعلوم وتطبيقاتها وتقنيات خاصة تستوجب البحث وتطبيق العلوم على هذه البيئات العذراء في مكانها، والسؤال هنا هو لماذا هذه الازدواجية العلمية في إنشاء المؤسسات في المتروبول والمستعمرات؟ وهل لذلك علاقة باستراتيجيات الاستعمار في أزمنة وأمكنة متباينة؟ طالما أن الهدف واحد وهو خدمة ثراء وتوسع وهيمنة الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية على مستعمراتها.

وبالنسبة للتعليم العالي في المستعمرات، فقد أنشأت فرنسا في الجزائر سنة 1879 مدارس عليا للعلوم والآداب والحقوق، تبعا لتطور الاستعمار وضروراته بعد أن فرض تعليم الطب نفسه منذ البداية.

ولما أنشئت هذه المدارس لم يكن بإمكانها تقديم الشهادات، كذلك الكليات الموجودة في فرنسا نفسها، وذلك يعني أنها منشأة أساسا لتلبية احتياجات الجزائر المستعمرة فقط وفي أقصى تقدير مستعمرات في شمال إفريقيا، ويبدو أن طبيعة هذه النشأة مرتبطة بإرادة سياسية، تتمثل في عدم التسرع في منح استقلالية للتعليم العالي الجزائري<sup>(1)</sup>

كان الهدف السياسي لإنشاء هذه المدارس هو تمكين الطلاب من أبناء المعمرين من البقاء في الجزائر، لتجنبهم إمكانية الرحيل إلى باريس دون العودة، وهذا الهدف يتعارض مع هدف آخر وهو استراتيجية فرنسا الشاملة والتي تقتضي الارتباط أكثر بالوطن الأم، ولا يتم ذلك إلا بالسفر إلى باريس والاختلاط بأوساطها العلمية والأدبية ولعل هذا ما دفع بعض الطلاب من الأهالي المسلمين إلى مواصلة الدراسة هناك.

(<sup>1</sup>) Edward Gain: "les université et l'enseignement colonial" quinzaine coloniale. 10 décembre 1902.

ومن جهة أخرى فإن معارضة الكولون لمشروع جامعة، الذي أرادته باريس، جعل مسألة خلق جهاز للتغلغل و المراقبة الإيديولوجية يتأخر على أرض الجزائر.

قد ضل التعليم العالي محدودا في المستعمرات الفرنسية، ومنحصرا في بعض المجالات لا يتعدى التكوين الضروري المهني والتطبيقي، وفي هذا الإطار الضيق تم إنشاء بعض المدارس والجامعات في المستعمرات، منها جامعة الجزائر وبعض المدارس العليا، وبذلك تم إنشاء بعض المراكز الجامعية فقط في كل المستعمرات ومنها من تأخر إلى أواخر أيام الاستعمار، وهي جامعة الجزائر 1909، وجامعة هانوي 1907 بالهند الصينية ومراكز جامعية في تونس والسنغال.

والمدارس العليا الجزائرية تعرف من البداية بكونها مراكز لتدريس العلوم الاستعمارية، فقد صرح عميد أكاديمية الجزائر سنة 1880 قائلا: (1) "مدرسة الحقوق في الجزائر مكلفة بعرض جزئيات التشريع الجزائري، وتبريره وذلك للقول بالضرورة، وأيضاً لارتباطه بتقاليد شعب، ويجب أن تسير الأمور ليسود القانون الفرنسي وحده يوما، والشباب الخريج من مستعمرتنا ينتمي الي الإدارة، القضاء أو المكاتب العربية".

وانطلاقا من سنة 1889م، أصبحت مدرسة الحقوق في الجزائر تمنح شهادة الدراسات العليا للتشريع الجزائري، التونسي والمغربي، وشهادة لدراسات الحقوق الإسلامية والأعراف الأهلية (2).

وكذلك عملت مدرسة الآداب، على تقديم شهادات في اللغة العربية والبربرية ودرست الدين، الأعراف، الآداب، التاريخ، وعلم الاجتماع الخاص بالشعوب المستعمرة وكذلك جغرافية البلاد المستعمرة.

(1) Rapport Annuel de M. Bellin, recteur d'Alger. Le 23 Décembre 1880 cité par J. Mélea .op.cit. p 115.

(2) Jean Claude Vatin : science juridique et institution colonial, l'école de droit d'Alger (1879-1909), revue algérienne des sciences juridique, économiques, et politique N°4, 1983.

## الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962): قضايا ومجالات.

وقد واصلت جامعة الجزائر حال إنشائها اهتمامها بالعلوم الاستعمارية، فاستقطبت أساتذة ذوي شهرة كبيرة في باريس، مثل ستفان غزال، وروني موني، وجيروم كركوينو، ولويس جاري، وبذلك أصبحت المؤسسة الوحيدة فيما وراء البحار التي يمكن مقارنتها بالكليات البارسية التي تدرس العلوم الاستعمارية، ولعل الميزة التي شجعتها على ذلك هي كونها ذات أغلبية ساحقة من الأوربيين إن لم نقل خاصة بالأوربيين، فقد استقطبت 30 طالب فقط من أهالي المسلمين سنة 1910م و47 طالب سنة 1920م وفي نهاية 1930 كانت نسبتهم أقل من 5% من التعداد العام للطلاب (1).

ولقد وسعت جامعة الجزائر، اهتمامها بالعلوم الاستعمارية، فأنشأت أو أوصت بإنشاء المعاهد العليا التقنية الزراعية والصناعية، وكذلك أنشأت معاهداً تابعة لها المعهد المهمة بالعلوم الاستعمارية مثل معهد الطب لما وراء البحار، ومعهد الدراسات الصحراوية، وتميزت كلية الآداب بالدراسات الشرقية الاستشراقية وغيرها وذلك استجابة للدور المكلفة به وهو إنشاء كل المؤسسات اللازمة لدراسة المستعمرة، وبذلك قامت بإنشاء منظومة التعليم العالي الكولونيالي في الجزائر.

وتنظيم التعليم العالي ليس غريباً عن ارادة الحكومة في باريس، والولاية العامة في الجزائر فهو مساعد سياسي وإيديولوجي في خدمة الاستعمار وهي نظرة فرنسا الدائمة لتعليم العالي في مستعمراتها، ولقد تطور البحث الجامعي في إطار سوسيوثقافي ومؤسستي خاص، جاء أكثر تأثراً أو خدمة للايديولوجيا الاستعمارية المسيطرة.

ولا يمكن إهمال دور السلطات في فرض اتجاهات محددة فوزارة التعليم هي التي تختار الدروس وتوظف الأساتذة وتراقب التعليم، ويظهر جلياً أنها لا تبيح إنتاج

(1) Jacques Frémeux, les empires coloniaux dans le processus de mondialisation, paris p 225.

علم أو آداب أو فلسفة تمس بمصالحها، فالتعليم العالي حسب كميل رسلر هو جهاز إيديولوجي للمراقبة تستخدمه الإيديولوجية المهيمنة لتسويق أفكارها<sup>(1)</sup>.

يفهم الجميع، من أساتذة، وإدارة استعمارية، متمثلة في الولاية العامة، تدخل الإدارة السياسة في الحياة الثقافية وفي الإنتاج الثقافي، فالذي يبذوا لها غير عادي أو يضر مصالحها تلغيه أو تتجاهله، فالعديد من الأساتذة يشغلون في مكاتب الولاية العامة كمستشارين في ميادين اختصاصهم مثل الأستاذ بومال مستشار مصالح المناجم. يتعارض تدخل الإدارة مع تقدم العلوم والجامعة نفسها، فمؤسسة المندوبات المالية تتحجج بالميزانية لإبطال أي عمل أكاديمي معادي للإيديولوجية الاستعمارية، خاصة تلك الأفكار الخارجة عن النظام الاستعماري والتي يتبناها الجامعيون مثل الجمهوريون، ودعاة المساواة والعدالة، المشتغلين بين الفئات المشكلة للمجتمع الجزائري، والذين يعتبرون الدفاع عن تلك الأفكار دفاعاً عن قضايا عادلة فهم بذلك أعداء لمنظومة التحطيم الثقافي المدعم بالتطرف الاقتصادي.

و تبدو أهمية هذه المؤسسة -نقصد الجامعة- بالنسبة للمنظومة الاستعمارية وأيديولوجيتها واضحة جداً إذا ما استعرضنا دور بعض المعاهد في خدمة هذه الأخيرة؛ فباننتقالها من المدارس ذات الدور المحدود الي جامعة، تعززت مكانتها من أجل متابعة عمليات التوجيه الفكري أو القيادة الفكرية، ذلك أن العقل المحتل بالقوة وصل إلى فكرة الاحتلال بالعقل، وذلك يوضع آلياته للمهيمنة<sup>(2)</sup>.

ولو أخذنا -على سبيل المثال- دور كلية الآداب نجدها مشغولة بفكرة إفريقية اللاتينية، وهو أهم موضوع شغل النخبة المثقفة بالعمل على بعث إفريقيا عن طريق علم الآثار، النقوش الأثرية، وكذلك التاريخ وهذه الأطروحة كانت مشجعة من طرف السلطة السياسية، التي ساهمت في تمويل البحث الأثري، وحفظ الآثار، ونشر وثائق الأبحاث

<sup>(1)</sup>Camille Risler, la politique culturelle de la France en Algérie, les objectifs et les limites (1830-1962),harmottan, paris 2004, p 121.

(1) Risler, Op.cit., p 122.

الأثرية<sup>(1)</sup> التي تم في كلية الآداب لجامعة الجزائر، وتستغل هذه الوثائق كقاعدة من أجل إدماج الجزائر في الماضي الأوربي اللاتيني المزعوم.

ويستخدم التاريخ أو ينشأ تاريخ، وتم التركيز علي ما قبل التاريخ والتاريخ القديم لاستعادة الجزائر من الماضي السحيق قبل 1830، وإدخالها في تطور تدريجي لتقريبها أكثر من فرنسا.

ونظرية إفريقيا اللاتينية هذه ظلت تصنع الحدث لدى المؤرخين وعلماء الآثار المنحازين، الذين شكلوا بناءا صلبا، تمثل في أعمال غزال و، مثل الأطلس الأركيولوجي (1912) والتاريخ القديم لإفريقيا الشمالية والعصور المظلمة لإفريقيا وتم أيضا الاستعانة بالمتاحف من أجل إكمال البناء وكذلك مدارس الفنون، ومن جهة أخرى نجد هذه النظرية تضغط بقوة كبيرة من أجل إثبات لا تاريخية الجزائر العربية الإسلامية التي تسير في اتجاه مضاد للتطور؛ وهي حجة إلغاء هذه المرحلة التاريخية كونها لا تضيف شيئا للحضارة الإنسانية، فهي فترة مظلمة حسب هذا الخط الأيديولوجي.<sup>(2)</sup>

ولقد ركز هؤلاء، على عدم وجود هوية ثقافية ولا سياسية للجزائر قبل 1830م؛ متجاهلين لاي ماض وطني موحد؛ وتصطدم هذه النظرية بفكرة وحدة العالم الإسلامي، والثقافة العربية والإسلامية؛ لكنها تحاول تجاوزها زمنيا، وهو قفز على ثقافة الوحدة التي تميز الجزائر وانتمائها الى العالم العربي الإسلامي، لذلك ضيق و الاستعمار بإدارته على أفكار الإصلاح الآتية من الشرق، وعلى رحلات الحج. وكذلك ركز على تشويه مركزية الدولة العثمانية ورمزيتها ولو شكليا.

(2) Gabreil Esquer, la vie intellectuelle en Algérie, simoun 6eme année, nouvelle série n°26, 1957, pp 1-65.

(2) قامت الإدارة الاستعمارية ببناء منظومة ثقافية متكاملة تتمثل في المتاحف والمعاهد وإدارة علم الآثار، والجمعية التاريخية، لإرساء فكرة إفريقيا اللاتينية.

## الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962): قضايا ومجالات.

كانت الإدارة الاستعمارية تستحسن هذه الأعمال - الخدمة - التي يقدمها هؤلاء فقدمت الدعم في أكثر من مناسبة للجمعية التاريخية الجزائرية التي ترأسها لوسيانى "luciani" 1926، وهو مدير سابق للشؤون الأهلية والذي تلقى دعما ماليا من الحاكم العام الجنرال فيوليت سنة 1926م<sup>(1)</sup>

تريد هذه الجماعة من الأثريين والباحثين في جامعة الجزائر ومعاهدتها تأكيد إفريقيا الرومانية، من خلال نتائج البحث التي تجد فيها فرنسا العناصر التي تبني عليها شرعنة الاستعمار، ولا تتوانى في تقديم الدعم الكامل لها، ففي سنة 1927 دعم الحاكم العام أبحاث "باسمارد" حول " تطور الإنسان في الحوض المتوسط" فقد حصل علي غلاف مالي قدره 10.000 فرنك؛ ولم تكف السلطات الفرنسية بالتدخل في الدراسات اللاتينية ، بل وجهت أيضا دراسات العلوم، الطب والحقوق نحو حل المعضلات التي تواجهها، أو تلك الأبحاث والدراسات التي تواكب وتخدم مشاريعها المستقبلية.

وإذا أردنا التأكيد على إستراتيجية الاستعمار من خلال توجيه التعليم العالي في الجزائر فإننا قد نحتاج إلى استعراض المشروع الجامعي الفرنسي خارج الجزائر فالمشروع الجامعي الفرنسي في الهند الصينية أين أنشأ بول بو Paule Beau في هانوي سنة 1907 م جامعة تتكون من ثلاثة فروع هي الآداب، العلوم والحقوق وذلك بأهداف سياسية تتمثل في محاربة الأفكار الوطنية وانتشارها بين الشاب المحلي تلك القادمة من اليابان معقل سياسة آسيا للأسويبين، والقطب الآسيوي المؤثر.<sup>(2)</sup>

ولكن هذه الجامعة سرعانما أغلقت أبوابها بسبب نقص الإرادة السياسية بعد عام من افتتاحها، ولاستمرار سبب وجودها فقد عاودت الافتتاح سنة 1916م لاستعادة النخبة المثقفة من الجامعات اليابانية.

(2)Risler. Op.cit., p 124.

(1) Piere Singaravelou : l'enseignement supérieur colonial, histoire de l'éducation N°122 .2009.

## الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962): قضايا ومجالات.

ولهذا الغرض دائماً واصلت الإدارة الاستعمارية توسيع الجامعة، وقد رفضت الحكومة أقسام الآداب والعلوم طيلة الفترة ( 1919-1941) إلى غاية صعود حكومة "فيشي" التي أسست سنة 1943م كلية العلوم، ومدرسة الهندسة المعمارية وتختلف هذه الجامعة أيضاً عن جامعة الجزائر بكونها موجهة للأهالي بشكل كلي عكس جامعة الجزائر الموجهة للفرنسيين وبعض الأهالي المسلمين .

وبالنسبة للتعليم في تونس، فقد تمثل في كلية الدراسات العليا التونسية المطلق بأكاديمية باريس، المنشأة سنة 1945م.

تحتوي هذه الكلية على أربعة أقسام للعلوم، وعلم الاجتماع والتاريخ والحقوق والإدارة والاقتصاد، والفلسفة واللغات، وهي الجامعة التونسية التي أنشأت سنة 1960م، وتنظم طلاب أوروبيين وتونسيين بنسب متقاربة.<sup>(1)</sup>

والتعليم العالي في تونس جاء في فترة متأخرة، فرضتها الضغوط السياسية لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وبداية التنازل في ظل موجات التحرر ومن ثم استرخاء السياسات الاستعمارية.

أما في السنغال " داكار" فقد بدأ التعليم العالي في قسم الرياضيات الخاص في ثانوية فان فلهوفن سنة 1947 م ثم الفيزياء سنة 1948م إضافة إلى الكيمياء والوسولوجيا، وسنة من بعدها تم فتح فروع الحقوق والآداب HED وفي سنة 1950م، أنشأ معهد الدراسات العليا في " داكار " والذي شكل النواة الأولى لجامعة السنغال 1957م وقد استقطب طلاباً بأغلبية أفريقية بغرض تكوين مساعدين محليين.

وقد أوجدت فرنسا معاهدا متخصصة في المناطق تحت السيطرة الفرنسية مثل

المدرسة الفرنسية لاثينا ( 1846) والمعهد الفرنسي لعلم الآثار في القاهرة 1880

<sup>(1)</sup>Kmar Kchire bandana, l'institut des hauts études de Tunis 1945-1950, la Tunisie de l'après-guerre (1945-1950) Tunis institut supérieur d'histoire des mouvements national, 1991, pp 109-132.

والمعهد الفرنسي في دمشق ( 1922-1928) والمعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء سنة 1926م.

كما تم أيضا فتح فروع لمعهد باستور في كل المستعمرات الفرنسية بين (1891-1951)؛ كما توجد أيضا معاهد متخصصة في العلوم الاستعمارية في فرنسا نفسها أهمها:

- المعهد الكولونيالي بجامعة بوردو.
- معهد الطب الكولونيالي بجامعة باريس.
- المدرسة العليا للفلاحة الاستعمارية في ناجو " nageut "

ويمكن ملاحظة الفروق الموجودة بين مؤسسات التعليم العالي الكولونيالي في المستعمرات والمعاهد الكولونيالية في المتروبول من خلال نوعية التدريس والشهادات المقدمة، فشهادات المدارس الكولونيالية المتروبوليتانية تمكن من العمل في كل الإمبراطورية الفرنسية بما فيها فرنسا نفسها وتحضي بالاعتراف؛ أما غالبية شهادات التعليم العالي في المستعمرات فإنها لا تطبق إلا في تلك المستعمرات وفي أحسن الأحوال في الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية.

وتعنى برامج التعليم في المعاهد الكولونيالية المتروبوليتانية بكل العلوم المتعلقة بالمستعمرات الفرنسية، فيها تقتصر دراسات التعليم العالي في المستعمرات على تلك المستعمرات.

ورغم كون جامعة الجزائر، ومؤسسات التعليم العالي في الجزائر تشكل الشذوذ كونها مؤسسات في عمق إستراتيجية الاستعمار تحضي مهمة سياسية وثقافية وحضارية، إذ يعول عليها في فرنسا الجزائر، رغم كون الأغلبية الساحقة لطلابها من المستوطنين الفرنسيين، ولا تستقطب إلا عدد قليل من الجزائريين المؤمنين بالفرنس؛ فالتكوين العالي في المستعمرات يختلف عن التكوين العالي في العلوم الاستعمارية في فرنسا نفسها في المضمون والهدف.

### ثانيا: التعليم العالي الخاص بالمسلمين الجزائريين:

يوشي الينا تعبير تعليم عال خاص بالأهالي المسلمين، بتوجيه أذهاننا مباشرة إلى معاهد عليا، أو جامعات أنشأتها الإدارة الاستعمارية بشكل خاص لتكوين الأهالي الجزائريين، خاصة وأن مسألة التمييز بين الفئات المشكلة للمجتمع الجزائري كانت موجودة في مستويات أخرى، ومنها التعليم الابتدائي، حيث أنشئت الإدارة الاستعمارية المدارس الثلاث<sup>(1)</sup>، والتي اختلف الباحثون في تحديد مستواها بين الثانوي والمتوسط وقد انتهت فعلا إلى مدارس ثانوية سميت الفرانكو-اسلامية، لكنها احتوت أيضا على قسما عليا حولته الإدارة الاستعمارية إلى المعهد العالي للدراسات الإسلامية، وعليه يطرح السؤال التالي: هل يمكن اعتبار المدارس الشرعية الثلاث تعليما عالي موجها للمسلمين؟ وإذا كانت كذلك؟ لماذا لا يمكن دبلومها الخريجين من وظائف مكافئة لتلك التي يتولاها خريجوا الجامعات؟ ولماذا يتوجه طلابها إلى المدارس النورمالية لمواصلة الدراسة، رغم أن هذه الأخيرة لا تحضر إلا شهادة الأهلية العليا المعادلة للكالوريا والتي تسمح بمواصلة الدراسة الجامعية؟ ولماذا يقوم الطلاب المسلمين بهذه المسيرة الطويلة التي تنتهي في الأخير إلى إحدى المعاهد الجامعية لجامعة الجزائر أو الجامعات الفرنسية، إذ أمكن لهم مواصلة التعليم طبعا؟.

تكاد تجمع البحوث التي تناولت موضوع التعليم الفرنسي في الجزائر أن الاستعمار الفرنسي قد حطم النظام التعليمي التقليدي الذي كان موجودا في الجزائر بتحطيم نظام الأوقاف الموجود وتضييق نشاط المساجد والزوايا، ثم جاءت محاولات إرساء نظام تعليمي فرنسي في كل المستويات.

<sup>(1)</sup> المدارس الثلاث أو المدارس الشرعية الثلاث أو المدارس الفقهية ويسميتها الفرنسيون "les Medarsas" لإضفاء الطابع الإسلامي التقليدي عليها.

(2)P, Horluc : l'ouvre français pour l'enseignement des indigènes en Algérie (1830-1930), bulletin de l'enseignement de indigènes N°284.

واعترف السيد كومب في تقرير رفعه لمجلس الشيوخ في 02 فيفري 1892م بوجود نظام للتعليم العالي قبل الاحتلال قائلًا: (1) "كان التعليم العالي يشمل في أرض الجزائر جمعا كبيرا من الناس المتعطشين للعلم والمعرفة يجلسون حول شيوخ علماء، محترمين لا يتلقون عندهم علوم الشريعة وقوانينها فحسب، بل يتلقون أيضا علوم الرياضيات والأداب، فكانت نتيجة انتصار أسلحتنا أن تفرق الشيوخ والطلبة واطمحل التعليم العالي".

واهتدت السياسة الاستعمارية في العهد الإمبراطوري، بان أمرت الإدارة الاستعمارية بالعمل على احتواء هذا النمط التقليدي من التعليم العالي، وذلك بتأسيس مدارس عربية إسلامية في الحواضر الكبرى للجزائر، وفق قرار إمبراطوري صدر في 30 سبتمبر 1850م في المدينة وتلمسان وقسنطينة وقد نقلت مدرسة المدينة إلى البلدية (2)، ثم إلى العاصمة.

وإذا كان لا يهمننا، في هذا المقام تتبع تاريخ هذه المدارس، بقدر تحديد هويتها العلمية، فإن هذه المدارس قد تعرضت إلى سلسلة من التحديثات والتعديلات في مراحل مختلفة، تعلقت بالجوانب المالية كالتمويل، والجوانب البيداغوجية، وشروط قبول الطلاب ومجالات توظيفهم وغيرها. ومن اهم هذه القوانين نجد (3):

- مرسوم 13 سبتمبر 1870 الذي حدد مجال نشاط الخرجين.
- مرسوم 18 فيفري 1876 الذي حدد النظام الداخلي والإداري والصحي، والرقابة العسكرية ومجال التوظيف للخرجين.
- مرسوم 29 جويلية 1876 (الحاكم العام شانزي) ويهدف إلى إقامة رقابة سياسية على المدارس.

(1) أحمد توفيق ، كتاب الجزائر ، المرجع السابق، ص 300.

(2) تحويل مدرسة المدينة إلى البلدية وفق مرسوم وزاري 17 جانفي 1855م.

(3) حول هذه المراسيم أنظر الملحق رقم: 2.

## الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962): قضايا ومجالات.

- مرسوم 07 مارس 1877 الذي اعتبر هذه المدارس مدارساً علياً للتربية الإسلامية، وحدد مقاعد التدريس الأساسية بـ ستة مقاعد ثلاثة للفرنسيين وثلاثة للجزائريين (الأهالي)، هي على التوالي (اللغة الفرنسية، الحساب، الهندسة) والتحرير الإداري والعقود الشرعية و (النحو الأدب، الفقه، الشريعة والتوجيه)
- مرسوم 23 جويلية 1895م وهو أهم المراسم لأنه أنشأ في مدرسة الجزائر، قسماً عالياً، وحدد شروط القبول في هذه المدارس بـحيازة شهادة التعليم الابتدائي، الفرنكو-إسلامي وحدد الدخول والتسجيل عن طريق اجتياز مسابقة وحدد مدة الدراسة في القسم العالي سنتين، وقد حددت المادة الخامسة منه المواد المدرسة في القسم العالي وهي:
- علوم الدين الإسلامي والتفسير.
  - الشريعة الإسلامية ومصادرها.
  - الأدب العربية (البلاغة والمنطق)
  - تاريخ الحضارة الفرنسية.
  - مبادئ القانون الفرنسي والتشريع الجزائري.
- قرار جول كامبون 29 جويلية 1895م الذي نص على أن الإدارة (إدارة الولاية العامة) لا توظف إلا الخريجين من هذه المدارس في القضاء، الديانة الإسلامية.
- تتوج الدراسة في القسم العالي بدبلوم الدراسات العليا للمدارس العليا التي لا تحتوي سوى الأدب والشريعة باللغة العربية والباقي بالفرنسية؛ فالخريج لا يتلقى سوى مجال تخصصه والغاية من تعليمه بالعربية لأن عمله سيكون بين الأهالي المسلمين.
- وقد خصص هذه القسم لعناصر تحضي بثقة الإدارة، وذلك لتكوينهم لأجل وظائف تعتبر سامية مثل القضاء والتي لا يمكن أن يتولاها الفرنسيون لجهلهم بالشريعة الإسلامية<sup>(1)</sup>.

(1) سعد الله، أفكار جامعة، م و ن ت، الجزائر 1988، ص 71.

يتضح من خلال سلسلة القوانين التي تعرضت لها المدارس الأهمية الكبيرة التي أولتها لها الإدارة الاستعمارية، كما تعبر هذه القوانين من جهة أخرى عن المشاكل التي واجهتها هذه المدارس فيما يتعلق بمستواها التعليمي، وكذلك طريقة تمويلها ونظامها الخاص، فقد كانت قوى المعمرين المناهضة لهذا النوع من التعليم تعمل على إفشالها<sup>(1)</sup>، كونها لا تفهم سلوك الإدارة المتناقض في محاربة اللغة والدين الإسلامي من جهة، وتشجيعه رسمياً من جهة أخرى بإبقائها على هذه المدارس، فالحقيقة هي أن هذه المدارس هي مؤسسات إستيعاب، في طريق مؤسسات التعليم العالي الإسلامية المجاورة كالزيتونة في تونس والقرويين في المغرب وحتى الأزهر، وكذلك تعمل على تخريج ما تحتاجه الإدارة الاستعمارية لإدارة الشؤون الأهلية والقضاء الإسلامي، لذلك قال راندون حولها<sup>(2)</sup> "فمن هذه المدارس يتخرج الموظفون الإداريون والقضاة وبكلمة أهم الشخصيات والعناصر التي لها تأثير على السكان حتى لا يفلتوا من قبضتنا".

ولقد ضلت هذه المدارس تحت الرقابة العسكرية والمدنية ورقابة الحاكم العام وقد شجعت استقطاب الطلاب بالمنح، والهدف هو تحيد مزاحمة تعليم الطرق الصوفية وتكوين الكوادر الأهلية، واستيعاب التعليم، وكذلك استيعاب الإسلام وفق النظرة الفرنسية الاستعمارية أو محاولة تسويق إسلام جزائري يرضي فرنسا<sup>(3)</sup>.

(1) حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 1999، ص 64.

(2) حلوش، المرجع نفسه، ص 60.

(3) توران، المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، مرجع سابق، ص 247.

## الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962): قضايا ومجالات.

ولم تمنع الإدارة الفرنسية بأن يدير هذه المدارس مسلمين، فقد أسندت إدارة مدرسة قسنطينة إلى محمد الشاذلي القسنطيني، ومدرسة الجزائر إلى أحمد بن البشير، ثم إلى حسن بن بريهمات.

وبعد مرسوم 06 أوت 1895م الذي نظم هذه المدارس من جميع النواحي حيث حاول قطع الطريق أمام منتقديها وأنشأ فيها قسما عاليا تأكيداً على ضرورتها وأهميتها بالنسبة للإدارة الاستعمارية<sup>(1)</sup>.

ورغم الرهان الكبير للإدارة الاستعمارية على هذه المدارس فإن عدد الطلاب فيها ظل قليلاً، فلم تسجل المدارس سوى 155 طالب الموسم (1897-1899) منهم 120 طالباً نظامياً، و07 طلاب في القسم العالي في السنة الأولى و08 في السنة الثانية.

وقد حدد مرسوم 23 جويلية 1895 رغبة الإدارة في بناء المدارس وفق الطراز العربي الإسلامي الأندلسي، فقد بنت المدرسة الجزائرية سنة 1904م وسميت بالثعالبية نسبة للعالم الجليل سيدي عبد الرحمان الثعالبي (1385-1471) ومدرسة تلمسان سنة (1905) وقد ضلت مدرسة قسنطينة في الكتانية حتى سنة 1908م.

وقد قام الحاكم العام شارل جوناك في ظل سياسته الأهلية التي تعتمد على ضمان الحد الأدنى من الثقافة العربية الإسلامية للحد من تنامي نفوذ الكولون، وضمان الرقابة وهيمنة الإدارة الاستعمارية، وتأكيداً منه على أهمية هذه المدارس، قام بعدة تعديلات على المدارس بين (1900-1903) و(1903-1911) ثم (1911-1919) حيث حاول رفع مستوى المدارس وأهل طلاب القسم العالي للتدريس فيها<sup>(2)</sup>.

(1) CH, ROBERT AGERON, les algériennes musulmans et la France (1871-1919) tom1 puf 1968, p338.

(2) حسب ألفريد ميل مدير مدرسة تلمسان فإن هذه الإجراءات جاءت لتكوين لجنة متقفة من هؤلاء الخريجين من المدارس الإسلامية الحكومية أي طبقة قيادية بعيدة عن كل تفكير ارسنقراطي، وأي أحكام شبه دينية حمقاء، أنظر CH, R AGERON, op, cit, p 325.

وقد ألحق بالمدرسة قسما تجاريا، يعلم مبادئ بسيطة في العلوم التجارية تحت وصاية الغرفة التجارية، وذلك بالموازاة مع إنشاء المدرسة العليا للتجارة التي لم يشأ المعمرون أن يرتادها المسلمون.

وتقدم المدرسة أيضا دروسا في الصحة، أورد سعد الله أن بعض الأساتذة الأطباء مثل الدكتور مرسلي في قسنطينة، وبريهمات في الجزائر هم من تولوا تقديم هذه الدروس<sup>(1)</sup>. وتسمح الشهادة العليا لمدرسة الجزائر بممارسة مهنة باش عدل ورئيس عدول وقاضي موثق، ومفتي، ومدرس بالمسجد أو المدرسة.

وقد شكل طاقم التدريس، من عناصر متناقضة من المستشرقين، ورجال النهضة والإصلاح في الجزائر، يعينهم الحاكم العام وليس عميد الأكاديمية، فمن أشهر أساتذة المدرسة نجد عمر بريهمات، عبد الحليم بن سماية، السعيد بن زكري، في الجزائر، والمولود بن موهوب، وعبد القادر المجاوي، وأحمد البشير ونجد أيضا المستشرق جورج مارسه، وألفريد بيل، وإيميل فلкс غونته، أورد ميرانت (مكلف بالشؤون الأهلية بالولاية العامة) أما مستوى الدراسة في هذه المدارس فقد تحسن ويمكن لطلابها الدراسة في كليات جامعة الجزائر وقد نجح بعضهم في الحصول على الليسانس<sup>(2)</sup>.

وهذا معاكس لتقرير جون مير مدير التعليم في تقرير له عن المدارس نشر في ديسمبر 1894 "إن هذه المدارس لم تعط النتيجة التي كانت تتوقعها الحكومة منها وذلك نظرا لقصر سنوات الدراسة وانحطاط مستوى التعليم".<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1830-1954)، ج3، ص 387.

<sup>(2)</sup> حلوس، المرجع السابق، ص 255.

<sup>(3)</sup> أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص 300.

وقال لارشي أيضا "إن هذه المدارس تعتبر تابعة للتعليم العالي إذا راعينا بعض العلوم التي تلقى بها، وتعتبر من مدارس التعليم الابتدائي من حيث درجة الطلبة العلمية، ومن حيث المرتبة الضئيلة جدا للعلوم العصرية بها"<sup>(1)</sup>.

وحول مستوى هذه المدارس فقد اعتبرت تقارير المستوى أن هذه المدارس يعتبرها الفرنسيون كليات فرنسية اسلامية، أهلية، فهي تعليم عال اسلامي، وتعليم ثانوي فرنسي. يبدو أن "التقارير السابقة توضح إستراتيجية الاستعمار، المبنية على التفرقة بين أنظمة التعليم، الموجهة للمستوطنين الفرنسيين والموجهة إلى الأهالي المسلمين، فقد أرادت الإدارة أن تكون هذه المدارس المؤسسات التي تستقطب تلاميذ المدارس العربية، وهي أحد أفاق التعليم الموجه للجزائريين لتوظيفهم في النهاية في المصالح المتعلقة بالأحوال الشخصية للمسلمين وفق العقلية الاستعلائية الاستعمارية دائما .

وقد كان القسم العالي لهذه المدارس، يمنح دبلوم الدراسات العليا للمدرسة للتفريق بين الشهادات الفرنسية والشهادات الأهلية المتعلقة بالتعليم العالي ، التي لا تعتبر صالحة إلا في المجالات التي يحددها القانون، وفي نطاق ضيق في الجزائر فقط.

وقد ضل عدد طلاب هذه المدارس قليلا جدا أيضا، فقد قدر عددهم باجرون<sup>(2)</sup> سنة 1930 و بـ180 ثم 168 سنة 1933 و 175 سنة 1936.

وحول واقع المدارس قال أحمد توفيق المدني<sup>(3)</sup>: "إنه لعار عظيم على إدارة الجزائر". وأقول هذا خدمة للعلم لا استنفاص منها، أن ينحط التعليم العالي الإسلامي فيها إلى هذه الدرحة التي كاد يضمحل معها، وما هي قيمة 140 طالب وسط 6 ملايين

<sup>(1)</sup> أحمد توفيق، المرجع السابق، ص 300.

<sup>(2)</sup> Ageron, op, cit, p 326.

<sup>(3)</sup> أحمد توفيق ، المرجع السابق، ص 303.

من الشبان بينما نجد جامع الزيتونة زاده الله عمراننا ونورا يشمل وفروعه ما يزيد عن الثلاثة آلاف نسمة لشعب لا يتجاوز مليونين".

لقد قدم توفيق المدني أنتقاده للإدارة ولواقع التعليم العالي الإسلامي وحاول أن يتحجج بأن الطلاب يقصدون تونس لقيمة العلم نفسه واقتراح إصلاحه، والغريب أنه كان يعتبر هذه المدارس مدارساً للتعليم العالي الإسلامي.

قامت الإدارة الاستعمارية بتحويل القسم العالي التابع لمدرسة الجزائر سنة 1946 إلى المعهد العالي للدراسات الإسلامية لإعداد المدرسين ورجال الدين وبلغ عدد طلابه سنة 1950 تمام 289 طالبا وقد تم الاستغناء عن المدارس لاحقا فقد حولت إلى ثانويات سميت الثانويات الفرنكو-اسلامية سنة 1951<sup>(1)</sup>.

إضافة إلى الأهداف السابقة الذكر لإنشاء هذه المدارس - فإنها مدعوة أيضا لملئ الفراغ الموجود بين المدارس العربية الابتدائية والمراحل المتوسطة والثانوية، ثم الدراسات العليا، لذلك اعتبرت في المستوى المتوسط وفي أحسن الأحوال في المستوى الثانوي، وأنتهى بها المطاف إلى ثانويات.

لعبت هذه المدارس دورا هاما في استيعاب نتائج تجربة التعليم الفرنسي للجزائريين الأهالي، والذين لم تكن الإدارة الاستعمارية ترغب في استقبال أعداد كبيرة منهم في معاهدها وجامعاتها. والمتخرجين من هذه المدارس يمكنهم إما الالتحاق بالوظائف المحددة لهم في القضاء والدين الإسلامي أو التدريس بالنسبة لطلبة القسم العالي .

كما يمكن لخريجي هذه المدارس الالتحاق بالمدارس النورمالية لتكوين المعلمين ثم العودة مجددا إلى التدريس أو إكمال الدراسة الجامعية والحصول على اللسانس.

(<sup>1</sup>) Ageron: Histoire de l'Algérie contemporaine (1871-1964) tom II, BUF, paris, 1979, p536.

وقد أنشئت المدرسة النورمالية وفق قرار 04 مارس 1865م، ثم الأمرية الوزارية المؤرخة في 03 أوت 1866<sup>(1)</sup> وقد كانت تسمى المدرسة بلفظ الجمع "المدارس النورمالية لبوزريعة" لأنه كان عليها أن تجمع وتوحد بين ثلاث مدارس كانت إلى عهد بعيد، تتميز كل منها عن الأخرى بنوعية الطلبة، أو بالأحرى أصول التلاميذ، برامج التكوين، ونوعية الحياة، ثم نوعية الجالية المدعويين لممارسة مهنة التعليم في صفوفها. كانت الأساليب السياسية وخاصة القوانين التي تحكم كل جالية من تلاميذ المدرسة، تفرض هذا التمييز والفصل الدراسي والذي ميز سياسة التعليم طوال المدة الممتدة من الاحتلال إلى غاية ما بين الحربين.

وذلك كون الجزائريون الأهالي يخضعون لنظام تعليم خاص "المدارس الفرانكو اسلامية" وعلى نطاق ضيق، واغلب رواد المدارس الأهلية في أحسن الأحوال ينقطعون في القسم الابتدائي، ما عدا بعض المتجنسين ومرد ذلك لخضوع الجزائريين لقانونه الاندجينا، فهم لا يتمتعون بنفس حقوق الأوروبيين والمعمرين أيضا<sup>(2)</sup>.

ولذلك أنشئ بالمدرسة النورمالية القسم النورمالي الاهلي منذ 1891م، والذي أصبح المدرسة النورمالية الأهلية، وكذلك القسم الخاص الموجه لتكوين التلاميذ القادمين من فرنسا من أجل التعلم في الجزائر "les sectionnaires" بعد نقلها إلى بوزريعة سنة 1880م، ولقد كانت نسبة التلاميذ الأهالي الجزائريين إلى الأوروبيين محددة بـ ثلث المجموع، ولقد تم تخصيص قسم تحضير في المدرسة للجزائريين أيضا بحجة ضعف مستواهم وكلها عراقيل مفتعلة رغم أن مديرها كتب في تقديره النهائي للسنة الأولى لعلمها قائلاً<sup>(3)</sup> " هي المخبر الذي يصنع الأسلحة الأكثر فعالية بالنسبة للاحتلال والتأمين النهائي للمستعمرة"

(1) Emie Duby, histoire illustrée des écoles normales d'instituteurs d'Alger, bouzaria, f. fontano, Alger, p12.

(2) Duby, op.cit, p14.

(3) Duby, op.cit, p14

ورغم هذا الاهتمام الدور الكبير والدور الذي لعبته المدرسة في إنتاج المعلمين وبعض الإداريين الممتازين والضباط والمترجمين ليس للجزائر فقط ولكن لكل افريقيا الفرنسية فإن التعليم الذي كان تقدمه لا يرقى ليكون تعليما عاليا، علي الاقل بالنسبة للقسم الاهلي وعلي الاكثر لعموم المدارس النورمالية وفروعها فهي تمزج بين المعارف الضرورية في الطب والحرف والثقافة والزراعة والمناهج المعتمدة في التدريس الابتدائي، والمعارف الضرورية لذلك، فقد كان الفرنسيون يتلقون دروس في التأخراف وتدريبات عسكرية ودروس في إدارة البلديات وغيرها<sup>(1)</sup>، فقد كونت هذه المدرسة سادة فرنسيين ومساعدين أهليين، سواء في التعليم أو في الإدارة والخدمة العامة.

وقد قامت هذه المدارس أيضا باستقطاب أحسن العناصر الأهلية، لأن التعليم كان يعتبر الوظيفة الحكومية النبيلة الوحيدة في الجزائر المتاحة للاهالي المسلمين ، وقد استقطبت بذلك مخرجات المدارس الفرنسية الأهلية، والفرانكو-اسلامية، وأطالت طريق التعليم العالي، لأنه بفضل الأهلية العليا المحضرة في المدرسة، يتمكن بعض المحضوضين من مواصلة التعليم العالي كما كان الشأن لابن شنب وغيره.

وما يمكن استخلاصه في الأخير، أن المدارس النورمالية والمدارس الشرعية الثلاث، لا يمكن اعتبارها مدارساً للتعليم العالي بمفهومه العام او علي الاقل بمفهومه الفرنسي، ذلك بالنظر إلى برامجها ومستوى القبول فيها، وكذلك شهاداتها التي لا تعتبر في أي حال من الأحوال، معادلة لشهادات الجامعات والمعاهد الفرنسية، سواء في المتروبول أو في الجزائر، و فقد جاء تلخيص دور هذه المدارس النورمالية في كتاب مديرها في خمسينية انشائها ديبى معلنا بأنها ذات مهمة سياسية تهدف إلى صهر كل العناصر المكونة للمجتمع الجزائري في بوتقة واحدة هي العقل الفرنسي والتفكير الفرنسي والتقاليد الفرنسية، وذلك خدمة لأهداف المدرسة الفرنسية السياسية أيضا الرامية إلى

(1). Duby, op.cit., , p15

## الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962): قضايا ومجالات.

---

التغلغل في المجتمع الأهلي الآخذ في المقاومة والرافض في معظمه لهذه العملية<sup>(1)</sup> وإذا كانت صورة هذه المدارس النورمالية تعكس حالة العزل بين الفئات والتي ميزت التفكير الاستعماري لمدة طويلة إلى غاية الحرب العالمية الثانية فإن ميزة المدارس الشرعية الثلاث تعكس هذه الطريقة في التفكير في عزل المسلمين عن التعليم العالي المحض، وتشجيعهم على تعليم عال بالاسم فقط، تسمية التعليم العالي الإسلامي.

---

(<sup>1</sup>) DUBY, op. Cit, pp 57-58.

ثالثاً: نخب التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار.

أنتجت مؤسسات التعليم العالي الاستعماري في الجزائر خريجين وأصحاب شهادات علمية، يمكن أن نطلق عليهم لقب النخبة، وإذا كانت النخبة الفرنسية تجد طريقها سهلاً نحو الاندماج في الحياة العلمية والمجتمع، وتخدم إستراتيجية الاستعمار من خلال توظيفها في المستعمرات الفرنسية، في إفريقيا الشمالية وإفريقيا جنوب الصحراء، فإن فئة الجزائريين المسلمين القليلة جداً من بين هؤلاء استخدمت أيضاً في تنفيذ خطط الاستعمار في التعليم، والتوسع والبعثات الاستكشافية وكذلك في ربط العلاقة بين المجتمع الأهلي والإدارة الاستعمارية. فما هي أوجه توظيف نخب التعليم العالي في إستراتيجية الاستعمار؟ وفي خدمة الإمبراطورية الاستعمارية؟

ومن أجل دراسة دور النخب وأوجه توظيفها من طرف الاستعمار، يجب التوقف عند مصطلح "نخبة" الذي كثرت الدراسات حوله، وكذلك التسميات والتصانيف، وإذا كان المعنى اللغوي واضحاً فكلمة النخبة تعني الصفاة، وهم عدد محدود من الأفراد يمتازون عن إخوانهم فيحوزون الأفضلية في مجال معين، وتطلق التسمية عادة على منتجي الأفكار أو (معدّي إنتاج) الأفكار والمعرفة<sup>(1)</sup>.

وقد بدأ اهتمام الإدارة الاستعمارية بهذه الفئة الجديدة، دون غيرها من النخب التقليدية. مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

فأضحت النخبة تعني المتجنسين، وبعض المتفرنسين لغة من أطباء وصيادلة ومحامين، فمن المحامين نجد بوضربة والطبيب مرسلي، ولوبس خوجة، والطبيب محمد بن يوسف بن علي والصيدلي بومدين بن حفيظ. والأوائل

(<sup>1</sup>) المُنجد: ص 1390.

## الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962): قضايا ومجالات.

من حملة الشهادات العليا<sup>(1)</sup>، وهم ممن استقطبوا اهتمام لجنة التحقيق جول فيري سنة 1892م. والذين سماهم هذا الأخير "حزب الشبان"<sup>(2)</sup>.

وأحصى الشريف بن حبيلس نقلا عن أحد الكتاب الفرنسيين عدد أفراد النخبة عامة بين 1877 - 1911، وقدرها بـ 450 مثقفا، دون أن يحدد منابع هؤلاء ومشاربهم العلمية وذلك كتابة الجزائر الفرنسية من منظور احد الأهالي ( وذلك في كتابة الجزائر الفرنسية من منظور احد الأهالي ( Ed Fontana Alger 1914 p11).

ولعل تعريف المستشرق جورج مارسه (1876-1962) مدير مدرسة تلمسان جاء أكثر راديكالية وذكره- أيضا -بن حبيلس فالنخبة في تصوره "هي تلك الفئة المتخرجة من ثانوياتنا ومدارسنا، وهي المكونة من بعض الأطباء الشرفاء، وبعض المحامين الناشطين، وبعض الصحفيين اللامعين، وكذلك المعلمين"، وعن دورها قال "إنها تبدو العنصر الأكثر فائدة للوحدة بين الشعوب لأنها تغذت من الثقافة العربية وأمكنها أن تتخلق بالآداب الفرنسية".

وقد عرف هذه النخبة أحد أفرادها فقال "بأنها الشباب الجزائري الذي درس اللغة الفرنسية وآدابها. وهي تلك الفئة التي تملك تصورا عن الاندماج ولها حول معظم المسائل أفكارا ومشاعر مثل الفرنسيين الحقيقيين وهي أقلية ضئيلة جدا".

أما أوغستين باك رئيس دائرة الشؤون الأهلية، فقد قسم "النخبة" الجزائرية من غير أن يعرفها حسب منابع تكوينها. فهم خريجو المدرسة الفرنسية (ومنها نخب التعليم العالي سواء في الجزائر أو في فرنسا).

<sup>(1)</sup> يقول مصطفى خياطي، الطبيب محمد بن الحاج بن عمر النقاش، هو أول طبيب جزائري يحصل على الشهادة، وليس الطبيب محمد بن العربي الصغير الذي تحدث عنه سعد الله، وعبد الرحمن الجيلالي.

<sup>(2)</sup> Mostapha Kiati : Médecins et médecine a Tlemcen. Du XI siècle à ce jour. Université Abou beker BelKaid. Tlemcen. 2011 - 2012. P 65.

وخريجو الجامعات الإسلامية ( الزيتونة، القرويين، الأزهر) وأتباع المرابطين (خريجو الزوايا)، وكتب عنها، أنها أقلية قليلة العدد، آمالها تختلف عن آمال الشعب الجزائري، كان بعضهم قريبا منا للغاية ومرتبب بنا أكثر من ارتباطه بإخوانه<sup>(1)</sup>. وقد وسع المؤرخ شارل روبيير أجرون مفهوم النخبة ليشمل بعض التجار والصناعيين، وذوي المهن الحرة والمترجمين، وتراوحت تسمياته لهم بـ المتقنين "الانتلكتيال" و"الانتلجنسيا" والنخب "الليت" والشبان الجزائريين، وأطلق عليهم تسمية سياسية هي "الممثلين" وحدد عددهم بحوالي 1200 منهم خمسين شخصية معروفة<sup>(2)</sup>. وتناول أيضا موضوع النخبة الجزائرية، المؤرخ أبو القاسم سعد الله وخصها بعدة تعريفات هي " تلك الفئة القليلة من الجزائريين التي تأثرت بالثقافة الفرنسية، واختلطت بالفرنسيين عن طريق الزواج والوظائف والتملك والمصير المشترك. وهي الجماعة الجزائرية المسيسة التي طالبت بالاندماج بفرنسا أو التخلي عن أحكام الشريعة الإسلامية"<sup>(3)</sup>.

وبذلك فمدلول النخبة حسب تعريفه هذا لا يختلف عن مدلولها لدى أجرون أو بن حبيلس أو علي مراد أو لجنة جون فيري. وقد أطلق عليها أيضا تصنيفات، منها النخبة الاندماجية والنخبة المستغربة والنخبة الإصلاحية والنخبة الليبرالية والمطورنيون المنسلخين عن الشريعة الإسلامية وقسمها إلى فئات حسب درجات تفاعلها مع قضايا عصرها، منهم المجنسون الاندماجيون الغلاة والمعتدلون، واندماجية سكونية وأخرى حركية حسب موقفها من التجنس وأيضا نخب تقليدية، والنخب حدثية حسب زمن ظهورها.

(<sup>1</sup>) Augustin Berque: Les intellectuelles algériens, Revue Africaine, V91, N°410, 1947, P-P 123-276.

(<sup>2</sup>) Agiron : Le Mouvement jeune Algérien de 1900-1923, Etude maghrébin, mélange Charles André Julien, T11, Extrait 1994, Paris, PP 226-227.

(<sup>3</sup>) سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 600.

ولم يشذ المؤرخ محفوظ قداش عن غيره من التعريف، فهي تلك الأقلية المسلمة ذات التكوين الفرنسي، والتي استفادت من نظام تعليمي انتقائي، وأمكن لأفرادها الحصول على الشهادة ومنه ممارسة مهنة حرة. أو وظيفة عمومية؛ يحيط بها نوع من الشهرة. وهو المعيار الأساسي للانضمام إلى مجموعة النخبة. وقد مثل المنتخبون جزءا من تلك النخبة بثقافتهم الفرنسية أو لانتمائهم إلى عائلات كبيرة، أما المعلمون فكانوا نخبة بثقافة ذات وضع أدنى<sup>(1)</sup>.

وهناك من الدارسين من اختزل التصنيفات في نخبة معربة ونخبة مفرنسة، و تردد مصطلح النخبة الجزائرية في فترة مهمة من تاريخ الجزائر المعاصر، وكغيره من المصطلحات الاستعمارية التي احتلت المقام الأول في الحياة الثقافية والسياسية. فهم النخبة أو المثقفين أو المتطورين وهم من تعلموا في المدرسة الفرنسية وتأثروا بالثقافة الأوربية وانبهروا بمظاهرها واقتنعوا بعظمة فرنسا وقوتها عن طريق المؤسسات الفرنسية ولذلك تتحدد منابع هذه النخبة فيما يلي:

- الجامعات الفرنسية والمعاهد العليا منها جامعة الجزائر الاستعمارية والمعاهد التقنية العليا (التجارة، الفنون، الفلاحة، الصناعة).
- المدارس الشرعية أو الفقهية الثلاث.
- مدارس المعلمين النورمالية.
- الزوايا والتعليم الحر (نخبة تقليدية لم يتم تصنيفها في هذا النوع من النخب).

ونهتم - في هذا المقام- بالفئة التي ظهرت مطلع القرن العشرين في شكل "حركة الشبان" والمتكونة في الأساس من الطلبة الفرنكوفونيون الاندماجيون و لعل من هؤلاء من كتبوا ومثال ذلك فرحات عباس الذي قال "كانت كتبنا تصور فرنسا كرمز للحرية

<sup>(1)</sup> محفوظ قداش: تاريخ الوطنية الجزائرية (1919- 1439) ج1تر: أحمد بن البار: دار الأمة ، الجزائر، 2008، ص 293.

وكننا ننسى في المدرسة جراح الشارع وبؤس الدواوير، نسير مع رحال الثورة الفرنسية وجنود الثورة الفرنسية في شوارع التاريخ الكبرى<sup>(1)</sup>.

فالمثقفون الجزائريون من النخبة هم نتاج النظام التعليمي الكولونيالي لذلك عرف شريف بن حبيلس مجموعة الشبان المتكونين في الجامعات الفرنسية بقوله "الذين كانوا قادرين بأعمالهم أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين"<sup>(2)</sup>.

وإذا كان لا يعنى في هذا المقام، معرفة طرق تعامل هذه الفئة مع القضايا السياسية التي كانت تطرحها المستجدات المحلية والدولية أحيانا، وفي كثير من الأحيان الإدارة الاستعمارية مثل التجنيد الإجباري، والتمثيل النيابي، والتجنيس، وقضايا الحق والواجب والتي انخرطت فيها هذه الفئة بل ودعت إليها، فهي في ذلك المروج والمعتق الأول لها. فقد جند الكثير منهم في الحريين العالميتين طوعا أو إجباريا وكانوا أول المترشحين للتمثيل في المندوبيات، والكثير منهم قبل التجنس و تخلي عن الأحوال الشخصية الاسلامية و منهم من تزوجوا الفرنسيات وبذلك خدمت الأوجه السياسية للإدارة الاستعمارية وهو وجه الاستخدام المألوف لدى الباحثين والمؤرخين وفي هذا كتب الكاتب الفرنسي ألبن روجن<sup>(3)</sup> "أن من تمام مصلحتها أن تنشأ منهم (الأهالي) نخبة مفكرة قادرة على نشر أفكارنا ومبادئنا حول العدالة والتقدم، نخبة بورجوازية محافظة ووفية بالتزامها إزائنا كلها قدرت المسافة التي قطعتها تحت سيطرتنا والفوائد التي جنتها من ذلك".

(<sup>1</sup>) سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص 161.

(<sup>2</sup>)Ben Hbilles, op.cit, p 162.

وأنظر الجمعي نمري: "حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1410-1430)", دراسة تاريخية وسياسة مقارنة، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2002-2003، ص 121.

(<sup>3</sup>)Ageron, op.cit, p 554.

## الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962): قضايا ومجالات.

ومن هذه النخبة -على قلتها- نهتم بتلك التي تخرجت من مؤسسات التعليم العالي في الجزائر؛ فالإحصائيات تذكر أنه بين (1857-1914) لم تعرف المدارس التحضيرية العليا للتعليم العالي سوى 35 طالب مسلم، تخرج منهم 03 صيادلة من الدرجة الأولى، و12 ضابط صحة و 06 أطباء وصيادلة من الدرجة الثانية من المجموع، والباقي موزع بين العلوم والحقوق والآداب<sup>(1)</sup>.

وقد تذبذبت نسبة المنتسبين إلى التعلم العالي من سنة إلى أخرى، فكلية الطب عرفت 15 طالبا أهليا سنة 1919م من مجموع 344 أروبي ثم لم نجد سوى 10 فقط سنة 1921<sup>(2)</sup>.

ويذكر عيسى قادري أن عدد الطلبة الأهالي المسلمين في جامعة الجزائر لم يتجاوز 30 طالب سنة 1910م و 90 طالب سنة 1930م، وإلى غاية الحرب العالمية الثانية ضلوا أقل من المائة<sup>(3)</sup>، وذلك أن مؤسسات التعليم العالي في المتروبول كانت أكثر استقطابا للطلبة الأهالي بنسبة الضعف، بالنظر إلى حالة الحرية والانطلاق التي يجدونها هناك عكس محيط جامعة الجزائر والمستعمرة عامة، الذي تميزه أجواء عنصرية.

(<sup>1</sup>) خميلي العكروت: جامعة الجزائريين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين (1909-1950)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 57.

(<sup>2</sup>) المرجع نفسه.

(<sup>3</sup>) Kadri: op.cit. Pp 19 – 39.

الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962): قضايا ومجالات.

وقد تطورت أعداد هؤلاء في جامعة الجزائر كما يلي<sup>(1)</sup>:

النسبة %	الإناث	الذكور	المجموع	العلوم	الطب والصيدلة	الحقوق	الآداب	السنوات
4.7%	0	89	89	10	50	14	35	1939-1940
3.9%	12	135	147	22	67	15	43	41-40
3.9%	8	140	148	19	74	12	43	42-41
4.4%	1	143	144	12	80	17	35	43-42
5.4%	16	173	189	31	107	16	35	44-43
5.5%	16	213	229	44	102	23	60	45-44
7.2%	29	331	360	52	165	91	52	46-45
4.8%	24	203	227	41	741	61	51	47-46
5.7%	32	231	263	38	92	74	59	48-47
6%	31	251	282	34	84	102	62	49-48
6.3%	44	262	306	35	105	85	81	50-49
8.8%	31	355	386	48	71	150	117	51-50
9%	34	408	442	63	109	148	122	52-51
10.4%	33	539	572	81	113	181	199	53-52
9.9%	24	489	513	62	101	179	165	54-53

ويمكن أن نضيف لهؤلاء بعض الطلاب والخريجين من المدارس التقنية العليا، فالمدرسة العليا للفلاحة لم تستقطب إلى غاية 1962م، سوى 5 طلاب من المسلمين من فئة المهندسين الفلاحيين.<sup>(2)</sup>

وعلى كثرة الدراسات الأكاديمية والمقالات التي تناولت النخبة لا يوجد اهتمام بنخب التعلم العالي الاستعماري في الجزائر، إلا في إطار دراسة الحركة الطلابية التي

<sup>(1)</sup> العكروت : المرجع السابق، 2009، ص 102.

<sup>(2)</sup> أنظر أيضا حول تطور أعداد الطلاب الملحق رقم: 15.

توزع نشاطها بين الجزائر وفرنسا والمشرق العربي وأوروبا. وذلك من خلال دراسة مواقفها ودورها في مختلف القضايا المطروحة في الساحة الثقافية والسياسية.

وقد أجمع الباحثون أن دور فئة النخبة هذه هو الوساطة، الذي لعبته بين الإدارة الاستعمارية والسواد الأعظم من المسلمين الأهالي، فهم من جهة يبلغون الإدارة انشغالات الأهالي، ويروجون للأفكار الفرنسية من جهة أخرى، طالما أنهم يملكون سلاح اللغة المزدوجة، وذلك بتقديم هذه الأفكار في أوساطهم الأهلية بالطريقة التي ترضى الإدارة الاستعمارية، والواقع أنهم كانوا تائهين بين ثقافتين وبين واقعين متضادين، فهم يشعرون بعقدة التفوق عن أفرادهم، وعقدة الدونية أمام الفرنسيين.

ولعل خير دليل مع ذلك كتابات الشريف بن حبيلس<sup>(1)</sup>، وفرحات عباس (الشاب الجزائري) والذين عبروا من خلال كتاباتهم هذه عن مدى ارتباطهم بالأفكار الفرنسية والإدارة الاستعمارية رغم اختلاف مستوى تجاوب هؤلاء من حالة إلى أخرى، تميزت بين الغلو والاعتدال، والحذر والانخراط التام في الطرح الاستعماري.

ومن هؤلاء نجد أيضا نموذجا ينشغل بالثقافة والعلوم والكتابة أيضا دون السياسة مثل ابن شنب (1869-1929)<sup>(2)</sup>، وبلقاسم بن سديرة وهم أولي النخب التي تمكنت من وظيفة في التعليم العالي .

فدور هؤلاء يختلف عن دور بن حبيلس وفرحات عباس، فهما نخب جامعية، حصلوا على الدكتوراه من كلية الآداب، وكذلك الدكتور صوالح محمد بن معمر الحاصل أيضا على درجة الدكتوراه في الآداب، من جامعة الجزائر، ويرجع الفضل إلى هؤلاء في تدريس العربية بطريقة رسمية، فقاموا بإعداد القواميس وإنشاء المناهج والمطويات.

(<sup>1</sup>) Voir Ben Habilas « l'Algérie Française vue pour un indigène », Alger, 1914.

(<sup>2</sup>) حول محمد ابن شنب، وبلقاسم بن سديرة. أنظر: عبد الرحمن بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ص 130-135، وأبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج6، 1998.

إن ابن شنب إلى جانب تدريسه للعربية في الجامعة نجده قد ألف الكثير من المؤلفات بالفرنسية، فهو أول عربي تحصل على درجة الدكتوراه وألف ما يفوق الخمسين بين مقالة وكتاب، وهو أول عربي أيضا نشر في المجلة الإفريقية، فقد اقتص بالدراسات الأدبية والتاريخية وتحقيق التراث، فرسالته الأولى لنيل الدكتوراه كانت عن "أبو دلالة شاعر البلاط العباسي" والثانية "تأثر اللغة العامية الجزائرية باللغة العربية والتركية"، وله مؤلف شهير "الأمثال في الجزائر والمغرب" وقد قام بترجمة بعض النفايس العربية إلى الفرنسية مثل "أيها الولد" للغزالي وقد حصل على العضوية في المجمع العلمي بدمشق، فهو بذلك يقترب من أن يكون مستشرقاً ومستغرباً<sup>(1)</sup> في نفس الوقت.

أما أهم أعمال الأستاذ بلقاسم بن سديرة فقد تمثلت في 12 مؤلف أهمها:

- قواعد اللغة الكلاسيكية والدارجة (العربية والبربرية).

- معجم فرنسي - عربي و آخر عربي فرنسي.

ولا نعرف الكثير عن صوالح محمد بن معمر الذي حصل على دكتوراه الآداب ودرس في ثانوية بيجو "الأمير عبد القادر"، ومكث طويلا في المدرسة العليا للتجارة<sup>(2)</sup>. أستاذ للعربية باعتبارها لغة إجبارية في المدرسة العليا للتجارة عكس باقي مؤسسات التعليم العالي التي لا تحض لديها العربية بأي مكانة ما عدا قسم اللغات الشرقية.

ولعل الواضح من خلال تتبع أعمال هؤلاء الأساتذة، هو انسياق هؤلاء النخبة للواقع الذي فرضته الإدارة الاستعمارية وهو الحط من قيمة اللغة العربية الفصحى. وجعل العربية الدارجة في مرتبة أحسن منها، والهدف هو تغريب العربية عن ديارها وتصويرها كلغة دخيلة والعمل على عدم تطويرها و عدم الاهتمام بها وبانتشارها، ولقد كانت وظيفة هؤلاء محددة في تدريس العربية لمن يحتاجها من الخريجين الذين سيعملون مع الأهالي

<sup>(1)</sup> حول الاستغراب، انظر: مولود بويكر: مضاربات في الاستشراق والاستغراب، جسر للنشر والتوزيع، 2013.

<sup>(2)</sup> N. Djabari : cinquantenaire et Histoire de écoles Normales, Bouzareah, témoignage d'un ancien élève de promo (1937- 1940), site d'internet ENIB (les anciens élèves de ENIB).

في شمال إفريقيا، وذلك في حدود رسمتها الإدارة الاستعمارية جعلتهم يخدمونها دون أن تكون لهم إمكانية المعارضة.

وفي مجالات الاستخدام الأخرى لهذه النخبة نجد من النخبة الأهلية من احتل مكانة مرموقة خارج الجزائر وشمال إفريقيا، فالسيد أحمد بهلول<sup>(1)</sup> من بومدفع في مليانة، الذي كان تلميذا في المدرسة النورمالية دفعه (1901-1905) وواصل تعليمه في كلية العلوم بجامعة الجزائر ووبعد من الأوائل الذين حصلوا على شهادة ليسانس من كلية العلوم جامعة الجزائر تخصص فيزياء وواصل التعليم ليصبح أستاذا مكلفا بالدروس في مدرسة جي بي ساي (JB Say) للعلوم في باريس، ثم أستاذا في المدرسة الخاصة بالأشغال العمومية في باريس.

والغالب على سلوك المتجنسين هو تفضيل العمل في فرنسا، أو المستعمرات الفرنسية ما عدا هؤلاء الذين اختاروا تخصصات تؤدي إلى مهن حرة تجنبهم مضايقات الكلون وتعسف الإدارة الاستعمارية. وذلك أن الأجواء الفرنسية في الميتروبول كانت أقل ضغطا وأكثر تحررا من تلك الموجودة في الجزائر والتي تميزها العنصرية والاستعلاء الفرنسي والمراقبة الشديدة للإدارة الاستعمارية.

وقد شغل بعض هؤلاء مناصب مهمة مثل محمد نهليل، الذي أصبح ظابطا مترجما ملحقا بديوان الحماية في المغرب لدي الجنرال ليوتي، الذي كلفه بإنشاء المدرسة العليا للغة العربية والدارجة الأمازيغية في المغرب الأقصى والذي أصبح لاحقا معهد الدراسات العليا المغربي<sup>(2)</sup>.

ولقد وظف هؤلاء الأهالي، في تحقيق إحدى أهم المهام الأساسية للتعليم العالي والمتمثلة في صهر كل الاتجاهات المكونة للمجتمع الجزائري في بوتقة واحدة هي العقل الفرنسي والتفكير الفرنسي والتقاليد الفرنسية. وأما اشراك هؤلاء في التعليم العالي فقد كان

<sup>(1)</sup> Djabari, op-cit.

<sup>(2)</sup> Duby, op-cit, p 57.

من أجل التغلغل الفرنسي في المجتمع الأهلي شيئاً فشيئاً من خلال إبراز بعض النماذج المتطورة التي تقدم الدليل الحي علي أنها استفادت من الرسالة الحضارة المزعومة<sup>(1)</sup>. ولقد بقي المجتمع الجزائري في عمومه رافضاً مستميتاً في المقاومة لدحض لهذه العملية، فتنظيم المجتمع الأهلي وتوزيع الأدوار هي عملية سياسية في الأساس والهدف منها هو قطع الطريق امام التعليم خاصة ذلك التعليم الأصلي والمعادي لفرنسا والاستعمار ولكل القيم التي يحملها.

يبدو انه من أجل إنجاز مهمة التغيير الجذري والعميق للجزائر، وبالتدريج؛ تم إنشاء مؤسسات التعليم العالي، وإقحام بعض المسلمين الموثوقين لانجاح هذه المهمة. فالدور الامبريالي الاستعماري لمؤسسات التعليم العالي، لم يقتصر على تكوين أبناء المعمرين والأعوان الفرنسيين وبعض الأهالي، ولكنه تعدى إلى تكوين أعوان يمكن الاعتماد عليهم في كل المستعمرات الفرنسية، ومن أمثلة ذلك نجد المترجمين والأطباء والصيادلة الموجهين للعمل في كل الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية . ومن جهة أخرى فإنه يصعب تحديد كل هؤلاء الذين تحولوا إلى خدمة التوسع الاستعماري والإمبراطورية الفرنسية الاستعمارية، كمتترجمين ومغامرين وعسكريين ومدنيين وإداريين وأصحاب المهمات الخاصة.

فالرحلات الاستكشافية الفرنسية لإفريقيا جنوب الصحراء ارتكزت على اختبار عناصر من المدارس الشرعية الثلاث، أو من الجامعيين ويذكر أبو القاسم سعد الله أن الإدارة الاستعمارية كلفت ابن شنب في مهمة سرية إلى المغرب بقيت مجهولة<sup>(2)</sup>. ونجد كذلك رجم القسنطيني والذي يعتبر من أوائل الحاصلين على بكالوريا الآداب والعلوم وهي شهادة قلما يحصل عليها الجزائريون آنذاك، فقد جنده الفرنسيون

(<sup>1</sup>)Duby, op.cit, p 58.

(<sup>2</sup>)سعد الله، "المتترجمون الجزائريون وإفريقيا"، مجلة الثقافة، السنة 21، العدد 117، 1996، ص 46.

في بعثة جننيل (1897) إلى تشاد، وقد قام بمهمة اختراق الطريقة السنوسية وجمع المعلومات عنها من خلال افتعال حادثة الهروب من البعثة<sup>(1)</sup>، في مهمة تبدو أنها الجوسسة، مستغلين معرفته باللغة والتقاليد، وواقين بأنه لا يخون فرنسا، وقد تم أيضا تجنيد الطبيب محمد بن سعيد المقبل في بعثة كرميل وقد كان طالبا في مدرسة الطب سنة 1889م، ولقي حتفه رفقة البعثة من طرف السنوسيين في فبراير 1891م.

ولا يمكن في أي حال من الأحوال تتبع كل العناصر التي لعبت دورا إمبرياليا استعماريًا ووظفت في خدمة الإمبراطورية الفرنسية، إما طوعا أو بالإغراء المادي ليس فقط في الترجمة أو التعليم أو القضاء، فالأنشطة الاستعمارية كانت كثيرة، فقد كلف أحدهم وهو ولد حمون بتنظيم التعليم الاستعماري الفرنسي في الكوت ديفوار (ساحل العاج) بنفس الأسس التي يقوم عليها التعليم في الجزائر، مركزا على اللغة الفرنسية والأساليب البيداغوجية المعتمدة في الجزائر، وهي مهمة صعبة للغاية يعجز الكثير من الفرنسيين على تنفيذها<sup>(2)</sup>.

كانت الشهادات الدراسية والمهن المرتبطة بها، تسير إلى بعض الوظائف التي لها علاقة بالاستعمار، فالأطباء الخرجين من مدرسة الطب أو الكلية المختلطة للطب والصيدلة كانوا يسمون "طبيب الاستعمار" وكذلك الصيادلة، فهم في خدمة المهام الاستعمارية المرتبطة بالطب مثل اكتشاف الأمراض وتشخيصها ووصفها في المناطق الموجودة في نطاق نشاطهم وإشعار السلطات الاستعمارية بها، فكل هؤلاء كانوا يقدمون خدمات للإدارة الاستعمارية حسب احتياجاتها وحسب وظائفهم<sup>(3)</sup>.

وبالنسبة لمسائل ارتباط هؤلاء بالقضايا الوطنية، تحدث علي الكنز في كتابه "حول الأزمة" عن دور المثقفين بشكل عام ومنهم نخبة التعليم العالي الاستعماري في

(<sup>1</sup>) سعد الله، المرجع السابق، ص 56.

(<sup>2</sup>) Duby, op.cit, p 67.

(<sup>3</sup>) Ismail Hamet, les Musulmans français de nord de l'Afrique, Alger, 1906, p 208.

Voir : Mostepha Khiati, « médecins et médecine aTlemcen de XI siècle à ce jour : op-cit.

المراحل الحاسمة من تاريخ الحركة الوطنية (المطالبة بالاستقلال الوطني، المصادقة على التسليح، انشاء جيش سري)، فيؤكد أن غالبية الباحثين الذين درسوا الحركة الوطنية، قد نوهوا بضعف مشاركة المثقفين الجزائريين وعد تحريضهم على طرح مسألة الاستقلال<sup>(1)</sup>. ويضيف المتحدث عن هؤلاء المثقفين "بأنه لا يمكن أبدا اعتبارهم رفقاء طريق<sup>(2)</sup>، إذ ما قورنو بالثورين والوطنيين الذين انطلقوا خلال العشرينات من القرن الماضي في تنظيم صفوف البروليتاريا الجزائرية المهاجرة في فرنسا، بل وحتى هذه الأخيرة كانت معروفة بنظرتها السلبية تجاه المثقفين.

ويخلص المؤلف هكذا يقول ابراهيم سعدي<sup>(3)</sup> "أن الحركة الوطنية الثورية نشأت وترعرعت بدون مشاركة المثقفين، وحتى بعد التحاقهم بها مرغمين لم يتمكنوا من التأثير فيها لا من حيث المحتوى ولا من حيث التطور".

ولعل خير مثال على ذلك هو الصعوبات التي تلقتها الحكومة المؤقتة والتي قادها فرحات عباس ثم بن يوسف بن خدة .

ويضيف علي الكنز: "أن هؤلاء المثقفين أصبحوا عبارة عن بيادق بين أيدي الحركة؛ وقد تعين على الراضين لذلك قبول قواعد التهميش والتصفية الجسدية. ويخلص غي بارفي في دراسته حول النخبة الجزائرية الفرنكوفونية إلى نفس النتائج تقريبا إذ يقر بتأخر هؤلاء في الالتحاق بركب الوطنية الجزائرية، الأخذة في التبلور في فترة ما بين الحربين العالميتين ومن ثم التأخر في الانضمام إليها او التأخر عنها تماما .

(1) علي الكنز، حول الأزمة، خمس دراسات حول الجزائر والعالم العربي، بوتان، 1990، ص30.

وانظر ابراهيم سعدي: المثقفون وحركية المجتمع، مجلة الثقافة، عدد 21، أكتوبر 2009، ص ص 120-137.

(2) الكنز، نفسه، ص 31.

(3) سعدي، المرجع السابق، ص 120.

ولقد ارتكبت الإدارة الاستعمارية -في نظره- خطأ كبير في سياستها يتمثل في تسليط النخبة على العامة، وإرغام من اختار الاستيعاب من المثقفين على فك الارتباط بمجتمعه والإعلان بصورة فردية عن اختياره المواطنة الفرنسية<sup>(1)</sup>.

وفي الأخير فاستعراض المسيرة الطويلة لفئة النخبة وتعاملها مع قضايا العصر الذي عاشته، وأوجه تعاطيها مع الإدارة الاستعمارية، ومختلف التنظيمات التي نشأت لذلك سواء كانت جمعوية تضامنية مثل المنظمات الطلابية، والجمعيات الطلابية أو سياسته، مثل فدرالية المنتخبين، أو مهنية أو فنية، فقد تعرض لها الباحثون بأسهاب.

ولقد استعرضنا وجه استخدام الإدارة الاستعمارية لهؤلاء في استراتيجيتها سواء في التوسع، أو البعثات الاستكشافية أو خدمة وبناء النظام التعليمي الاستعماري فكشفنا على جوانب من خدمة هؤلاء للإدارة الاستعمارية في الداخل، وخدمة الامبراطورية الاستعمارية في توسعاتها في إفريقيا خاصة، وكذلك ظهر لنا سر تماطل هؤلاء في الالتحاق بالصفوف الأمامية القيادية للحركة الاستقلالية، والذي تعتبر إحدى مؤثرات تنشئة المؤسسات الاستعمارية، و ربما تعبر أكثر عن إيمانهم بالوطن الفرنسي وإيمانهم العميق بفرنسا القوية، وهو عكس الدور الذي لعبته النخبة التقليدية التي أنتجها التعليم الحر الأصيل القائم على مقومات الأمة العربية الإسلامية، والذي ضيقت عليه الإدارة الخناق وحاولت أن لا يزدهر ويصل إلى مراحلها العليا، فقد أغلقت معهد ابن باديس العالي الذي افتتح سنة 1937 بعد سنة من افتتاحه حتي لا ينافس المؤسسات المذكورة.

فالنخبة الإصلاحية التي كونها التعليم الحر، كانت تدعو إلى الاهتمام باللغة العربية والهوية الرسمية للجزائر، وللتركيز على الاسلام باعتبار أن أخوته تلغى، كل أشكال التفرقة والعنصرية أو اللغوية التي كانت تنتهجها فرنسا لإحكام سيطرتها فقد ضلت هذه النخبة تنتقد سياسة فرنسا في التعليم القائمة على تجهيل الجزائريين في نظام تعليمي

(<sup>1</sup>) أنظر غي بارفي، النخبة الجزائرية الفرنكوفونية، دار القصة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 612.

## الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962): قضايا ومجالات.

---

محدود مبني على الفصل بين المعمرين والجزائريين في الاستفادة من التعليم<sup>(1)</sup>، وجعل تعليم الجزائريين محدودا ولعل هذه السياسة تعكسها نسبة المسلمين في الجزائر غداة الاستقلال، حيث أن الجزائريين كانوا أميين شبة كلية.

---

(<sup>1</sup>) Kamel Talab: les séparations scolaires dans l'Algérie coloniales, revue insaniat N°25-26, juillet- décembre 2004, pp 56-100.

رابعاً: الثروات الباطنية في استراتيجية التعليم العالي (1880-196):

يجمع الباحثين المهتمين بالظاهرة الاستعمارية أن من دوافعها الأساسية الدوافع الاقتصادية المتمثلة في العضلات التي واجهها الاقتصاد الرأسمالي الأوروبي بفضل انتشار المكنة الصناعية التي أنتجت ثروات وسلع، تبحت الأولى عن الاستثمار والثانية عن الأسواق، كما تحتاج الآلة الصناعية إلى المواد الأولية التي تحول إلى منتجات صناعية، لذلك ضغط رجال الأعمال الرأسماليون على الحكومات الأوروبية من أجل الحصول على المستثمرات التي تشكل أسواق لمنتجاتهم، ومجالاً واسعاً لاستثمار ثرواتهم، ومصدراً هاماً للمواد الأولية خاصة المواد المعدنية الضرورية للصناعة .

ولقد تحولت صورة الاقتصاد الجزائري مطلع القرن العشرين بفعل السياسات الاستعمارية إلى صورة نموذجية لاقتصاد مستعمرات الاستيطان والاستثمار، ولعل من مظاهر ذلك طرد الفلاحين الجزائريين عن أكثر من نصف أراضيهم ومنحها بطرق مختلفة للمستعمرين والمعمرين القادمين من أوروبا، فمن أصل مساحة قدرها واحد وعشرون مليوناً من الهكتارات -دون الصحراء- ثمة ثلاثة ملايين هكتار تمتلكها الشركات والخواص، وأكثر من سبعة ملايين هكتار تحتكرها الدولة أو البلديات في شكل أملاك للدولة الفرنسية المستعمرة<sup>(1)</sup>.

وقد خصصت هذه الأراضي الخصبة للزراعة التجارية مثل الكروم والحبوب والأشجار المثمرة، ولا أدل على ذلك من توجيه الزراعة نحو الكروم، فرغم أن معظم الشعب الجزائري لا يشرب الخمر، فإن زارعي الكروم الأوروبيين تمكنوا من إنتاج عشرون مليون هيكتولتر من الخمر سنوياً، فالإقتصاد الزراعي الكولونيالي أصبح في خدمة المتروبول واحتياجات أسواقه. فمضامين الاستعمار وأسبابه الجوهرية أصبحت ظاهرة، فيما

(1) ليون فكس، الجزائر حتف الاستعمار، ترجمة محمد عيناني، مكتبة المعارف، بيروت، دون تاريخ، ص 7.

يتعلق بالعمليات الاقتصادية من انتاج واستثمار والمنظومات البنكية وشبكات النقل وغيرها.

وإذا كان الاستعمار قد عمل على إنشاء منظومة الاستغلال فيما يتعلق بالزراعة والتجارة وبعض الصناعات، فإن عملية البحث عن المواد الأولية في باطن الأرض واكتشافها وتحديد مواقعها ودراسة سبل استغلالها، تشكل إحدى الأولويات في إستراتيجية الاستغلال هذه.

ولأن اهم العمليات المرتبطة بالمواد الأولية الباطنية هي عمليات تقنية في الأساس تتطلب الخبرة والتخصص والدراسة الكافية للعاملين في هذا المجال المهتمين بعلوم الأرض والجيولوجيا، فما هي علاقة التعليم العالي الفرنسي في الجزائر بهذا الجانب الهام؟ وفيما يتمثل دوره؟ وكذلك مكانة علم الجيولوجيا وعلوم الأرض في سلم أولويات التعليم العالي والإدارة الاستعمارية؟.

وإذا كان لا بد من العودة قليلا بعجلة التاريخ إلى ما قبل العهد العثماني فإن الأتراك العثمانيون لم يهتموا بدراسة باطن الأرض الجزائرية، وما تحتويه من ثروات فقد تركز وجودهم في المدن والحوضر الكبرى واهتموا بجمع الضرائب والإتاوة، كما تركز نشاطهم الأساسي في الجهاد البحري، ولم يسعف التاريخ الدولة العثمانية في الالتحاق بركب الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا، بل تداعت وتوالت هزائمها وفقدت الكثير من الأقاليم التابعة لها ولو اسما مثل الجزائر.

لقد شكل علم الجيولوجيا -في بداية الاستعمار- مجالا للبحث في المراتب الأولى إذ تعد هذه الأخيرة وسيلة في غاية الأهمية في خدمة التطور الصناعي والاقتصادي للمتروبول الفرنسي، وهي أيضا رهانا استراتيجيا هاما للإدارة الاستعمارية في الجزائر وفي المتروبول أيضا<sup>(1)</sup>.

(<sup>1</sup>) Yamina Bettaher : « le géologie en Algérie (1830-1940) in la revue pour l'histoire du CNRS en ligne, mis en ligne, 30 octobre 2009. In : www/ http : histoire CNRS- revue org/4531.

ولقد تم الاهتمام بهذا النوع من البحث منذ الاحتلال، فقد أوكلت هذه المهمة لبعض العسكريين بإشراف قيادة الأركان، والهدف الأساسي تمثل في إنجاز الخارطة الجيولوجية للجزائر وذلك بدراسة الأرض وطبقاتها، المناجم المعدنية، والنظام المائي<sup>(1)</sup>. واهتمت أولى الدراسات الجيولوجية التي قام بها العسكريون بمعرفة الثروات الطبيعية للأرض وقادها كل من النقيب روزي (1840-1842) وذلك في أعقاب إنشاء لجنة علمية سنة 1839م يرأسها السيد رينو وقد كلفت هذه اللجنة بالتنقيب الممنهج عن الثروات الباطنية.

وانطلاقاً من سنة 1843م قام المهندسان فومال fommel و ville (المهندس الرئيسي للمناجم ومساعدته) بمتابعة أعمال التنقيب، وقد بدأت المقالات العلمية الخاصة بالجزائر تظهر في المنشورات الموسوعية والتي تشير إلى اكتشاف عدد كبير من المناجم في الشرق الجزائري.

ولم تمض إلا سنوات قليلة، ويفضل هذه النتائج القيمة، قامت السلطات العمومية الميترولوجية، وتلك الموجودة في مستعمرة الجزائر، بتشجيع القيام بأعمال في الميدان، عن طريق إنشاء مصالح المناجم سنة 1852م.

وتعمل مصالح المناجم علي تأطير عمل المهندسين الأكفاء أمثال "بوبن" و "فيل"، وكذلك بعض الأثرين والبيولوجيين الذين وجدوا في الصحراء الوسط المميز لنشاطاتهم. وقد استفاد النظام الاستعماري بين (1879-1910) من المؤسسة الجديدة للتعليم العالي في الجزائر، والتي فتحت أبواب العلاقة المباشرة مع الميدان، إلا أن مدرسة العلوم لم يكن بوسعها تقديم تكوين نوعي، لأنها ضلت مرتبطة بالمؤسسات

(<sup>1</sup>) voir: l'exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1841-1842, publie pour ordre du gouvernement, paris, imprimerie royale, 1844-1867.37Vol.broc.N.les grandes mission scientifiques françaises 19<sup>eme</sup>seicle.

الميتروبوليتانية، والجيولوجيون العاملون في الجزائر كانوا على علاقة بنظرائهم في باريس، وكذلك علاقة بالجمعية الجيولوجية في باريس، أو بمتحف التاريخ الطبيعي بباريس.

أما الجامعيون الجزائريون، فقد توجهوا نحو تطبيقات علم الجيولوجيا على الأرض الجزائرية والشمال إفريقية، بصفة جهوية، و شرعوا في تثمين المستعمرة ولم يستقلوا عن المؤسسات الميتروبوليتانية التي ضلوا مرتبطين بها.

وقد توجهت أعمال هؤلاء الجيولوجيين بإنجاز ما عجز عنه العسكريون، وذلك بإنجازهم لأولى الخرائط الجيولوجية للجزائر<sup>(1)</sup>.

ويعود الفضل في هذا الإنجاز إلى الأستاذ "أوغست بومال" مدير مدرسة العلوم، وأستاذ الجيولوجيا المتخصص حيث لعب دورا محوريا في تطوير الجيولوجيا في الأوساط الجامعية الجزائرية، وكذلك في تنظيم مصالح الخارطة الجيولوجية للجزائر.

و "أغست بومال" هو مهندس مناجم تخرج في كلية العلوم "كلارمون فيرون" قدم إلى الجزائر سنة 1851، وأقام كمعمر في وهران واهتم بعلم النبات والجيولوجيا.

وبعد فتح مدرسة العلوم في الجزائر، عين سنة 1880 أول أستاذ للجيولوجيا وعلم المعادن وشغل منصب مدير مدرسة العلوم إلى غاية سنة 1891م، وكذلك مستشارا لدى مصالح المناجم في المستعمرة<sup>(2)</sup>.

وقد أنشأ بومال مخبرا للجيولوجيا وشرف علي إنجاز الخارطة الجيولوجية حتى وفاته سنة 1898م، وقد نشر مقالاته في نشرة الجمعية الجيولوجية الفرنسية واهتمت أعماله بالجزائر وشمال إفريقيا، وبذلك لفت أنظار الجيولوجيين وجلب المختصين والخبراء وخاصة خبراء مصالح المناجم إلى مخبر الجيولوجيا الذي أنشأه.

<sup>(1)</sup> تم نشر الخارطة الجيولوجية المؤقتة للجزائر أول مرة بمناسبة مؤتمر الجيولوجيين الذي نظمته الجمعية الفرنسية العلمية في الجزائر سنة 1881، وأعيد نشرها سنة 1888، بعد مراجعتها من قبل مصالح الخارطة الجيولوجية للجزائر، ويعود الفضل لهذا الانجاز إلى مدير مدرسة العلوم ومساعد مدير مصالح المنجم.

<sup>(2)</sup> Bettaher , op.cit, p2.

وقد نظمت الجمعية الفرنسية من أجل تطوير العلوم سنة 1881م مؤتمرها الأول الذي استقطب العلماء من كل مكان، وقد اغتنم "بومال" الفرصة لنشر الخارطة الجيولوجية المؤقتة للجزائر التي أنجزها رفقة بويان بمقياس  $\frac{1}{800000}$  كلم في هذه المناسبة (1). و عمل كل من "بومال" و "بويان" منذ 1882 على ضمان إدارة مصالح الخريطة الجيولوجية في مقطعة الجزائر ووهران، وبعد وفاة تيسو « Tissot » كلف "بومال" بإدارة مصالح الخريطة الجيولوجية في كل الجزائر، وقد اعتمدت الدراسات المعمقة للطبقات الصحراوية "الشيست" وقد وضعت الأعمال المنشورة في خدمة المؤسسات والمصالح المهمة "بتثمين" الجزائر".

وبدأ "بومال" أعماله من أجل الخريطة الجيولوجية، بتجميع مجموعات العينات الجيولوجية لمختلف المناطق ومختلف الباحثين، وحتى الاكتشافات التي قام بها الباحثون العسكريون وعلماء اللجنة العلمية لسنة 1839م. (2)

وقد تم نشر نتائج الأعمال الهامة التي قام بها بومال عن الجزائر وشمال إفريقيا في مختلف الدوريات المتخصصة، وكذلك في نشرة مدرسة العلوم بالجزائر التي أنشئت من أجل توثيق وتثمين الأعمال الجيولوجية المطبقة على شمال إفريقيا، ولكنها توقفت بسبب وفاة بومال وكذلك ضعف مصادر التمويل التي كان يجدها بعلاقاته ونفوذ.

وقليلا بعد وفاة بومال، تم إسناد إدارة المناجم إلى السيد "شارل جاكوب" المهندس الرئيس للمناجم، وقد عمل بمساعدة الأستاذ فيشار أستاذ الجيولوجيا في مدرسة العلوم، وهو عضو أيضا في مصالح الخارطة الجيولوجية مكلف بإنجاز الجزء التقني من الدراسات في هذا الإطار، وتمكن من ضم أحسن الجيولوجيين إلى مشروع

(1) Bettaher , op.cit., p3.

(2) Sovorin : , la géologie algérienne et nord-africaine depuis 1830, Masson 1931, bibliographie géologique et minière de la France d'autre mer pour les années 1929 - 1933 , chimique des mires coloniales - (publie à l'occasion du XVI e congres géologique international de Washington, 1933), Paris, 1933, Bibliographie du Sahara occidental, VII e.

الخارطة التي يحتاج دائما إلى تحديث يساير عمليات الاكتشاف، وتحديد المواقع والتشخيص.

ولأن الجيولوجيا تخصصا هاما، يحتل مكانة أساسية في الفكر الاستعماري فإن الجزائر قد تحولت إلى قبلة لنشاط هؤلاء، حيث شكل الكثير من الأساتذة مسارا متميزا مثل " فلماندر" الذي وصل إلى الجزائر وعمل فيها بين (1891-1914م) وكذلك "بريفي" بين (1907-1918).

وقد نظم الجيولوجي " بريفي" أستاذ الجيولوجيا لكلية العلوم ثلاثة مهمات استكشافية إلى المغرب، بهدف توسيع النشاط الجيولوجي ليشمل كل الشمال الإفريقي. وقد اشترك في هذه المهمات الكثير من علماء الميترولوج مثل "بيار ترميه" عن المدرسة المتعددة التقنيات، و نشر ملاحظاته بين (1901-1908) و يبرز الدور الهام لكلية العلوم، ومدرسة العلوم سابقا في الجزائر، في تأطير الأبحاث والدراسات العليا وأعمال المخابر ذات التوجه التطبيقي والجهوي الذي يعنى بالجزائر وشمال إفريقيا والذي شجعت السلطات الاستعمارية المحلية وكذلك السلطات الميترولوجية، لما له من أهمية في حصر وتحديد المناجم، والمناطق التي تحتوي على مواد يمكن استخدامها في إدارة دواليب الاقتصاد الفرنسي.

و استمرت جامعة الجزائر -تشجيعا لهذا المسار- في خلق المقاعد التي تهتم بباطن الأرض وما يمكن أن تزخر به من مواد. ففي سنة 1911م تم إنشاء مقعد الجغرافية الفيزيائية للصحراء (Géographique physique du Sahara)، تم كرسي علم المعادن التطبيقي (Minéralogie Appliquée) ؛ وفتحت -ايضا- سنة 1920م، كرسي للجيولوجيا التطبيقية على الصناعة والزراعة<sup>(1)</sup>.

وقد شغل الجيولوجيون الجامعيون، مناصب هامة في مصالح المناجم بالمستعمرة بغرض تنسيق الجهود وتطبيق أحدث التقنيات في الاستكشاف ودراسة طبقات الأرض،

(1) L'Université d'Alger, cinquantenaire, op.cit.

وقد نسق هؤلاء مع بعثات المهندسين الجيولوجيين المستشرقين المكونين في مدارس المهندسين الفرنسية للمستعمرات، وكل هذا من أجل الاستجابة للحاجات الاقتصادية للمتروبول والحكومة المحلية في الجزائر.

وقد توج هذا الجهد الكبير باكتشاف أهم المناجم والثروات الباطنية للأرض الجزائرية، وكذلك توج باكتشاف البترول والغاز الطبيعي في الصحراء الجزائرية التي ظلت هدفا لهذه الكشوفات منذ زمن بعيد.

لقد مكنت عمليات المسح الجيولوجي الحكومة الفرنسية من بدء عمليات الكشف والتنقيب ومن ثم الحفر في المناطق التي كان تركيبها الجيولوجي ينبئ بوجود جيوب نفطية، وبذلك تم إنشاء أولي مكاتب الأبحاث البترولية، ثم تم إنشاء الفرقة الوطنية للبحث واستغلال بترول الجزائر (SNREPAL) ولقد ارتكزت أعمال هذه الشركة في الشمال، وذلك بمحاولة استغلال حقول النفط الظاهرة مثل حقل "واد القطران" بسور الغزلان سنة 1948م، وكذلك حقل جبل العنق قرب الحدود التونسية الذي بدأ استغلاله سنة 1960م.

ولقد منحت السلطات الفرنسية رخصا للتنقيب عن النفط في الصحراء الجزائرية التي أشارت الأعمال الجيولوجية السابقة لإمكانية احتوائها على البترول بكميات كبيرة وتجارية، استفادت منها شركة "SNPRERAL" وكذلك "TOTAL" بين عامي 1952 - 1953 في مساحة من الصحراء تقدر بـ 500 ألف كلم<sup>2</sup>.

ولقد تحقق أهداف فرنسا سنة 1955م، إذ تم العثور على حقل نفط في الصحراء وهو حقل عجيبة (حوض إليزي) من قبل شركة كريس الفرنسية CRERS.

ولقد تمكنت شركتا "SNPRERAL" و C.F.P من اكتشاف منطقة مهمة في تاريخ النفط الجزائري ألا وهي حقل حاسي مسعود في عام 1956م.

ولقد حاولت فرنسا، بفضل ترويجها لهذه الاكتشافات الهامة استمالة الشركات العالمية في مجال النفط للاستثمار في الصحراء الجزائرية ومن ثم كسب مساندين

## الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962): قضايا ومجالات.

لقضيتها من أجل الاحتفاظ بالجزائر، كما أصرت فرنسا خلال مفاوضات الاستقلال على التمسك بالصحراء التي أصبحت تعبر عن مستقبل الاقتصاد الجزائري،

لقد تحولت الجزائر -حقا- إلى بلد يستعمره ويستثمره البورجوازيون الفرنسيون الذين لم يصنعوا الجزائر حتي لا تتنافس الصناعة في الوطن الأم، وإنما كان هدفهم أن تضل الجزائر منبعاً للثروات الباطنية وتضل الشركات الفرنسية العاملة في الجزائر، تنهب هذه الثروات وتحقيق أرباح طائلة، توجهها إلى التصنيع في الوطن الأم -فرنسا- ثم تصريفها كمنتجات مصنعة من جديد الي أسواق الجزائر.

وقد تم توظيف جهود البحث في خدمة منظومة الاستغلال هذه، فمجموع المبالغ العامة والخاصة الفرنسية التي جرى توظيفها في الجزائر بلغ 4000 مليار من الفرنكات. ويشير الجدول التالي<sup>(1)</sup> إلى الأرباح التي اعترفت 24 شركة بتحقيقها في الجزائر:

1947	962 مليون فرنك
1948	1287 مليون فرنك
1949	1719 مليون فرنك
1950	2023 مليون فرنك
1951	3138 مليون فرنك
1952	4579 مليون فرنك

(<sup>1</sup>) فيكس، المرجع السابق، ص 11.

وتعكس هذه الأرقام، ضخامة استثمارات الشركات الفرنسية الكبرى، المحكرة لمجالات الاستغلال المنجمي والتعدين وغيره وخاصة بنك الاتحاد الباريسي- ميرابو- الذي كان يحتكر الشركات التعدينية الكبرى، ومنجم الحديد في الونزة، وكذلك اتحاد المناجم وهو مصرف الشركة الفرنسية لمناجم الفحم، المسيطر على فوسفات قسنطينة الذي حقق (177 مليون من الأرباح عام 1953)، أما جماعة روتشيلد- حينذاك- فإنها كانت تسيطر في الواقع على احتكار التجارة الخارجية مع الجزائر، وتسيطر على أسهم هائلة في المناجم ومختلف الصناعات، وكذلك الشأن بالنسبة إلى بنك باريس<sup>(1)</sup>.  
الواقع أن هذه الجماعات المالية الفرنسية لا تحتكر فقط المواد الأولية الباطنية وإنما تحتكر أيضا الأراضي الزراعية، وامتيازات الثروات الأخرى مثل الفلين والحلفاء والمرجان وغيرها.

إن ترابط وتشابك المؤسسات الاستعمارية، يخدم في الأساس الغايات الكبرى للاستعمار، فمؤسسات التعليم العالي قد مكنت إلى حد بعيد من توطين الأبحاث الجيولوجية وتطويرها، وانجاز الخارطة الجيولوجية للجزائر، والتي وقعت في خدمة الشركات الاستغلالية الكبرى الفرنسية، التي تعمل على احتكار العمليات المتعلقة بالثروات الجزائرية، سواء كانت سطحية أو في باطن الأرض، كالحديد والفوسفات والمعادن النفيسة، كما مكنت الأبحاث أيضا من الاستدلال على امتلاك الصحراء الجزائرية لثروة بترولية هامة، طالتها عمليات التنقيب والحفر والاكتشاف والاستقلال في السنوات الأخيرة للوجود الفرنسي في الجزائر.

---

(<sup>1</sup>) فيكس، المرجع السابق، ص 11.

الفصل السادس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار  
(1879-1962) - أهداف ونتائج.

أولاً: الأهداف العلمية للتعليم العالي وعلاقتها بالاستعمار.

ثانياً: التعليم العالي والأهداف الاقتصادية.

ثالثاً: التعليم العالي والأهداف السياسية.

رابعاً: مناهج الفرنسيين في العلوم الإنسانية وعلاقتها بالاستعمار

أولاً: الأهداف العلمية للتعليم العالي وعلاقتها بالاستعمار:

إن تحديد أهداف مؤسسات التعليم العالي الفرنسية المنشأة في الجزائر من القضايا الأساسية والشائكة، ذلك أن المسألة مرتبطة بالتطور الزمني من جهة وباستراتيجيات الاستعمار التي تفرضها تطورات الأحداث من جهة أخرى، فهذه الأهداف لم تضبط في شكل قوانين أو مراسيم تطبق، وإنما ظلت مرتبطة بشكل عام بالأهداف العامة للاستعمار نفسه، وقضاياها الأساسية، وذلك أن الاستعمار هو في الحقيقة إرادة واعية لتغليب حضارة ومواجهة أخرى، فلذلك يقع التعليم العالي في صلب المخطط الاستعماري الاستيطاني، و يتمشى مع قضاياها وأهدافه.

ويمكن التتبع التاريخي لتطور التعليم العالي، ومؤسساته، سواء الجامعة منها أو مؤسسات التعليم العالي خارج الجامعة، من الاستدلال على وجود أهداف متداخلة يصعب الفصل بينها، فمسألة الاستغلال الاقتصادي وتهيئة ظروفه، والتي تبدو نظرياً-على غير ارتباط بالتعليم العالي هي في الأساس محور هذا الاستغلال ومحركه.

فعلى ضوء الأبحاث العلمية، والتي جاءت في أطر سياسات متتابعة ومتدرجة بدأت في السنوات الأولى للاحتلال في ظل شعار "الاكتشاف العلمي للجزائر" والذي جندت له الجمعيات العلمية، وأنشأت له اللجنة العلمية لسنة 1839م، وتم في هذا الإطار تجنيد الباحثين والمغامرين العسكريين والمدنيين المعتمدين في الجزائر.<sup>(1)</sup>

فالإكتشاف العلمي للجزائر، يعتبر أولى الخطوات في طريق الوصول إلى الهيمنة الشاملة على مقدرات المستعمرة ومن ثم إيجاد سبل استغلالها. يبدو أن مهمات الإكتشاف العلمي هذه قد جاءت بنتائج مشجعة، قادت إلى ترتيب الأولويات والرهانات، ووضع المؤسسات اللازمة للشروع في العملية اللازمة والتي أخذت لنفسها شعاراً جديداً وهو "تثمين المستعمرة".

(<sup>1</sup>) Yamina Bettaher :la géologie en Algérie (1830-1940), la revue pour l'histoire de CNRS.

تمت - عمليا - البدايات الأولى لمأسسة التعليم العلي انطلاقا من 1880م بظهور المدارس الحضرية للعلوم، الآداب، والحقوق، وبدأت أيضا تظهر المدارس التطبيقية الزراعية والصناعية، وبذلك وضعت أولي خطوات التعليم العالي الاستعماري.<sup>(1)</sup> انطلقت هذه المؤسسات كل حسب اختصاصها، في عمليات التثمين هذه، وذلك على ضوء الأبحاث المتعلقة بخيرات المنطقة، فقد بدأت عمليات اكتشاف الإمكانات الاقتصادية المتنوعة كالثروات المنجمية والمعادن، وأجريت التجارب على المواد، وبدأ التفكير في الزراعة وتطورها، وكذلك الصناعة ومتطلباتها وحتى الإنشاءات الكبرى بالاعتماد على مواد محلية، كما عملت مؤسسات التعليم العالي ذات التوجه الأدبي والفني في الترويج لأطروحات استعمارية هدفها شرعنة الاستعمار وإيجاد المبررات له، مثل توظيف التاريخ و الأنتروبولوجيا وعلم الآثار وعلم النفس، من اجل لاستدلال على الماضي اللاتيني الروماني للجزائر، حتى تبدو عملية الاستعمار التي سميت استرداداً<sup>(2)</sup> عملية شرعية.

ولعل ما شجع الاستعمار على المضي في هذا المنحنى هو عذرية الأرض الجزائرية، التي كانت لا تزال تخضع للأنماط التقليدية في الاستغلال والانتاج، وبالتالي اقتضت هذه الحالة أن تسير العلوم العلمية والتقنية جنبا إلى جنب مع الظاهرة الاستعمارية، وذلك بإيجاد سبيل التطبيق العلمي على كل ما هو محلي.

اكتسى الغزو والاستيطان طابعا علميا وثقافيا، فنظم الغرب الأوروبية سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أصبحت سائدة في الجزائر المستعمرة، ولا غرابة في أن ينشئ الاستعمار مؤسساته المستوحاة من نظمه الحديثة في المسائل المتعلقة بنشر ثقافته

(1) Pierre Singaravelou, l'enseignement supérieur colonial in : Histoire de l'éducation N°122, (2009), pp71-92.

(2) يطلق لفظ "حروب الاسترداد" على الحروب التي خاضها اسبانيا من أجل طرد المسلمين، واقتبس هذا اللفظ للدلالة على الاستعمار الفرنسي لشمال إفريقيا، وذلك انطلاقا من اطروحة أن هذه الأرض كانت لاتينية.

وعلموه وتنظيم المعرفة، لتكون منظومة إيديولوجية مهمتها الرقابة والتوجيه الثقافي، وكذلك مؤسسات مكلفة بحل كل المعضلات العلمية والتقنية بالمستعمرة المنشأة فيها.<sup>(1)</sup>

يبدو أن مسألة الفصل بين الأهداف المتداخلة لمؤسسات التعليم العالي وباقي المؤسسات الاستعمارية أمرا غير سليم، ذلك أن تتبعنا لأثر العلوم وعلاقتها بالاستعمار قد تشعب لتقبل وضعيات اقتصادية وثقافية وسياسية مترابطة تنتهي كلها في خدمة أغراض الاستعمار وأهدافه، ولما توسعت مجالات الأبحاث قام الحاكم العام سنة 1946 بإنشاء المجلس العلمي للجزائر لتوجيه تلك الأبحاث نحو خدمة الأهداف ذات الأولوية السياسية للإدارة الاستعمارية، وذلك بغرض التنسيق بين الإدارة ومؤسسات التعليم العالي ورجالاته، من أجل توظيف نتائج العلوم في خدمة ثراء اقتصاد المتربول الفرنسي.

وإذا كانت مؤسسات التعليم العالي للاستعمار، قد ظلت فرنسية الروح استعمارية الغاية، فإن أثرها التكويني قد امتد ليشمل فئة من الجزائريين احتكت بالعلوم المعاصرة وأخذت على المناهج العلمية الحديثة في مختلف التخصصات بهدف الوساطة<sup>(2)</sup>، وإن ظلت قليلة جدا في الفروع التقنية، الزراعية، والصناعية وتوجهت أكثر نحو فروع الدراسة التي توفر مهنة لبرالية مستقبلية، فالدراسة كانت تبدو بدون مستقبل خارج الوجهة الحرة، و يعتبر ذلك في حد ذاته انجازا، لأن العلم لا يعترف بالحدود الإثنية أو القومية أو الإيديولوجية، فتلك الجماعة قد صاغت الخطوات الأولى لمسار العلوم في شكلها المعاصر في بلد تفيض من حيث مشاربه الحضارية، ومناهجه العلمية المعطلة والراكدة منذ تراجع العالم الإسلامي وخضوعه للاستعمار.

(1) Risler : op.cit. p 120.

(2) يقصد بالوساطة "الوساطة الثقافية والسياسية" التي عولت عليها الإدارة الاستعمارية وهي الغاية من تكوين هؤلاء، أنظر: Dominique Glosman et Jean Kremer , Essai sur l'Université et les cadre en Algérie, Paris, Ed du SNRS, (1978), p 17.

لقد تمكنت مؤسسات التعليم العالي الفرنسية في الجزائر من مواكبة تطورات العصر ومن حجر مكانة مرموقة ضمن المؤسسات الفرنسية للتعليم العالي، ولقد أثبت العلماء والباحثين الفرنسيين في الجزائر عن قدرات هائلة في التعامل مع معطيات البيئة الشمال-إفريقية بالدراسة والاكتشاف و النتائج، ومساهمة ذلك في توسيع و ثراء فرنسا وتأكيدها سيطرتها على شمال إفريقيا.

وإذا كانت أهداف العلم غير محدودة ولا تعرف المستحيل، فإن أهداف الاستعمار واضحة وهي ضمان الهيمنة السياسية والاستغلال الاقتصادي، وعلى هذا الأساس يبرز السؤال: هل يمكن الفصل بين ما هو علمي، وما هو سياسي من الإيديولوجية الاستعمارية واستراتيجياتها؟

الواقع أن المسألة شديدة الترابط فيظهر الجهد العلمي ومؤسساته كأداة وظفها الاستعمار خدمة لأيديولوجيته الثقافية، وأيضا لتنمية أساليب الاستغلال والانتفاع من بلد شاسع المساحة متعدد الخبرات مثل الجزائر وكذلك لبناء منظومة تشريع خاصة.<sup>(1)</sup>

يقتضي فهم الدور العلمي لمؤسسات التعليم العالي الفرنسية في الجزائر دراستها في مجالها الطبيعي وهو السياسة الثقافية والتعليمية الفرنسية في الجزائر من جهة وتتبع تطور مؤسسات التعليم العالي من جهة أخرى.

تنبه الباحثون والمهتمون بالظاهرة الاستعمارية، أن الحملة الفرنسية على الجزائر تشبه الحملة الفرنسية على مصر، فقد كانت إحدى غاياتها بعد تحقيق الاحتلال الاكتشاف العلمي، وإخضاع البيئة والمناخ والإنسان إلى الدراسة، وقد تنبه العسكريون والسياسة إلى أهمية الطب ودوره في مساعدة جحافل الجيوش على التغلغل، وكذلك تنبهوا إلى الإمكانيات التي يمنحها، فهو عامل يساعد على استقرار الاستعمار ويضمن بقاءه، فقد كان الإقبال كبيرا عليه، وكانت أول مؤسسات التعليم العالي ظهورا هي مدرسة الطب،

(1) Jean-Claude Vatin, Exotisme et rationalité : à l'origine de l'enseignement du droit en Algérie (1879-1909), pour J.C vatin et al, connaissances du Maghreb-sciences sociales et colonisation, Paris ed du CMRS, (1984), pp 161-183.

فقد صرح الدوق "دومال" يوما مراهنا على المدرسة والطب قائلاً: <sup>(1)</sup> إن بناء مدرسة يعادل فيلقا عسكريا لإحلال الأمن"، كما راهن آخرون على الطب بالقول: "الطب يجمعنا والدين يفرقنا"، أو "يفعل الطب ما لا تفعله البنادق".

إن مسألة التدرج وفق الحاجات والأولويات، جعلت الرهان على الطب في المقام الأول، ذلك أن الحاجة إلى الطب ظلت ضرورة ملحة لا غنى عنها للاستمرار في التوسع الاستعماري، فالطب ليس عملا انسانيا فحسب بل هو وسيلة لضمان سلامة الجيوش في أرض مليئة بالأوبئة الفتاكة، وهو عامل هام للتقارب بين الأوروبيين الغزاة والسكان المحليين، إذ يعكس انطباع الشفاء من المرض تلك الرسالة الحضارية المزعومة، وجاءت مدرسة الطب أولى المدارس العليا المنشأة على أرض الجزائر 1857م، لتدعم هذا النوع من التفكير الاستعماري وتضمن الخدمة الضرورية للجيش والاستيطان الأوروبي. <sup>(2)</sup>

وقد فتحت مدرسة الطب الشهية العلمية لفتح تخصصات أخرى خاصة الحقوق العلوم والآداب، ولقد أوحى هذه المدرسة بامتلاك الجزائر لفضاء علمي واسع، بتنوع غطائها النباتي وبيئاتها، قد اهتم الأطباء والصيادلة بعلم النبات الشمال إفريقي، وسبل استخداماته الطبية وكذلك اهتم هؤلاء بصناعة العطور، واستخلاص ماء الزهر، وحتى سبل استخدام هذه النباتات في المجالات الأخرى الصناعية مثل الحلفاء والفلين.

لقد واكب هذا العمل الخط الذي رسمه البارون "بترون"، ففي حفل بالمدرسة العسكرية للطب في 23 جانفي 1833 صرح: <sup>(3)</sup> مدرسة الطب بمثابة الشعلة العلمية للأجيال القادمة، في بلد نحن بحاجة لمعرفة كل شيء عنه، يجب دراسة المناخ اليوم الأرض، المنتوجات، التطورات الممكنة للثقافة، الأمراض واسبابها واعراضها؛

<sup>(1)</sup> إيفون: المجابيات الثقافية في الجزائر، المرجع السابق، ص 21.

<sup>(2)</sup> نفسه، ص 15: والمقولة مقدمة عن تصريح الجنرال دولاري، ونسبها آخرون إلى عميد أكاديمية الجزائر.

<sup>(3)</sup> Poali : Op.cit. p 409.

عادات السكان و طرقهم في الحياة... درجة تحضرهم وتعلمهم، وإمكانية تطوير هذا وذلك...".

وعلى ما يبدو، لم تكن مدرسة الطب، قادرة لوحدها على انجاز هذه المهمة العلمية الكبيرة، وتحتاج إلى مؤسسات قائمة تعمل على دراسة الجزائر والشمال الإفريقي، من جميع النواحي، وتجد تطبيقات للعلوم على هذه البيئة العذراء، وربما يحتاج ذلك أيضا إلى مدة زمنية يطول أمدها.

ولذلك سارت مختلف الآراء والأفكار المدافعة على إنشاء المدارس العليا في نفس هذا الاتجاه، تواصلت عندما اشتد الجدل حول مستقبلها وتحويلها إلى جامعة وكذلك الشأن بالنسبة للمدارس التقنية والفنية والزراعية التي أنشأتها المصالح المتخصصة، للغرفة الزراعية وغرفة التجارة.

لقد حاول السياسي والبرلماني والعالم "بول بارت"، الذي دافع بأصرار في تقريره سنة 1877م على إنشاء تعليم عالي في الجزائر<sup>(1)</sup> على حاجيات الاستعمار المتمثلة في الحاجة الملحة لتطوير الزراعة وحتى الصناعة المحلية وإذا كانت هذه الصناعة المحلية تتنافى مع الفكر الاستعماري، الذي رفض قبول فكرة إقامة قاعدة صناعية في شمال إفريقيا، منافسة لتلك الموجودة في فرنسا وإنما توجه التركيز نحو ضرورة دراسة الثروات المختلفة التي تزخر بها أرض الجزائر من مناجم ومحاجر ومعادن، وكذلك ضرورة البدا في الأشغال الكبرى المتعلقة بالاستغلال الاقتصادي والضرورية للمستعمرة والإستيطان، فقد تم تكوين التقنيين لإنجاز السلك الحديدية والأنفاق والجسور، وشق الطرقات والتهيئة الإقليمية بشكل عام.

كلما تركزت جهود الدارسين للعلوم الإنسانية حول التراث المحلي وأصبحت الجزائر قبلة للمستشرقين وأصبحت معرفة السكان من أولويات هؤلاء بدراسة مختلف الطبقات الاجتماعية والعادات والتقاليد وكذلك لغة السكان ؛ وفي ذلك العهد كانت فكرة الإدماج

(<sup>1</sup>)Mélea : op.cit. p 53.

ذات دلالات قوية، تربط أساسا بالمعنى الاقتصادي والمنظومات السياسية الإدارية المنشأة في الجزائر والتي عول عليها لتصل لإدماج الاقتصاد الجزائري وبشكل سريع في المنظومة الفرنسية، لتكون بذلك الجزائر "مونوبولا" محليا يتبع الميتروبول الفرنسي، فالهدف هو تحويلها إلى ملحق يتبع المركز في كل شيء في ظل سياسة المشاركة<sup>(1)</sup>.

وقد ارتبط إنشاء وتطوير مؤسسات التعليم العالي بأهداف الاستعمار خاصة الاستغلال الاقتصادي والاستيطان، اللذين ظلا الهدفين الأساسيين الذي يتمحور حولهما الفكر الاستعماري وأيضا إيجاد الطرق المثلى لأحكام السيطرة على السكان تتولاها مدرسة الحقوق يكون دورها الأساسي هو تكوين كوادر قادرة على فهم وإنتاج وتطبيق التشريعات الخاصة بالجزائر المختلفة عن تلك التي تحكم في الميتروبول<sup>(2)</sup>، وقادرة على تذليل الصعوبات نحو تطبيق تلك القوانين في الجزائر على أوسع نطاق، وكذلك أيضا تكريس التفرقة القانونية الموجودة بين السكان المحليين الأصليين و المستوطنين الأوروبيين.

ورغم تعرض المدارس العليا للنقد اللاذع من طرف الكولون بعد حصولهم على الاستقلال المالي للجزائر فإن الغاية السياسية للسلطة الاستعمارية كانت أقوى.

ولقد دافعت السلطة الاستعمارية متمثلة في عميد الاكاديمية "جون مار" وكذلك وزير التعليم "بينفوني مارتن" على هذه المدارس، فقد صرح أثناء مؤتمر جمعية العلماء 1905م ما يلي:<sup>(3)</sup> المدارس العليا ينبغي أن تبقى مصرحا للثقافة العالية، لكن ينبغي أن تتلاءم شيئا فشيئا مع احتياجات البلد الموجودة فيه، يجب أن يأخذ التعليم العالي شكلا خاصا، يتعاون مع كل ما يخدم ثراء وتوسيع البلاد....".

(1) Risler, op.cit. p 119.

(2) Vatin: , op.cit. p 165.

(3) Université d'Alger ,cinquantenaire, op.Cit. p 18.

رسم وزير التعليم بهذا التصريح معالم الخط العلمي للجامعة المزمع إنشاؤها ولكل مؤسسات التعليم العالي ولقد سارت مختلف تلك المؤسسات نحو ضمان الأهداف العليا للاستعمار، وذلك بإيجاد تطبيقات للعلوم على البيئة الشمال-إفريقية، والتوجيه نحو التعليم التطبيقي، في ظل سياسة تثمين المستعمرة" التي تؤدي في النهاية إلى استقلال خيراتها.

وعموما فإن مؤسسات التعليم العالي المنشأة في الجزائر سارت على تناغم مع الأهداف العليا للاستعمار وتحقيقا للأهداف التالية:

- 1) السعي إلى بلوغ مستوى مؤسسات التعليم العالي الفرنسية في المتروبول من حيث نوعية العلوم التي تقدمها، وتطبيقاتها ومواكبتها للعصر.
- 2) أن تأخذ هذه المؤسسات الطابع الفرنسي العام-الفرنسية لا الجزارة- والاختصاص الشمال إفريقي المحلي، بمعنى توظيف المناهج الفرنسية في مختلف العلوم للدراسة العلمية لشمال إفريقيا عامة، والجزائر خاصة.
- 3) أن تتوجه هذه المؤسسات نحو العناية بكل ما هو شمال-إفريقي محلي في مختلف المجالات وتستجيب للحاجات الملحة للمستعمرة.
- 4) أن تتلاءم مع البيئة المنشأة فيها والحاجات الخاصة بها، وذلك في مجال تكوين الإطارات المدعوة للعمل في المستعمرات الفرنسية وخاصة شمال إفريقيا.
- 5) أن تتعاون هذه المؤسسات مع كل ما يخدم ثراء فرنسا وتوسيعها بمعنى توجيه الأبحاث أكثر نحو تطوير المجالات المدرة اقتصاديا والتي تخدم التوسيع الاستعماري، مثل دراسة الصحراء.
- 6) أن تستطيع هذه المؤسسات تطبيق العلوم على البيئة الشمال إفريقية في مختلف الميادين الإنسانية والتقنية.

لقد مكن تطوير مؤسسات التعليم العالي وتوجيهها نحو التخصص إلى زيادة الاهتمام بالصحراء، التي أصبحت موضوعا لكثير من الأبحاث الجيولوجية وأبحاث

المناخ، وأبحاث المياه، وكذلك الأبحاث البترولية فقد تحولت الصحراء إلى فضاء علمي استراتيجي اكتشف الفرنسيون من علماء وباحثين ولجان اكتشاف احتواءها على ثروات هامة، و خاصة مصادر الطاقة العصرية كالبترول والطاقة الشمسية واليورانيوم والمياه، ففيها تم تحقيق المشروع النووي الفرنسي، وبدأت عمليات استغلال البترول وتصديره نحو الموانئ الفرنسية.

لقد سايرت مؤسسات التعلم العالي في الجزائر الأيديولوجية الاستعمارية وسارت على نفس الخط العلمي المحدد لها، وذلك بالاهتمام بكل ما هو محلي وتطبيق تطورات العلوم ونتائجها على البيئة الشمال- إفريقية، فقد اكتست معظم الأبحاث والدراسات الطابع المحلي، او كان لها تطبيقات محلية على البيئة الشمال -إفريقية، إذ استهدفت العضلات العلمية المتعلقة بالبيئة لشمال- إفريقية، فمعهد "باستور" اهتم بالأمراض والأوبئة التي تصيب الإنسان، الحيوان والنبات الشمال إفريقي، ومدرسة الزراعة اهتمت بالمزروعات الصالحة ذات المردود الاقتصادي في البيئة الشمال- إفريقية كالكروم، والحمضيات، والحبوب وغيرها، وتمكنت من تهجين أحسن الأنواع المقاومة للجفاف، والظروف المحلية وحاربت أفاتها مثل الجراد والتصحر، ولقد تمكنت الدراسات المنشورة حول الصحراء من اكتشافها علميا ورصد مقوماتها وخبايها وثرواتها وتنميتها<sup>(1)</sup>، ولعل ما ميز تلك الدراسات هو الطابع التطبيقي للعلوم على كل ما هو شمال إفريقي، وتشهد بذلك مختلف الدوريات العلمية المتخصصة<sup>(2)</sup>، وكذلك الأبحاث المنشورة في مختلف مجالات العلوم، ولعل ما يؤكد هذا هو التطور التدريجي للمؤسسات التعليم العالي نحو استحداث كراسي تتلاءم مع البيئة الشمال إفريقية، وكذلك استحدثت معاهد متخصصة في فترات مختلفة حسب

(1) لقد بدأت عمليات اكتشاف الصحراء عن طريق البعثات والجوسسة وحملات التصيير، حول الموضوع أكثر انظر: حسن مرموري: التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، مطبعة مروان، ط1، 2010.

(2) من هذه الدوريات المتخصصة نجد حوليات الجغرافيا، وكذلك المحلية الإفريقية، وغيرها من الدوريات التي اهتمت بنشر أعمال الباحثين المهتمين بالمسائل المتعلقة بالصحراء وشمال إفريقيا.

الحاجة، ووفقا لتطور العلوم كان بعضها غير موجود حتى في المتروبول مثل معهد الأبحاث الصحراوية ومعهد النظافة والطب لما وراء البحار.

وهذا الخط العلمي الموجه من طرف الإدارة الاستعمارية يجعل من مؤسسات التعليم العالي في الجزائر مؤسسات علمية استعمارية في عين المكان تضاف إلى المؤسسات العلمية الاستعمارية في المتروبول تعمل على تأطير عمل العلماء القادرين على حل جميع المعضلات العلمية المتعلقة بالبيئة الشمال إفريقية طبيعيا وبشريا بشكل مباشر، يقوم هؤلاء العلماء والباحثون بتجميع الخبرات والمعارف المتعلقة بهذه البيئة وإيجاد سبل تطبيقات العلوم عليها، وكذلك تعمل على إعداد الإطارات العارفة بالقوانين الخاصة بالجزائر، والعارفة جيدا بعادات وتقاليد السكان وطبائعهم وتنظيماتهم، وكذلك شيئا من لغتهم.

ويكون بذلك الهدف قد تحقق بتوجيه المجتمع نحو الوجهة التي رسمها الاستعمار، وتعمل على تحقيق سياساته المختلفة في كل مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

وأخيرا ؛ يجدر بنا الاعتراف بأعمال كثير من العلماء والباحثين والمشتغلين في التعليم العالي في الجزائر، والذين قد أثبتوا خدمتهم للعلم في ذاته ووفائهم لمبادئ الثورة الفرنسية، وبذلك رفعوا مستوى التعلم العالي في الجزائر في العهد الاستعماري إلى مصاف عالمي يخضي بالاحترام والسمعة العلمية المرموقة، وإذا كان هذا خدم الاستعمار في شيء فذلك بأن جعل هؤلاء العلماء جامعة الجزائر قبلة للطلاب من أبناء الكولون وكذلك من أرجاء فرنسا ومستعمراتها في مجالات الطب والصيدلة وعلم النبات والزراعة.

## ثانيا: التعليم العالي والأهداف الاقتصادية (1879-1962):

ارتبطت الحركة الاستعمارية بشكل عام بالاستغلال الاقتصادي للمواد الأولية الزراعية والثروات الباطنة التي تزخر بها البلاد المستعمرة، ولعل الجزائر إحدى المستعمرات الفرنسية المعول عليها لتحقيق الرخاء الاقتصادي لفرنسا.

وكما هو معلوم فإن بدايات الاستغلال الاقتصادي كانت باستغلال الأرض عن طريق عمليات المصادرة المنظمة، والنهب عن طريق القوانين الجائرة، ومن ثم تسليمها إلى المعمرين للانتفاع منها واستغلالها بالطرق العصرية .

وإذا كانت الحياة الاقتصادية تتضمن أنشطة الزراعة والصناعة والتجارة ونظام الضرائب فإن السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان، ما علاقة التعليم العالي بالاستغلال الاقتصادي؟ سواء كان للأرض أو غيرها من الثروات؟

لقد عملت السلطات الاستعمارية على فرض أفكارها الاقتصادية سواء في شكل نصوص تشريعية أو بناء المنظومة الاقتصادية الاستغلالية التي تعتمد أساسا على مؤسسات مالية وأخرى إنتاجية وعلى إدارة الرأسمال الفرنسي وتوظيفه واستثماره.

فبعد شروع الآلة الاستعمارية في مصادرة أراضي وأملاك الجزائريين بدأت تدير المعاملات الاقتصادية المختلفة عن طريق مؤسساتها وأعاونها الرأسماليين.<sup>(1)</sup>

لقد عملت الإدارة الاستعمارية على نقل نظامها الزراعي والبنكي وبالتالي أحدثت نقله في نمط التفكير، وكذا في الإمكانية التقنية لتكييف الأهلي وذلك بتحويل شكل الزراعة المعاشية إلى زراعة صناعية تعتمد على زراعة القطن والدخان والكروم وغيرها.

(<sup>1</sup>) Cheres Richard : du gouvernement arabe et le l'institution qui doit l'exercice, Alger, (1848), pp 64-65.

يشرح أحدهم صورة الزراعة في نظر الاستعماريين الفرنسيين قائلًا: "إن الفلاحة هي أولى مصالح الدولة، بل ينبغي القول أنها أولى مصالح الإنسانية... والأرض الإفريقية (الجزائر) تفسح المجال للزراعة الحرة لأنها تحضي بامتياز خصوبة الأرض فهدفنا الاسمي هو استغلالها عن طريق العرب... وذلك بتعليمهم استخدام وسائلنا الفلاحية... ولأجل هذا الغرض ينبغي إنشاء ضيعة نموذجية من طرف كل مكتب عربي...، حتى تصبح مدرسة فلاحية لتعليم طرق الفلاحة....".

وكان الاستعمار يهدف إلى تلقين بعض الجزائريين طرق وأساليب الفلاحة الحديثة ليسخرهم لخدمة الأرض، ولذلك بدأ في إنشاء المعاهد التقنية الفلاحية، التي تكون التقنيين الفلاحين ومسيري الضيعات الفلاحية، مثل مدرسة سكيكدة وروبية.

ومن المزروعات الجديدة التي حاول المستعمرون نشرها هي زراعة القطن ولقد وافقت الإدارة على هذه الزراعة وضرورة اخذها بجدية من الفلاحين الجزائريين<sup>(1)</sup>.

و حاولت الإدارة ابقاء توجيه الفلاحين نحو هذا النمط من الزراعة فقد صدر قرار امبراطوري في 16 اكتوبر 1853<sup>(2)</sup>، يهدف إلى تشجيع زراعة القطن بالقطر الجزائري وذلك باشتراك اليد العاملة الأهلية، كما كان الاهتمام بتحويل زراعة "الحناء" بدائرة بسكرة إلى زراعة صناعية وايضا تم ادخال زراعة التبغ.

أما زراعة الكروم الصناعية فلم تعرف التطور إلا بعد عام 1870م<sup>(3)</sup>، وذلك أن الفلاح الجزائري المعول عليه لإنجاح هذه الزراعة كان قد تحول إلى وضع كارثي بعد مصادرة أرضه، واصبح بالامكان استخدامه كيد عاملة فقط، بعد ان افلسه النظام الربوي السائد بأرباح خيالية.

(1) Ferdinand Hogonnet: Français et arabes en Algérie, paris, (1860), p 143.

(2) صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، ص344.

(3) Agron : les Algériens Musulmans et la France,(1871-1911), T2, BUF, Paris, (1986), p 378.

لقد أفشل تذبذب المناخ في الجزائر ومواسم الجفاف والأمراض تجرية إنتاج القطن والتبغ وغيرهما، وقد عمدت الادارة الاستعمارية إلى تكثيف الأبحاث بغرض إيجاد حلول لهذه المشاكل بإنشاء معاهد متخصصة للتكوين الزراعي وبالتعاون مع مدرسة العلوم .

اهتمت الإدارة الاستعمارية بمصادر الثروة الزراعية الموجودة مثل الزيتون لإنتاج الزيت فقد شجعت الإدارة هذا النوع من الزراعة في المناطق التي تشتهر بزراعته كالقبائل ومنطقة قسنطينة التي كانت تحتوي سنة 1859 على 24 معصرة زيت<sup>(1)</sup>.

و اعتنت الإدارة الاستعمارية بالثروة الحيوانية، وسعت لتطوير استغلالها لصالح الاقتصاد الفرنسي، لما توفره من أصواف وجلود ولحوم للأسواق الفرنسية، فهي مواد استهلاكية وصناعية جيدة، و تفتنت السلطات الاستعمارية إلى نقشي الأمراض التي تعصف بتلك الثروة، فعملت على التغطية البيطرية وعلاج القطعان، وإنتاج اللقاحات اللازمة "للجذري" وغيرها من الأمراض خاصة عن طريق المصالح الفلاحية ومعهد باستور الجزائر.

و سجلت مصالح التفتيش والإحصاء التي تعني بتسجيل وتحديد الضرائب في أنحاء البلاد أرقاما تعكس أهمية الثروة الحيوانية التي كانت سنة 1855 كالاتي:

84399 من الأحصنة، 74703 رأس بغال، 81434 رأس ابل، 426715 رأس بقر و 2534469 رأس غنم و 1064138 أس ماعز.<sup>(2)</sup>

أما فيما يخص المبادلات التجارية -الصادرات والواردات- فقد أصدرت السلطات الاستعمارية مرسوم 21 سبتمبر 1851م الذي ألغى الحدود الجمركية بين الجزائر وفرنسا، وبذلك حول الجزائر إلى ملحق تجاري لفرنسا، و تم في نفس السنة

(1) صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، المرجع السابق، ص ص 350-351.

(2) المرجع نفسه، ص 351.

إنشاء بنك الجزائر في 01 أوت 1851، وإلغاء النقود الجزائرية العثمانية<sup>(1)</sup>، وقد فتحت هذه القوانين الأسواق الفرنسية أمام المنتجات الجزائرية خاصة الحبوب والثروة الحيوانية، ومن جهة أخرى ويفتح هذا القانون المجال واسعا للصادرات الصناعية الفرنسية نحو الجزائر<sup>(2)</sup>.

وعليه فإن ميلاد المنظومة الاقتصادية الاستعمارية، وخاصة البنوك الربوية أثرت كثيرا على الحياة الاقتصادية في الجزائر، وأقصت بشكل مباشر الجزائريين المسلمين منها وذلك ما جعل الجنرال "لاكورتال" يقول "ينبغي أن يقضي على الربا وإلا فإن الشعب العربي سيقضي عليه ولكم الاختيار"<sup>(3)</sup>

لقد سعت الإدارة الاستعمارية إلى ضمان رخاء الاقتصاد المتروبوليتاني وذلك بعدم خلق منافس حقيقي له، خاصة الاقتصاد الجزائري، وذلك بالحد من انتشار الصناعة في المستعمرة وكذلك بعض المنتجات الزراعية ذات الاحتكار الفرنسي فزراعة الكروم ظلت ممنوعة لمدة أربعين عاما حتى لا تنافس جنوب فرنسا، وقد كان لظهورها في الجزائر ظروف خاصة تتمثل في فشل زراعة القطن والتبغ وكذلك تعرض الحقول الفرنسية لداء "الفيلوكسيرا" المهلك للكروم ومحاصيلها<sup>(4)</sup>.

ونظرا لملاءمة المناخ الجزائري لمثل هذه الزراعة، انتقلت الأيدي العاملة المتخصصة إلي الجزائر وزرعت حقول الكروم ودعمتها مدارس الفلاحة ومصالحها، وبذلك اكتسب المعمرون تقنيات غرسها وصيانتها فانتشرت على مساحات شاسعة ففي ثلاثين سنة انتقلت المساحة المزروعة من 20.000 هكتار إلى 200.000 هكتار<sup>(5)</sup>.

(1) Agron: Histoire de l'Algérie contemporaine, T2, op cit, p 28.

(2) Andrie Nouchi: Enquête sur le niveau de vie des population rurales constantinois.

(3) Agron :les Algériens musulmans et la France, T2, op.cit. p371.

(4) Ibid, p 371.

(5) شارل هنري فاقرود: الثورة الجزائرية تر: عبد الرحمان كابوية وسالم محمد، دار حطب للنشر، ص 61.

ولقد أعجب جول فيري بهذا الإنجاز فعبر قائلاً: (1) "إن عبقرية المستعمر القائمة على قسم كبير من الجرأة والثقة بالنفس ولا بد منها بكمية خارجة عن المألوف بالنسبة لهؤلاء - فلاحين الكروم- الذين مع ضربات الإلتلاف ومرض "الفيلوكسيرا" يتقدمون باستمرار إلى الأمام، وفي كل سكان الريف توجد الأرض الصالحة والطرق فهذه الصفوف للكرمات المخضرة كأنها تتعجل تكريس عملية الملكية بصفة سليمة وصائبة للأرض الإفريقية، وذلك بواسطة الزراعة الأكثر قيمة من كل المزروعات...".

إن هذه الزرعة -المفرنسة- التي وجدت الظروف الطبيعية في خدمتها، تحتاج إلى ظروف تقنية ورؤوس أموال ضخمة، ومنظومة مؤسسات متداخلة (التمويل الانتاج، التحويل، التأمين) وكذلك إلى يد عاملة تقنية مؤهلة، خصصت مؤسسات التعليم العالي مخابرها واهتمامها نحو حل المعضلة التقنية لإنجاح هذه الزراعة الصناعية. وتطويرها.

وسمح "نظام المؤسسة" الذي جاء به الاستعمار كوسيلة ناجحة لإدارة الإنتاج والاستغلال والتمويل، والتسويق، بتهميش الجزائريين المسلمين من جهة وإلى إنجاح المشاريع الفرنسية في الجزائر من جهة أخرى.

وشاركت مؤسسات البنوك في تمويل هذه العملية وذلك عن طريق القروض ذات الفوائد الضئيلة بينما ظلت الأرض تؤخذ من أملاك الدولة التي هي في الأساس أراضي الأهالي المصادرة أو التي حجزتها البنوك لتراكم الديون أو التي تم شراؤها.

تمكن المعمرين من التحكم في 90% من زراعة الكروم التي أصبحت تمثل ثلث الإنتاج الفلاحي إجمالاً، هذه الزراعة الهشة التي تعتمد على البنوك وعلى متابعة ومراقبة المصالح الفلاحية الدائمة، فهي زراعة مربحة، تسدد القروضها بعد جني

(1) شارل هنري فاقرود: الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 62-63.

المحصول وفي ذلك يقول غوتي<sup>(1)</sup> في هذه البلاد أرض الثروات الضخمة... لا شك أنه لا يوجد معمر واحد لم يكن في قبضة البنك"، وينتقد التوسع في زراعة الكروم على حساب الإسطان، ويذكر مثلا على ذلك معمر في متيجة يسلم ألف فرنك كأجور للأهالي، غير أنه لا يأوي إلا عائلتين فرنسيتين، ولما تعلم أهل القبائل التشذيب توقف المعمرين عن استرداد اليد العاملة من أوروبا لأنها مكلفة.

وفي نهاية القرن التاسع عشر كان بالارض الجزائرية 400 ألف هكتار من الكروم، لكن بجانبها 11000 هكتار من ملاكي المسلمين الذين يملكون كأفراد من 1 إلى 5 هكتارات وهناك 17 ملكية كبيرة للمعمرين تقدر مساحتها من 500 إلى 900 هكتار وثلاثة ملكيات تفوق ألف هكتار من أهمها ضيعة متيجة وضيعة "كارولي" المرتبطتين بشراكة تحت مراقبة أسرة جرمان، التي تدعم جهود تطوير نوعية الخمور التي تشتغل عليها مدرسة العلوم الفلاحية بالحراش، والتي يعد إنتاجها من أجر الخمور وكذلك عصير "ميسنال".

استوعبت زراعة الكروم اليد العاملة التقنية المكونة في الجزائر وكذلك جهود المهندسين والأساتذة العاملين على تطويرها، فهي توزع 15 مليار فرنك كأجور من جملة 35 مليار فرنك الموجهة للفلاحة، لذلك سمي الفرنسيون زراعة الكروم مفخرة الاقتصاد الجزائري، فهي التي أثبتت رفاهية المستعمر، وهي التي كونت الجزائر إضافة إلى زراعة الحبوب كالقمح والشعير وغيرها<sup>(2)</sup>.

إن إنتاج الكروم واستخلاص الحلفاء وتصدير المواشي الجزائرية، أصبحت من محركات الاقتصاد الاستعماري، مما حتم مد خطوط السكك الحديدية لربط أهم مراكز الإنتاج بالموانئ والهياكل الاقتصادية سواء الفلاحية أو المنجمية حتى وصلت إلى 3500

(1) كمال كاتب: أوروبيون، اهالي شهود بالجزائر 1830-1962، تر: رحمان زيدي: دار المعرفة، الجزائر، ص 127. وانظر أيضا: صالح عباد: الجزائر بين فرنسا والمستوطنين (1830-1930).

(2) كاتب: المرجع نفسه، ص ص 64-65.

كلم سنة 1919م، وذلك ما حتم على مؤسسات التكوين العالي أن تهتم بتكوين الإطارات العاملة المؤهلة لإدارة المؤسسات الاقتصادية والمشاركة في الإنشاءات الكبرى .

وبمجرد ظهور فوائد التوجه نحو زراعة الكروم، بادرت البنوك إلى فتح أبوابها أمام المستثمرين، وقد بدا بنك الجزائر باقتراح تمويل مشاريع زراعة الكروم وذلك بإنشاء مؤسسات مالية اقطاعية ، وشركات مساهمة لأن قوانينه تمنح تدعيم القروض العقارية وارتفع عدد هذه المؤسسات المالية إلى 28 تعاونية سنة 1891، منها ثمانية بوهران و10 في كل من الجزائر وقسنطينة.(1)

ولتجاوز مشاكل التمويل أيضا تم تأسيس القرض العقاري الجزائري " Crédit Foncier d'Alger" الذي يتعاون مع القرض العقاري الفرنسي، لإيجاد سبل للتمويل الضخم الطويل المدى للمشاريع الزراعية الكبيرة غير الصناعية.

ومن بين البنوك المنشأة لتمويل زراعة الكروم "بنك خمور عمورة" أو الشركة الجزائرية لتمويل زراعة الكروم، وقد تمكن من السيطرة على آلاف الهكتارات من مزارع الكروم والتحق القرض اللّيونني "Crédit Lyonnais" بعملية الاستثمار في الكروم ففتح وكالتين في الجزائر ووهران، وتحصل على مزارع بوادي الصومام وجلب تقنيين من ليون ومكون ، التي أصابت كرومها "الفيلوكسيرا"، فأصبح قطاع زراعة الكروم أكثر القطاعات استثمارا في الجزائر .

وبفعل هذا الاقبال الضخم على هذه الزراعة ازدادت مساحة الكروم بمعدل ثمانية آلاف وخمسمائة هكتار في السنة، فمن مساحة 17614 هكتار سنة 1878م بكل الجزائر، أصبحت المساحة 103408 هكتار سنة 1888 ثم 176618 هكتار سنة

(1) محفوظ سماتي: الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، تر: محمد الصغير بناني وعبد العزيز شعيب، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، (2009)، ص ص 158-159.

1944م<sup>(1)</sup>، ورغم ظهور مرض "الفيلوكسيرا" في الجزائر سنة 1888 إلا أن عمليات تطويقه واقتلاع المزارع المصابة ومنع إنتشاره كانت قد تطورت بفضل إستشارة المخابر والمعاهد الزراعية الجامعية الموجودة في الجزائر خاصة المدرسة الفلاحية بالحرش. وشارك البنوك والمزارع في العمليات المعقدة (التمويل البنكي)، وكذلك التأمين على القروض والمعاملات التجارية المختلفة من بني نحتية ومصانع وغيرها، جعلت ضرورات التكوين تزداد أهمية في صلب تطوير اقتصاد المستعمرة، فأُنشِدت المدرسة العليا للتجارة سنة 1900م في الجزائر لتكوين الإطارات التجارية اللازمة. فقد بدأت محاولات جذب رؤوس الأموال الكبيرة، والشركات الكبرى ورجال الأعمال في عهد نابليون الثالث، الذي قدم امتيازات هامة لرجال الأعمال لقاء تنفيذهم لمشاريع للصالح العام والمساهمة في عملية الاستيطان الأوربي التي تعود عليهم بالفائدة. و قد أعلن نابليون الثالث مشروعه "بياريتز" الذي صادر أرضا مساحتها 2672 هكتار طردت منها 96 عائلة جزائرية ليقيم وحدات سكنية للمستوطنين الاوربيين<sup>(2)</sup>. وأصبحت الشركات المستثمرة في الجزائر تجني أرباحا طائلة مثل الشركة العامة الجزائرية إذ وافق الإمبراطور نابليون الثالث بعد استشارة كل من (ريمي) محافظ القرض العقاري و(طالابوت) مدير السكة الحديدية للتنازل عن 100 ألف هكتار وفق اتفاقية 1865 مقابل تقديم 100 مليون فرنك للأشغال العمومية و استثمار 100 مليون أخرى في انجاز قرى فلاحية، وكذلك توظيف 20.000 عائلة أوروبية، و معظم

(1) Isnar Hildebert : La vigne en Algérie, étude géographique, Paris, (1947), p 122.

(2) الصديق تواتي: المبعدون إلى كاليدونيا الجديدة (مأساة هوية منفية، نتائج وأبعاد ثورة المقراني)، دار الأمة للطباعة والنشر، (2015)، ص ص 42-43.

الأراضي المسلمة في القطاع القسنطيني قدرت بـ: 82 ألف هكتار، خاصة بالهضاب العليا 4500 هكتار و 4500 هكتار حول الشلف و 2900 هكتار غرب تلمسان، وقد غيرت تسمية هذه الشركة إلى الشركة الجزائرية سنة 1877<sup>(1)</sup>.

ونظرا للامتياز القديم لهذه الشركة في استغلال الأراضي الزراعية، فقد أصبحت تؤجرها بقيمة تقدر بـ 20 مرة ضعف قيمة مقابل الدفع السنوي.

وهناك شركات أخرى منحت الأراضي مقابل أعمال تهيئة زراعية وأعمال الري، مثل شركة "الهبرة والمقطع" التي يملكها رجال الأعمال "بارتي" الذي منحه السلطة الفرنسية 25 ألف هكتار في الغرب الجزائري مقابل تلك الاعمال.

و تمكنت المدرسة الزراعية من الحصول على مئات الهكتارات لإنشاء المزارع النموذجية، وكذلك معهد باستور من أجل إقامة ملحقاته الريفية، وكذلك الشأن بالنسبة لشركة الغابات التي تحصلت على مساحة 160 ألف هكتار تشغلها لمدة 60 عاما لكنها قامت ببيعها إلى 30 معمرا أوروبيا<sup>(2)</sup>، وسلمت الأراضي أيضا حتى للجمعيات الدينية التي أعادت بيعها أيضا أو استغلتها لصالحها دون رسوم

وقد عملت السلطات الاستعمارية على جذب الرأسمال الصناعي ولكنه وجه نحو الاكتشاف والاستغلال المنجمي لتخوف السلطات الاستعمارية من ميلاد حركة صناعية منافسة لتلك الموجودة في المتربول الفرنسي، وقد قامت بإنشاء مدارس التكوين الصناعي واعتماد التخصصات التي لها علاقة بالبنى التحتية مثل البناء الصناعي والكهرباء، وغيرها، وذلك لاستكمال بناء البنى التحتية لمنظومة الاستغلال الاقتصادي المنشأة في الجزائر، والتي خطط لها لتكون ملحقا "مونوبول" يتبع المركز "المتربول" الفرنسي.

(<sup>1</sup>) الحيلالي صاري: تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962، تر: قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، وثورة أول نوفمبر 1954، ط2، (2010)، ص 32، أنظر أيضا: بشير بلاح: كرونولوجيا الجزائر 1830-2000، الطبعة العصرية، (2011)، ص 61.

(<sup>2</sup>) بلاح: المرجع السابق، ص 60.

إن عملية الإنزال الاقتصادي هذه والأعداد الهائلة للمستوطنين المتعطشين للشراء لم تجد من سبيل إلا تحديث الإمكانيات الفنية والمعارف الزراعية، لبناء منظومة الاستغلال الاقتصادي<sup>(1)</sup>، وكذلك مشاريع الاستيطان وتخطيط المدن والقرى الأوربية وبناء الجسور وحفر الأنفاق ومد طرق المواصلات خاصة السكك الحديدية، وإدارة نظام البريد والمؤسسات المالية، وكلها تتطلب كفاءات عالية وجامعية، أنشأت لها المعاهد المتخصصة الضرورية علي مستوى الجامعة أو أنشأت لها مؤسسات تكوين خارجها.

لاقت منتجات الجزائر ذات الجودة العالية خاصة الخمور، رواجاً كبيراً في الأسواق الأوربية، وحجزت لنفسها مكاناً مرموقاً، بفضل معايير الجودة التي كانت تضمنها مخابر الكيمياء الصناعية في كلية العلوم، ومخابر تطوير نوعية الخمور لمدرسة العلوم الفلاحية. وليست الخمور وحدها من نالت شهرة عالية، بل نجد أيضاً الزيت الجزائري والتمور وبعض الصناعات الغذائية، وذلك بفضل كلية العلوم في جامعة الجزائر ومخابر "معهد باستور" ومعهد العلوم الفلاحية التي ظلت في خدمة الاقتصاد الكولونيالي الفرنسي في الجزائر، وذلك بتوفير الخدمة المطلوبة، من تكوين الإطارات وإجراء التجارب على المواد، ومن ثم المساهمة في خلق الثروة الاقتصادية، وإيجاد الحلول للمعضلات الفنية والتقنية التي تواجه تطوير الزراعة والصناعة والتجارة بالتنسيق مع الإدارة .

لقد كان للنجاح الزراعي والتجاري أثراً هاماً مشجعاً دفع العقل الفرنسي الاستعماري، إلى تمويل مشاريع البحث والتنقيب والاكتشاف للثروات المنجمية ومصادر الطاقة المختلفة، كالبتترول والغاز الطبيعي، والطاقة الشمسية التي توجت باكتشاف البترول، ورصد الإمكانيات الطبيعية للجزائر، في الشمال وفي الصحراء؛ والبحث عن سبيل استغلالها في خدمة الاقتصاد الاستعماري فلقد كان لمؤسسات التعليم العالي

(<sup>1</sup>) Agron : Histoire de l'Algérie contemporaine, BUF Paris, (1974), p 20.

ارتباطا وثيقا بالاقتصاد الاستغلالي فقد ساهمت في بنائه وتطوره بتكوين إطاراته وتقديم خبرتها لإنجاحه وتسخير أبحاثها لحل معضلاته.

### ثالثا: التعليم العالي والأهداف السياسية للاستعمار (1879-1962):

يصعب تحديد مختلف الأهداف بشكل مستقل، وتجزئتها إلى ما هو سياسي وما هو ثقافي، وما هو اقتصادي، لأن الهدف الأسمى للاستعمار من الناحية السياسية، ظل هو الوصول إلى الهيمنة الشاملة، وتحقيق السلطة الفرنسية على الإقليم الجزائري، وتوفير الأمن لصالح المعمرين وضمان المصالح الفرنسية، بناء نظام الإدارة المباشرة " Direct role"<sup>(1)</sup> والذي يقوم على أساس اقحام شعوب الأوطان المستعمرة في نفس النظام السائد في دولة المتروبول لإدماجها، والإدماج - بهذا المعنى - هو التماثل بين المستعمر والدولة المستعمرة في نظام الحكم، والتساوي بينهما، وينطلق الإدماج من نكرة مفادها أن إقليم ما وراء البحار ليس إلا امتدادا للدولة الأم فيجب إذن أن يوضع تحت نفس النظام هناك أو ع الأقل تحت نظام مقارب له ما أمكن، وأن سكان الدولة القاطنة في الجانب الآخر يجب أن تكون حقوقهم وضماناتهم أقل من حقوق وضمانات أولئك الذين يعيشون في الجزء الأقدم من الدولة<sup>(2)</sup>.

وعند محاولتنا تحديد الأهداف السياسية للتعليم العالي الفرنسي في الجزائر نصطدم بسؤال جدلي، مغزاه: هل أن إرساء وتطور التعليم العالي الاستعماري هو هدف سياسي في ذاته؟ أو أنه وسيلة لتحقيق أهداف سياسية استعمارية؟

الواقع أنه من خلال تتبعنا لمسيرة التعليم العالي ومختلف مؤسساته منذ نشأته إلى غاية الاستقلال، أمكننا القول أن المسألة كانت تسير في الاتجاهين معا، فإنشاء التعليم العالي كان هدفا سياسيا تطور بفضل الحاجة الملحة الاستعمارية، لخدمات الطب والترجمة التي فرضت نفسها منذ الأيام الأولى للاحتلال، ثم ازدادت الحاجة إلى دراسة الحقوق والآداب والعلوم مع مرور الزمن، قد تحفض بشأنه بعض المعمرين في بداية القرن العشرين وبعض الساسة أيضا بحجة أن هذا التعليم قد يخلق عملية خطيرة معادية

(1) حسن مرموري: التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن 20، المرجع السابق، ص 72.

(2) محمد حسنين: الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط4، (1986)، ص 30.

لفرنسا وعلى الأقل للاستعمار، ولذلك ظل التحفظ قائما في بعض تلك الأوساط وخاضعا للرقابة فيما يتعلق بقبول الطلاب من الأهالي المسلمين.

لقد كان على التعليم العالي الاستعماري أن يؤدي دورا هاما ومحوريا في تذليل الصعاب عن طريق تطبيق العلوم على البيئة الشمال إفريقية في مختلف المجالات وذلك بإنتاج المعرفة في هذه البيئة او تكيفها معها، ونشرها واستغلالها، وإيجاد الحلول الملائمة على ضوءها.

فقد كان الدور الأمثل لهذه المؤسسات هو أن تمنح الشرعية للاستعمار وتبرره وأن يعكس إلى حد بعيد الصورة التي يريد أن يظهرها وهي رسالة الرجل الأبيض المتحضر" وكذلك ضمان استمرار النتائج السياسية المتمثلة في إيجاد أنجع السبل لفرض السلطة على المجتمع الجزائري، من خلال توظيف نتائج مدارس الأنثروبولوجيا والإثنولوجية<sup>(1)</sup> التي اتخذت من هذه البيئات الجديدة مسرحا لأبحاثها ومن ثم مكانا ملائما لتطبيق نتائجها ونظرياتها، التي تحدد وتبرر الغايات النهائية للاستعمار والوسائل القانونية التي تم التوصل إليها لإدارة هذه الشعوب المستعمرة الموصوفة بالتأخر والبداية<sup>(2)</sup>.

وإذا كان من غير الممكن فصل التعليم العالي عن السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر، وعن ارتباطها بأهداف السياسة الاستعمارية عامة، والمتمثلة في تثبيت أركان الاستعمار، فإن دور التعليم العالي الاستعماري يتجلى بوضوح في تحضير وتكوين العنصر الأوربي، لتعزيز وتقوية سياسة الاستيطان الأوربي<sup>(3)</sup>، والمساعدة في إيجاد

(1)نشأت المدرسة الإثنولوجية الفرنسية سنة 1893 والبركانية سنة 1843، وتمكن التمييز بها من خلال تصور الغايات الهامة للاستعمار وكذلك أساليب إدارة المستعمرات، فالاستعمار الفرنسي يعتمد أسلوب الإدماج المباشر، بينما المدرسة البركانية تعتمد الإدارة غير المباشرة.

(2)مرموري: المرجع السابق، ص 80.

(3)يحيى بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، (2009)، ص 08.

الحلول القانونية لسياسية الإدماج الإشكالية، والعمل على تقريبها أكثر إلى الواقع وكذلك العمل على توسيع النفوذ الاستعماري الاستطاني والاستغلالي ليشمل الصحراء الكبرى والمستعمرات الفرنسية جنوب الصحراء، وإيجاد مختلف الآليات والسبل لضمان استمرار الهيمنة الفرنسية، وكذلك ضمان تبعية هذه الأقاليم للاقتصاد الفرنسي، فتبقي أسواقا للمنتجات الفرنسية ومصدرا للمواد الأولية.

ويتم هذا بنقل انماط الثقافة الغربية، وبناء المؤسسات اللازمة ومنها مؤسسات التعليم العالي التي من شأنها اعتماد أساليب البحث والاكتشاف الحديثة، ومسايرة التطورات التي يفرضها العالم وخاصة القوة الاستعمارية الكبرى مثل بريطانيا، ويتمثل دوره في تحقيق "الفرنسية" علي نطاق واسع وخلق نفوذ ثقافي فرنسي، وذلك بنشر الثقافة الفرنسية الغربية الأوروبية على ابعد الحدود بشكل مكثف وقد يمكن الاستدلال على علاقة التعليم العالي الفرنسي في الجزائر بالمجالات السياسية كالتالي:

### 1- التعليم العالي والتوسع الاستعماري :

قد يستغرب المنتبعون لتاريخ التوسع الاستعماري إدراج المسألة ضمن اهتمامات التعليم العالي الفرنسي في الجزائر ذلك أن إنشاء التعليم العالي جاء في فترة متأخرة كانت فرنسا خلالها قد سيطرت على معظم التراب الجزائري أو بعبارة أخرى يطرح السؤال: ما هي العلاقة بين التعليم العالي والتوسع الاستعماري الفرنسي في الجزائر<sup>(1)</sup>.

الواقع أن الاحتلال الكلي للجزائر لا يشكل الهدف النهائي للاستعمار الفرنسي فالهدف الأسمى منه هو الاستغلال الاقتصادي والتموقع الاستراتيجي للسيطرة على كل منطقة شمال إفريقيا وربطها بالمستعمرات الفرنسية في إفريقيا جنوب الصحراء والعقبة الأساسية لم تحقق الهدف الأخير، هو الصحراء ذلك القضاء الواسع المترامي الأطراف والمجهول بالنسبة للفرنسيين والأوروبيين عامة.

(<sup>1</sup>) أحمد توفيق: جغرافية القطر الجزائري، مكتبة النهضة، ط2، (1983)، ص 138.

وضلت الصحراء الكبرى بشكل عام عالما مجهولا بالنسبة للأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة، وفي ظل التنافس الاستعماري أصبحت قبلة للمكتشفين والمغامرين من مختلف الجنسيات الأوروبية بهدف إدراج الصحراء في معادلة الاستعمار والتجارة الأوروبية في ظل ما اصطلح عليه "التكالب على الصحراء".

ولقد كان وراء هذا الفضول المغامر الألماني "بارث" الذي موله الإنجليز في رحلة لعبور الصحراء نحو منطقة "أبر" بعد نشره لكتابه "رحلات واكتشافات في إفريقية الشمالية والوسطى" سنة 1860م<sup>(1)</sup>، ولقد أثرت المعلومات التي نشرها في توجيه نظرة الأوروبيين وخاصة الفرنسيين لفترة طويلة نحو الصحراء وأهميتها<sup>(2)</sup>.

لقد سارع الفرنسيون إلى إخضاع الفرد ثم تحول الاكتشاف العلمي إلى مسألة اقتصادية وعسكرية في نفس الوقت، وذلك باستعمال أسلوب جديد يسمى بـ "الاكتشاف"<sup>(3)</sup>. تمحورت عمليات الاكتشاف العلمي للصحراء حول محاولة التعرف على إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية، وكذلك مظاهرها الجغرافية والمناخية وطاقتها المالية الجوفية، وتاريخها السياسي والحضاري ودراسة طرق المواصلات بأنواعها وإمكانية عصرنتها ودراسة سبل استغلال الثروات الموجودة والمكتفة، ولذلك بدأت الدراسات حول الصحراء تظهر بكثافة في الدوريات العلمية في شكل مقالات لباحثين متخصصين، خاصة في الحملة الإفريقية، والحواليات الجغرافية وتم أخيرا إنشاء معهد الأبحاث الصحراوية<sup>(4)</sup> سنة 1937م.

كانت المهمات العلمية ترسل إلى الصحراء من خلال البعثات العسكرية والجوسسة، ثم ضمت نشاطات الجمعية الجغرافية، أو كلية العلوم والآداب التي كانت

<sup>(1)</sup>Barth (H) : Voyages et découvertes en Afrique Septentrionale et entérale, Paris, (1860).

<sup>(2)</sup>مرموري: المرجع السابق، ص 49.

<sup>(3)</sup>يحيى بوعزيز: ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر دار البعث، الجزائر، ط1، (1980)، ص 260.

<sup>(4)</sup>Mélia: op.cit. p-p 206-207.

ترسل الجيولوجيين وعلماء الآثار بهدف جمع العينات المختلفة وتسجيل الملاحظات العلمية وحتى رسم الخرائط، ثم تم تشكيل الوعاء العلمي لهذه الأبحاث المتمثل في معهد الأبحاث الصحراوي، وذلك بتوثيق الأبحاث الصحراوية والإشراف على الرحلات الاستكشافية العلمية، والتي كانت تضم نخبة من العلماء من مختلف التخصصات، ومنهم المتميزين وكانت بعثة "فلاترز" من أولى البعثات العلمية الاستكشافية الفرنسية العسكرية، التي لقت حتفها على يد التوارق سنة 1881، وقد ضمت 150 عضوا على رأسهم الضابط فلاترز، وتوالت البعثات دون يأس، ولعل أشهر تلك التي قام بها الأستاذ "جننيل" في أعوام 1845-1897-1889 و 1900م، التي استهدفت التعرف على مجتمعات نهر الكونغو.<sup>(1)</sup>

ولا يهم هنا، معرفة عدد البعثات وتخصصاتها، ومجالات نشاطها، بقدر أهمية المهمة التي تلت احتلال الصحراء، وهي الاكتشاف العلمي للصحراء، من خلال العمل المكثف لجحافل المستكشفين والدارسين والمتخصصين والمغامرين والعلماء والمبشرين والجغرافيين وعلماء الآثار والأطباء وعلماء النبات وغيرهم<sup>(2)</sup>.

وخلال عمليات الاكتشاف والغزو اهتم الفرنسيون بدراسة الامكانيات الاقتصادية التي تتوفر عليها الصحراء والتعرف على المظاهر الجغرافية والطبيعية والتضارسية والمناخية وعلم مصادر المياه والثروات والواحات، وقد اشترك في تلك العمليات علماء وضباط ومترجمين، وعلماء الآثار والجيولوجيون من مختلف مؤسسات التعليم العالي الفرنسية في الجزائر، ولا يسمح المجال لذكر كل تلك الأبحاث والرحلات، فمثلا درس

<sup>(1)</sup> بوعزيز: المرجع السابق، ص 267.

<sup>(2)</sup> عمليات التوغل السلمي للبعثات الصحراوية، انظر: حسن مرموري: التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، المرجع السابق، ص ص 163-188.

الضابط "أوجيرا" الجوانب العلمية الفلكية والمظاهر الفطوبوغرافية لوحات الساورة وكوات ومورتانيا<sup>(1)</sup>.

وتحدث "باجول" عن التكوين الجغرافي والطوبوغرافي كما اهتم "باربروج" بالآبار المائية والإنتاج الفلاحي لمنطقة وادي ريغ، واهتم "داتانو" بدراسة الأرض وأنماط الإنتاج والسكان، وجاء "دفرية" بمعلومات هامة في مجال الأنثولوجيا، ذلك أنه كشف عن التنظيم السياسي التقليدي والعلاقات الداخلية والخارجية للسلطة بما فيها نظام القوافل وحقوق المرور وكيفية التعامل مع اهل الصحراء ورد فعلهم تجاه الأجانب وعدد السكان ومناطق تمركزهم والسلاح الذي يستعملونه<sup>(2)</sup>.

ودرس "بيست" منطقة تيدكلت من الناحية الجغرافية والسكان والسلالات والعادات ودرس "كاسيل" جغرافية عرق اقدي ووادي الساورة وتعرض Capot-rey<sup>(3)</sup> لأهمية آبار وادي ريغ من الناحية الاقتصادية والسياسية.

وعلى ضوء هذه الدراسات برزت أهمية الصحراء الاقتصادية والاستراتيجية في الربط بين المستعمرات الفرنسية، ولقد توسعت احلام فرنسا بشق خط للسكك الحديدية يعبر الصحراء - مشروع كاباني- يمتد من الجزائر إلى ورقلة مع امكانية توسيعه إلى الصحراء كما أدى اكتشاف الصحراء إلى ظهور أولى الخرائط الجغرافية للجزائر عام 1889م بتظافر جهود الأساتذة "فيشور"، "فلامند"، "بروفي" و "جونتل".

وواصل معهد الأبحاث الصحراوية مجهودات هؤلاء الباحثين المتعددي الاختصاصات ليس لاكتشاف الصحراء وإنما "لثمينها". وذلك بتنسيق الأبحاث في مؤسسات التعليم العالي في الجزائر وذلك من أجل اكتشاف ثروات الصحراء واستغلالها فقد اثبتت البنية الجيولوجية للصحراء احتوائها على المعادن النفسية

(1) بوعزيز: المرجع السابق، ص 168.

(2) مرموري: المرجع السابق، ص 193.

(3) شغل كابوري منصب مدير معهد الأبحاث الصحراوية، وأشرف على إصدار حوليات الصحراء التي ضمت معظم الأبحاث الصحراوية سنة 1937-1961.

ومصادر الطاقة كالفحم الحجري -ببشار- والحديد والبتروول والغاز الطبيعي، ومن ثم ازداد تمسك فرنسا بالصحراء من خلال مفاوضات الاستقلال.

## 2-التعليم العالي و سياسة الاستيطان الأوربي:

وفرت السلطات الاستعمارية كل أسباب الاستيطان لجحافل الأوربيين المتعطشين للثراء ولالأرض، وذلك بمصادرة أراضي الجزائريين وتسليمها لهم بطرق مختلفة وتذكر إحصائيات 1901<sup>(1)</sup>، أن عدد الفرنسيين بلغ 286.997 وأن عدد المجنسين بلغ 71.048، وأن عدد اليهود المجنسين وفق مرسوم 24 أكتوبر 1870م الشهير باسم قانون كريمو بلغ 57.044 وأن عدد المقيمين من جنسيات مختلفة بلغ 216.873 كما بلغ عدد الجزائريين 4.065.367 في بداية القرن العشرين.

وقد بلغت أرقام الاستيطان الحر والرسمي هذا المستوى، بسبب التشجيع المتواصل من الادارة الاستعمارية للعملية بتوزيع الأرض والآلات والحيوانات على المستوطن والتي تؤخذ عادة من الجزائريين<sup>(2)</sup>، وذلك جنبا إلى جنب مع التوسع الاستعماري وتذكر المصادر الاستعمارية أنه منذ 1880م وعندما تمكنت فرنسا من فرض الأمن على معظم التراب الجزائري، شرعت في عمليات التأثير الروحي والفكري على الرعايا الجدد، عن طريق تطوير المؤسسات التعليمية وإدخال الطلبة المسلمين إلى المؤسسات الثانوية والجامعية ومعاهد التكوين العالي في نطاق ضيق وبنسب لا يمكن جاوزها، كما تشير الاحصائيات أن الغالبية العظمى من رواد هذه المؤسسات هم من أبناء المعمرين، الذين شكلوا الغالبية الساحقة من الطلاب ذلك أن النظام التعليمي الاستعماري يحد من أعداد المنتسبين إلى هذه المؤسسات من الأهالي

(1)Capitane Passols: l'Algérie et L'assimilation des indigènes musulmans, Etude sur l'utilisation des ressources militaires de l'Algérie, Henri Charles-la Vauzelle, Edition militaire, paris, p08.

(2)بوعزيز: سياسة السلطة الاستعمارية، المرجع السابق، ص 9.

المسلمين، وكذلك بعض المعمرين أنفسهم فأغلبهم كان يتوجه إلى الجامعات الفرنسية في المتروبول.

ويعود هذا الإقبال الكثيف للعنصر الأوربي الفرنسي على مؤسسات التعليم العالي في الجزائر أنها أنشئت أساسا لاستكمال منظومة المؤسسات الموضوعية في خدمة هؤلاء وذلك خوفا من ان الطلاب الذين يتوجهون إلى فرنسا قد لا يعودون تحقيقا لسياسة الاستيطان وظهر ذلك في مرافعات "بول بارت" أمام مجلس النواب حول جدوي التعليم العالي وأهميته بل وظروفه في المستعمرة وكانت السلطات الاستعمارية تتخوف كثيرا من الهجرة في الاتجاه المعاكس، نحو فرنسا لرهانها الكبير على الاستيطان في الجزائر، ولذلك جاءت مؤسسات التعليم العالي لتستجيب لارادة نخبة من المثقفين والسياسيين الفرنسيين المطالبة بضرورة توفير كل ما هو ضروري في المستعمرة<sup>(1)</sup>.

### 3- التعليم العالي وسياسة الإدماج:

ظلت مسألة الإدماج قضية إشكالية ومحل جدل كبير بين الساسة الفرنسيين لما لديها من أوجه وما تتطلبه من زمن طويل للتحقيق وقد تمثل دور التعليم العالي في بحث المسألة وإيجاد سبيل تطبيقها في مختلف الأوجه، وخاصة مسألة الإدماج التدريجي للمسلمين الجزائريين في المواطنة الفرنسية، فالإدماج ضل امتيازا يستفيد منه بعض الخدومين، و"ليس حقا" يستفيد منه الاهالي من جميع حقوق المواطنة الفرنسية<sup>(2)</sup> وذلك حسب رأي أستاذ الحقوق "دي كاردي". فالمسألة كانت تدريجية وذلك لان مفهوم الإدماج من الناحية السياسية يعني جعل الجزائر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وإداريا فرنسية، فهي امتداد طبيعي

(1) العكروت: جامعة الجزائر بين الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين، رسالة ماجستير، المرجع السابق، ص 141.

(2) M. E. Rouardde Card : Etude sur la naturalisation en Algérie BERGER-LEVRAULT, ET Gré Librairies, Edition, Paris1881 ,, p 8.

لفرنسا تتبع النظام الفرنسي، وهي جزء من فرنسا يفترض ان تحكمه المؤسسات والقوانين الفرنسية<sup>(1)</sup>.

أما مسألة إدماج فئة من الجزائريين يرغبون في الحصول على حقوق المواطنة الفرنسية، التي يترتب عنها جميع الحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية، فهذا المعنى لا يتحقق لان الجزائريين عامة والكثير من أفراد النخبة قد رفضوا مسألة التجنيس لارتباطها بالتخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، كما أن التجنيس كان يخضع لشروط ولم ترغب الادلة في ان يطبق على نطاق واسع سواء في مشاريع قوانين او غيرها.

أما سياسة الإدماج الفرنسية التي تهدف إلى إخضاع الجزائر للنظم الفرنسية بمعنى إدماجها اقتصاديا وإداريا في المنظومات الفرنسية فقد تمت إلى أبعد الحدود وقطعت أشواطاً كبيرة قبل مجيء الحاكم العام شارل جونا<sup>(2)</sup>، الذي عرفت مؤسسات التعليم العالي وخاصة الجامعة دعماً كبيراً منه، فقد عمل على تطبيق "سياسة الأهلية" والتي تهدف إلى خلق طبقة مثقفة من الأهالي تعمل على تعديل موازين القوى التي كانت تسير في صالح المستوطنين إلى درجة التهديد بالانفصال عن الوطن الأم.

لقد راهن جونا على تلك الطبقة التي تتراد مؤسسات التعليم العالي الفرنسية من الاهالي وذلك بإطلاق يدها في إحياء بعض القيم الثقافية المحلية، فهي مدعوة للعب دور الوساطة الثقافية والسياسية بين الأهالي والإدارة الفرنسية ويمكن أن تتحول إلى أداة إيجابية في يد الادارة، فهي تعكس صورة "الرسالة الحضارية" المزعومة، ويكون حضاها من التعليم وولوجها للمراحل العليا بمثابة الشجرة التي تضل الغابة، فالغالبية العظمى من المسلمين ثم تجهيلها وحرمانها من التعليم ولا أدل على ذلك من قول

<sup>(1)</sup> Voir, Djamel Kharchi : Colonisation et Politique D'Assimilation en Algérie (1830-1962), Casbah, Alger, 2004.

<sup>(2)</sup> شارل بونار: الحاكم العام للجزائر ثلاث مرات بين (1901-1914). اشتهر بتشجيعه للثقافة الأهلية وقوانينه القمعية

بول برنارد "... ليس من باب الكرم أن ترغب الجامعة في نشر التعليم في منطقة القبائل وكن نجر بصوت عال، إنه من باب تحقيق مصلحة فرنسا"<sup>(1)</sup>.

إن سياسة جونار هي دعم الجامعة والتعليم العلي لصالح المعمرين، ودعوة لتوجيه الأهالي نحو التكوين المهني والزراعي والصناعي ليقفوا عمالا فقط في خدمة الاقتصاد الاستعماري ولا يندرج هذا ضمن دعم الإدماج لأن الرجل من أنصار الجزائر المستعمرة لا الجزائر المدمجة، ولذلك فإن نظرتة الداعمة لمؤسسات التعليم العالي تصب في مصلحة فرنسا، وكذلك تشجيعه للأهالي على أحياء بعض الحرف والفنون وواجه الثقافة التي لا تتعارض مع مصالح فرنسا.

إن منطق الإدماج كان يتطلب تحقيق التماثل الكامل في جميع المجالات بين الجزائر وفرنسا، وهذا ما كان يبدو مستحيلا لما يتعلق الأمر بمستقبل الجزائريين الذين تحكمهم القوانين الخاصة، التي اجتهد الحقوقيين الفرنسيون الجامعيون في دراستها وتحليلها وحتى في صياغتها مثل "اسطيمبو" و "ماسكوري" و "هاردي" وغيرهم الذين ضلت نظرتهم ترفض المساواة مع الأهالي المسلمين، ولعل خير دليل على ذلك قانون 1947 الجزائر الذي ساهم هاردي في صياغته وجاء مخيبا حتي للاندماجين انفسهم .

ونظرة المنظرين الفرنسيين للقوانين الخاصة لم تكن وحدها العائق نحو الإدماج ولا التهليل الذي ظهر لدى بعض الجزائريين<sup>(2)</sup>، أمثال بن حبيلس وإنما ظلت الغالبية العظمى من النخب الأهلية تتمسك بالأحوال الشخصية الإسلامية وهي إحدى أكبر الحواجز أمام فكرة الإدماج التدريجية المسيسة التي تفنقد المعني .

لقد اثبت الإدماج فشله من الناحية الاجتماعية وعلى الأقل في الوسط الجامعي لأن وجود الطلبة المسلمين في الوسط الفرنسي ظل مرفوضا من الفرنسيين أنفسهم، فنجد

(1) غي بارفيه: النخبة الجزائرية الفرنكوفونية 1880-1962، المرجع السابق، ص 389.

(2) المرجع السابق، ص 395.

المعاملات العنصرية والإقصاءات وغيرها من السلوكيات التي جعلت هذا المحيط عكس ذلك الاتجاه في مستواه الاجتماعي علي الاقل.

أما من الناحية القانونية فقد كان رجال القانون المشتغلين بكلية الحقوق يجتهدون في التمييز بين القوانين الخاصة بالجزائر (الأهالي)، والقانون الفرنسي العام، وخير مثال على ذلك إصدار "قانون الجزائر"<sup>(1)</sup>، ودراسة التشريعات الجزائرية والأعراف والقوانين الأهلية بشكل متميز عن القانون الفرنسي والتشريعات الفرنسية واستحداث مقعد خاص للتشريعات الخاصة بالجزائر، قصد فصل التعليم الإسلامي العالي عن مدرسة الجزائر الثعالبية، وانشاء لاحتوائه معهدا عاليا للدراسات الإسلامية سنة 1947 لتخريج القضاة المسلمين الذين لم تبقى لهم سوى الأحوال الشخصية للنظر فيها، وهذا ما يوحى بالابتعاد موضوعيا عن إيجاد آليات قانونية تقترب من تشريع متكامل يمهد لمسألة الاستيعاب القانوني الصعبة من خلال تطبيق القوانين الفرنسية على نطاق واسع.

ومهما كانت ضمانات الإدماج على المستوى السياسي، فإن المسألة على المستوى الثقافي كانت تأخذ أبعادا أخرى كالاغتراب الثقافي وغيرها من مظاهر الغزو الثقافي الذي أفقد الكثير من المنتسبين للتعليم العالي الشخصية الأهلية وبدت على أكثرهم ملامح التفرنس<sup>(2)</sup>؛ والإشادة والمدح المبالغ فيه لفرنسا.

(1) قانون الجزائر: هو مؤلف ضخم أصدرته كلية الحقوق تحت إشراف عميدها استميلو وبالتعاون مع مجموعة من أساتذة الحقوق العاملين بالجزائر، يتضمن مختلف التشريعات والقوانين الخاصة بالجزائر، في مختلف المجالات.

(2) بارفيه: المرجع السابق، ص 396.

#### 4- التعليم العالي والفرنسية:

إن تأسيس الاستعمار الفرنسي لمنظومة التعليم العالي على الأسس الغربية ووفق الأسلوب الفرنسي القائم على اعتماد الفرنسية في تعلم ونشر العلوم يعتبر بشكل أو بآخر اعتداء على المؤسسات التعليمية الأصلية، وعلى الهوية الجزائرية وكل هذا يهدف إلى الفرنسية التدريجية لمختلف مناخي الحياة الجزائرية.

وقد عرف رابح تركي "الفرنسية" بأنها إحلال اللغة الفرنسية وثقافتها محل اللغة العربية وثقافتها، في الجزائر حتى ينسى الجزائريون بمرور الزمن لغتهم وثقافتهم ويستعيضوا عنها باللغة والثقافة الفرنسية، كما حصل في عدد من البلدان في شتى القارات التي تعرضت مثل الجزائر للاحتلال العسكري<sup>(1)</sup>.

والفرنسية لا تعني فقط استخدام اللغة الفرنسية على نطاق واسع بل تعني بالفرنسية إحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية الإسلامية حتى ينسى الجزائريون بمرور الزمن لغتهم العربية وثقافتهم القومية ويستبدلونها بلغة وثقافة المستعمر وبذلك تصبغ كل البلاد بالصيغة الفرنسية في طريقة الحياة ولغة التخاطب والعلوم وأبسط الجزئيات المتعلقة بالحياة، بمعنى جعل الجزائر هي فرنسا أو بعبارة أخرى امتداد حضاري وجغرافي لفرنسا<sup>(2)</sup>.

الواقع أن مسألة اكتساب اللغة التدريجي كانت تم في المراحل الأولى للتعليم الابتدائي والثانوي ولعل شهادة "رامبو الفرد" تؤكد هذا المعنى<sup>(3)</sup>، لقد تم احتلال الجزائر بواسطة السلاح والذي انتهى 1871 بنهاية ثورة المقراني، أما الاحتلال الثاني فتمثل في إرغام الأهالي على قبول إدارتناو عدالتنا في حين أن الاحتلال الثالث يكون عن طريق

(1) رابح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (1981)، ص 106.

(2) أحمد بن نعمان: التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (1981)، ص 115.

(3) Fanny Colonna : les instructeurs Algériennes (1853-1939), OPU, Alger, (1975), p 24.

المدرسة التي عليها أن تضمن سيطرة لغتنا على كل المقومات المحلية وتلقين المسلمين الأفكار التي نؤمن بها نحن كفرنسين عن فرنسا ودورها في العالم.

يستجيب واقع ولغة وهندسة مؤسسات التعليم العالي وخاصة الجامعة، وكذلك النظام الداخلي لبعضها لهذا، فقد تم اعتبار الزي الإسلامي غريبا في بعضها يستدعي الإجراءات التأديبية بل أن الطالب الأهلي لم يكن يميز بملامحة العربية، فكانت تلك الملامح رمزا للازدراء لذلك تساءل بن حبليس: هل الشاشية رمزا للدونية؟<sup>(1)</sup>

ورغم هذه الإجراءات الصارمة غالبا، فإن القضية الأساسية بالنسبة للإدارة الاستعمارية تكمن في التكوين الفكري والروحي، والمثال على ذلك شخصية ابن شيب والذي رغم ارتدائه للزي الجزائري الأصلي واعتزازه به إلا أن السلطات الاستعمارية لا تخشى شيئا من مسألة ولائه لفرنسا<sup>(2)</sup>.

كان محيط مؤسسات التعليم العالي الفرنسية في الجزائر فرنسيا بحثا لغربة اللغة العربية والثقافة المحلية فيه، فالطلبة المسلمون اقلية في جامعة الجزائر ويكاد يندعمون في المؤسسات الأخرى غيرها، والحياة العلمية ولغة التواصل كانت الفرنسية فيها القاسم المشترك بين جميع الطلبة الفرنسيين والأجانب والأهالي، فهي تعكس صورة الفرنسية بامتياز.

إن تحقيق هدف الفرنسية مسألة سياسية بامتياز، قبل أن تكون ثقافية ولا أدل على ذلك من الحرب السياسية المسلطة على العربية، فاللغة العربية أصبحت أجنبية وتدرس في قسم اللغات الحية، أو اللغات الشرقية التابعة لكلية الآداب في جامعة الجزائر ولا يهتم بها سوى المسشرقين والمترجمين ويصدق فيها قول المؤرخ توفيق المدني: "اللغة العربية كان لا يقيم لوجودها أي حساب"، ولذلك تشكلت مسألة إعادة الاعتبار للغة

(1) الطاهر عمرو: تأثير المعلمين الفرنسيين في اتجاهات المتقنين الجزائريين إلى نهاية القرن 19، بدون طلعة، ص 8.

(2) حول شخصية ابن شفيق انظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الجزء 3.

العربية والمطالبة بتدريسها اهم محاور النضال الطلابي والسياسي بعد الحرب العالمية الأولى والثانية.

ولم تكن العربية غائبة فقط لدى فئة رواد التعليم العالي بل شملت الفرنسية مختلف مناخي الحياة، فالحياة في المدن أصبحت فرنسية، وأسماء المدن والشوارع أخذت سيمات فرنسية، واستخدمت في يافطات الفنادق والمسارح والملاهي وغيرها وذلك تحقيقا لمقولة الدوق روفيغو "المعجزة الحقيقية التي يمكن صناعتها في الجزائر هي احلال اللغة الفرنسية شيئا فشيئا محل اللغة العربية"<sup>(1)</sup>

ومسألة تغيب اللغة العربية ليست الوجه الوحيد للفرنسة، فقد تم فرنسة الإدارة والقضاء ما عدا الاحوال الشخصية، وإدارة المعاملات التجارية والأسواق والضرائب وغيرها، في محاولة للوصول إلى الفرنسية التامة للجزائر، اما النتائج فكانت عكسية لأنه كلما اشتد ضغط الاستعمار اشتدت وتطورت أساليب المقاومة التي أدت في النهاية إلى الاستقلال.

وتقول "كميل رسلر" أن أهم مظاهر سياسة الفرنسة تمثلت في مظاهر الهندسة المعمارية وتخطيط المدن، فأصبحت العمارات والمدن فرنسية بكل المقاييس، وما زاد تلك المظاهر هو "الانصاب" التذكارية والمنحوتات وكذلك الأسماء التي تحملها المباني، قد كان للفنون الجميلة دورا كبيرا في إظهار المدن بالمظهر الفرنسي<sup>(2)</sup>.

نخلص إلى القول: بان سياسة الفرنسة هذه التي قامت كل المؤسسات بالعمل على تحقيقها ظلت وكأنها اصطناعية تتم تنفيذها بغلو من طرف الأقلية المهيمنة على البلاد، فذلك كانت مستفزة لأبعد حد للغالبية العظمى من الشعب التي رفضتها لأنها منافية ومتناقضة مع شخصيتها العربية الاسلامية.

(<sup>1</sup>) صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر، عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ص ص 208-209.

(<sup>2</sup>)Risler la politique Culturelle de la France En Algérie, les objectifs et les limites (1830-1962), op.cit. p-p 61-65.

رابعاً: منهج الفرنسيين في العلوم السياسية وعلاقته بالاستعمار (1879-1962):

إن الاحتلال العسكري ليس هو الغاية النهائية للاستعمار، فمنطق القوة والغلبة لا يحتاج إلى مبررات، ولكن فعل الاحتلال هذا والوجود الاستعماري في بلد آخر يختلف جذرياً في ثقافته و تكوينه ونظمه هو الذي يحتاج إلى تبرير، وإذا كانت مسألة "الرسالة الحضارية" موجهة إلى الرأي العام العالمي، فإن مسألة "شرعنة" هذا الاحتلال تتطلب الكثير من الحجج والأدلة المقنعة للرأي العام الداخلي والعالمي، فقد كان على الاستعمار الفرنسي أن يثبت الشرعية التاريخية لهذه العملية، ولذلك استخدمت الإدارة الاستعمارية عدد كبير من المؤرخين والأثريين والأنثروبولوجيين واللغويين لإحداث العمل المطلوب لتشتيت أذهان الأهالي المسلمين الذين لا يعرفون غير الانتماء إلى الأمة الإسلامية، وذلك بتهميش الثقافة الإسلامية والتاريخ الإسلامي، ومحاربة مؤسساته واستقراره وبقائها.<sup>(1)</sup> لقد عملت السلطات الاستعمارية على إنتاج الأطروحات اللازمة لعملية الشرعنة اللازمة ذلك بتوجيه عمل بعض التخصصات من العلوم الإنسانية نحو خدمة الاستعمار، فكيف تم ذلك؟ وما هي التخصصات المعنية بهذه العمليات المرتبطة بالاستعمار؟

#### 1- منهج الفرنسيين في دراسة التاريخ ودعم الآثار والأنثروبولوجيا الاستعمارية:

بدأت الدراسات التاريخية في وقت مبكر من الاحتلال، إذ عكف الكثير من العسكريين على إنجاز بعض الأعمال التاريخية الوصفية، وقد نشطت "الجمعية التاريخية الجزائرية" منذ وقت مبكر، وذلك بإدخال النظم الفرنسية وكذلك المناهج على الدراسات التاريخية، وكذلك الشأن بالنسبة لعلم الآثار فقد استفاد عالم الآثار "شيافي" من أولي رخص التنقيب على الآثار من قيادة الجيش الفرنسي سنة 1831م.

(<sup>1</sup>)Risler : op.cit. p 16.

وفيما يتعلق بالتاريخ يجب التذكير بالعمل الهمجى الذي تعرض له التراث الجزائري في السنوات الأولى للاحتلال، فقد استهدفت الهمجية الاستعمارية - عن قصد- مصادر التاريخ، فتعرضت الكثير من المخطوطات للإتلاف أو النهب أو المصادرة أو الحرق<sup>(1)</sup>. وهدمت الزوايا والمساجد التي كانت تزخر برصيد من الكتب والمخطوطات التي كانت ضمن "الحبوس" خدمة للعلم والدين فاخفت مكتبة الجامع الكبير في مدينة الجزائر ومكتبات قسنطينة وتلمسان ومارونة ومعسكر فقد أباح قائد الحملة "دوبرمون" لجنوده مدينة الجزائر للعبث ونهب ما يجدونه أمامهم فاتلفت أهم المصادر التي اعتقدوا أنها قرآنا، أو تم بيعها أو إهداؤها ونقلها إلى فرنسا<sup>(2)</sup>.

وقد أنشأت مكتبة الجزائر لتكون مركزا لتجميع هذه النفائس، وإبعاها عن أهلها فقد استولى بيربروجر Berbrugger، محافظ مكتبة الجزائر، على أزيد من 700 مخطوط في قسنطينة ونقلها إلى هذه المكتبة<sup>(3)</sup>.

ولقد عرفت بعض المكتبات المنتشرة في الجزائر كالمكتبات الخاصة للأمير عبد القادر وابن الفكون وباشتارزي نفس المصير، ولم تسلم حتى تلك الموجودة في الارياف زوايا زاوة والونشريس والبايور والكثير منها حملها المهاجرون إلى المشرق خوفا من وصول أيدي الاحتلال إليها<sup>(4)</sup>.

ولعل أبرز شهادة على التخريب الذي طال مصادر كتابة التاريخ هي ما ذكره حمدان خوجة عن "كلوزيل" وما قام به من تهديم لمحات القيصرية والتي كانت تباع الكتب وبها النساخون لعدم توفر المطابع في ذلك الوقت، وقد تساءل حمدان خوجة عن

(1) سعد الله: أبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، ص.ص 04 -21.

(2) الجيلالي صاري، مخطوطات قسنطينة ومصيرها بعد سقوط المدينة، مجلة الثقافة ع 50، الجزائر، 1980، ص157.

(3) سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص- ص 327 -329.

(4) صاري، المرجع السابق، ص 158.

دواعي هذا السلوك الصادر عن أولئك الذين يدعون أن مهمتهم في الجزائر هي نقل الحضارة والتمدن ونور العلم، وإذا بهم يهدمون من أول وهلة رغبة منهم في إغراقنا في ظلمات الجهل<sup>(1)</sup>.

لقد تم هدم الموروث الثقافي إلى حد بعيد، ولما استخدم الفرنسيون جزءا منه لكتابة تاريخ الجزائر فإن ذلك كان حسب نظرهم وميولهم، ومن ذلك الحال الجمعية التاريخية التي أصدرت المجلة الإفريقية " African Revue " منذ 1856م وكذلك مركز الأبحاث في الأنثروبولوجيا لما قبل التاريخ والأنتوغرافيا الذي يصدر مجلة ليببكا<sup>(2)</sup>.

لقد كتب الفرنسيون تاريخ الجزائر من منطق كونهم الغالبيين المسيحيين المتحضرين الذين حكموا شعباً مهزوماً، خاصة وأنهم مزودين بوسائل العصر من طباعة وصحف ومناهج وغيرها، ولقد أملت السيطرة والتغلغل الاستعماري على الفرنسيين توسيع مجالات دراستهم ومعرفتهم بالتاريخ والبنى الاجتماعية، وعادات السكان وتطورهم دون الاستغناء عن فكرة الأفضلية التي سادت الفكر الاستعماري والتي على أساسها تقوم رسالة الرجل الأبيض.

وقد جاءت الكتابات التاريخية الأولى وصفية اهتمت بجغرافية الأرض والسكان وأنماط المعيشة وغيرها من المعلومات التي يهتم بها العسكريون وبدونونها في مذكراتهم وتقاريرهم مثل كتابات "كارين" و "بيلسي" و "هانوتو" و "ديلامار" وشارل فيرو ودورماس، وقد اعتبرت هذه الأعمال تقاريراً عسكريّة مكملةً للعمل العسكري أو جزءاً منه<sup>(3)</sup>، ومن هذه الكتابات نجد أيضاً مذكرات الأدباء والرسميون، والذين دونوا ملاحظات، أو كتبوا

(1) حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، نق: محمد العربي الزبييري، الشركة الوطنية للشرح والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 277.

(2) سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، ط2، ص-ص 14 - 21.

(3) سعد الله، المرجع نفسه، ص 18 - 19.

قصصا عن جولات في الجزائر لا تختلف عن قصص الإخباريين ومذكرات وملاحظات الطريق<sup>(1)</sup>، والتي لا يمكن إخضاعها لأي منهج تاريخي أو نقد علمي.

وبتأسيس التعليم العالي وظهور جامعة الجزائر بدأ عهد جديد من كتابة تاريخ الجزائر عند الفرنسيين، وذلك بتكاثف جهود أساتذة الجامعة مع جهود الجمعيات التاريخية والأثرية والأنثروبولوجية، وتوسعت الدراسات لتشمل كل الشمال الإفريقي فأضحت تلك الدراسات على شمال إفريقيا الفرنسية بشكل عام<sup>(2)</sup>.

وقد دشّن هذا المعهد بتخصيص كلية الآداب لجامعة الجزائر، لكراسي متخصصة كرسي تاريخ شمال إفريقيا، وكرسي تاريخ المغرب، وكراسي التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية، والتي شغلها كل من ستفان غزال وماسكوري، وروني باسيه، ودوتي وكذلك الدراسات اللغوية واللهجات، ثم في فترات لاحقة نجد مرسيل امريت وغزافي الذين اهتموا أكثر بالتاريخ الاستعماري أو تاريخ إفريقيا الشمالية الفرنسية ويجدر الذكر أن بعض المؤرخين اهتموا بمسائل تاريخية معينة، كأطروحة إفريقيا الشمالية اللاتينية، والماضي اللاتيني لإفريقيا الشمالية خدمة للمشروع الاستعماري، وقد اتحد حول هذا المشروع المؤرخين والأثرين، يدعمهم عدد كبير من المؤسسات الثقافية كالمتاحف وغيرها، وحاولوا إحياء التاريخ القديم خاصة المرحلة الرومانية، وتوظيف المعالم الأثرية، كشواهد حية للدلالة على هذا الماضي، إضافة إلى اعتبار هؤلاء للفترة الإسلامية المشرقة مرحلة مظلمة وغير تاريخية لم تضاف شيئا إلى الإنسان والبشرية، ذلك أن فكرة إحياء التاريخ الروماني، أو الاحتلال الروماني أصبحت مطلبا ضروريا

(1) فليب لوكا، جزائر الأنثروبولوجيين، نقد السوسولوجية الاستعمارية، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002، ص ص 15-21.

(2) سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج2، ص ص 18-24.

ويتضح ذلك في رسالة كتبها المارشال رندون إلى بربور ومؤرخة في 6 جويلية 1858 جاء فيها<sup>(1)</sup> :

"تاريخ الاحتلال الروماني يظهر جليا ومتناغما مع هذه الأبحاث الهامة، والذي يمنح لنا بدراسة الماضي، معلومات ثمينة للحاضر والمستقبل"، وهي دعوة منة لهؤلاء الباحثين إلى حماية الطرح الاستعماري وشرعنته ؛ وجعل تلك المعارف في خدمة الاستعمار، ومن ذلك عمل Dureau de la malle حول التقنيات العسكرية الرومانية الذي تحول إلى كتب جيب" في متناول الجنود الفرنسيين، أما الأعمال الأثرية فقد وظفت كدليل على الفروق بين الحضارة والبربرية<sup>(2)</sup>، "، ولقد نال الباحث "شاربونو" لقاء أعماله التي توافقت الطرح الاستعماري على قسنطينة، ميدالية جوقة الشرق سنة 1863 ثم عين بعد ذلك مفتشا لمدارس التعليم العالي (المدارس)<sup>(3)</sup>.

وهكذا تم إعادة الاعتبار لعلم الآثار اللاتيني الذي يخدم فكرة (الاسترداد) وبإمكانه طمر المعالم الإسلامية بإهمالها، وذلك خدمة لفكرة أن الإسلام لم يترك آثارا بارزة عند مروره بالجزائر وبذلك أهملت وضاقت معظم المعالم الإسلامية.

تركزت معظم الأعمال التاريخية والأثرية حول إفريقيا اللاتينية منذ 1880م فقد بدأت تلك الأعمال تعرف النور في كلية الآداب بجامعة الجزائر، وذلك من أجل استخدامها كقاعدة اصطناعية بديلة للتراث المهدم بالقوة، تمكن من إعادة إدماج الجزائر في الماضي الأوربي، ذلك بخلق "تاريخ أكاديمي كلاسيكي"، فرنسي يقرب الجزائر أكثر من فرنسا بعد إنتشالها سنة 1830 من عهد الظلمات المزعوم.

ولقد تضافرت من أجل هذه الفكرة جهود الأثريين والمؤرخين والتي أصبحت تظهر

مثل الأطلس الأركيولوجي والتاريخ القديم لإفريقيا الشمالية

<sup>(1)</sup>Risler, op.cit. p 27.

<sup>(2)</sup>Risler, op.cit. p 28.

<sup>(3)</sup>Ibid , p 25.

والعصور المظلمة للمغرب وغيرها والتي تحاول أن تثبت لا تاريخية المرحلة الإسلامية الجامدة، والامتداد التاريخي اللاتيني للجزائر الفرنسية.

إن هذا الارتباط الوثيق بالأهداف الاستعمارية ينم عن الانخراط التام للأقلام الفرنسية خلف المشروع الاستعماري، ويبتعد في الغالب عن الامانة العلمية ما عدا بعض الكتابات التي ظهرت بعد 1930، والتي تشجعت بالنظرة المادية للياسار ووصول الجبهة الشعبية للحكم، والتي أعادت الاعتبار للمسلمين في شمال إفريقيا ككتلة تاريخية مؤثرة، فقد أراد هؤلاء الاستعماريين إنتاج تاريخ يخضع لهم كما أخضعت الأرض والسكان<sup>(1)</sup>.

ولعل خير دليل على هذا الانحراف بعلم التاريخ والآثار عن مساره ما عبر عنه ستفان غزال نفسه بقوله<sup>(2)</sup>: "إن التاريخ يحدد لنا أيضا واجباتنا، فعلينا أن نتسلح بإرادة لا تقهر في أن نكون أسيادا وإلى الأبد".

إن هذه النظرة المشوهة للتاريخ، والتي تتهم الإنسان البربري بالقصور الحضاري أي عدم قدرة شعوب المنطقة على إقامة حضارة أو دولة إلا إذا قادتها أمة أقوى هو إشارة إلى الاستعلاء فالإنسان العربي المسلم قد خرج من التاريخ والإنسان البربري عاجز دون مساعدة غيره على الدخول إلى المدينة بوسائله الخاصة، فذلك قدرها أن تكون تابعة وخاضعة لغيرها<sup>(3)</sup>.

وإذا كان علما التاريخ والآثار قد وظفوا للأغراض السالفة الذكر، فإن معطيات علم الأنثروبولوجيا الاستعمارية، قد وظفت لدراسة الفئات الاجتماعية والاختلافات الاثنية، وسبل الإدارة الممكنة، ذلك أن المدرسة الأنثروبولوجية الفرنسية قد نشأت

(1) محمد مبارك الميللي، "الجزائر والمسألة الثقافية"، مدخل تاريخي، المستقبل العربي، عدد 41 مركز دراسات الوحدة العربية، - بيروت، 1981، ص 55.

(2) محمد شريف ساحلي: تخلص التاريخ من الاستعمار، ترجمة: محمد هناء، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 1992، ص 10.

(3) أحمد صاري: "شارل أندري جوليان والجزائر"، 1914 - 1962، مجلة الحوار الفكري، العدد 01، 2001، ص 92.

منذ سنة 1839م وجعلت من الادماج غاية لنظام الإدارة المباشرة والمركزية الفرنسية<sup>(1)</sup>.

وقد عملت الإدارة الاستعمارية على توظيف معطيات الدراسات الميدانية للأنثروبولوجيا فقد تم تحديد الخصائص الاثنية واللغوية للمجتمع الجزائري القائم على التوأمة بين العربية والبربرية، فراح المنظرون يضعون سياسة التفرقة والعنصرية ولفقا لسياسة فرق سد، فاجتهدوا في خلق نزعة بربرية، معادية لعروبة الجزائر واستغلوا صفة الخصوصية هذه، وحاولوا التنظير لها. وخلقوا مثلما عبرت كاميل رسلر "الأسطورة القبائلية"<sup>2</sup>.

وقد انطلقوا في تنفيذ فكرتهم حول التفرقة بالتمييز الواضح بين اللغتين العربية والأمازغية، وبذلك وضعهم في شكل متقابل جاهز للتغذية العنصرية والتفرقة التي تخدم ديمومة الاستعمار، وقد انطلقوا من فكرة مسلمة لديهم وهي أن تعريب البربر كان جزئيا، وهم أكثر قابلية للاندماج والتكيف مع اللغة الفرنسية وثقافتها<sup>(3)</sup>.

و لعب الإستشراق أيضا دورا مهما، إلى جانب دور المؤرخين والأثريين واللغويين، ضمن زاوية الإستشراق لا التاريخ أهتم بعض المستشرقين أمثال "ماسي الأب" ثم الابن بالدراسات العربية في التاريخ، فظهرت بعض المؤلفات التي تناولت تاريخ المنطقة وركزت على الدويلات التي أنشأها الأجانب، مثل الرستميين أيضا للدلالة على عدم قدرة المحليين علي إنتاج الدول، وكذلك الدعوات الآتية من المشرق وقد تم الاعتماد فيها على أساتذة اللغة العربية والآداب الشرقية وعلي بعض الشخصيات الأهيلة، مثل ابن نشب وإسماعيل حامد وغيرهما لترجمة أعمال

(1) مرموري: المرجع السابق، ص 80.

<sup>2</sup>Risler, op.cit. p 33

(3) مبارك الملي، الجزائر والمسألة الثقافية، مجلة المستقبل العربي، عدد 42، 1982، ص ص58-59.

تاريخية وكذلك لبعض كتب الفقه والنحو والأصول والحديث كصحيح البخاري والأربعين النووية لاحتوائهم لاحتواء الاسلام .

إن زاوية الاهتمام بالآداب المحلية والتاريخ المغاربي ومنابع الثقافة المحلية بشكل عام لم تكن إلا من زاوية تصنيف التراث الإسلامي ضمن الميثولوجيا المحلية، أو الثقافات البائدة، أو التراث، فهو موقف مشبوه من الإسلام، يعتبره نوع من التقاليد الموروثة والفلكلور، وقد اعتبروا الفتح الإسلامي غزوا كغيره من الحملات وتم التركيز على ما يخدم الاستعمار ومساعدته في التفرقة العنصرية، عكس اتجاه الإسلام الذي وحد الأمة على أسس روحية غير مادية قوامها اخوة الدين والمساواة .

وإذا كانت معظم الدراسات التاريخية والإستشراقية ودراسات علم الاجتماع تمتاز بالانحياز للفكر الاستعماري، فإنها اليوم تشكل قاعدة مصادر تاريخية وأثرية هامة أمكن للباحثين الجزائريين الاستفادة منها وتمحيص الغث منها من السمين والصالح من الطالح، باستخدام المناهج المعاصرة، إذ تشكل هذه المصادر من دراسات ومجلات ودوريات واحدة من أهم مصادر الكتابة التاريخية خاصة "المجلة الإفريقية" و"مجلة لبيكا".

كان الهدف من وراء تناول التاريخ بهذا الشكل المجحف والشاذ هو القضاء على الاعتزاز لدى الجزائري بتاريخه بل وطمسه وزرع الريبة والتشكيك فيه وبالتالي زعزعة أركان الشخصية الجزائرية، المنعوتة بالانتماء الى صنفين منحط وبدائي وذلك ما سار عليه نهج العلوم الاجتماعية وعلم الأجناس وعلم النفس وغيرها.

### منهج الفرنسيين في دراسة علم النفس وعلم الاجتماع:

بدأت دراسة علم النفس في جامعة الجزائر والتي على إثرها ظهرت النظرة الكولونيالية "أو مدرسة علم النفس الكولونيالي" والتي تنطلق من ان الإنسان الجزائري الذي

تسميه " إنديجان شمال إفريقيا" في منزلة متوسطة بين الإنسان البدائي ونموذج الإنسان الشرقي المنظور<sup>(1)</sup>.

وكانت أطروحات هذه المدرسة تتمحور حول فقدان الأندجان - الشمال الإفريقي للذكاء والفضول العلمي وكذلك للشخصية، وذلك لفقدانه لعضو تكويني أي قصوره التكويني الجسماني المتمثل في عدم امتلاكه لعنصر ما بين الدماغ والجمجمة « lobepréfrontal »، وذلك وفق دراسات أجراها الأستاذ أنطوان بورو (1876-1965م) واطع أسس النظرية البدائية Théorie du primitivisme، لمن يصفهم بالأهالي الشمال إفريقيين "الأندجان".

ولقد طور أنطوان بورو أبحاثه على أساس اعتبار الإنسان الجزائري مختل التكوين العصبي والعضوي والدماغي. ولقد حاول إثبات - نظريته هذه - من خلال دراسته لأنماط تفاعل العقلية الجزائرية، أو الإنسان الجزائري في المجتمع بوصفه إنسانا مستعمرا، دون النظر الى أهمية الفعل الاستعماري وكل مؤثراته في العلاقة بين المستعمر والمستعمر وذلك ما يشكل استثناء، الهدف الأساسي منه هو شرعنة الفعل الاستعماري بتوجيه اللوم إلى المستعمر وليس إلى المستعمر ومحاولة إيجاد حجج بيولوجية لهذه النظرية، بمعنى إثبات تفوق عنصر أو شعب على آخر، بالأدلة "العلمية"، وطالما أن العملية تسير في صالح الاستعمار فإنها قد جاءت في طريق معاكس للعلم، بمعنى إيجاد النظرية ثم محاولة إيجاد المبررات العلمية البيولوجية لها.

ومن جهة أخرى فإن مؤسسات التطبيب النفساني جاءت موافقة لهذا الطرح ومن ذلك إنشاء مستشفى الأمراض العقلية بجوانفيل بالبليدة سنة 1938م تحت إشراف أنطوان بورو نفسه.

(<sup>1</sup>)Antone Porotet Jan Siftrer : « le primitivisme des indigènes nord africains, ses incidence en pathologie Montale, Revue sud médicale et chirurgicale du 15 Avril 1930.

تعود جذور هذه النظرية إلى مؤتمر مختصي أمراض الأعصاب والجنون الفرنسيين "الذي عقد في تونس سنة 1912، والذي يعتبر المؤسس الحقيقي لعلم النفس الكولونيالي، والذي أوحى بضرورة تكوين الأطباء النفسانيين المدنيين والعسكريين والكف عن إرسال مرضى المستعمرات إلى فرنسا.

لقد اهتمت مدرسة الجزائر بدراسة "العقلية الأهلية" من أجل فهم الحالات المرضية وإيجاد الحلول الفعالة والسريعة، ولقد اعتبر أنطوان بارو المؤسس الحقيقي والمكون لأجيال الأطباء النفسانيين لمدرسة الجزائر، ففي سنة 1918م نشر ملاحظاته حول علم النفس للمسلمين، وأطروحته تتلخص في الكلمات التالية<sup>(1)</sup>، الإنسان الأهلي مختل، مخادع، سارق وكسول. وبالتالي يعرف الإنسان الشمال إفريقي المسلم بكونه كائن هيسيتيري عبد للشكوك والظنون والوسواس، وحسب بارو أن الأهلي المسلم غير قادر على ضمان النشاطات العليا ذات الطبيعة الذهنية والثقافية والعلمية.

و تجاوزت هذه المدرسة بعد 1930 مرحلة التنظير وتوجهت نحو التطبيق ففي سنة 1932 أطلق بارو أطروحته حول<sup>(2)</sup> "النزعة الإجرامية للجزائريين" وقد حاول تقديم تبريرات بيولوجية واهية لهذه النظرية، تعتبر وظائف الجهاز العصبي بدائية مختلفة عن وظائف تلك لدى الأوروبيين، ولعل هذه النظرية لا تتعارض مع العلم فقط ولكنها تتعارض أيضا مع بعض الأطروحات التاريخية الاستعمارية التي تجعل من الجزائريين خاصة والشمال أفريقي عامة ضمن "الأجناس البيضاء المتوسطة"<sup>(3)</sup> والتي

(1) Parot , notes de psychiatrie musulmane –annales médico-psychologiques, 1918, N° 74, pp 377-384.

(2)Parot et Carril, l'impulsivité criminelle chez les indigènes algériens, ses facteurs, –annales médico-psychologiques 1932, N°90, pp 588-611.

(3)Emile Filux Goutier: les siècles obscurs du Maghreb,ed, payot, 1937, cité dans rivé à l'autre de gilles mançeron et hassan kemoun, ed syros 1992, PUF..p45.

يمكنها التطور والاندماج في الحضارة الأوروبية، بينما هذا الجنس حسب مدرسة علم النفس مهتد بالانقراض<sup>(1)</sup>.

وقد عارض الطبيب النفساني فرانس فانون هذا التوجه بشدة لما تم تعيينه عام 1953م كطبيب رئيس في مستشفى البليدة للأمراض العقلية، فحارب النظرية البدائية التي كان يقوم عليها طب وعلم النفس الكولونيالي في الجزائر، وقد ارجع فرانس فانون تلك الاضطرابات التي تظهر على بعض الجزائريين الخاضعين للتطبيب النفسي إلى الوضعية الاستعمارية التي تنتج شعورا بالضجر والكبت، تبعا لمراحل إلغاء الشخصية التي تعرض لها الشعب الجزائري واعتبر تلك النظرية المنحازة لتفوق ارجل الأبيض عنصرية بيولوجية تحولت إلى عنصرية ثقافية تتغذى من النظرية الاستعمارية الاستغلالية الضيقة المبنية على الاستغلال والاستعباد.

لقد انطبقت هذه النظرية على الكثير من الدراسات النفسية الاجتماعية والانتروبولوجية، فقد تأثر علم الاجتماع أيضا بهذه الأفكار وربط المجتمع الأهلي بظواهر الإجرام، التفكك، الجنون، والانحلال والأمراض والتأخر البنيوي والقصور التنظيمي، وكل ذلك خدمة للأغراض الاستعمارية.

لقد سبق من خلال عرضنا للأهداف السياسية مسألة الفرنسية ومكانة اللغة العربية من الدراسات بوصف الفرنسية قضية سياسية سخرت لها الآلة القانونية والإدارية ومنظومات التعليم في مختلف مراحلها لإضفاء الطابع الفرنسي على الجزائر المستعمرة وكل الشمال الإفريقي.

ولقد تم الفصل في مستقبل اللغة العربية ومكانتها وتم اعتبارها لغة أجنبية بقوة القوانين الاستعمارية، بل وأكثر من ذلك تقسيمها إلى لهجات دارجة وعربية أكاديمية وقد أهملت وغيببت وهي إحدى أهم عناصر الهوية الإسلامية لشمال إفريقيا ولولا المدارس

(1)Gautave Mercier: histoire de l'établissement installation des arabes dans l'Afrique septentrionale, paris 1875.

الخاصة ومجهودات الحركة الاصلاحية والحركة الطلابية المهاجرة إلى الزيتونة والأزهر والقرويين، وحفظه القرآن؛ والشعائر الدينية لضاعت وأصبحت غريبة فعلا، وبذلك لم تكن مؤسسات التعليم العالي وخاصة الجامعة فضاءا للصراعات الثقافية بذلك القدر الذي شهدته المؤسسات الثقافية الأصلية، وكذلك المنظمات السياسية التي بدأت في الظهور والجمعيات وخاصة جمعية علماء المسلمين والتي تبنت الدفاع عن مقومات الأمة، وأظهرت استماتة في مواجهة الثقافة الغازية، وكذلك بعض المحاولات الفردية للدفاع عن مقومات الأمة (1).

إن الاستعمار الفرنسي قبل أن يشرع في إنجاز مؤسساته العلمية والثقافية كان قد قطع أشواطا كبيرة من أجل إبادة التراث والثقافة الجزائرية عندما قطع عنها جميع الروافد التي كانت تغذيها، وحاول إيهام الناس بأن التراث الثقافي المحلي الجزائري غير موجود أو انه اضمحل كنتيجة طبيعية لضعفه (2)، وقد نتج عن ذلك أن ظهر مركب النقص لدى الشباب المحروم من ثقافته وظهر ذلك في صور مختلفة تأججت بين التشكيك والحيرة والتردد، أو الاغتراب والاستلاب (3)، بين الكثير ممن ارتاد المؤسسات التعليمية الفرنسية في مختلف مراحلها التعليمية من الابتدائي إلى العالي، وذلك بفضل تلقيه عادات جديدة في التفكير والذوق والسلوك، وحرمانه من عاداته الأصلية عادات أبائه وأجداده.

ولعل أحسن وصف لتلك الفئة التي اختارها الاستعمار لكي تؤم مؤسساته في مختلف مراحلها، ذلك الوصف الذي جاء به الطالب الابراهيمي لتلك الجماعة التي

(1) يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1945) دار البصائر، طبعة خاصة، 2009، ص 21، وأنظر أيضا: مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة.

(2) أحمد طالب الابراهيمي، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، ترجمة حنفي عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 15.

(3) ظواهر الاغتراب والاستلاب الثقافي، هما من نتائج عملية المثاقفة التي تنتج عن اصدام بين ثقافتين، فتحدث عمليات التبادل، وهما ناتجتان أساسا عن اصطدام الثقافتين الغازية والمقاومة في ظل العلاقة بين المستعمر والمستعمر.

كونها الاستعمار، أو النخبة المزيفة من المثقفين فيقول: "إن الهدف الذي كان يرمي إليه الاستعمار واضح، وهو تكوين نخبة مزيفة من المثقفين مقطوعة عن الجماهير الشعبية بحيث يشعر أولئك المثقفون بأنهم غرباء عن ذويهم فتقطع صلتهم بأبناء البلد ويتكثرون لتقاليد وتيشبهون بأسيادهم ويصابون ب "البوفارية العقائدية"، وهي نوع من التبعية الفكرية وتقمص شخصية الأجنبي بوصفه نموذجا مثاليا.

كما يضيف لنا مالك بن نبي في حالات الصراع الفكري العصبية التي يكون عليها الشباب الجزائري المثقف المرتبط بالمؤسسات الفرنسية -طبعاً- وهي تلك الحالة التي يدرك خلالها هذا المثقف أن عملية عزله عن محيطه وهويته قد تمت فعلاً قائلاً: "ولا شك أن أقصى لحظة يواجهها المكافح هي تلك حين يشعر فيها أن عزله قد تم فعلاً من جميع النواحي، وهنا تتضح الهاوية تحت قدميه، وإذا بالظلام يحوطه ويغمر أعماق حياته فلا يرى أمامه طريقاً ولا حيلة وهي أقصى لحظات الصراع الفكري"<sup>(1)</sup>.

وحسب مالك بن نبي دائماً فإن المستعمر في مثل هذه الحالات يتخذ موقفاً لا ثالث لهما، إما الخضوع والانقياد اليقرب من العبودية أو أنه يضمّر العداء دون أن يتمكن من الجهر به.

وقد نجد من بين المثقفين من أظهر آراء متطرفة أحياناً، ومتناقضة فهو ينكر القومية الجزائرية تارة ثم سرعان ما يصبح في الصفوف الأولى للمطالبة بالاستقلال عن طريق القانون" ثم يلتحق أخيراً بالثورة<sup>(2)</sup> وهناك من استمر في خضوعه وانقياده للاستعمار.

تكمن مشكلة التأثير الثقافي أو الثقافة الموجهة في كونها غير مضمونة النتائج ولذلك لا يمكن الجزم بأن الاستعمار قد حقق كل أهدافه تماماً، فنتائج مثل هذا العمل

(<sup>1</sup>) بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، المرجع السابق، ص 07.

(<sup>2</sup>) Ferhat Abbes, le jeune algérienne, EdANEP, 2006, chp, «nous voulons exister» p-p 75-84.

كانت موسومة دائما بأسوء التوقعات لذلك اهتدي الاستعمار تحت ضغط المعمرين المتعصبين إلى إنشاء فئة -تعتبر أقلية من مجموع الجزائريين-، لتستفيد من هذا الامتياز السامي جدا بالحصول على تكوين عال، في وقت كان مصير السواد الأعظم من الجزائريين الجهل والامية.

ولقد استطاع الاستعمار الفرنسي أن يطيل عمر وجوده في الجزائر بفضل احتكاره لوسائل القوة، والتقنية ومؤسسات التعليم العالي، وتخصيصها للفرنسيين دون الجزائريين المسلمين بأغلبية ساحقة، وإنما تمثل دور فتنة الجزائريين المستفيدة من هذا التعليم في لعب دور الوساطة السياسية والثقافية بتسويق ادعاءاته وإنجاح سياساته المختلفة. لقد عملت مؤسسات التعليم العالي الفرنسي في الجزائر، وخاصة الجامعة دور الألة الإيديولوجية المراقبة<sup>(1)</sup> "organe ideologique de contrôle" ومكلفة بإيجاد الأسس الإيديولوجية المبررة للوجود الفرنسي بالجزائر، وكذلك لتؤسس، لتفوق الذكاء الفرنسي، ورفي الانسان الأوروبي، ولقد ضاع المسلمين الجزائريين الذين حضوا بامتياز الانتماء لمؤسسات التعليم العالي الفرنسي في الجزائر بين هويتهم الأصلية واعترافهم بجميل الاستعمار الذي جعل منهم طبقة مميزة و في ذلك يقول الإبراهيمي "هذا المثقف غير مسؤول عن فقدان شخصيته إذ بفضل تلك الثقافة استطاع أن يحصل على العلم والمعرفة فكان منه المحامي والطبيب والمهندس"<sup>(2)</sup>.

يعترف الإبراهيمي، وهو ممن درس بجامعة الجزائر، بفقدان تلك الفئة لشخصيتها الجزائرية، بما تحمل تلك العبارة من دلالة لكن هذا القول يسوق لنا بشكل واضح أن الحصول على العلم والمعرفة بالنسبة للجزائري المسلم المقبول في التعليم العالي الفرنسي كان ثمنه باهض جدا وذلك أن التعليم العالي الفرنسي في مختلف

(<sup>1</sup>) Resler: la politique culturelle de la France en Algérie, op.Cit. p120.

(<sup>2</sup>) طالب الإبراهيمي، من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، المرجع السابق، ص 55.

تخصصاته لم يكن يمت بصلة للثقافة المحلية بل يعمل على طمسها وإغائها من خلال نشر ثقافة نقيضة.

إنه لا يمكن بأي حال من الأحوال حصر مدى تأثير الثقافة الفرنسية على الفئة المتفرنسة رغما عنها، أو بإرادتها من خلال الالتحاق بمؤسسات التعليم العالي الفرنسية الاستعمارية بالجزائر، كما لا يمكن بأي حال من الأحوال حصر الأهداف من ذلك أو فصلها عن بعضها البعض لتداخلها الشديد وامتداد أثارها إلى يومنا الحاضر.

استمرت المدرسة الاستعمارية في إنتاج أطروحات الارتباط بالمستعمرات السابقة لفرنسا، ولعل مثال ذلك قانون 22 فيفري 2006، الذي يمجّد الماضي الاستعماري، وربما يقصد إنجازات فرنسا وخدماتها العلمية للمستعمرات، فنحن من خلال تتبعنا للنشاط العلمي الاستعماري أمكننا الاستدلال على علاقته المباشرة بالاستعمار وخدمته لأهدافه، ولم يكن ذلك في صالح المستعمرات في شيء وخاصة الجزائر التي استغلت خبراتها من خلال إخضاعها لعمليات الاكتشاف العلمي، ثم "تثمين المستعمرة" وفي الأخير "الشروع في عمليات الاستغلال" الاقتصادي الكثيف.

وصحيح أن أهم الغنائم تمثلت في مؤسسات التعليم العالي خاصة الجامعة وتنظيم التعليم العالي والقاعدة العلمية والتوثيقية التي غنمها الجزائريون من خلال الاحتكاك والمجابهة المباشرة مع الاستعمار، والتي مكنت الجزائر الفتية الناشئة من بعض الكوادر اللازمة لإدارة الجزائر وبناء الدولة الجزائرية الحديثة بعد 1962م.

لقد تأكد زيف ادعاءات الاستعمار المتمثلة في الرسالة الحضارية المزعومة في حادثة احراق المكتبة الجامعية يوم 07 جوان 1961م من طرف البربرية الاستعمارية الأنانية والتي اتت على جهد كبير من عمل الباحثين والعلماء في مختلف المجالات وذلك للحيلولة دون أن يستفيد منها الجزائريون في بناء وطنهم الغني، وأكدت هذه الحادثة زيف سياسة الاستعمار من أجل إدخال هذا الشعب في دائرة الحضارة هذا الشعب الموصوف عندهم بالأهالي البرابرة، وأن كل مؤسسات الاستعمار كانت في خدمة الاستعمار

والمستوطنين الأوروبيين ولا أدل على ذلك من حالة الجهل والامية الشبه كلية للجزائريين  
أغداة الاستقلال.

خاتمة

خاتمة:

إن التعليم العالي في حقيقته هو مجموعة وظائف متداخلة (التعليم، البحث، الإنتاج والنشر) المتعلقة بالعلوم والمعرفة. تسهر على ضمان أدائه لوظائفه هذه مؤسسات تعرف بمؤسسات التعليم العالي، أهمها الجامعات، والمدارس العليا والمعاهد المتخصصة في شتى أنواع العلوم.

ونظرا للأهمية البالغة للتعليم العالي، ودوره الفعال، في تكوين العنصر البشري المدعو لتحقيق الرقي والازدهار، ومواكبة عجلة التطور في مختلف المجالات فإن الأمم والشعوب تولي أهمية بالغة له، ولمؤسساته، فهو الضمان الأساسي لاستمراريتها والتطور والتقدم والرقي.

أما فيما يتعلق بالبلاد المستعمرة عامة، والجزائر خاصة، فإن أبناء البلد وفي السواد الأعظم منهم حرموا من هذا الحق في الالتحاق بمختلف مراحل التعليم، وخاصة التعليم العالي، وذلك وفق رغبة وإرادة السلطة الاستعمارية في سياستها التعليمية والثقافية، وإنما ألحق الاستعمار بالتعليم العالي أبناء المستوطنين وموظفي الإدارة الاستعمارية المقيمين في الجزائر، وأشرك بعض الجزائريين الذين لم تكن الإدارة الاستعمارية تتخوف من تعليمهم، أو رأت بأن ذلك ضرورة لاستخدامهم في وظائف محددة لا يمكن أن تجد من الأوروبيين من يشغلها، أو كونها لا تجد العدد الكافي.

أنشأ الاستعمار الفرنسي في الجزائر، مؤسسات للتعليم العالي، في ظل سياساته المتعاقبة طيلة الفترة المدروسة، يمكن خلالها التمييز بين مرحلتين، مرحلة التعليم العالي التحضيري الممتدة بين (1857-1909) والتي تميزت بتأكيد الإدارة الاستعمارية والمختصين على ضرورة إنشاء مؤسسات للتعليم العالي، ولكن الحذر من جهة والظروف العامة من جهة أخرى مثل عدم اكتمال مراحل التعليم الأخرى وتنظيم التعليم العالي في المتروبول الفرنسي، لم تكن تسمح بإنشاء جامعات أو معاهد مستقلة في المستعمرات

## خاتمة

وخاصة الجزائر، وقد تميز التعليم في هذه المرحلة بعدم قدرته على منح الشهادات، بينما أثبت الأساتذة والباحثين قدرتهم على التعامل مع المعطيات العلمية وفي هذه البيئة الجديدة، فمهدوا الطريق لتطبيق العلوم على البيئة الشمال إفريقية وانكبوا على دراسة كل ما هو جزائري. وذلك وفق التوجه العام الذي رسمته الإدارة والسلطة السياسية.

أما المرحلة الثانية فتبدأ مع تأسيس الجامعة وإلى غاية الاستقلال، فقد تحولت خلاله الجامعة إلى جهاز إيديولوجي منظم يعمل على تقوية الايديولوجيا الاستعمارية، وخدمة أهدافها، وإيجاد المؤسسات اللازمة التي تقتضيها الضرورة، والمرحلة والحاجة الاستعمارية في مختلف المجالات، ولذلك نجد خبراء جامعة الجزائر، هم الذين وضعوا حجر الأساس لميلاد بعض مؤسسات التعليم العالي خارج الجامعة، مثل المدرسة الفلاحية، والمدرسة المتعددة التقنيات، وكذلك عملوا على إيجاد بعض المؤسسات الثقافية مثل المتاحف؛ كمتحف ما قبل التاريخ، متحف الفنون الشعبية، متحف الفنون الجميلة، ومن جهة أخرى، فإن الجامعة لم تكن مستقلة، وذلك لوجود الحاكم العام وأعضاء المندوبات المالية في مجلسها، وذلك ما من شأنه أن يكون صمام أمان أمام إمكانية انحرافها عن الخط الاستعماري. ولعل من أهم النتائج التي حققتها جامعة الجزائر، على الصعيد العلمي، وانفرادها ببيئة علمية متميزة هي البيئة الشمال افريقية، التي مكنت بعض الباحثين من تحقيق نتائج هامة، سواء في الفن أو الطب أو العلوم الإنسانية، رفعها إلى منزلة مرموقة بين الجامعات الفرنسية، فهي مركز هام للدراسات الاستثنائية ما وراء البحار وطب المناطق الساخنة، كما تميزت أيضا بالأبحاث الصحراوية وعلم ما قبل التاريخ، واللسانيات وغيرها، وذلك دون أن تخرج عن الخط الاستعماري الذي رسم لها. وهي تخصصات إنفردت بها دون غيرها.

وإذا كانت فرنسا، تملك من مؤسسات التعليم العالي، الاستعمارية في المتروبول عددا لا بأس به، فإن جامعة الجزائر خاصة ومؤسسات التعليم العالي خارجها كالمدراس

## خاتمة

الفلاحية، والفنية والتقنية تعتبر مؤسسات للتعليم العالي الاستعماري في عين المكان، دفعت لتتلاءم شيئاً فشيئاً مع هذه البيئات ومن ثم دراستها وتثمينها، وإيجاد سبل استغلالها وتطويرها، ورغم فشل تجربة التعليم العالي في الهند الصينية (جامعة هانوي)، لرفض الفيتناميين الثقافة الفرنسية في ظل مبدأ آسيا للأسيويين، وتوجههم نحو الجامعات اليابانية، فإن تجربة نجاح التعليم العالي في الجزائر، دفعت الاستعمار إلى تكرار التجربة في تونس بإنشاء مدرسة استعمارية للفلاحة، وكذلك في السنغال (جامعة داكار)، وذلك محاولة من الإدارة الاستعمارية لخلق أجهزة مراقبة وتوجيه ثقافة تمكن من إنتاج وإدماج نخب موالية، تضمن استمرار المصالح الاستعمارية إلى ابعده زمن ممكن.

ويمكن لهؤلاء بدون مبالغة التأكيد والاستدلال على التفوق الثقافي للحضارة الغربية والثقافة الفرنسية الذي خلقته وعملت على رعايته مؤسسات التعليم العالي الاستعمارية فالمواجهات الثقافية الحقيقية في الجزائر المستعمرة، لم تكن مؤسسات التعليم العالي مسرحاً لها، وذلك لوجود أقلية قليلة من الجزائر فيها ظلت بدون تأثير فقد تلقى هؤلاء إذا صح التعبير غزواً ثقافياً كثيفاً ومركزاً جعل منهم فئة جديدة محرجة من الانتماء إلى الأهالي المسلمين، ومبهورة بالحضارة الغربية، وغير قادرة على الاندماج الثقافي في المجتمع الاستعماري الذي يتميز بالعنصرية ورفض الآخر خاصة الأهالي، فظهرت على بعضهم ملامح الحيرة والتردد، والاستلاب أحياناً والانطواء أحياناً أخرى، ولذلك لاحظنا أن بعض الجزائريين القادرين على دخول الجامعة، كانوا يختارون جامعات أخرى خارج الجزائر خاصة تلك في فرنسا لاختلاف البيئة والواقع، أما الباقيين في الجزائر، فقد ظلوا يمجدون فرنسا وحضارتها، ويتباهون بالفرنس والتقدم وغيرها إلى مرحلة متأخرة من النضال الوطني حيث التحق أغلبهم بالنضال الوطني والثورة التحريرية متأخرين عن فئات الجزائريين الأخرى.

## خاتمة

ولعل الأوساط الأهلية، التي تكونت في المؤسسات التعليمية الحرة، وانتقلت إلى مؤسسات التعليم العالي في الزيتونة والقرويين وحتى إلى الأزهر، كانت أشرس مواجهة، وأكثر تمسكا بالمعتقدات الثقافية للجزائر، كاللغة والدين الإسلامي فكان الصراع والمواجهات الثقافية أشرس في هذا المستوى وأكثر حدة من الأوساط الملونة بأغلبية فرنسية مثل مؤسسات التعليم العلي خارج الجامعة، والتي كان عدد الجزائريين فيها قليلا جدا، فمدرسة العلوم الفلاحية لم تستقبل سوى خمسة طلبة من المسلمين الجزائريين طول فترة عملها.

ولعل من أهم الملاحظات إختيار الجزائريين، لتخصصات تؤدي إلى مهن حرة في المستقبل مثل الطب والحقوق، وذلك لمعرفتهم المسبقة بانعدام إمكانية أمامهم لشغل وظائف هامة في الإدارة الاستعمارية، ورغم ذلك لاحظنا توظيف الإدارة الاستعمارية لبعض الجزائريين في الإدارة الامبريالية في المستعمرات الفرنسية أين يتصرفون كفرنسيين في خدمة الإمبراطورية.

وما يمكن أن نستنتجه فيما يتعلق بعلاقة مؤسسات التعليم العالي، بالقطاعات الأكثر ارتباطا بالظاهرة الاستعمارية. فقد أمكننا أن نستنتج مايلي:

**1.** اعتماد الإدارة الاستعمارية على عدد من المستشرقين، والمؤرخين والجغرافيين وعلماء اللسانيات بهدف شرعنة الفعل الاستعماري وذلك بمحاولة إثبات الماضي اللاتيني لشمال إفريقيا، وربط المرحلة الاستعمارية به. واعتبار الجزائر جزءا من فرنسا، طابعيا وتاريخيا وجل هؤلاء نشط في إطار مؤسسات التعليم العالي.

**2.** الترويج لتفوق العقل الفرنسي ، والذكاء الفرنسي، ومن ثمة الترويج لأحقية الرجل حامل الرسالة الحضارية ومسؤوليته التي يمارسها على الشعوب البدائية والمتخلفة والتي تحولت إلى أبشع صورها فتجسدت في أشكالها الاستغلالية والعنصرية ونههما الرأسمالي وقد شكلت مدرسة علم النفس الاستعمارية خير دليل لهذا الوهم الاستعماري.

3. تأكد الإدارة الاستعماري بضرورة التدرج في الوصول إلى الأهداف ولذلك فقد مرت العمليات العلمية في الجزائر، بثلاثة مراحل أساسية، أولها هي مرحلة الاكتشاف العلمي للمستعمرة والتي نشطها العسكريون وعلماء الجمعيات العلمية المختلفة، ثم جاءت مرحلة تثمين المستعمرة والتي عملت على إنجازها مؤسسات التعليم العالي، سواء الجامعة أو غير الجامعة، وصولاً إلى المرحلة الأخيرة وهي مرحلة الاستغلال، والتي أوكلت إلى الشركات الرأسمالية الفرنسية، ولقد ظهرت أشكال هذا الاستغلال والاعتماد على اقتصاد المستعمرة لإنقاذ الاقتصاد الفرنسي خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية.

4. ركزت عمليات تثمين المستعمرة على القدرات الزراعية، وإمكانية تطويرها وأوكلت العملية إلى مدارس التعليم الزراعي وعلمائها، فقد تم تطوير تقنيات الزراعة، وتم التركيز على الأشجار المثمرة، وعمليات التهجين، فأصبحت الجزائر بذلك امبراطورية الكروم والخمور، تنافس أكبر الماركات العالمية، بل وأصبحت الركيزة الأساسية للاقتصاد الاستعماري، فيما عملت الإدارة الاستعمارية على الحذر من قيام صناعة تنافس الصناعة الفرنسية في الجزائر، فعملت على نقل الخامات الجزائرية إلى المتروبول وركزت على الصناعات المنجمية والاستخراجية، لذلك اهتمت بعلم الجيولوجيا وعمل علماء جامعة الجزائر على رسم الخارطة الجيولوجية ورصد أهم الموارد وإمكانية استغلالها بما فيها الطاقة الشمسية والبترو.

5. لا توجد مؤسسات للتعليم العالي بدون دور في الجزائر، فمدرسة الفنون الجميلة ورغم اهتمامها بالفنون المعاصرة، وفن الإستشراق، فإنها لعبت دوراً كبيراً في فرنسة مظاهر المدن خاصة العاصمة بالمنحوتات واللمسات الفنية التي تزين المحيط وواجهات المؤسسات والمباني، أما المدرسة العليا للتجارة والتي تدرس فيها اللغة العربية كمادة أساسية، فإنها قد لعبت دوراً هاماً في إدماج وفرنسة التجارة الجزائرية وربطها خاصة بالتجارة الخارجية الفرنسية. والتي لم يعد للجزائريين المسلمين حظاً فيها، لافتقادهم لثقافة

## خاتمة

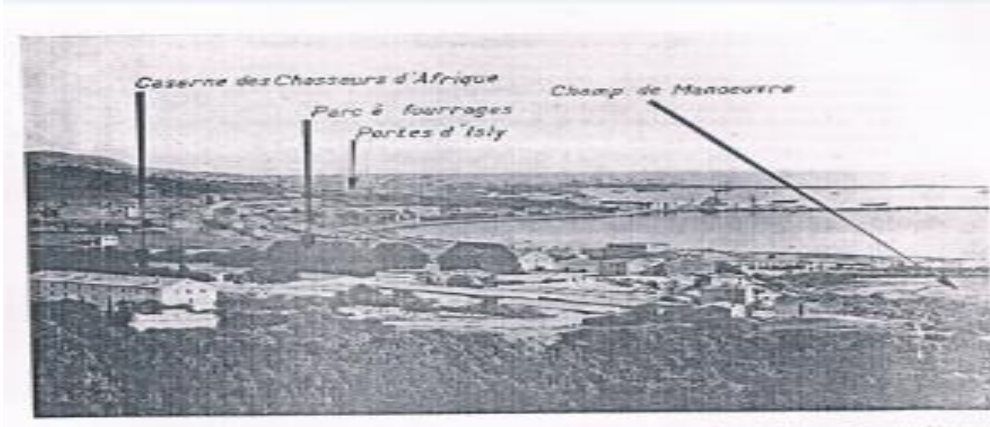
العصر والتكوين اللازم الذي يعتمد على ثقافة المؤسسة، والتي تعتبر الركيزة الأساسية للفكر الاقتصادي في القرن العشرين.

6. يمكن من خلال هذه الدراسة الاستنتاج ببساطة مدى تداخل إستراتيجية الاستعمار القائمة على استغلال كل ما يمكن استغلاله، الأرض، الإنسان والثروات وجعلها في خدمة المتروبول الاستعماري، ويمكن أيضا وبسهولة تنفيذ فكرة ايجابية الاستعمار التي قننتها فرنسا وفق قانون فيفري 2006م والتي أثارت جدلا كبيرا، فإذا كانت فرنسا حرة في النظر ايجابيا لماضيها الاستعماري، فإن ذلك لا يشكل أي ايجابية بالنسبة للبلاد المستعمرة خاصة الجزائر، لطالما أن وقائع التاريخ أثبتت أن كل المؤسسات كانت في خدمة الاستعمار خاصة تلك التي كانت تزين بشكل قليل الوجه القبيح للاستعمار مثل مؤسسات التعليم العالي كالطب والعلوم والفنون وغيرها.

وفي الأخير يمكن القول أن مؤسسات التعليم العالي قد خدمت الاستعمار الذي بنى إستراتيجية في جزء هام منها على هذه المؤسسات، فمؤسسات التعليم العالي كانت مخصصة لأوروبيين والفرنسيين مع أقلية من الجزائريين تبدو غير مؤثرة، أما وظيفة البحث وإنتاج المعرفة فقد وجهت نحو تثمين المستعمرة، برصد واكتشاف خيراتها وثرواتها وإيجاد سبل استغلالها من أجل ثراء ورفاه دولة الاستعمار. بينما عملت أيدي الاستعمار على إتلاف المنشورات والمؤلفات والتي تشكل عمل سنوات من الجهد لكي لا تكون بين أيدي أبناء البلد بعد الاستقلال بإحراق المكتبة الجامعية، وهو عمل حاقد وواعي يفضح العقلية الاستغلالية والعنصرية للاستعمار وينفي عنه الرسالة الحضارية والمسؤولية الإنسانية التي كانت إحدى أهم مبرراته الاستعمارية.

# قائمة الملاحق

# الملحق رقم 1



اختيار موقع المدارس التحضرية العليا



منظر للمدارس التحضيرية العليا

# الملحق رقم 2



## إعلان انطلاق دروس في مدرسة العليا للآداب موسم 1880-1881

افتتحت المنشأة الجديدة أبوابها للتدريس في الموسم 1888م، وقد حضر الافتتاح إلى (Berthelet, Granet, Millard) الرسمي ثلاثة وزراء هم: ميلارد، غراني، وبرتلي جانب الحاكم العام لويس تورمان، وعميد الأكاديمية السيد جون مار الذي عبر عن فرحته بهذه المدارس

# الملحق رقم 3



متحف علم التشريح بكلية الطب جامعة الجزائر

Clinique de neuro-psychiatrie.  
Accouchements et obstétricie sociale.  
Clinique chirurgicale.  
Clinique chirurgicale infantile et orthopédie.  
Clinique thérapeutique chirurgicale et chirurgie expérimentale.  
Clinique urologique.  
Clinique ophtalmologique et ophtalmologie intertropicale.  
Clinique d'oto-rhino-laryngologie.  
Clinique obstétricale et gynécologique.  
Clinique stomatologique.  
Pathologie générale et médicale.  
Pathologie chirurgicale.

**Cliniques annexes :**

Maladies nutritionnelles.  
Pédiatrie et pneumo-phthisologie.  
Chirurgie thoracique.  
Stomatologie.  
Electro-radiologie.

**Maîtres de conférences agrégés et Agrégés attachés aux diverses chaires :**

**Maîtres de conférences agrégés :**

Histologie et embryologie.  
Bactériologie.  
Parasitologie et zoologie médicale.  
Médecine légale et médecine du travail.  
Histoire naturelle pharmaceutique.  
Anatomie pathologique.  
Chimie médicale.  
Sciences physiques (chimie analytique).  
Sciences appliquées (toxicologie).  
Pharmacologie.  
Pathologie expérimentale.  
Hygiène.

**Agrégés :**

Anatomie.  
Médecine.  
Obstétrique.

Chirurgie.  
Pneumo-phthisologie.  
Oto-rhino-laryngologie.  
Pédiatrie (clinique médicale et hygiène infantile).  
Dermato-syphiligraphie.  
Neuro-psychiatrie.  
Ophtalmologie.  
Odonto-stomatologie.  
Urologie.

Profes de chef de travaux : 18.

Profes d'assistant : 32.

Chefs de clinique : 23.

Chefs de laboratoire : 15.

Précepteurs d'anatomie : 2.

Aides d'anatomie : 4.

Préparateurs de cours : 28

Moniteurs : 6 } 34

**Instituts :**

Institut d'hygiène et de médecine d'outre-mer.  
Institut de psychotechnique et de biométrie.  
Institut du trachôme et d'ophtalmologie tropicale.  
Institut d'éducation physique.  
Institut d'odonto-stomatologie.  
Institut d'électro-radiologie.

تطور مقاعد كلية الطب جامعة الجزائر حتى 1959

**CHAIRE D'HISTOLOGIE ET EMBRYOLOGIE**

Précédemment chaire d'anatomie pathologique et histologie (1913) puis chaire d'histologie (A.M. 19 mars 1949) et chaire d'histologie et embryologie (A.M. du 25 juin 1954).

Professeurs : MM. BOUIN — ARCADE — WEISS — COURRIER — HEROT — KISS.

**CHAIRE D'HYDROLOGIE ET CLIMATOLOGIE**

Créée par décret du 20 décembre 1942. L'enseignement de l'hydrologie et de la climatologie faisait partie de la chaire d'hygiène qui s'appela chaire d'hygiène, d'hydrologie et climatologie.

Professeur : M. GARRIGOU.

**CHAIRE D'HYGIENE ET CLINIQUE DES MALADIES DES PAYS CHAUDS**

En 1890, cette chaire portait le nom de chaire d'hygiène et de médecine légale. En 1919, la chaire prend le titre de chaire d'hygiène puis devient chaire d'hygiène, d'hydrologie et de climatologie (décret du 20 mai 1922). Par arrêté ministériel du 27 avril 1924, la chaire d'hygiène et climatologie est transformée en chaire d'hygiène et de clinique des maladies des pays chauds.

Professeurs : MM. CHASSIGNANT — ESCOFFIER — GARRIGOU — LACROIX.

**CHAIRE DE MATIÈRE MÉDICALE**

Cette chaire portait tout d'abord le titre de chaire d'histoire naturelle médicale et matière médicale (4 août 1827). En 1880, il y avait une chaire d'histoire naturelle et une chaire de pharmacie et matière médicale. Le décret du 4 janvier 1910 comptait une chaire de matière médicale puis chaire de botanique et matière médicale (D. du 17-5-23) et enfin chaire de matière médicale (A.M. du 21-7-1949).

Professeurs : MM. BATTANDIER — HÉRAU — RÉSERET — POURCHET.

**CHAIRE DE MÉDECINE LÉGALE ET MÉDECINE DU TRAVAIL**

Le décret du 1<sup>er</sup> novembre 1919 crée une chaire de médecine légale et dédoublément de la chaire d'hygiène et de médecine légale. Par arrêté ministériel du 18 juin 1947 la chaire prend le titre de chaire de médecine légale et médecine du travail.

Professeurs : MM. CHAUVÉ — SEMONIN — THOUET — MERRAË.

**CHAIRE DE PARASITOLOGIE ET ECOLOGIE MÉDICALE**

Créée par décret du 23 février 1929.

Professeurs : MM. PÉROY — RÉSERET — MANSOUR.

**CHAIRE DE PHARMACIE CHIMIQUE ET TOXICOLOGIE**

Le décret du 4 août 1827 crée une chaire de chimie et pharmacie. Le décret du 5 juin 1893 crée une chaire de pharmacie et matière médicale. Le décret du 4 janvier 1910 crée une chaire de pharmacie. Par arrêté ministériel du 4 mars 1929, cette chaire prend le titre de chaire de pharmacie chimique et toxicologie.

Professeurs : MM. LUTZEMER — MESSO — MOURRET — SASSO.

**CHAIRE DE PHARMACIE GALÉNIQUE**

Créée en 1827.

**HISTORIQUE DES CHAIRES**

**CHAIRE D'ANATOMIE**

Créée par décret du 4 août 1827, porta le nom de chaire d'anatomie et physiologie puis celui d'anatomie (décret du 3 juin 1849).

Professeurs : MM. TAULARD — WASSER — LERLAC — de RIBET.

**CHAIRE D'ANATOMIE MÉDICO-CHIRURGICALE ET TECHNIQUE CHIRURGICALE**

Créée en 1827.

M. BOURMONT.

**CHAIRE D'ANATOMIE PATHOLOGIQUE ET ONCOLOGIE HUMAINE ET COMPARÉE**

Le décret du 4 janvier 1910 comptait une chaire d'anatomie pathologique et histologie. Par décret du 19 mars 1913, la chaire est dédoublée en chaire d'anatomie pathologique et chaire d'histologie. Par décret du 24 juillet 1944 la chaire prend le titre de chaire d'anatomie pathologique et d'oncologie humaine et comparée.

Professeurs : MM. PÉGIOL — MONTPELLIER — LUYSSAULT.

**CHAIRE DE BACTÉRIOLOGIE**

Précédemment cette chaire portait le titre de chaire de pathologie générale, microbiologie et parasitologie (créée en 1922) puis chaire de microbiologie et parasitologie (D. du 17 mai 1923) microbiologie et cytophysique (D. du 25 février 1929). Le décret du 7 juillet 1938 transforme cette chaire en chaire de bactériologie.

Professeurs : MM. SOULIE — PÉROY — LAURET — FÉRAL.

**CHAIRE DE BOTANIQUE**

Créée en 1848 par détachement de la chaire de botanique et matière médicale.

Professeurs : MM. TRACY — ROUPEL.

**CHAIRE DE CHIMIE BIOLOGIQUE ET MÉDICALE**

D'abord chaire de chimie et pharmacie (1<sup>er</sup> août 1828). Une chaire de chimie médicale est créée en 1808. L'enseignement de la chimie biologique est dispensé sous forme de cours complémentaires en 1912. Par arrêté du 18 février 1923, la chaire de chimie médicale prend le titre de chaire de chimie biologique et toxicologie transformée en chaire de chimie biologique et médicale (D. du 21-7-1939).

Professeurs : MM. MALOSSÉ — SASSO — MAILLARD — GIBERTON — GRANGEUR.

**CHAIRE DE CHIMIE GÉNÉRALE PHARMACEUTIQUE**

Précédemment chaire de chimie minérale et chimie organique, transformée en chaire de chimie générale pharmaceutique et toxicologie puis en chaire de chimie générale pharmaceutique (6 août 1952).

تطور مقاعد كلية الطب جامعة الجزائر حتى 1959

CHAIRE DE PHYSIOLOGIE

Créée par décret du 3 juin 1883.  
Professeurs : MM. REY — TOURNIER — MALMEZAC — CHARBON (professeur à titre personnel).

CHAIRE DE PHYSIQUE MEDICALE

Créée par décret du 22 juillet 1883.  
Professeurs : MM. CHAILLEN — DUFOUR — SERRA — PERRIS — CHECHER.

CHAIRE DE CLINIQUE MEDICALE

Instituée par décret du 4 août 1887 sous le titre de clinique interne, elle devient chaire de clinique médicale par décret du 4 janvier 1910.

Professeurs : MM. COCHER — ARMIN DUBREIL — AUBRY — LEROU.

CHAIRE DE CLINIQUE DE THERAPEUTIQUE MEDICALE

Créée par décret du 13 février 1889 par transformation de la chaire de thérapeutique.

Professeurs : MM. LEROU — RAYNAUD.

CHAIRE DE CLINIQUE MEDICALE ET HYGIENE INFANTILE

Le décret du 4 août 1887 crée une chaire d'accouchement, des maladies de la femme et des enfants. Le décret du 4 janvier 1910 crée une chaire de clinique des maladies des enfants. Le décret du 21 juillet 1910 supprime cette chaire et crée la chaire de clinique chirurgicale infantile et orthopédie. Le décret du 12 février 1917 crée une chaire de clinique médicale infantile. Par décret du 12 août 1939, cette dernière prend le titre de chaire de clinique médicale infantile et hygiène infantile.

Professeurs : MM. CURTELLE — CRESPIN — GILLOT — SERRATY.

CHAIRE DE CLINIQUE DES MALADIES INFECTIEUSES

Créée par décret du 4 avril 1942.

Professeurs : MM. BERNARD — TRODET.

CHAIRE DE CLINIQUE PATHOLOGIQUE

Créée par décret du 3 février 1889.

Professeur : M. LÉVY-VALENS.

CHAIRE DE CLINIQUE DE DERMATO-SYPHILIGRAPHIE

Précédemment chaire de clinique des maladies des pays chauds et des maladies syphilitiques et cutanées (décret du 4 janvier 1930) devient chaire de clinique de dermatologie-syphiligraphie.

Professeurs : MM. GENT — BRault — RAYNAUD MARIOTTE — HANCO.

CHAIRE DE CLINIQUE DE NEURO-PSYCHIATRIE

Précédemment chaire de pathologie générale et médicale. Par décret du 9 janvier 1884 elle prend le titre de chaire de pathologie générale et clinique de psychiatrie et par décret du 11 janvier 1936 celui de chaire de clinique psychiatrique puis devient chaire de clinique de neuro-psychiatrie (A.M. de 30-4-1942).

Professeurs : MM. FORDY — MANCRAUX — SUTTER.

CHAIRE DE PHYSIOLOGIE

Créée par décret du 3 juin 1883.  
Professeurs : MM. REY — TOURNIER — MALMEZAC — CHARBON (professeur à titre personnel).

CHAIRE DE PHYSIQUE MEDICALE

Créée par décret du 22 juillet 1883.  
Professeurs : MM. CHAILLEN — DUFOUR — SERRA — PERRIS — CHECHER.

CHAIRE DE CLINIQUE MEDICALE

Instituée par décret du 4 août 1887 sous le titre de clinique interne, elle devient chaire de clinique médicale par décret du 4 janvier 1910.

Professeurs : MM. COCHER — ARMIN DUBREIL — AUBRY — LEROU.

CHAIRE DE CLINIQUE DE THERAPEUTIQUE MEDICALE

Créée par décret du 13 février 1889 par transformation de la chaire de thérapeutique.

Professeurs : MM. LEROU — RAYNAUD.

CHAIRE DE CLINIQUE MEDICALE ET HYGIENE INFANTILE

Le décret du 4 août 1887 crée une chaire d'accouchement, des maladies de la femme et des enfants. Le décret du 4 janvier 1910 crée une chaire de clinique des maladies des enfants. Le décret du 21 juillet 1910 supprime cette chaire et crée la chaire de clinique chirurgicale infantile et orthopédie. Le décret du 12 février 1917 crée une chaire de clinique médicale infantile. Par décret du 12 août 1939, cette dernière prend le titre de chaire de clinique médicale infantile et hygiène infantile.

Professeurs : MM. CURTELLE — CRESPIN — GILLOT — SERRATY.

CHAIRE DE CLINIQUE DES MALADIES INFECTIEUSES

Créée par décret du 4 avril 1942.

Professeurs : MM. BERNARD — TRODET.

CHAIRE DE CLINIQUE PATHOLOGIQUE

Créée par décret du 3 février 1889.

Professeur : M. LÉVY-VALENS.

CHAIRE DE CLINIQUE DE DERMATO-SYPHILIGRAPHIE

Précédemment chaire de clinique des maladies des pays chauds et des maladies syphilitiques et cutanées (décret du 4 janvier 1930) devient chaire de clinique de dermatologie-syphiligraphie.

Professeurs : MM. GENT — BRault — RAYNAUD MARIOTTE — HANCO.

CHAIRE DE CLINIQUE DE NEURO-PSYCHIATRIE

Précédemment chaire de pathologie générale et médicale. Par décret du 9 janvier 1884 elle prend le titre de chaire de pathologie générale et clinique de psychiatrie et par décret du 11 janvier 1936 celui de chaire de clinique psychiatrique puis devient chaire de clinique de neuro-psychiatrie (A.M. de 30-4-1942).

Professeurs : MM. FORDY — MANCRAUX — SUTTER.

تطور مقاعد كلية الطب جامعة الجزائر حتى 1959

وقد ارتفع عدد كراسي التدريس في الكلية سنة 1930 إلى 20 مقعد، وقد عرفت ذروة تطورها سنة 1959، فأصبحت تضم 32 مقعد و14 رئيس أعمال و30 مساعدا و20 رئيس عيادة و17 رئيس مخبر و32 محاضر دروس و4 مساعدين لعلم التشريح.

# الملحق رقم 4

## SUCCESSION DES TITULAIRES DANS LES DIFFÉRENTES CHAIRES

(État au 1<sup>er</sup> avril 1959)

### Section Historique.

- DROIT ROMAIN (1918) (1) :**  
Thomas (décédé le 9-8-1933) ;  
Roussier (à compter du 1-11-1939).
- HISTOIRE GÉNÉRALE DU DROIT FRANÇAIS (1919) (2) :**  
Feller (retraité le 8-7-1938) ;  
Charlier (3-3-1939 au 15-11-1948) ;  
Capitant (1-1-1941 au 9-4-1944) ;  
Charlier ;  
Lemoine (à compter du 1-1-1953).
- PANDECTES ET HISTOIRE DU DROIT PRIVÉ (1919) :**  
Tostand (retraité le 1-1-1927) ;  
Viel (du 1-8-1932 au 16-1-1939) ;  
Lambert (à compter du 1-10-1946).

### Section Droit Privé.

- DROIT CIVIL (1<sup>re</sup> chaire) :**  
Vincent ;  
Gubelin ;  
Stéfani (du 1-10-1931 au 1-1-1934) ;  
Rodière (depuis le 1-1-1938) ;  
vacante.
- DROIT CIVIL (2<sup>e</sup> chaire - 1930) :**  
Dujarier ;  
Breton (depuis le 1-1-1933).
- DROIT CIVIL (3<sup>e</sup> chaire - 1930) :**  
Lemoine ;  
Frojaville (du 1-10-1931 au 1-1-1934) ;  
Le Breton (du 29-3-1941 au 11-8-1947) ;  
vacante.
- DROIT CRIMINEL (1916) :**  
Larcher ;  
Lévesque (jusqu'au 1-10-1931) ;  
Berger-Vachon (du 1-8-1933 au 1-12-1941) ;  
Coste-Floret (du 1-12-1941 au 1-10-1947) ;  
Berger-Vachon (du 1-10-1947 au 1-10-1953) ;  
vacante.

(1) Par arrêté ministériel du 7 avril 1959, la désignation est remplacée par celle de : Histoire du droit privé.

(2) Par arrêté ministériel du 7 avril 1959, la désignation est remplacée par celle de : Histoire des institutions.

تطور مقاعد التدريس بكلية الحقوق ( جامعة الجزائر )

**PROCEDURE CIVILE ET VOIES D'EXECUTION (1918) :**  
 Lohrel ;  
 Coste-Floret ;  
 Berger-Yachon (du 1-12-1941 au 1-10-1947) ;  
 Peyron (du 1-10-1947 au 1-10-1950) ;  
 Chauveau (à compter du 1-10-1950).

**DROIT COMMERCIAL (1918) :**  
 Gérard ;  
 Chauveau ;  
 Derriès (à compter du 1-10-1950).

**DROIT CIVIL APPROPONDI (1948) :** vacante.

**DROIT CIVIL COMPARE (1948) :** vacante.

**Section Droit Public.**

**DROIT ADMINISTRATIF (1918) :**  
 Collin ;  
 Mailloux (retiré le 1-10-1945) ;  
 Mahieux (à compter du 1-12-1952).

**DROIT PUBLIC (1921) (1) :**  
 Benveniste (jusqu'au 3-4-1944) ;  
 Faure (du 1-1-1948 au 1-1-1954) ;  
 vacante.

**DROIT PUBLIC (1921) (2) :**  
 Dupuy (du 1-10-1954 au 1-12-1955) ;  
 vacante.

**DROIT SOCIAL :** vacante.

**DROIT PUBLIC (3) :** vacante.

**DROIT PUBLIC GENERAL :** vacante.

**Section Economique.**

**ECONOMIE POLITIQUE (1<sup>re</sup> chaire - 1914) :**  
 Chaubin (jusqu'au 16-12-1922) ;  
 Bousquet (du 1-11-1922 au 1-2-1949) ;  
 Saint-Germès (du 3-1-1948 au 1-2-1950) ;  
 Peyron (du 1-10-1950 au 1-10-1951) ;  
 vacante.

**ECONOMIE POLITIQUE (2<sup>e</sup> chaire - 1921) (4) :**  
 Maudier ;  
 Gaffet (à compter du 1-10-1950).

**ECONOMIE POLITIQUE APPROPONDIE (1951) :**  
 Saint-Germès (du 1-10-1951 au 1-10-1954) ;  
 vacante.

(1) Par arrêté ministériel du 7 avril 1921 la désignation est remplacée par celle de : Droit constitutionnel.  
 (2) Par arrêté ministériel du 2 avril 1925, la désignation est remplacée par celle de : Droit international public.  
 (3) Par arrêté ministériel du 7 avril 1925, la désignation est remplacée par celle de : Droit général.  
 (4) Par arrêté ministériel du 7 avril 1925 la désignation est remplacée par celle de : Droit social.

### تطور مقاعد التدريس بكلية الحقوق (جامعة الجزائر)

#### ETAT DU PERSONNEL ENSEIGNANT

**En 1963-1918 :**

**MM.** Moreau, Professeur de Droit Musulman, Doyen.  
 Thomas, Professeur de Droit Romain, Assesseur.  
 Vincent, Professeur de Droit CIVIL.  
 Collin, Professeur de Droit Administratif (en congé).  
 Charpentier, Professeur de Législation Algérienne et Tunisienne.  
 Gérard, Professeur de Droit Commercial.  
 Lachier, Professeur de Droit Comparé.  
 Feitler, Professeur d'Histoire Générale du Droit Français.  
 Chaubin, Agrégé.  
 Nicod, Agrégé.  
 LeGros, Chargé de cours.  
 Bourdeix, Chargé de cours.  
 Dactolis de Saint-Sauveur, Chargé de cours.

**Au 1<sup>er</sup> avril 1959 :**

**MM.** Chauveau, Professeur de Procédure Civile et Voies d'Exécution, Doyen honoraire.  
 Gaffet, Professeur d'Economie Politique, Doyen honoraire.  
 Fard, Professeur de Législation Algérienne, Doyen honoraire.  
 Boutein, Professeur de Droit Civil, Doyen et Doyen honoraire.  
 Bouquet, Professeur de Sociologie Nord-Africaine.  
 Maudier, Professeur de Droit Romain, Directeur du Centre de droit comparé.  
 Saint-Germès, Professeur d'Economie Algérienne, Directeur du Laboratoire de Statistique et d'Economie appliquée de l'Algérie du Nord.  
 Lambert, Professeur de Pandectes et Histoire du Droit Privé, Assesseur en chef, directeur de l'Institut d'Etudes juridiques de Constantine.  
 Mahieux, Professeur de Droit Administratif, Directeur de l'Institut d'Etudes politiques.  
 LeGros, Professeur d'Histoire Générale du Droit Français, Directeur de l'Institut d'Etudes juridiques d'Oran.  
 Chaubin, Professeur de Droit Musulman détaché en qualité de Doyen de la Faculté de Droit de Beyrouth, Liban.  
 Derriès, Professeur de Droit Commercial.  
 Chapuis, Professeur à titre personnel détaché à l'Institut des Hautes Etudes de Turin.  
 Collin, Professeur sans chaire détaché à la Faculté de Droit de Bâle.  
 Colson, Agrégé (Droit Privé).  
 Fontaine, Agrégé (Economie Politique).  
 Gendreau, Agrégé (Economie Politique).  
 Robert, Agrégé (Droit Public), Directeur du Service des Travaux pratiques.  
 Sicard, Agrégé (Histoire du Droit), Directeur des Salles de Travail.  
 Vidal, Agrégé (Droit Privé).  
 Fatah, Agrégé (Droit Privé).  
 Chabert, Agrégé (Economie Politique), Directeur de l'Institut de préparation aux affaires.  
 Charpentier, Agrégé (Droit Public).  
 Lemoine, Agrégé (Droit Public).



### حالة المستخدمين بكلية الحقوق (1909-1959)

نظام التدريس في مدرسة الحقوق، كان مطابقاً لذلك المعمول به في المتروبول، مع اجتياز امتحان نهائي يتضمن مادتان هما الحقوق الإسلامية والتشريع الجزائري، وجزء شفهي يتضمن خمسة أسئلة مركزة حول التاريخ والجغرافيا الجزائرية واللغة العربية.

# الملحق رقم 5

### HISTORIQUE DES CHAIRES ET MAITRISES DE CONFERENCES

La classification adoptée est celle de : Sciences mathématiques, Sciences physiques et chimiques, Sciences naturelles.

L'année figurant derrière le nom de la Chaire ou de la Maîtrise de Conférences est celle de la création de la Chaire ou de la Maîtrise.

Nombre de Chaires au 15 avril 1959 ..... 18

Nombre des Maîtrises de Conférences à la même date ..... 50

#### CHAIRES

##### CHAIRE D'ANALYSE SUPERIEURE (1851)

M. de Poenr (1851) (détaché au C.N.R.S. depuis 1957).

##### CHAIRE D'ASTRONOMIE (et Directeur de l'Observatoire) (1800)

MM. TITREAU (1800-1807).

GOUBERT (1807-1838) Chargé de la Direction jusqu'en 1831.

LEFRÈRE (1831-1838).

MEYER (1838-).

##### CHAIRE DE MATHÉMATIQUES (1888)

MM. THIVIERZ (1888-1907).

DULAC (1908-1910).

CAHENS (1911-1941).

BOUSSON (1941-).

##### CHAIRE DE MÉCANIQUE RATIONNELLE ET APPLIQUÉE (1918)

MM. ROTTEY (1918-1939).

de POINCARÉ (1941-1951).

D'ONOFRA (1952-1955).

CHEM. (1955-).

##### CHAIRE DES MÉTHODES MATHÉMATIQUES APPLIQUÉES À LA PHYSIQUE ET DE CALCUL DES PROBABILITÉS (1951)

M. BOUX (1958-).

##### CHAIRE DE PHYSIQUE (1880)

Depuis le 11 juin 1921, chaire de physique générale.

MM. GOSSE (1880-1883).

THOMAS (1883-1923).

WOLFF (1923-).

##### CHAIRE DE PHYSIQUE (1893)

M. FURROT (1923-).

##### CHAIRE DE PHYSIQUE INDUSTRIELLE (1920)

Chargé du cours :

M. VÉRAN (1912-1920).

Professeurs titulaires :

MM. VÉRAN (1920-1949).

CRANDE (1949-).

##### CHAIRE DE PHYSIQUE THÉORIQUE (1944)

L'Enseignement a été assuré dès 1945.

MM. HENRIOT (1941-1943).

BLANC-LAPIERRE (1943-).

##### CHAIRE DE CHIMIE APPLIQUÉE (1907)

MM. POUKÉ (1902-1922) comme chargé de cours de 1902 à 1907.

GUÉZ (1924-).

##### CHAIRE DE CHIMIE (1880)

Depuis le 11 juin 1921, chaire de chimie générale.

MM. DEVLIN (1880-1882).

MULLER (1884-1923).

FOCK (1925-1933).

UNION (1935-1936).

ROUÏ (1934-1938).

VITLAND (1944-).

##### CHAIRE DE BOTANIQUE (1858)

L'Enseignement a été assuré dès 1859 par un cours complémentaire. Depuis le 11 juin 1921, chaire de botanique générale et appliquée.

MM. DERRAY (1858-1911).

MAÏE (1911-1913).

MAÏE (1913-1949).

GUINCHET (1950-1954).

QUÉZIL (1954-).

##### CHAIRE DE BOTANIQUE EXPÉRIMENTALE ET AGRICOLE (1945)

MM. KRILLAN (1945-1956).

GARRIGOS (1956-).

##### CHAIRE DE GÉOLOGIE (1880)

Depuis le 11 juin 1921, chaire de géologie et minéralogie.

MM. FOMEL (1880-1921).

PIERRE (1921-1925).

RAYMOND (1925-1943).

TRONCH (1944-1955).

LEON (1956-1958).

TRONCH (1958-).

تطور مقاعد كلية العلوم حتى 1959

**CHAIRE DE GÉOGRAPHIE PHYSIQUE DU SAHARA (1911)**  
Depuis 1920, chaire de géologie appliquée à l'agriculture et à l'industrie.  
Chargé du cours :  
M. FLAMAND (1860-1911).  
Professeurs titulaires :  
MM. FLAMAND (1911-1929).  
DALLON (1927-1930).  
LAFORTE (1930).

**CHAIRE DE MINÉRALOGIE APPLIQUÉE (1911)**  
Depuis 1925, chaire de minéralogie et cristallographie.  
Chargé de cours de minéralogie appliquée :  
MM. DELAGE (1899-1930).  
CORCE (1895-1931).  
FLAMAND (1891-1930).  
BARRON (1907-1911).  
Professeurs titulaires :  
MM. BARRON (1911-1929).  
BOYER (1929).

**CHAIRE DE ZOOLOGIE (1885)**  
Depuis le 11 juin 1921, chaire de zoologie générale.  
MM. VIGNON (1880-1921).  
BOUSSIGN (1921-1929).  
BOUCHON (1929-1930).  
SERVAZ (1929-1940).  
BERNARD (1941).

**CHAIRE DE ZOOLOGIE APPLIQUÉE (1912)**  
Depuis 1925, chaire de zoologie générale et appliquée.  
Chargé d'un cours :  
M. BOUSSIGN (1901-1912).  
Professeurs titulaires :  
MM. BOUSSIGN (1912-1921).  
SERVAZ (1921-1929).  
DANTAN (1929-1930).  
BOYER (1930-1931).  
BOLLAND (1932).

**MAÎTRISES DE CONFÉRENCES**  
**MAÎTRISE DE CONFÉRENCES DE MATHÉMATIQUES (1900)**  
MM. TOUZEY (1895-1929).  
FRANÇOIS (1896).

**MAÎTRISE DE CONFÉRENCES DE MATHÉMATIQUES GÉNÉRALES (1911)**  
MM. THOMAS (1901-1929).  
BARRON (1922-1930).  
BOUSSIGN (1929-1941).  
DUCLOS (1942-1949).  
MÉTIVIER (1948-1950).  
WACHS (1951-1952).  
PATEY (1953).

**MAÎTRISE DE CONFÉRENCES DE MATHÉMATIQUES M.P.C. (1930)**  
MM. TOUZEY (1921-1929).  
JAPPARD (1929-1930).  
CARRÉ (1930-1930).  
FRANÇOIS (1930-1930).  
N. (1933).

**MAÎTRISE DE CONFÉRENCES DE PHYSIQUE INDUSTRIELLE (1930)**  
Mlle COURLAU (1930).

**MAÎTRISE DE CONFÉRENCES DE PHYSIQUE M.P.C. (1940)**  
L'Enseignement à Gie assurée dès 1947.  
M. SAVIGNON (1947).

**MAÎTRISE DE CONFÉRENCES DE PHYSIQUE NUCLÉAIRE (1954)**  
M. BARRON (1954).

**MAÎTRISE DE CONFÉRENCES DE PHYSIQUE NUCLÉAIRE (1954)**  
M. BARRON (1954).

**MAÎTRISE DE CONFÉRENCES DE PHYSIQUE THÉORIQUE (1957)**  
M. DEMONTEY (1957).

**MAÎTRISE DE CONFÉRENCES DE CHIMIE APPLIQUÉE (1940)**  
M. LUYEN (1940).

**MAÎTRISE DE CONFÉRENCES DE CHIMIE GÉNÉRALE (1940)**  
MM. POOL (1921-1925).  
CHATEL (1927-1929).  
CORCE (1929-1930).  
BOLLAND (1930-1932).  
VIGNON (1933).  
BARRON (1933).

**MAÎTRISE DE CONFÉRENCES DE CHIMIE GÉNÉRALE (1940)**  
Mlle PEYRAZ (1940).

## تطور مقاعد كلية العلوم حتى 1959

تكوّن طاقمها المدرس من 09 مقاعد للتدريس و 06 مقاعد لمسؤولي الأعمال التحضيرية بنفس البرامج في المعاهد الفرنسية، لكن دون أن تقدم شهادة الليسانس.

وقد رفعها قانون 01 نوفمبر 1889 إلى مدرسة كاملة الصلاحيات، وأضاف لها 08 مقاعد جديدة، 08 مناصب لأساتذة مستخلفين، ومنصبين لرؤساء الأعمال التطبيقية، و 06 مناصب لرؤساء العيادات، و 12 منصب لمحضري الأعمال

# الملحق رقم 6

### HISTORIQUE DES CHAIRES

#### CHAIRE DE PHILOSOPHIE

Créée le 4 janvier 1910 sous la dénomination chaire de philosophie générale et histoire de la philosophie. Transformée par décret du 30 janvier 1922.

MM. GADTHER LÉON, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1910 - 30 septembre 1922),  
 FERRIER, Professeur (1<sup>er</sup> octobre 1922 - 30 septembre 1927),  
 MIGNARD, Professeur (1<sup>er</sup> octobre 1927 - 30 septembre 1944),  
 CHAÏR-BEV, Professeur (1<sup>er</sup> octobre 1944 -

#### CHAIRE DE PSYCHOLOGIE

Créée par décret du 30 juillet 1953. (Ancienne chaire de linguistique générale et linguage expérimental).

MM. BOUSSAY, Professeur (1<sup>er</sup> juillet 1953 - 30 septembre 1957),  
 DELPECH, Chargé d'Enseignement (1<sup>er</sup> octobre 1957 -

#### CHAIRE DE MORALE ET SOCIOLOGIE

Créée le 5 décembre 1949 par transformation de la chaire de civilisation hispanique et hiséire de l'Afrique du Nord.

M. CHAÏR-BEV, Professeur (1<sup>er</sup> octobre 1949 - 30 septembre 1954).  
 La chaire a été transformée en chaire de préhistoire de l'Afrique du Nord par décret du 5 mars 1954.

#### CHAIRE DE LANGUE ET LITTÉRATURE FRANÇAISES

Créée le 4 janvier 1910 sous la dénomination chaire de littérature française.

MM. MAZOUZ, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1910 - 30 septembre 1922),  
 BOUSSAY, Professeur (1<sup>er</sup> avril 1922 - 31 janvier 1954),  
 CHAÏR, Maître de Conférences, Professeur sans chaire (1<sup>er</sup> octobre 1954 - 31 janvier 1957),  
 TOUSSAÏ, Professeur (1<sup>er</sup> octobre 1956 -

#### CHAIRE DE LITTÉRATURE FRANÇAISE (2<sup>e</sup> Chaire)

Créée par décret du 14 juin 1946 avec effet du 1<sup>er</sup> janvier 1947.

MM. BYTES, Professeur (1<sup>er</sup> novembre 1927 - 1<sup>er</sup> février 1945),  
 LAMON, Maître de Conférences (1<sup>er</sup> octobre 1947 - 30 octobre 1952),  
 LAMON, Chargé d'Enseignement, Maître de Conférences, Professeur sans chaire (1<sup>er</sup> octobre 1952 - 30 octobre 1959),  
 YOUSSEF, Professeur (1<sup>er</sup> novembre 1951 - 30 septembre 1957),  
 Chaire transformée en chaire de philologie française par décret du 5 mars 1958.

#### CHAIRE DE LANGUE ET LITTÉRATURE ANCIENNES

Créée le 5 janvier 1913.

MM. POTASSIER, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1913 - 31 octobre 1922),  
 HEURSCHE, Chargé de Cours (1<sup>er</sup> octobre 1922 - 30 septembre 1942),  
 Chaire transformée en chaire de langue et civilisation de l'Afrique du Nord le 29 juin 1953.

#### CHAIRE DE PHILOGIE FRANÇAISE

Créée par décret du 5 mars 1958.

M. MIGNARD, Professeur sans chaire 1958 -

#### CHAIRE DE PSYCHOLOGIE CLASSIQUE

Créée par décret du 6 mars 1927.

MM. CLAUDE, Professeur (1<sup>er</sup> mars 1927 - 30 septembre 1948),  
 LANTIER, Professeur (1<sup>er</sup> octobre 1948 -

#### CHAIRE DE GÉOGRAPHIE DE L'AFRIQUE

Créée le 4 janvier 1959.

MM. BERNARD AUGUSTIN, Professeur,  
 LAMON, Chargé de Cours (1<sup>er</sup> octobre 1959 - 30 septembre 1957),  
 DESCOM, Professeur (1<sup>er</sup> octobre 1957 - 30 décembre 1964),  
 MISSI, Maître de Conférences (1<sup>er</sup> mars 1957 -

#### CHAIRE DE GÉOGRAPHIE GÉNÉRALE ET DU SAHARA

Annexion de l'emploi d'Université, Transformé en emploi d'Etat par décret du 10 juin 1951.

MM. EL GADIRI, Professeur (juin 1951 - septembre 1953),  
 CHAÏR-BEV, Professeur (1<sup>er</sup> octobre 1955 -

CHAIRE D'HISTOIRE CONTEMPORAINE ET DE L'AFRIQUE DU NORD  
 Créée le 2 janvier 1910 sous la dénomination : chaire d'histoire de l'Afrique du Nord.

MM. YVES, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1910 - 30 septembre 1927),  
 BOUSSAY, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1928 -

#### CHAIRE D'HISTOIRE MODERNE ET D'HISTOIRE DE L'ART

Ancienne Maître de Conférences, Chaire créée par décret du 2 mars 1928.

MM. ALBERT, Professeur (1928-1937),  
 BOUSSAY, Chargé d'Enseignement (1937 -

#### CHAIRE D'HISTOIRE DU MOYEN ÂGE

Ancienne Maître de Conférences du Moyen Âge, Transformée en chaire par décret du 1<sup>er</sup> octobre 1958.

M. COURTES, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1958 - 8 août 1964).  
 La chaire d'histoire du Moyen Âge a été transformée en chaire de langue et littérature médiévales (Décret du 21-12-1970).

#### CHAIRE D'ANTIQUITES DE L'AFRIQUE

Créée le 4 janvier 1920.

MM. CHAÏR, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1920 - 30 avril 1911),  
 CHAÏR-BEV, Professeur (1<sup>er</sup> novembre 1912 - 1<sup>er</sup> janvier 1928),  
 ALBERT, Professeur (juin 1922 - 28 septembre 1923),  
 LAMON, Chargé de Cours (1<sup>er</sup> octobre 1932 - 7 janvier 1934),  
 LAMON, Professeur (10 avril 1934 -

تطور مقاعد كلية الآداب حتى 1959

### PRESIDENTE DE L'AFRIQUE DU NORD

Chaire de Morale et Sociologie transformée par décret du 5 mars 1950.  
M. BASSOT (André), Professeur (1<sup>er</sup> mars 1950 -  
Anciennement Maître de Conférences d'éthnologie et archéologie pré-  
historique de l'Afrique du Nord.  
M. REYSSOU, Chargé de Cours du 1<sup>er</sup> janvier 1951 au 30 septembre 1954.

### CHAIRE D'ARCHÉOLOGIE MUSULMANE

Créée par décret du 15 octobre 1919.  
MM. MARÇAS Georges, Professeur (1<sup>er</sup> novembre 1919 - 30 septembre 1940).  
TERRASSE, Professeur (1<sup>er</sup> octobre 1940 - 30 septembre 1957).  
GOLVIN, Maître de Conférences puis Professeur sans chaire (1<sup>er</sup> octobre  
1957 -

### CHAIRE D'HISTOIRE DE L'OCCIDENT ARABE

Créée par décret du 25 juillet 1935.  
MM. LEVI-PROVENCE, Professeur (1<sup>er</sup> août 1935 - 18 décembre 1980).  
Le TERRASSE, Chargé de cours (1<sup>er</sup> janvier 1947 - 30 octobre 1950)  
puis Professeur titulaire (1<sup>er</sup> novembre 1950 - 30 septembre 1957).  
BOIS, Chargé d'enseignement (1<sup>er</sup> novembre 1957 -

### CHAIRE DE CIVILISATION MUSULMANE

Créée le 4 janvier 1938 sous la dénomination chaire d'histoire de la civi-  
lisation musulmane.  
MM. DOTTEU, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1938 - 31 octobre 1919).  
BASSOT (André), Professeur (1<sup>er</sup> décembre 1919 - 15 avril 1935).  
BAU-SOUDON, Maître de Conférences (1<sup>er</sup> juillet 1935 - 25 février  
1944), Professeur (24 février 1944 - 18 septembre 1945).  
CASSAN, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1947 -

### CHAIRE DE LANGUE ET CIVILISATION BERBERES

Créée par décret du 25 février 1938.  
MM. BASSOT André, Professeur (1<sup>er</sup> mars 1938 - 1<sup>er</sup> juin 1949).  
PIRELLI André, Chargé d'Enseignement (1<sup>er</sup> mars 1947 -  
Chaire remplacée par une maîtrise de conférences par décret du  
27 février 1947.

### CHAIRE DE LANGUE ARABE

Créée le 4 janvier 1918 et transformée en chaire d'arabe moderne par  
décret du 18 juin 1922.  
MM. BASSOT René, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1918 - 4 janvier 1924).  
BEN CAHOUN, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1924 - 5 février 1929).  
PIRELLI, Professeur (1<sup>er</sup> novembre 1929 -

### CHAIRE DE LITTÉRATURE ARABE ET DE LITTÉRATURE PERSANE

Créée le 4 janvier 1918 et transformée en chaire de linguistique générale et  
langues sémitiques par décret du 23 juin 1933.  
MM. PAGAN, Chargé de Cours (1<sup>er</sup> janvier 1918 - 31 octobre 1919).  
MAYOL, Professeur (1<sup>er</sup> novembre 1919 - 21 décembre 1932).

### III. LANGUES ANCIENNES

- 1<sup>er</sup> Latin.  
Chargé d'Enseignement : M. BRAYO — MME HATTEBOUIN.  
Assistante : MME MORVAL.
- 2<sup>o</sup> Grec.  
Professeur : M. LUCCHINI.  
Assistant : M. COMBES.

### IV. ETUDES HISTORIQUES ET GEOGRAPHIQUES

- 1<sup>o</sup> Préhistoire.  
Professeur : M. BAUDY (Doyen).
- 2<sup>o</sup> Antiquité de l'Afrique.  
Professeur : M. LASSUS (Assesseur).
- 3<sup>o</sup> Histoire grecque.  
Professeur : M. LUCCHINI.
- 4<sup>o</sup> Histoire ancienne.  
Chargé d'Enseignement : M. CHASTANGOL.
- 5<sup>o</sup> Histoire du Moyen Age.  
Maître de Conférences : M. HENRI.
- 6<sup>o</sup> Histoire orientale.  
Professeur : M. CASSAN.
- 7<sup>o</sup> Histoire de l'Occident musulman.  
Chargé d'Enseignement : M. DUCHE.
- 8<sup>o</sup> Archéologie musulmane.  
Professeur sans chaire : M. GOLVIN.  
Professeur honoraire : M. MARÇAS Georges, Membre de l'Institut.
- 9<sup>o</sup> Histoire Moderne et Histoire de l'AST.  
Chargé d'Enseignement : M. BOUASSI.  
Professeur (Doyen) honoraire : M. ALAZAM.
- 10<sup>o</sup> Histoire contemporaine et Histoire de l'Afrique du Nord.  
Professeur : M. HENRI.
- 11<sup>o</sup> Histoire économique de l'Afrique du Nord.  
Professeur sans chaire : M. YACONO.
- 12<sup>o</sup> Géographie.  
Professeur : M. CAROT-REY.  
Maître de Conférences : M. NIZET.  
Assistants : M. BOUSSON.
- 13<sup>o</sup> Ethnographie et Sociologie Nord-Africaines.  
Professeur : M. Ph. MARÇAS.
- 14<sup>o</sup> Paléogéographie latine.  
Chargé de Cours Complémentaires : M. MULLON.

تطور مقاعد كلية الآداب حتى 1959

#### CHAIRE DE LINGUISTIQUE GENERALE ET LANGUES SEMITIQUES

Créée par décret du 23 juin 1933.

M. CAMBESAU, Professeur (1<sup>er</sup> novembre 1933 - avril 1943).

Transformée en chaire de psychologie par décret du 29 juillet 1933.

#### CHAIRE DE LANGUE ET CIVILISATION DE L'AFRIQUE DU NORD

Ancienne chaire de langue et littérature anciennes. Créée par décret du 29 juin 1933.

M. MARCAIS Philippe, Professeur (1<sup>er</sup> juillet 1933 -

#### CHAIRE DE LANGUE ET LITTÉRATURE ANGLAISES

Créée le 4 janvier 1935 sous la dénomination chaire de langue et littératures étrangères. Transformation par décret du 3 mars 1938.

MM. MESSER, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1935 - 21 octobre 1938).

M. JOUVET, Professeur (1<sup>er</sup> avril 1934 - 29 septembre 1938).

FAURET, Chargé de Cours (1<sup>er</sup> octobre 1933 - 30 mars 1941) puis

Professeur (1<sup>er</sup> avril 1941 - 29 septembre 1948).

DECOUX, Chargé d'Enseignement (1947-1950).

ELIAOZ, Chargé d'Enseignement (1950-1957).

DECOUX, Professeur (1<sup>er</sup> mars 1958 -

#### CHAIRE DE LANGUE ET LITTÉRATURE MÉRIDIIONALES

Créée par décret du 21 décembre 1937 en remplacement de la chaire d'histoire du Moyen Age.

Mlle FORTIN, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1938 -

#### CHAIRE DE CIVILISATION HISPANIQUE

Créée par décret du 1<sup>er</sup> janvier 1938. Antérieurement titulaire de conférences occupé par M. BATAILLON (1<sup>er</sup> février 1939 - 8 septembre 1937).

M. RIZAN, Professeur (1<sup>er</sup> janvier 1938 - 14 octobre 1943).

Transformée le 5 décembre 1943 en chaire de morale et sociologie.

#### MATIERES D'ENSEIGNEMENT DE LA FACULTE EN 1958-1959

##### I. PHILOSOPHIE-PSYCHOLOGIE

Professeur : M. CHAZZ-ROY.

Chargés d'Enseignement : M. DELFICH — Mlle RAMBOUX.

Assistants : MM. BOUHAÏO — MATHIEU.

Chef de Travaux : M. KROFF.

Chargés de Cours Complémentaires : MM. ALAOUÏ — POROT — BUTER.

##### II. LANGUE ET LITTÉRATURE FRANÇAISES

Professeurs : MM. NOGNET — RIZAN.

Chargés d'Enseignement : MM. BEAUVERD — CALANT.

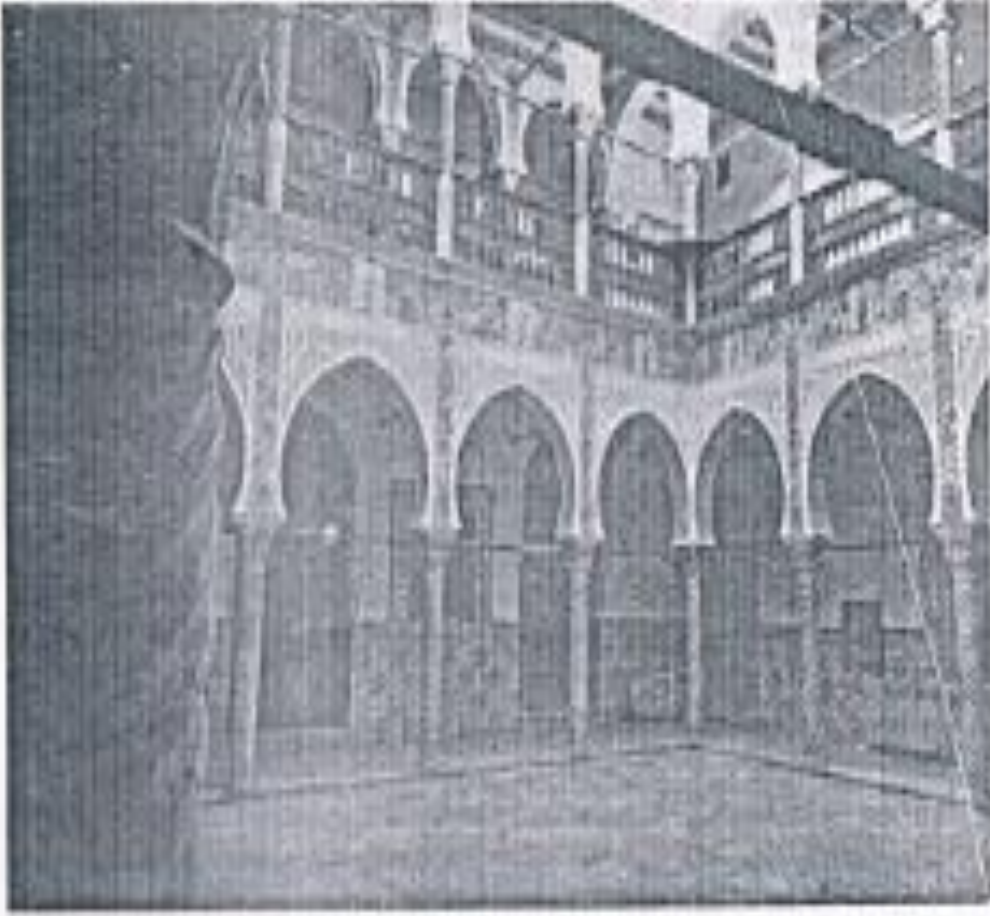
Assistant : M. MOURVIZ.

Chargé de Cours Complémentaire : M. MATHIEU.

### تطور مقاعد كلية الآداب حتى 1959

وبخصوص مدرسة الآداب، فقد تشكل طاقمها المدرس من 08 مقاعد للتدريس رئيسية في فروع الآداب المختلفة، وثلاثة أساتذة مكلفين بالدروس، وضمت أيضاً أساتذة بإجازات خاصة يقدمون دروس في المسائل المتعلقة باللغة والآداب الشرقية، وبذلك فتحت أبوابها أمام الاستشراق.

# الملحق رقم 7



صورة لمعهد العالي الإسلامي بالجزائر 1946

ويختص هذا المعهد دون غيره في الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الفرنسية، إذ يتمكن الطلاب الحاملين لشهادة البكالوريا من التعليم الثانوي المتخرجين من الثانويات الفرنسية، والذين اختاروا اللغة العربية كلغة حية أولى من الالتحاق به، كما يمكن أيضا غير الحاصلين على البكالوريا من دخول المعهد عن طريق مسابقة، وذلك منذ أكتوبر 1946 تاريخ افتتاح المعهد في قصر الربيع Le Palais D'hiver في شارع لافيغري.

Alger célébrera à l'automne un cinquantenaire :

# L'UNIVERSITÉ D'ALGER se classe aujourd'hui parmi les premières de France 6.000 étudiants cette année

A PARTIR de 1909, la destinée des établissements d'enseignement supérieur d'Algérie est la même que celle des universités de la métropole. Le nombre des étudiants augmente progressivement et, dès 1912 on se plaint déjà de l'insuffisance des locaux. Ils se sont depuis considérablement accrues et l'Université d'Alger se classe aujourd'hui parmi les premières de France.

Son dynamisme et sa vitalité se sont manifestés au cours de ces dernières années par la création de multiples instituts : Celui des Hautes études musulmanes, l'Institut d'études politiques, ceux d'Urbanisme, d'Etudes philosophiques, d'Etudes orientales, etc. De nombreux laboratoires existent également en biologie ou en zoologie, par exemple, qui permettent aux « patrons » et aux élèves de réaliser un fructueux travail d'équipe.

C'est dans cette ligne que se situe la construction aux Tagarins d'un centre d'études nucléaires.

Laboratoires et instituts prennent donc un essor considérable. Complétant ce trésor, la Bibliothèque universitaire devient une des plus importantes de France. Avec ses 500.000 volumes et thèses, elle est déjà la grande centrale de documentation à laquelle on a recours de partout, en Afrique du Nord. Mais si par le nombre de ses volumes, elle occupe une place de tout premier rang, en revanche sa salle de lecture est devenue insuffisante.

Il est vrai qu'elle est actuellement relayée par la Bibliothèque nationale récemment édifiée. De plus, un premier projet d'extension est en cours de réalisation et on peut envisager désormais

l'aménagement d'une seconde salle de lecture aussi vaste que celle déjà existante.

Le problème primordial demeure, on le sait, celui de la place. L'Université a accueilli, cette année, 5.500 élèves (dont 1.600 en droit, 1.465 en sciences, 1.324 en lettres et 1.000 en médecine). On prévoit pour l'an prochain une augmentation de 10 %.

Pour faire face à cet accroissement, des projets sont en cours d'exécution. Le premier est celui qui consiste à édifier ce qui s'appellera « le bloc des instituts ». Cet édifice s'élèvera non loin de la Bibliothèque nationale et du Gouvernement général et réunira la plupart des instituts.

En même temps, la Faculté des lettres va s'étendre. Les travaux pour l'édification du nouveau bâtiment ont déjà commencé. Il comprendra des salles de cours et de travail pour les étudiants, les bureaux pour les professeurs et les annexes indispensables à divers instituts et laboratoires dont ceux de phonétique et d'histoire de l'art.

D'autres projets sont à réaliser, en particulier ceux qui concernent la Faculté de médecine, dont plusieurs laboratoires ont déjà reçu une extension notable.

De même que 1909, 1959, date du cinquantenaire de l'Université d'Alger, doit être considérée comme une étape. La France peut être fière de l'œuvre réalisée en Algérie dans le domaine de l'enseignement.

Cette œuvre est encore insuffisante, mais de tels progrès ont été accomplis au cours de ces dernières années qu'il est possible



La bibliothèque de l'Université : avec ses 500.000 volumes et thèses, elle est en train de devenir une des mieux organisées du monde civilisé (Ph. E. A.)

d'envisager avec confiance l'avenir de l'Université d'Alger. Qui sait si dans quelques années, nous ne verrons pas se créer, à partir des instituts juridiques d'Oran et de Constantine deux nouvelles universités ? Impossible avant longtemps, diront certains. Mais à l'heure actuelle les choses vont vite en Algérie. Et puis, un précédent existe. Si l'on avait dit à un

Algérois, en 1857, que de l'Ecole supérieure de médecine et de pharmacie naîtrait une université fréquentée par 6.000 étudiants, il est probable qu'il aurait simplement répondu par un haussement d'épaules.

FIN

Daniel JUNQUA.

(Voir « L'Echo d'Alger » des 11, 12, 13 et 14 août).

**Entraide du commerce  
des vins et annexes  
AUX ASSURÉS SOCIAUX**

Les assurés sociaux des diverses  
catégories ont accès aux Centres

11 أوت 1959) écho d'Alger الصفحة الأولى لجريدة



### المعهد النووي الجزائري

ويعتبر هذا المعهد المركز الإشعاعي للعلوم من الجيل الثالث المتعلقة بالفيزياء النووية، وقد أبقى على هذا المعهد بعد الاستقلال يديره ويسير أبحاثه متعاونين فرنسيين.

## التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية

وقد قامت فرنسا بإجراء تجاربها النووية في الصحراء الجزائرية يوم 13 فيفري 1960، وذلك بتفجيرها لأول قنبلة ذرية، وقد مضت فرنسا لتفجير أولى قنابلها النووية وذلك بإسناد رئاسة المشروع النووي إلى أحد قدماء ثانوية الجزائر والمعهد المتعدد التقنيات "Lux Dogens" وبالتعاون مع زميله ميشال كرايول "Michel carayol".

# الملحق رقم 8



### حادثة إحراق المكتبة الجامعية

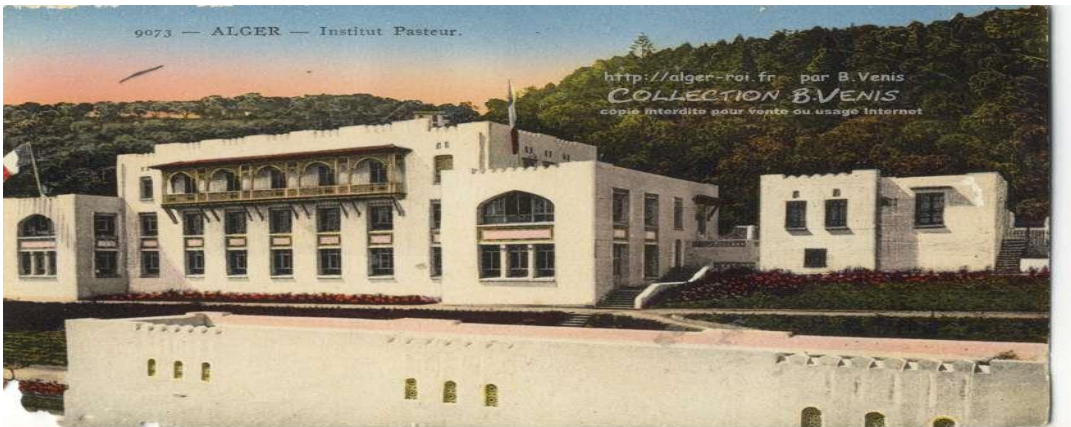
يوم 07 جوان 1962م على الساعة 12:40 دقيقة، انفجرت ثلاثة قنابل فسفورية في العمارة الرئيسية لجامعة الجزائر، وقد التهمت النيران محتويات المكتبة، وقد شوهدت سحابة قائمة من الدخان تغطي سماء الجامعة.

# ملحق رقم 9

لأجل إنجاح هذا المشروع تم إنشاء جمعية بغرض جمع الأموال من مصادر مختلفة فرنسية وأجنبية، وتم شراء قطعة أرض في سجل جافيل "javel" وتمت الأعمال بسرعة كبيرة وتم افتتاح أولى المباني يوم 4 نوفمبر 1888م من طرف الرئيس الفرنسي، ويتضمن المعهد المخابر والمكتبة ومراكز التلقيح وكذلك قاعات الدروس ومنزل لويس باستور، وقد تم تنظيم المعهد باستحداث خمسة أقسام تخصص واحد منها لداء الكلب أما البقية فخصصت للبحث النظري والتطبيقي.

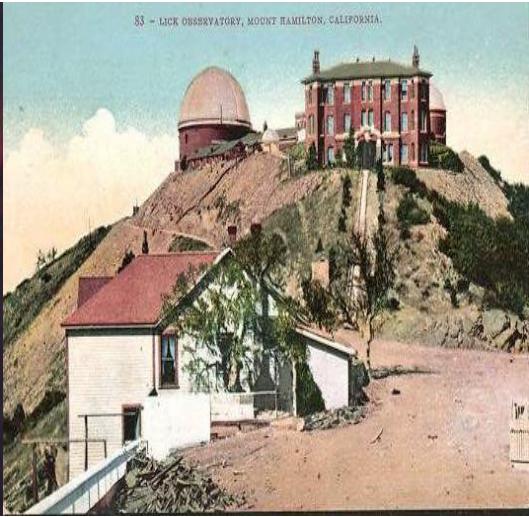
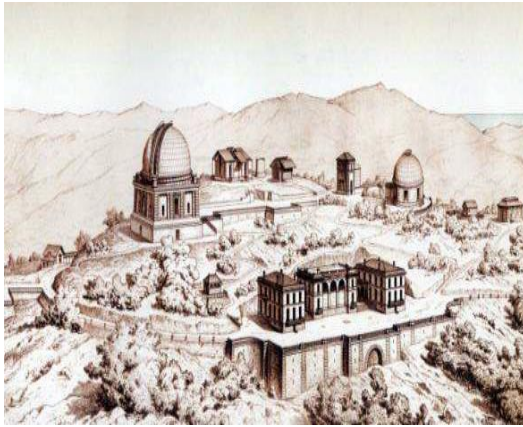


معهد باستور – الجزائر



معهد باستور الجزائر

# الملحق رقم 10



L' Observatoire d' Alger  
et le projet international de  
« La Carte du ciel »  
(1887-1970)



Collection Idéale P. S.

13. BOUZARÉAH — Observatoire d'Alger - Vue d'Ensemble

Jérôme de La Noë

Observatoire Aquitain des Sciences de l'univers, 33270 Floirac

Françoise Le Guet Tully et Jean Davoigneau

Observatoire de la Côte d'Azur, 06304 Nice Ministère de la Culture et Communication

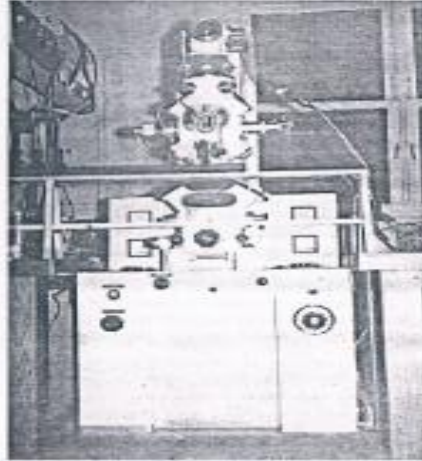
**المرصد الجزائري ( مشروع الخارطة الدولية للسماء )**

نصب المرصد الجزائري الفلكي لأول مرة سنة 1856م، في ثانوية الجزائر في وقت لم تكن فرنسا تحتوي سوى على أربعة مراصد، باريس، مرسيليا تولوز ثم الجزائر، وذلك عن طريق قرار وزاري من وزارة التعليم في شكل فرع مؤقت للمرصد الإمبراطوري بباريس وكذلك في شكل محطة للأرصاد الجوية تحت إدارة السيد شارل سيمون.

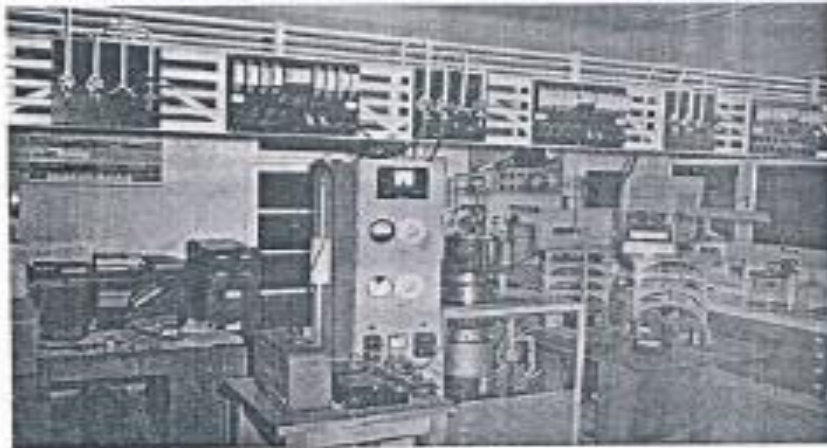
# الملحق رقم 11



Laboratoire de Physique (P.C.B.).  
1 - Etude simultanée et sous vide des propriétés optiques  
et des structures des lames minces.



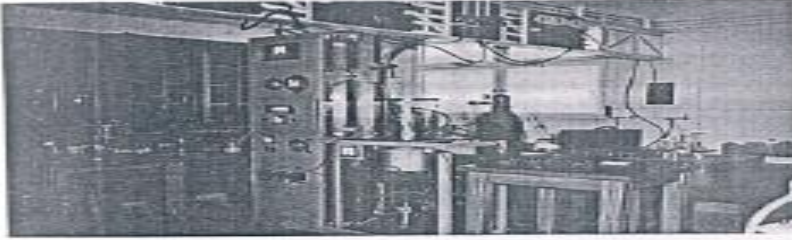
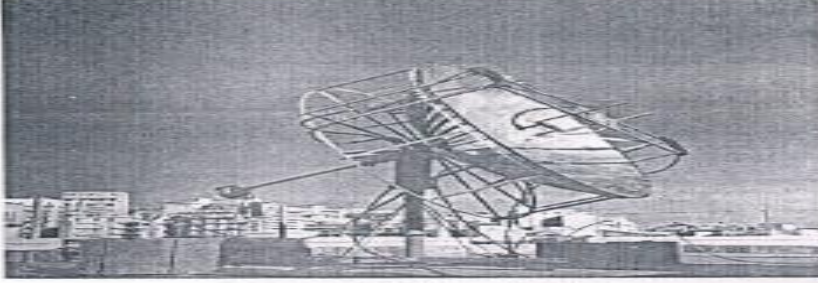
Laboratoire  
de Physique (P.C.B.).  
2 - Evaporateur  
permettant  
la préparation  
et l'étude sous vide  
des propriétés optiques  
et des structures  
des lames minces.



مخبر الفيزياء الجامعي PCB



3 - Salle d'essais sur les recherches solaires.



4 - Salle de recherches sur les propriétés magnétiques et photoélectriques d'éléments semi-conducteurs.



### قاعة أبحاث الطاقة الشمسية PCB مخبر الفيزياء الجامعي

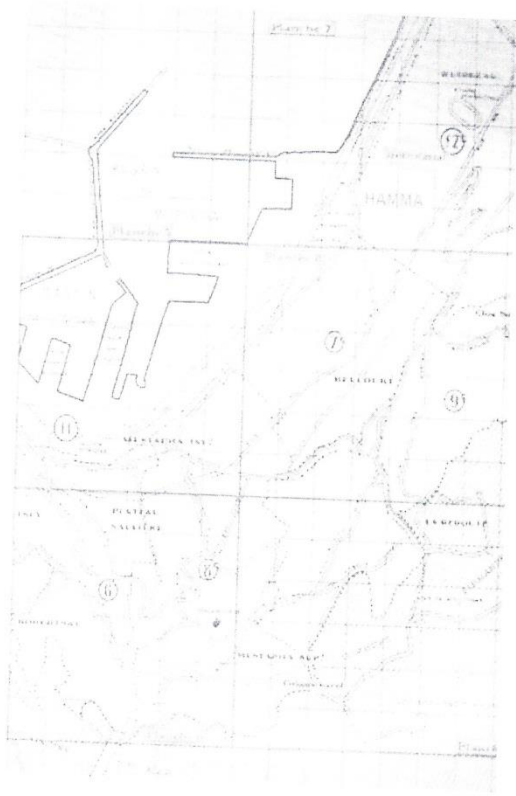
تم إنشاء مخبر الفيزياء العامة في كلية العلوم في جامعة الجزائر، وهو مخبر مماثل لمخبر التجارب في المتروبول، ويتميز مخبر الفيزياء الصناعية في الجزائر في دوره المزدوج الذي لا يقتصر على الجزائر ولكن يمتد لكل شمال إفريقيا.

فإلى جانب دورة التعليمي، إذ يضمن تحضير شهادة الدراسات العليا للفيزياء العامة، فهو مكان لمتابعة الأبحاث العلمية سواء من منظور التحضير للدراسات العليا، أو من أجل تطوير الصناعة وذلك بإجراء الخبرات والمراقبة التي تتطلبها الصناعة.

# الملحق رقم 12



## المدرسة الوطنية للفلاحة الحراش



مخطط مدينة الحامة

**TEMOIGNAGES**

**POUR UNE ECOLE**



**MAISON CARREE - ALGER**

واجهه نشرية جمعية قداماء المدرسة الفلاحية

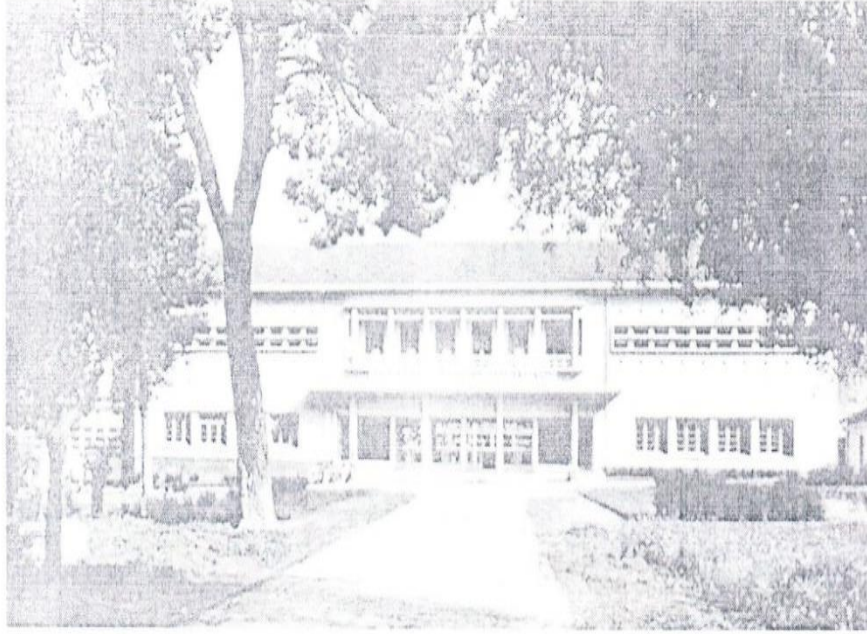
## المدارس الجهوية الفلاحية في الفترة الاستعمارية



المدرسة الجهوية للفلاحة بعين تموشنت

### المدرسة الجهوية للفلاحة بعين تموشنت

وهي مزرعة - مدرسة أنشأت في 1929م تتربع على مساحة 124 هكتار منها 25 هكتار للكروم المتنوعة تنتج بين 1250-1400 هكتولترا خمرا سنويا، و 02 هكتار مخصص للأشجار المثمرة (الخوخ، المشمش، الكرز، البرتقال).



المدرسة الجهوية للفلاحة بقالمة

### المدرسة الجهوية للفلاحة بقالمة

طالب مدير الفرقة الفلاحية لقسنطينة السيد بريش Perruche بإنشاء مضخة تيريبية في قالمة سنة 1913م وقد تم حول تحويلها إلى مدرسة - مزرعة تجريبية سنة 1922م خاصة بتكوين الأهالي

وخلال سنة 1947 تحولت هذه المزرعة - المدرسة غلى المدرسة الزراعية التجريبية الموجهة إلى أبناء الفلاحين موجهة لزراعة الحبوب وتربية المواشي.

# الملحق رقم 13



### مدرسة العليا للتجارة الجزائر في الفترة الاستعمارية

المدرسة العليا للتجارة في الجزائر هي مؤسسة للتعليم العالي التجاري، معترف بها من طرف الدولة، مسيرة من طرف الناحية الاقتصادية للجزائر، وتحضر للمهن المتعلقة بالاقتصاد... والتكوين الذي تمنحه يكون الطلاب نحو مهن التسيير والإدارة في المؤسسات الصناعية والتجارية... ويسمح لهم تكوينها وشهاداتها بالمشاركة في العديد من امتحانات الدخول لإدارة وإلى امتحان خبير محاسبة.

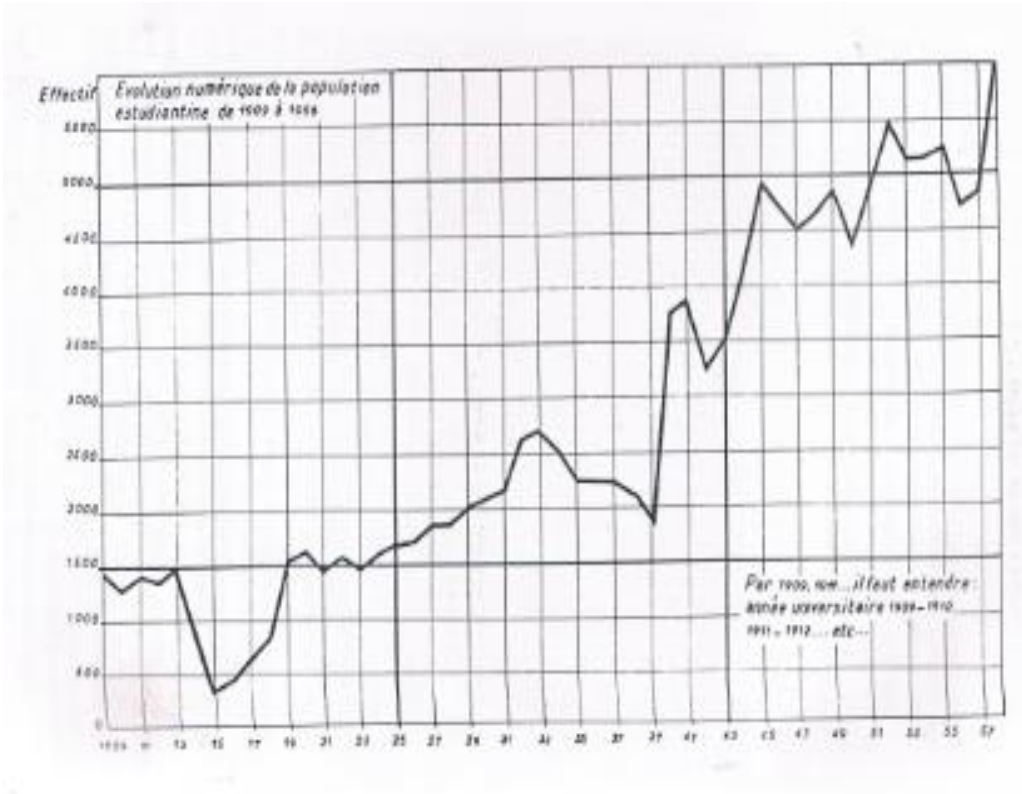
# الملحق رقم 14



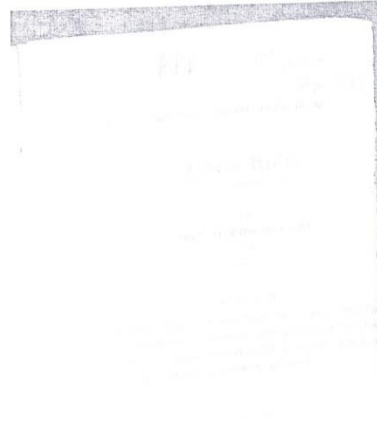
## المدرسة العليا للفنون الجميلة

ويعود تاريخ إنشاء أول مدرسة للفنون الجميلة في الجزائر إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث أنشأت أول مدرسة للرسم سنة 1843م سرعان ما أخذت طابعا رسميا سنة 1848م، بتحويلها إلى مدرسة بلدية لمدينة الجزائر. وقد أنشأت المدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر، وفق مرسوم 08 نوفمبر 1881م، واتخذت من مسجد العشاش بشارع البحرية مقرا لها.

# الملحق رقم 15



منحنى بياني لتطور أعداد طلاب التعليم العالي في الجزائر (1880-1959)



## L'OBSERVATOIRE D'ALGER

PAR M. JORDAN

L'Observatoire est resté, depuis sa fondation, dans un état de provisoire qui ne lui a point permis de rendre à la science les services que pouvait être espérer la beauté du ciel en cette région. Heureusement, cette fâcheuse situation paraît toucher à son terme. L'Observatoire d'Alger a été rattaché à l'École supérieure des sciences, et l'on se préoccupe, en ce moment même, de lui donner des développements qui en feront une station astronomique de premier ordre. Un projet a été soumis au ministre de l'Instruction publique, et tout fait espérer qu'une solution sera prochainement donnée à cette question qui intéresse à un si haut degré l'avenir scientifique de la colonie.

Le but de la présente notice est de faire connaître aux membres de l'Association française pour l'avancement des sciences l'économie générale du projet, et surtout la nature des travaux qui seront entrepris dans le nouvel établissement.

غلاف نشرية الجمعية العلمية الفرنسية

فهرس الأعلام، الأماكن والمصطلحات العلمية

## فهرس الأماكن

-أ-

الأزهر: ص 23، 260، 348

آسيا: ص 13

إشبيلية: ص 230، 231

إفريقيا: ص 13، 113، 139، 236، 246، 300، 306، 310، 346، 420، 422.

الأندلس: ص 119، 153، 205، 231، 272.

إندونيسيا: ص 251

أوروبا: ص 91، 122، 206، 247، 268، 292، 293، 348.

أولاد جميلة (عين مليلة): ص 235

-ب-

باريس:

ص 87، 98، 122، 126، 162، 181، 188، 192، 193، 195، 211، 215، 237، 239، 290

، 291، 301، 303، 310، 352

بجاية: ص 252

بريطانيا: ص 396

بغداد: ص 272

بلعباس: ص 265

البليدة: ص 314

بن عكنون: ص 252

البندقية: ص 272

بني ونيف ص 203

بورديو ص 148، 181، 211

بوزريعة: ص 140، 205، 207، 208، 209، 211، 213، 216، 323

بوغرص: ص 252

بوفاريك: ص 105

بومهدي ص 252

-ت-

تشاد: ص 342

تلمسان: 252، 328، 391

تمنراست: 140، 216

تولوز: 148، 211، 261، 262، 263.

تونس:

92، 122، 153، 188، 194، 239، 302، 309، 322، 233، 234، 256، 282، 286، 435

تيازة: 114

تيزي وزو: 150، 265.

-ث-

-ج-

جرجرة: 252

الجزائر: 81، 83، 84، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 96، 98، 99، 100، 101، 102، 103،

104، 106، 107، 110، 115، 117، 122، 128، 137، 139، 140، 156، 161، 166، 169،

171، 173، 174، 179، 181، 182، 185، 192، 193، 194، 196، 197، 198، 203،

204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 214، 217، 218، 220، 223، 225، 227، 232،

233، 236، 237، 239، 240، 241، 242، 243، 255، 256، 258، 260، 263، 264،

266، 267، 268، 270، 271، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 281، 282، 287،

288، 289، 292، 294، 297، 300، 301، 302، 304، 306، 307، 308، 311، 313،

346،343،342،340،339،336،329،327،326،325،324،321،319،317،314  
،363،361،360،359،358،357،355،354،353،352،351،350،347،346،  
384،383،382،380،379،377،375،374،373،372،370،368،367،365،364  
،405،404،402،398،396،394،393،392،390،389،388،387،386،385،  
.436،435،431،422،419،418،417،416،412،411،410،408،407

جسر قسنطينة: 268

جنوة: 272

جوهنزيورغ: 216

-ح-

الحامة: 251

الحراش: 387،235،223

الدار البيضاء: 237

-خ-

-د-

دكار: 302

دلس: 262،258

دمشق: 310،272.

الدولة العثمانية: 307

ديجون: 237

-ذ-

-ر-

رانس: 237

الرباط: 237

الروبية: 381،233،232

-ز-

الزيتونة ص: 329

-س-

ستراسبورغ: 261،181

سطيف: 141

سكيكدة (فليب فل): 381،257،247

السنغال: 310،309،302،188

سور الغزلان: 375

سيدني: 188

سيدي بلعباس: 248

-ش-

الشلف: 391،252،118

شيسي: 249

شيكاجو: 216

-ض-

الصحراء: 400،399،198

-ط-

طنجة: 191

-ظ-

-ع-

عنابة: 252

عين تيموشنت: 249

-غ-

غرناطة: 272

غرونوبل: 264،263،262،261،148

غليزان: 264،141.

-ف-

فرنسا: 161،156،153،140،139،137،132،100،95،94،93،87،83،82،81،

332،330،329،324،310،306،300،278،277،259،251،211،170،166،162

،422،417،410،408،407،406،404،402،398،368،346،344،342،336،

،436

-ق-

قالمة: 250

القاهرة: 310،272

القبّة: 209،208

القروين: 329

قسنطينة: 421،417،416،388،318،317،314،257،252،250،236،206،128

قناة السويس: 272،255.

-ك-

كارولي: 387

الكوت ديفوار: 342

-ل-

ليل: 181

ليون: 389،240،236،215،214،148،85

-م-

متيجة: 387،246

المدية ص: 314

مرسيليا: 111، 236، 272.

مستنغانم: 252

مصر: 256

المغرب: 92، 111، 153، 204، 205، 341

مليانة: 339

موريتانيا: 401

موسكو: 214

مونبوليه: 125، 181، 237

ميكون: 389

-ن-

نانسي: 181، 236، 261، 262

النعامة: 233

-ه-

الهند الصينية: 194، 204، 302، 308

الهند: 272

-و-

واد السمار: 235

واد الصومام: 388

ورقلة: 402

وهران: 118، 128، 236، 265، 268، 353، 354، 388

-ي-

اليابان: 308

اليونان: 204

## فهرس الأعلام:

-أ-

ابراهيم سعدي: ص 280

الابراهيمي: ص 341-339

آبل: ص 379

ابن خلدون: ص 202-104-23

ابن رشد: ص 208-33-23

ابن شنب: ص 275، 266، 228-104-103.

أبو القاسم المجريطي: ص 180

أبو القاسم سعد الله: ص 326-278-275-270.

أبو دلامة: ص 103

أحمد البشير: ص 262.

أحمد توفيق المدني: ص 263 - 144 - 9

الإخوة هنري: ص 207

إدموند سارجو: ص 177-174-167.

أرسطو: ص 67-23

اسطنبو: ص 112-109-69.

اسمان: ص 204

إسنارد: ص 102

أغست برنارد: ص 101

ألبيردى موا: ص 83

ألزار: ص 140، 115.

ألفرىد بيل: ص 319

- ألويس باييه: ص 215
- الأمير عبد القادر: ص 338
- إميل شارل لابي: ص 296
- أندري برنارد: ص 279
- أندري بلان لابييار: ص 157
- أنطوان بورو: ص 428، 427
- أنطوان دريات: ص 293
- أوتي: ص 269
- أوجان ألبرنتي: ص 114
- أوجان فنسو: ص 107
- أوردمونت: ص 319
- أوغست بومال: ص 355، 354، 353
- أوغستين بارك: ص 329
- أونال: ص 269
- إيف شاننتو: ص 223
- إيفان ألفرد لهر: ص 296
- ايفر: ص 115
- إيفون دافينو: ص 279
- إيميل فلक्स غوتيه: ص 319
- ب-
- باديال: ص 269
- بارتي: ص 391
- بارث: ص 398

بارثيملي: ص 98  
بارو: ص 201  
البارون تيرون: ص 370  
باكونو: ص 420، 115  
بايه: ص 97، 83  
بتراد: ص 105  
برتي: ص 244  
برثيرون: ص 105  
برثيلوا: ص 85  
برنار: ص 128  
برنيال: ص 234  
بروش: ص 106  
بروفيوجوتيل: ص 402  
بريش: ص 259  
بريفي بين: ص 356  
بريمو: ص 244  
بزل كيسر شكيت: ص 279.  
بطاندي: ص 107  
بلس سيد: ص 297  
بلقاسم بن سديرة: ص 338، 337، 119  
بليتران: ص 223  
بن بريهمات حسن: ص 319، 317.  
بن يوسف بن خدة: ص 344، 110

- بواشي: ص 112  
بوئلة مايغل: ص 284  
بوخرية: ص 328  
بود نو: ص 97  
بورت: ص 269  
بورجي: ص 112  
بوركوبيواسوني: ص 88  
بوشار: ص 96  
بول بارت: ص 89، 404  
بول برنارد: ص 407  
بول بو: ص 308  
بول صوفاج: ص 177، 178  
بول كابو: ص 270  
بولان ترولار: ص 107  
بولي: ص 114  
بومال: ص 90، 131، 135  
بومدين بن حفيظ: ص 328  
بونار: ص 96  
بويان: ص 105، 354  
بوين فيل: ص 352  
بويي: ص 269  
بيار أوليفرين: ص 296  
بيار تيرمين: ص 356

بيار شارڊ: ص 149

بيار ميليا: ص 270

بيانفوني مارتن: ص 100،93

بيتار: ص 223

بيبروچر: ص 417

بيسر: ص 402

بيلارڊبولارڊ: ص 207

بيلس: 419

بيلود: 210

بينغوفي مارت: 373

-ت-

ترايوت: 191

ترماتوني: 250

تروفات: 244

ترولار: 190،189

تروللي: 105

تلفو: 140

تمام وحماش: 297

توكسي: 105

تيران: 227

تيودور سنتغ: 196

-ث-

-ج-

- جاك دريدا: 293
- جورج فليبي: 270
- جورج مارسه: 328، 319
- جورج هاردي: 125
- جول فوانو: 208
- جول فيري: 385، 330، 328، 178، 175، 95
- جولي: 98، 96، 93، 89
- جون ألتار: 241-222-100
- جون أميلي فابر: 107
- جون مارسي: 244
- جون سناك: 161
- جون كنتتو: 218
- جون مار: 356-299-81-78-80-51
- جيروم برانس نابليون: 181.
- جيروم كركوبينو: 303
- جيلار: 93.
- الجيلالي بن تامي: 96
- ح-
- الحاج صادق ص: 103.
- الحاج منصور ص: 96
- حمدان خوجة ص: 329
- خ-
- خنضير مختار: 285

الخيام: 108

-د-

دالوني: 118-129-195.

دسبوا: 117

الدكتور مايو: 156

الدكتور مرسلي: 262.

دوتي: 105.363.

دوبرمون: 329.

دي شيافتينو: 280

دي كوستانزو: 235.

ديبي: 243

دي روزي: 57

ديكارت: 112

دي كاييه: 233

-ذ-

-ر-

رابح تركي: 325

رايمون سارجو: 198

راندون: 260-35.

رجم القسنطيني: 278

روبارت لاکوست: 136

روبرت: 259-210.

روجر نارز: 233

روزي: 62  
روزير: 128  
روشي: 93  
روكس: 167-227.  
رونالد روس: 167  
روني باسيه: 103.105-331.  
روني موني: 251.  
رينو: 285.  
-ز-  
-س-  
سارجي: 167  
سافورني: 135  
ساكو: 139  
ستيفان غزال: 69-78-88-99.  
السعيد بن زكري: 262  
سورنزون: 235.  
سولي: 1  
سيديلي: 107  
سيمون شارل: 181  
-ش-  
شابرت: 151  
شاترونو: 229  
شار زاي: 149

شاربونو : 421

شارفوري : 90

شارل تريبيد : 213

شارل جاكوب : 287.

شارل جونار : 322،261،250،142،97،96،94،90

شارل ديبي : 95

شارل روبير أجرون : 270

شارل سيمون : 206

شارلوم : 249

شامبون : 269،

شانزي : 314

شايري : 112

الشريف بن حيدلس ص، 393،307،302،289،

شوالي 100

شوفالي : 279

شولز : 234

شيالي : 99،97

شيمون لاجي : 269

-ص-

صالح بوعكير ص : 157،156

صوالح محمد بن عمر ص : 338،337

طوماس : 140،136

-ض-

-ط-

-ظ-

-ع-

عبد الحليم بن سماية: 262

عبد الحليم مجاوي: 96

عبد الرحمان الثعالبي: 261

عبد القادر المجاوي: 291

العروسي خليفة: 245

علجية نور الدين: 108

علي الكنز: 345

علي خوجة: 297

علي مراد: 330

عليوة مداني: 110

عمر بريهمات: 319

عمر راسم: 297

العميد روش: 186

العيد أحمد بهلول: 319

عيسى قادري: 314

-غ-

غانتر: 224

الغزالي: 318

غلفي: 269

غوتز: 229

غوتوبين فرانسوا: 215

غوتي: 356،209

غوس: 114

غي بارفي: 325

غيلمونا: 224

-ف-

فابر: 244

فاتح: 250

فاكريه: 279

فرانس فانون: 430

فرانسييس بيررا: 156

فرحات عباس: 304،317،312،110

فردنانددريدا: 279

فرناند ليسابيس: 255

فريديريك باربارات ص: 102

فريديريك سي: 213

فريكسن: 224

فلانترز: 300

فلاندرني: 224

فلانتر: 135

فلكس فور: 257

فلوري: 198

فليب لاقرولا: 214

فليكس غوتي: 118،112

فليكس مسنيل: 197

فليموند: 322

فوري: 107

فوسا: 245

فومال: 351

فيتور فلامنة: 302

فيران: 224

فيرو دورماس: 319

فيرون كركو برنو: 114

فيشار: 325

فيشان: 280

فيشور: 135،117

فيل: 321

فييني دوكتون: 96

-ق-

قسطنطين: 110

قيرون: 192

-ص-

-ض-

-ط-

-ظ-

-ك-

کاتیل: 302  
کارین: 419  
کامیلرسلر: 324،314  
کرای محمود: 284،  
کرتلی: 106  
کرسبو: 223  
کروسی اشیل: 214  
کلوزیل: 317  
کوبورای: 302  
کوتس: 244  
کورب: 192  
کورتوان: 244  
کوکسی: 90  
کولاردو: 104  
کولمات: 197،194  
کولهان: 231  
کومب: 313  
کومسیا: 140  
کیوری: 118  
-ل-  
لارشی: 320  
لاسر: 189،188  
لافرین: 197،196،193

لاكروا: 139

لاكورتال: 384

لرنو ص: 117

لكلارك: 249

لوبسور: 257

لوسي خوجة: 308

لوسيانى فيدال: 307، 270

لوفي برفوسال ص: 121

لومنو: 227، 224.

لوناس محمد: 285

لويس الكبير: 240

لويس باستور: 190، 188، 187

لويس باولي: 175، 97، 88، 87

لويس بوشي: 114

لويس جاري: 303

لويس دي لاکروا: 207

لويس فردناند انتوني: 296

لويس لبارد: 97، 83.

ليوتي: 300

ليون كلارو: 293

ليون كوفي: 296

م-

مار: 234، 142، 134

- مارسال أميرت: 115
- مارسال سانت جون: 279
- مارسال مونار: 129،128
- مارسل كولبار: 178
- مارسي: 121
- مارسيل بيروت: 214
- ماسكوري هاردي: 306
- ماكس: 269
- مالك بن نبي: 340
- مالي كويني: 224
- محفوظ قداش: 331
- محمد الشاذلي القسنطيني: 317
- محمد بن يوسف بن علي: 328
- محمد راسم القبا: 297
- محمد كشكول: 297
- محمد نهليل: 340
- محمود الروسي: 205
- مرتتو: 125،122،113
- المرشال سولت: 250
- المريشال بيجو: 257،255،250
- مريم بلوصيف: 109
- مسعود بن الزين: 110
- مسنار: 112

مصطفى بن دباغ: 296

مليكة مفتي: 109

مورال: 239

مورسلي: 328

موريس لوي: 209

موسان: 96

موسى بن محمد: 205

المولود بن موهوب: 319

مويوفي ص: 244

ميشال فلوكتسكي: 200

ميشال كرايول: 160

-ن-

نابليون الثالث: 390، 389

نابليون بونابرت: 255، 207، 82

نان: 110

نفيسة حرود: 109

نيفي: 243، 237

-ه-

هاصو: 245

هانوتو: 330

هكتور دبركارد: 269

هنري الخامس: 240

هنري بوشي: 93

هنري مارتن: 175

هود: 119

هوغو: 113

هيوستدييوا: 296

هيفار: 269

هينارد ص: 120

-و-

ولد حمون: 342

-ي-

يابروجر: 401

ياجور: 401

يوسف الخطيب: 110

**المصطلحات العلمية**

-أ-

الالكتروتقنية: ص 115.

الالكتروتكنيك: ص 222

الالكترونيك الصناعي: ص 115.

الالكترونيك: ص 245، 261

الأنثربولوجيا: ص 150، 318، 324، 396

الانثوغرافيا: ص 114

الأنثولوجيا: ص - 319

-ب-

البكتروولوجيا: ص 120-121

البيولوجيا: ص 9-66-119-

-ت-

التراكمولوجيا: ص 120.

التكنولوجيا: 26-135-211-9-242.

التلقيح الاصطناعي: ص 210.

-ث-

-ج-

الجيولوجيا: ض - 7-9-114-117-123-144-195-284-286-287-288-

349

-ح-

-خ-

-د-

-ذ-

-ر-

-ز-

الزولوجيا: ص 117-210

-س-

السوسيولوجيا: ص 133، 255

السيكولوجيا: ص 97

-ش-

-ص-

-ض-

-ط-

طبقات جيولوجية: ص 243

-ظ-

-ع-

-غ-

-ف-

الفوكيرا: ص 33

فيزيولوجيا: ص 203

الفيلوكسيرا: ص 233

-ق-

-ك-

-ل-

-م-

الميكانيك: ص 15-52-114-115-142-183

الميكروبولوجيا: ص 188، 195

-ن-

-ه-

هيدرولوجيا: ص 139

-و-

-ي-

# البيئيوغرافيا

1. Alazard (N.J). Rapport sur la faculté des lettres à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
2. Capot-Rey (Rober). Rapport à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
3. Chabert. Rapport sur les Activités de l'institut IPA à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
4. Chaix-Ray (J). Rapport sur les Activités de l'institut de Philosophie à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959
5. Edmond(Sergent) : Rapport sur les Activités de l'institut Pasteur, 1946.
6. Ghardon(M.O), Rapport des Activité de l'institut à l'occasion du Cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
7. Grenet (M) , rapport sur les activités, l'institut de Physique du Globe, à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
8. Koelbert (Marcel) : Rapport sur le fonctionnement de la Bibliothèque Universitaire pendant l'Année 1933-1934.
9. Koelbert.(Marcel) Rapport à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
10. Lacroix (M) . Rapport à l'occasion du Cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
11. Lapiere (Blanc) : Rapport sur les Activité de l'institut d'étude Atomique, à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
12. Mabileaur (J) : Rapport sur les Activité d'institut, à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
13. Maire (Jean). Rapport (1885-1887).in cinquantenaire de l'université d'Alger,.
14. Malmejac (J), Rapport sur les Activités d'institut riental , à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
15. Marçais (H) : Rapport sur les Activité de l'institut, à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
16. Marçais (Ph) : Rapport sur les Activités de l'institut d'Ethnologie, à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
17. Paoli (Louis) Rapport sur l'enseignement Supérieur à Alger, 1906.Extrait de la revue Africaine. Bibliothèque nationale 1959.
18. Pères (H).Rapport à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.
19. Rey (Malibeu). Rapport à l'occasion du cinquantenaire de l'université d'Alger, 1959.

1. Algérie Conseil supérieur du gouvernement, procès-verbaux des délibérations, nov. déc 1885
2. Annales de géographie, tome 6, 1902..
3. Cahiers du centenaire. Livre 11, La France et les ouvriers indigènes en Algérie.
4. Cahiers du centenaire. Livre 2, Pacification Saharienne- Pénétration Saharienne (1852-1930).
5. Cahiers du centenaire. Livre 3, Evolution de l'Algérie.
6. Cahiers du centenaire. Livre 5, Gouvernement de l'Algérie.
7. Cinquantenaire de l'Université d'Alger.
8. Exposé de la situation générale en Algérie (1894-1960).
9. Gouvernement général d'Algérie. Agriculture, commerce et colonisation, 1922.
10. Gouvernement général d'Algérie. Statistiques générales de l'Algérie (1894-1929).

#### ثانياً: الكتب:

1. الإبراهيمي (أحمد طالب)، الأزمة الجزائرية المعضلة والحلّ، الجزائر، دار الأمة، 1996.
2. - مذكرات جزائري، أحلام ومحن، ج1، الجزائر، دار القصبه للنشر، 2006.
3. - من تصفية الاستعمار إلى الثورة الثقافية، ترجمة حنفي عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
4. أسعد (أحمد علي)، الطلاب وإنسان المستقبل، دار الرائد العربي، ط1، بيروت، 1971.
5. بار فلي (غي)، النخبة الجزائرية الفرانكفونية (1800-1962)، ترجمة: محمد حاج مسعود وآخرون، دار القصبه، الجزائر، 2006.
6. بلاح (بشير) ، كرونولوجيا الجزائر 1830-2000، الطابعة العصرية، الجزائر، 2011.
7. بن نبي (مالك)، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق.
8. - مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1984.
9. بن نعمان (أحمد)، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
10. - حزب البعث الفرنسي، دار الأمة، الجزائر، 1996.
11. بوعزيز (يحي)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر، الجزائر، 2009.

12. - الاتجاه السلمي في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوص (1912-1945)، دار البصائر، الجزائر، 2009.
13. - ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر، دار البعث، الجزائر، ط1، 1980.
14. - ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط2، ج2، الجزائر، 1996.
15. - سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2009.
16. تركي ( رايح)، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
17. تواتي ( الصديق)، المبعدون إلى كاليديونيا الجديدة (مأساة هوية منفية، نتائج وأبعاد ثورة المقراني)، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2015.
18. تيران (ايفون)، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، المدارس والممارسات الطبية والدين، ترجمة: محمد عبد الكريم وآخرون، دار القصة، الجزائر، 2007.
19. جغلول (عبد القادر)، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، دار الحداثة، بيروت.
20. الجيلالي (عبد الرحمان)، محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
21. حجازي، (محمد عبد الوهاب)، الثقافة العربية ومستقبل الحضارة، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2000.
22. حسنين (محمد)، الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986.
23. حمادي (عبد الله)، الحركة الطلابية الجزائرية (1871-1982)، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
24. خشب (محمد)، الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط4، 1986.
25. خوجة (حمدان بن عثمان)، المرأة، تر: محمد العربي الزبييري، الشركة الوطنية للشرح والتوزيع، الجزائر، 1974.
26. ديورانت ( ويل)، قصّة الحضارة، ترجمة مُحمّد بدران، ج17، ط2، القاهرة، 1966.
27. راشد (علي)، الجامعة والتدريس الجامعي، دار الهلال، بيروت، 2007.

28. الريحاني (أحمد صديقي)، ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي 1886-1911م، المطبعة الحديثة، الزيتون، 1991.
29. زكريا (هشام زكريا)، فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم، بدن، القاهرة، 1970.
30. ساحلي (محمد تركي)، تخلص التاريخ من الاستعمار، ترجمة: محمد هناء، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 1992.
31. السامرائي (قاسم)، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ط1، 1983.
32. سعد الله (أبو القاسم)، أفكار جامعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
33. - تاريخ الجزائر الثقافي، (1830-1954)، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج3.
34. - أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج3، 1978.
35. - أفكار جامعة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988.
36. - الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
37. - الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، ج3، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.
38. - أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج2، ط2.
39. سعدي (عثمان)، التعريب في الجزائر، كفاح شعب ضد الهيمنة الفرانكفونية.
40. سعيد طه (محمود)، السيد (محمد السيد): قضايا من التعليم العالي الجامعي، مركز الأبحاث للطباعة والكمبيوتر، 2003.
41. سلطي (سامي)، الجامعة والبحث العلمي، دار الفكر، عمان، 2001.
42. سماتي (محمود)، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، تر: محمد الصغير بناني وعبد العزيز شعيب، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2009.
43. صاري (الجيلالي)، تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962، تر: قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ط2، 2010.
44. صعب (حسين)، ثورة الطلاب في العالم، بيروت، دار العلم للملايين، 1968.
45. عاشور (سعيد عبد الفتاح)، أوروبا في العصور الوسطى، ج1، نظم وحضارة، القاهرة، 1959.
46. عباد (صالح)، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين (1830-1930)، ب ت، ب ط.

47. عبد القادر (حلوش)، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 1999.
48. عبده (فاروق)، أستاذ الجامعة، الدور والممارسة بين الواقع والمأمول، د ط، 1998.
49. عمري (الطاهر): تأثير المعلمين الفرنسيين في اتجاهات المتقنين الجزائريين إلى نهاية القرن 19، ب ط، ب ت.
50. عويمر (مولود)، مقاربات في الاستشراق والاستغراب، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
51. أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر، دار الخلدونية، الجزائر، 2007.
52. فاقروود (شارل هنري)، الثورة الجزائرية ترجمة: عبد الرحمان كابوية وسالم محمد، دار حلب للنشر.
53. فركوس (صالح)، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر.
54. - مختصر في تاريخ الجزائر، عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002.
55. فكس (ليون)، الجزائر حتف الاستعمار، ترجمة محمد عيناوي، مكتبة المعارف، بيروت، دون تاريخ.
56. قداش (محموظ)، تاريخ الوطنية الجزائرية (1919-1439) تر: أحمد بن البار: دار الأمة، الجزائر، 2008، ج1.
57. قنان (جمال)، التعليم الأهلي في الجزائر: 1830-1944، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007.
58. كاتب (كمال)، أوروبيون، أهالي و يهود بالجزائر 1830-1962، تر: رحمان زيدي، دار المعرفة، الجزائر.
59. الكنز (علي)، حول الأزمة، خمس دراسات حول الجزائر والعالم العربي، بوتان، 1990.
60. لوبون (غوستاف)، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتير، القاهرة، 1964.
61. لوكا (فليب)، جزائر الأنتروبولوجيون ونقد السوسيولوجية الاستعمارية، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، وزارة المجاهدين، الجزائر.
62. المدني (أحمد توفيق): جغرافية القطر الجزائري، ط2، بيروت، مكتبة النهضة.
63. - كتاب الجزائر، بدون تاريخ.
64. - جغرافية القطر الجزائري، مكتبة النهضة، ط2، (1983).

65. مغلي (محمد البشير)، مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2002.
66. ولد خليفة (محمد العربي): المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
67. يحيوي (رحيم)، دراسة مستقبل الاستيطان والتوطين، الاستعمار الفرنسي في الجزائر والحركة الصهيونية في فلسطين، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006.

1. Abbas (Ferhat) , Le Jeune Algérien, Algérie, ANEP.
2. Abbo (G) : Le vignoble et le vin d'Algérie, Paris, 1953.
3. Abrous (Mansour), les Artistes Algériens, dictionnaire biographique, Alger, Casbah édition, 2002.
4. Ageron (Charles- Robert), Histoire de l'Algérie contemporaine (1871-1654) tom II, BUF, paris, 1979.
5. -Histoire de l'Algérie contemporaine, BUF, Paris, 1974.
6. -L'Algérie et son destin, Paris, Ed Arcature, 1982.
7. -Les Algériens musulmans et la France (1871-1919) tome 1, Buf , Paris, 1968.
8. Les Algériens Musulmans et la France, (1871-1911), T2, BUF, Paris, 1968.
9. Arabe (Abdelhamid), la Bibliothèque Universitaire d'Alger sous la domination Coloniale Française, Département de Bibliothéconomie et des sciences Documentaires, l'université d'Alger, 2005.
10. Barth (H), Voyages et découvertes en Afrique Septentrionale et centrale, Paris, 1860.
11. Ben Habiles (Cherif), L'Algérie Française vue par un indigène , Alger, 1914.
12. Ben Khada (Ben Youssef) : Les accords d'Evian.
13. Bertherand (El), médecine et hygiène des arabes, paris, Germer Bailler, 1855.
14. Névrogie oculaire Epidémique observe à Teniat et hed Provence d'Alger, Imp. Rey Delovime Etc, 1850.
15. Capitane Passolos: l'Algérie et l'assimilation des indigènes musulmans, Etude sur l'utilisation des ressources militaires d'Algérie, Henri Charles-la Vauzelle, Edition militaire, Paris.
16. Capot-Rey (Roberte), le Sahara Français, pay d'autre mer, Tom y PUF, 1953.
17. Colonna (Fanny) : Les instituteurs algériens (1883-1939), Paris, Presses Fondation des Sciences Politiques, 1975.
18. -Les instructeurs Algériens (1853-1939), OPU, Alger, 1975.
19. De Carde ( M. E. Rouard) Etude sur la naturalisation en Algérie, Berbère Levraulli et Gre Librairies Edition , Paris.

20. Djabari (N.) : Cinquantenaire et Histoire des écoles Normales, Boutana, témoignage d'un ancien élève de promo (1937- 1940), cite ENIB (les anciens élèves d'ENIB).
21. Duby (Emie), Histoire illustrée des écoles normales d'instituteurs d'Alger, Bouzariah, Fontana, Alger.
22. Freneau (Jacques), Les empires coloniaux dans le processus de mondialisation, Paris.
23. Galland (R) : Histoire des collèges d'Alger.
24. Gautier (Emile-Félix) : Les Siècles obscurs du Maghreb, Paris, ED Payot, 1937.
25. Gazenove (Elisabeth), Les artistes d'Algérie, Edition associations abd-latif, 2004.
26. Glosman (Dominique) et Kremer (Jean), Essai sur l'Université et les cadres en Algérie, Paris, Ed du SNRS, (1978).
27. Guedj (Elison Caston) : Enseignement Indigène en Algérie au cours de la colonisation (1832-1962), Paris, Edition les écrivains, 2000.
28. Hames (Georges), L'œuvre Agricole Française en Algérie 1906.
29. Hamet (Ismail), Les musulmans Français dans le nord de l'Afrique, Paris, 1906.
30. -Les Musulmans français du nord de l'Afrique, Alger, 1906.
31. Harbi (Mohamed), Aux Origines du FLN, Paris, ED Jeune Afrique, 1975.
32. Header (Karen), Naissance et Organisation des universités au moyen âge, V.Q.A.M.
33. Heady (Karen), Naissance et organisation des universités au moyen âge, VQAM.
34. Hugonnet(Ferdinand), Français et arabes en Algérie, paris, (1860).
35. Isnar Hilbert, La vigne en Algérie, étude géographique, Paris, (1947).
36. Julien (Charles André) et Autres, Jeune Algérien de 1900-1923, Etudes maghrébines, Mélanges, T11, Extrait 1994, Paris.
37. Julien (Charles-André), L'Afrique du nord en marche, Paris, Julliard, 1953.
38. Kaddache (Mahfoud), La vie politique à Alger (1919-1939), SNED, Alger, 1970.
39. Karchi (Djamel), Colonisation et Politique d'assimilation en Algérie (1830-1962), Casbah, Alger, 2004.
40. Kchir (Ben Dana Kamal), L'institut des hautes études de Tunis 1945-1950, la Tunisie de l'après-guerre (1945-1950) institut supérieur d'histoire du mouvements national, Tunis 1991.
41. Kharchi (Djamel) : Colonisation et Politique d'assimilation en Algérie (1830-1962), Alger, Casbah, 2004.
42. Khiati (Mostafa), Médecins et médecine à Tlemcen du XI siècle à ce jour : Université Abou Baker Belkaid, Tlemcen, 2011-2012.
43. Klein (Henri), Feuilletts d'el Djazair : tome 1, Edition de tell, Blida, 2003.

44. L'exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1841-1842, publié pour ordre du gouvernement, paris, imprimerie royale, 1844-1867.
45. Lespes (René), Alger, étude de géographie et d'histoire urbaines, in GGA 1830-1930, Paris 1 félixal, Can M CM XXY.
46. Maranche (Michel), Histoire de l'institut Pasteur, Cahier Pour l'Histoire du C.N.R.S.
47. Melia (Jean), L'épopée intellectuelle de l'Algérie, Histoire de l'université d'Alger, La maison des univers, Alger, 1950.
48. Merad (Ali), Le réformisme musulman en Algérie (1925-1940), Ed, Mouton-La Hay, 1967.
49. Mercier (Gustave): Histoire de l'installation des arabes dans l'Afrique Septentrionale, Paris 1875.
50. Meynier (Gilbert) : L'Algérie révélée, Genève, Droz, 1981.
51. Nouchi (André), Enquête sur le niveau de vie de la population rurale constantinoise.
52. Paoli (Louis), L'enseignement supérieur à Alger, 1905, BU Alger, 1959.
53. Pervillé (Guy), Les étudiants algériens des universités Françaises (1880-1962), Alger, ED Casbah, 2004.
54. Richared (Charles), Le gouvernement arabe et l'institution qui doit exercer, Alger, (1848).
55. Risler (Camille), La politique culturelle de la France en Algérie, les objectifs et les limites (1830-1962), L Harmattan, paris 2004.
56. Sénac (Jean), Visages d'Algérie, Ecrit sur l'art de la méditerranée, ALG Edit, , Paris, 2000-2002.
57. Société d'étude des questions d'enseignement supérieur, Livre constitution de la société-. Paris- la librairie Hachette et 6e 1878.
58. Savarin(J), la Géologie Algérienne et Nord-Africaine depuis 1830, Masson 1931, Bibliographie Géologique et minière de la France d'autre mer pour les années 1929 – 1933, Chimique des mires Coloniales – (publié à l'occasion du XVI e Congrès Géologique International de Washington, Paris, 1933, Bibliographie du Sahara occidental, VII e.
59. Vidal-Blue (Marion), Alger et ses peintres 1830-1962, Edition Paris, méditerranée, 2000.
60. Waardenburg (Jean-Jacques), Les universités dans le monde arabe actuel, Documentation et Essai d'interprétation, Paris, Mouton et Co, La Haye, 1966.
61. Du broque (Patrick), Roubtzolf (Alexander), Les orientalistes, volume 11, ARC Edition, Paris, 1996

ثالثاً: المقالات والدراسات:

1 أبو عزيز ( يحيى ) جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية، الأصالة، عدد 19، الجزائر، مارس - أبريل 1976.

1. بن القبي (صالح): الحركة الطلابية وثورة أول نوفمبر 1954 المجيدة، مجلة المجلس الإسلامي الأعلى، العدد 2، جانفي، 1989.

2. الداوي (عبد الرزاق): الخطاب عن الثقافة والهوية الثقافية، مجلة أيس، عدد 2، السداسي الأول، 2007.

3. سعد الله (أبو القاسم)، من رسائل محمد بن أبي شنب إلى محمد كرد علي، مجلة الثقافة، عدد 53، سبتمبر - أكتوبر 1979.

4. - المترجمون الجزائريون وإفريقيا، مجلة الثقافة، العدد 117، 1996.

5. صاري (أحمد): شارل أندري جوليان والجزائر، 1914 - 1962، مجلة الحوار الفكري، العدد 1، 2001.

6. فضيل (عبد القادر)، محنة اللغة العربية في فترة الاحتلال الفرنسي ومُعاناتها بعد الاستقلال، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، عدد خاص 2005.

7. الميلي (محمد مبارك)، الجزائر والمقالة الثقافية، مدخل تاريخي، المستقبل العربي، عدد 41، 1981، مركز دراسات الوحدة العربية، - بيروت.

8. غراشي (جان)، الغيرية مقولة أخلاقية، ترجمة: وحيد بن بوعزيز، مجلة أيس، العدد 2، السداسي الأول، 2007.

9. الهاشمي (محمد صادق)، الاحتلال الأمريكي للعراق ومشروع الشرق الأوسط الكبير، تداعياته ونتائجه، مركز العراق للدراسات.

1. Abid (A), L'école de médecine d'Alger, 150 ans d'histoire de 1857 -2007, Revue algérienne, novembre, 2006.

2. Afrique Française, n°12, décembre 1935.

1. Agria, Périodique Témoignages pour une École Maison Carrée-Alger.

3. Algérie étudiante, n°15, 1955.

4. Algérie république, n°25, 1947.

2. Annales de l'Amicale des Anciens élèves de (LIA), 1953.

5. Barbut(H), l'institut Agricole d'Alger, in document Algérienne série économique Agriculture N° 41, 20 janvier 1918.

6. Berque (Augustin), Les intellectuels algériens, Revue Africaine, V91, N°410, 1947.
3. Bettaher (Yamina), La géologie en Algérie (1830-1940) in: la revue pour l'histoire du CNRS, mis en ligne, 30 octobre 2009.
4. Bibliothèque Universitaire d'Alger, catalogue méthodique des publications.
7. Bisgambiglia (Jean), Les grandes Familles qui en cent ans ont fait la France Africaine, in Dépêche Quotidienne d'Alger, 19 janvier 1960.
5. Boulmetoules (Amel ), Héliodyne, avenir de la formation solaire en Algérie, Recherche et développent, version numérique .
8. Boutquin (M), l'observatoire d'Alger, journal ciel et Terre, vol 32.
9. Bulletin de l'Amicale des anciens élèves de l'Ecole d'Agriculture. N°36.
6. Bulletin de l'institut des sciences Administratives et sociales de l'université d'Alger, N°29, 20 juin 1948.
7. Di Constantino, l'école supérieure de commerce d'Alger, une grande école au service de l'économie, témoignage, document de l'association des anciens élèves IAA, promo 1953. Documents algériens
10. Dolle (A), Institut Pasteur d'Alger, Echo- d'Alger, 18 Mars 1913.
11. Dubroeuq (Patrick), les Orientalistes, Alexandr Roubtzolf, une vie en Tunisie, volume 11, ARC Edition, Paris, 1996.
12. El moudjahid, n°1, juin 1956.
13. Esquer (Gabriel), la vie intellectuelle en Algérie, simoun 6eme année, nouvelle série n°26, 1957.
8. Fillard (Jean Pierre) et Savolli (Michell), l'institut d'étude nucléaire, de l'université d'Alger in revue du cercle Algerianiste, N°99, septembre 2002 et N° 100 octobre 2002.
9. Guy (Georges) Guil (Tonneaux), Histoire de l'École agricole pendant la période Française. Témoignage IAA.
10. Horluc (P), l'œuvre française pour l'enseignement des indigènes en Algérie (1830-1930), Bulletin de l'enseignement des Indigènes, N°284.
14. Junqua (Danail), l'université d'Alger, l'Echo d'Alger, 11.12.13 et 14 aout 1959.
11. Kadri (Aissa): centenaire de l'université d'Alger, El watan, 20 mai 2009.
12. L'école supérieure de commerce d'Alger, L'ESCA : in Alegria et l'Afrique du nord illustré, Aout- septembre 1938, édition de « OAAET » Alger 1938.
13. L'école supérieure du commerce d'Alger, L'écho d'Alger du 24 juin 1958.
14. La Belge (Manpouille), les instituts Pasteur du Maghreb : la recherche Médicale dans le cadre de la politique coloniale, Revue Française d'histoire d'outre mer, vol 74, N° 274, 1987.

15. Lastrajoli (Madiana Debyes), L'enseignement supérieur en Afrique du nord, naissance de l'université d'Alger, l'école des lettres et science de lumière avec histoire des chaires et matières d'enseignement de la faculté 1958-1959, Gant ; version numérique N°80 4ème Trimestre, 2002.
16. Lastrajoli (Madiana Debyes) , L'enseignement supérieur en Afrique du nord, naissance de l'université d'Alger (4), l'école des sciences, Gant . version numérique N°83, 3ème Trimestre, 2003
17. Lastrajoli (Madiana Debyes) , Naissance de l'université d'Alger (3), l'école de Droit et Science économique : Gant ; version Numérique n°81, 1er Trimestre 2003.
18. Le conseil Supérieur de la recherche scientifique appliquée en Algérie in : Documents Algériens, N°29, la série économique, Paris le 20 Aout 1947.
19. Les Universités et les écoles Française d'Enseignement supérieur, Enseignement Technique, office national des universités et écoles Françaises, 1914.
20. Messerschmitt (Paul), L'école supérieure du commerce d'Alger, une grande école au service de l'économie in Alegria et l'Afrique du nord, illustré revue mensuelle, octobre 1951, N° 23, édition de « OAAET », Alger, 1951.
21. Mollet (Pierre), L'urbanisme en Algérie, (1935-1952), bulletin municipal de la ville d'Alger, juin 1953.
22. Monart (Gilles), Un Essai industriel de captation de l'Energie Solaire à Alger in Documents Algériens, N°112, 10 décembre 1954.
23. Moyer (René), Les Pieds Noirs et la Bombe, Algérieniste, n°120, Décembre 2007.
24. Paoli (Louis), Simple note sur la bibliothèque universitaire d'Alger : Section de droit de médecine et de pharmacie, des sciences et des lettres P3, in : Bibliothèque universitaire d'Alger, catalogue méthodique des publications périodiques : recuis par les écoles de droit et des lettres
25. Parot (Antoine) et Carel, L'impulsivité Criminelle chez les Indigènes Algériens, ses facteurs, –Annales Médico-Psychologiques, N°90, 1932.
26. -Notes de Psychiatrie Musulmane –Annales Médico-Psychologiques, N° 74, 1918.
27. Parrot (Antoine) et Sulfater (Jean), Le Primitivisme des Indigènes Nord Africains, ses incidences en Pathologie Montale, Revue sud Médicale et Chirurgicale, 15 Avril 1930.
28. Poulallion (François), Dellys et son école des arts et métiers, Echo d'Alger, N° 65, 1999.
29. - La peinture monumentale en Algérie un art pédagogique in : cahier d'études africaines, n° 141, 1996.

30. Relation internationales, n°24, 1980, Paris.
31. Revue africaine, N°73, 1932.
32. Scotti (Edgar), L'institut Agricole d'Algérie, Ecole Nationale Supérieure Agronomique d'Alger 1905-1962 Revue du cercle Algerianist, N° 40 décembre 1987.
33. Sergent (Edmond), L'œuvre de l'institut pasteur en Algérie : in Document Algérieniste, Science Sociales, N°44, de 30 décembre 1953.
34. Singaravelou (Pierre), L'enseignement supérieur colonial in : Histoire de l'éducation, version Numérique N°122, 2009.
35. Solari (Jacques), L'Enseignement Agricole en Algérie (1830-1962), Document Fournis (Témoignage) à la société Amicale des Anciens de IFA (Promotion 1960/1963).
36. Sud médical et chirurgical, n°15, Avril 1939.
37. Taleb (Kamel), Les séparations scolaires dans l'Algérie coloniale, Insaniat N°25-26, juillet- décembre 2004.
38. Touati (Om El khir), Les Ingénieurs en Algérie de l'époque coloniale à la crise des années 1990, approche socio-historique d'un métier, l'année du Maghreb, version numérique, CNRS Editions.
39. Vatin (Jean-Claude), Exotisme et rationalité à l'origine de l'enseignement du droit en Algérie (1879-1909) Connaissances du Maghreb,-sciences sociales et colonisation, Ed du CNRS, Paris,1984 .
40. -Science juridique et institution coloniale, l'école du droit d'Alger (1879-1909), revue Algérienne des sciences juridiques, économiques et politiques N°4, 1983
41. Vérane (M), Le laboratoire de physique industriel de la faculté de science d'Alger: in Documents Algériens, N°17, série Economique, 18 juillet 1946, rubrique industriel.

#### رابعاً: الرسائل الجامعية:

1. حلوش (عبد القادر): السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر، رسالة ماجستير في علم النفس التربوي، جامعة الجزائر، 1986.
2. عقيب (محمد السعيد): مساهمة الطلبة في الثورة الجزائرية (1953-1962)، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1994.
3. العكروت(خميلي):جامعة الجزائر من الأهداف الاستعمارية وتكوين الطلبة المسلمين، رسالة الماجستير،جامعة الجزائر، 2009.

4. مريوش (أحمد): الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير، رسالة دكتوراه في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006.

1. Abdi (Abdellah), La reconstruction de la bibliothèque nationale, étude bibliographique, non publiée.
2. Abid (L), L'école de médecine d'Alger, 150 ans d'histoire de 1857-2007, non publiée.
3. Khiati (Mostapha), Médecins et médecine à Tlemcen. Du XI siècle à ce jour. Université Abou Bekr Belkaid, Tlemcen, 2011 – 2012.

#### خامساً: محاضرات وملتقيات:

1. السامرائي (خليل)، مدخل إلى الإستراتيجية، محاضرات قسم العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1994.
2. علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى، محاضرات السنور كرلونيلو، مكتبة الدار العربية للكتاب (أوراق شرقية) ط1993، 2.
3. قاسم (مولود): محاضرة ملتقى الفكر الإسلامي الثاني والعشرين، الجزائر، من 30 أوت إلى 5 سبتمبر 1988، فيديو وثائقي.

1. Bessaoud (Omar), l'École D'agriculture le Maison Carrée Alger (1905-1962), Fragments d'histoire in Quelque international 50 ans de Fonder et de recherche et des défis scientifique, Alger de 22 ans 24 avril 2010
2. Cérémonie du Cinquantenaire de l'école Nationale Supérieure d'Alger, Grignon Sait Germain, 10 Octobre 1970
3. Sadaoud (Hamid), Une Histoire de l'observatoire Patrimonial d'Alger, colloque international «Lumière et Astronomie », Alger 21/22 décembre 2015.

#### سادساً: القواميس:

1. لسان العرب لإبن منظور.
2. متن اللغة.
3. الموسوعة العربية العالمية: 1999، ج7، ص25.
4. المنجد

1. Dictionnaire Hachette Encyclopédie Illustré, Paris, 1991.

2. New webmasters International Dictionary.
3. The Encyclopedia Britannica: London: The Encyclopedia Britannica company, LTD, Vol 21.

## فهرس المحتويات

رقم الصفحة	المحتوى
12-1	مُقدِّمة
28-13	مدخل مفاهيمي.
16-14	- الاستعمار.
20-16	- الاستراتيجية والسياسة الاستعمارية.
38-20	- التعليم العالي ومؤسساته.
	<b>الفصل الأول: التعليم العالي الفرنسي في الجزائر (1879-1909)</b>
39-30	أولاً: ظهور التعليم العالي الفرنسي في الجزائر.
48-40	ثانياً: المدرسة التحضيرية العليا للطب (1857-1879).
62-49	ثالثاً: المدارس التحضيرية العليا للحقوق والعلوم والآداب (1879).
69-63	رابعاً: المدارس العليا كاملة الصلاحيات (1879-1909).
	<b>الفصل الثاني: التعليم العالي الجامعي وتطوره (1909-1962).</b>
89-70	أولاً: تأسيس جامعة الجزائر (30 ديسمبر 1909).
119-90	ثانياً: كليات جامعات الجزائر (1909-1962).
138-120	ثالثاً: المعاهد الجامعية لجامعة الجزائر (1909-1962).
147-139	رابعاً: مكانة وأهمية جامعة الجزائر الفرنسية.
	<b>الفصل الثالث: المخابر العلمية ومراكز البحث والتوثيق الجامعية (1879-1962).</b>
161-149	أولاً: المكتبة الجامعية (1887-1962).
178-162	ثانياً: معهد باستور الجزائر (1894-1962).
188-179	ثالثاً: المرصد الفلكي ببوزريعة (1873-1962).
200-189	رابعاً: المخابر العلمية التطبيقية والمجلس العلمي التطبيقي (1879-1962).
	<b>الفصل الرابع: مؤسسات التعليم العالي خارج الجامعة (1879-1962).</b>

217-202	أولاً: التعليم العالي الفلاحي (1881-1962).
229-218	ثانياً: التعليم العالي التقني ومدارس المهندسين (1880-1962).
239-230	ثالثاً: التعليم العالي للتجارة (1900-1962).
247-240	رابعاً: التعليم العالي للفنون (1881-1962).
	الفصل الخامس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962): قضايا ومجالات.
256-149	أولاً: التعليم العالي الاستعماري والتعليم العالي في المستعمرات.
267-257	ثانياً: التعليم العالي الخاص بالمسلمين الجزائريين.
282-268	ثالثاً: نخب التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار.
291-283	رابعاً: اهتمام التعليم العالي بالثروات الباطنية ضمن استراتيجية الاستعمار.
	الفصل السادس: التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار (1879-1962) - أهداف ونتائج.
302-293	أولاً: الأهداف العلمية للتعليم العالي وعلاقتها بالاستعمار.
313-303	ثانياً: التعليم العالي والأهداف الاقتصادية.
327-314	ثالثاً: التعليم العالي والأهداف السياسية.
343-328	رابعاً: مناهج الفرنسيين في العلوم الإنسانية وعلاقتها بالاستعمار.
350-345	خاتمة.
400-352	الملاحق.
-	فهرس المصطلحات و الأماكن
-	قائمة المراجع.
-	فهرس المحتويات.

## الملخص:

يتناول موضوع التعليم العالي في استراتيجية الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1879-1962) اشكالية اوجه توظيف هذا الاخير ومؤسساته في خدمة المشاريع الاستعمارية في مختلف المجالات فينتظر الي نشأة وتطور مؤسسات التعليم العالي الفرنسي في الجزائر وكذلك مراكز البحث والتوثيق واوجه توظيف البعض منها تحقيقا لأهداف الاستعمار واستراتيجيته طوال المرحلة المذكورة من خلال التعرف علي مجالات هذا التوظيف المتداخلة وخاصة نوعية التكوين في العلوم الانسانية والاجتماعية وكذلك في العلوم التجريبية واستخدام الطب و الجيولوجيا والعلوم الصحراوية في تطوير قدرات الاستعمار علي فهم البيئة الشمال افريقية عامة والجزائرية خاصة . ويخلص الموضوع في النهاية الي العلاقة المتينة بين هذه المؤسسات وظاهرة الاستعمار .

## الكلمات المفتاحية :

التعليم العالي .-، الاستراتيجية ؛ الجامعة ؛ المخابر ؛ الكليات ؛ الطب ؛ شمال افريقيا ، المدارس التقنية

## الاستعمار .. الخ

### Résume :

Le thème de l'enseignement supérieur traite la stratégie de la colonisation française en Algérie (1879-1962) ; en premier lieu les aspects de fonctionnement de ce ci et ses établissements pour servir les projets coloniales dans divers domaines : d'un part il évoque la création et l'évolution de l'enseignement français en Algérie et les centres de recherche et de documentation et les aspects de fonctionnement de quelque unes, afin d'acquérir les projets de la colonisation et sa stratégie pendant la période citée ,et tous cela à partir de savoir les domaines interférencées de ce fonctionnement par apport à la qualité de formation dans les sciences humaines et sociales, et aussi dans les sciences expérimentales , et l'utilisation de la médecine , géologie, les sciences sahariennes pour l'amélioration des capacités de la colonisation afin de comprendre la structure nord-africaine généralement et l'Algérie en particulier. Enfin nous concluons la relation solide entre ces établissements et le phénomène coloniale.

**Les mots clefs :** L'enseignement supérieur, la stratégie, l'université, les laboratoires, les facultés, la médecine, nord Afrique, les écoles techniques, la colonisation.

### Abstract:

The topic of height education in the French colonization strategy in Algeria (1879-1962) tackles the problem of making that last and its companies in serving the colonial project in different branches

So, it discuss the birth and development of the fransh high education establishment in Algeria and the research centers and noticing the different sides of using some of hose establishments in reaching the fransh colonization goals and its showery in the period mentioned above by knowing the different branches of that use, wish is related to the formation type in the human and social sciences as well as in the imperial sciences, and the use of medicine ,geology and disert sciences in developing the colonization powers in understanding the north Africa climat in general and Algeria in special .

At the end, it concludes the relationship between those establishment and the colonization events

**Key words:** Height education, strategy, university, lobos, faculties, medicine, north-Africa, technical schools, colonization